

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال

العثمانيون والسلطان عثمان الغازي

مؤسس الدولة العلية العثمانية

نفتتح هذا الباب من مجلتنا بتاريخ مؤسس الدولة العلية العثمانية وكيفية تأسيس تلك الدولة ابدها الله على نية ان نستطرد الكلام فيما يلي الى من اشتهر من سلاطينها خصوصاً كالسلطان سليمان الاكبر القانوني والسلطان محمود الثاني وغيرهما ومن اشتهر في سائر ممالك الارض قديماً وحديثاً من الملوك والقواد والعلماء والفلاسفة مع ما يقتضيه ذلك من الرسوم لزيادة الايضاح

يتصل نسب العثمانيين بالتتر الذين كانوا يقطنون ما يجاور جبال التاي عند حدود الصين الشمالية ويغلب على الظن انهم الاسكيثيون المعروفون قديماً بالشجاعة وشدة البأس ويقال ان جماعة منهم ينتسبون الى جد يقال له « ترك » نزحوا غرباً في الجيل الاول للميلاد واقاموا فيما هو الآن بلاد تركستان ويحدها شمالاً سيبريا وجنوباً بخارى وشرقاً حدود الصين وغرباً بحيرة اورال وهي مشهورة بجودة الاقليم وخصب المرعى وجمال السكان وقوة ابدانهم

وما استتب لهم المقام في تركستان حتى اخذوا يمدون سلطتهم وهم لا يزالون في حالة الجاهلية ولم يعتنقوا الديانة الاسلامية الا في اواسط القرن الرابع للهجرة وهم ينقسمون الى طائفتين كبيرتين تعرفان بالاغوزية والسلجوقية

وكان الاتراك السلجوقيون يقيمون في ما يجاور بخارى ثم اشتدوا وأنشأوا مملكة مستقلة شاسعة الاطراف يحدها بحر قزبين من جهة وبحر الروم من جهة اخرى عواصمها فرسبوليس (اصطخر) وقرمان ودمشق وحلب وروم في آسيا الصغرى ثم افتتحوا جانباً من بلاد فارس ثم تهددوا امبراطور اليونان وتغلبوا عليه حتى

اضطر الى تقبيل الارض بين يدي الب ارسلان ملك السلجوقيين

وفي القرن الثالث عشر للميلاد كانت سلطة السلجوقيين منتشرة في جميع آسيا الصغرى وسلطانها علاء الدين ومقره مدينة قونية

وظهر في اثناء ذلك جنكزخان القائد المغولي وغزا قبائل الاتراك المقيمين في تركستان فاذعنوا له الا قبيلة اغوزية من قبائل خراسان هاجرت تحت قيادة امير يدعى سليمان تطلب مقاماً لها ومرعى لمواشيها وما زالوا يسيرون غرباً حتى حدث وهم يعبرون الفرات ان اميرهم سقط بجواده في النهر ومات فدفنوه هناك وهو جد سابق الجنان السلطان عثمان الغازي فصبحوا بعده جماعات متفرقة فاتخذ ابنه ارطغرل قيادة جماعة منهم وسار بهم يخترق آسيا الصغرى وفيما هو في بعض السهول شاهد عن بعد غباراً متصاعداً وحرباً قائمة فتقدم على نية الانتصار لاضعف الفئتين فقتل وهو لا يدري لمن ينتصر فقرض الله النصر له وتقهقرت الفئة الاخرى ثم علم انه انتصر للسلجوقيين وقهر المغوليين فشكر الله على ذلك

فنال بذلك منزلة رفيعة لدى علاء الدين فاقطعه بقعة كبيرة يقيم فيها برجاله على حدود فريجيا وبيثينيا وكانت ارضاً جيدة ذات مراعٍ خصب . وفي تلك البقعة نشأ ابنه عثمان وشب وترعرع . وما زال ارطغرل تحت رعاية علاء الدين حتى توفي هو فخلفه عثمان ثم توفي علاء الدين بغير ولد فاقتسم امراؤه مملكته فاستقل عثمان بما لديه سنة ١٣٠٠م وهو اول امراء دولة آل عثمان

ويحكى عن السلطان عثمان منذ كان شاباً ووالده حياً انه علق فتاة تدعى « مال خاتون » وكانت اجمل بنات ولاية ابيه وكان والدها شيخاً تقياً ورعاً طاعناً في السن اسمه ادبالي فلما شعر بمحبة عثمان لابنته خاف العاقبة وصار يحاول ابعادهما الواحد من الآخر وبالغ في حجاب ابنته لانه لم يكن يطمع بمصاهرة ابن حاكمه

فجاء عثمان ذات ليلة ليبيت في بيت ادبالي وقضى معظم الليل هاجساً بحبيبته حتى غلب عليه النعاس فرأى في الحلم كأن القمر خارج من صدر ادبالي ثم رآه يتسع بسرعة حتى غطى كل ما كان واقعاً تحت نظره من الارض ثم اخذ في التقلص حتى عاد الى حجمه الاول وارتد الى صدر ادبالي كما كان . ثم رأى شجرة عظيمة خارجة من صلب ادبالي واخذ ظلها يمتد حتى غطى البرّ والبحر

وتراأى له ان انهر دجلة والفرات والدانوب والنيل خارجة من اصل تلك الشجرة وجبال قوقاس واطلس وطورس وهيموس تستظل باغصانها ورأى اوراقها تستطيل وتستدق حتى صارت كالسيوف ورؤوسها مصوبة نحو اشهر عواصم العالم ولا سيما القسطنطينية الواقعة عند ملتقى القارتين ومجتمع البحرين وخيل له انها جوهرة بين زمردتين وياقوتتين مصطنعة في فص خاتم وانه همّ بان يجعل ذلك الخاتم في اصبعه فاستيقظ مبغوتاً فاخبر ادبالي في الصباح بما كان فاستبشر بالخبر . وتزوج عثمان مال خانون هذه فوضعت غلاماً دعاه اورخان . وكانت معيشة ارطغرل وعائلته في غاية البساطة مقصوره على تربية المواشي فيقيمون في الجبال صيفاً وفي السهول شتاء وكان في طريقهم من المكان الواحد الى الآخر حصن في حوزة اليونانيين فعقد ارطغرل مع حامية ذلك الحصن عهداً محافظة على حياتهم وراحتهم في ذهابهم وايابهم على ان يقدم ارطغرل عدداً معيناً من الماشية كل سنة تحماه النساء والاولاد وقد طلبت الحامية ذلك خوفاً من رجال الاتراك وبطشهم . وما زالت هذه المعاهدة مرعية حتى توفي ارطغرل وعلاء الدين وتولى عثمان فاستنكف هذا من اداء تلك الفريضة فعوّل على مهاجمة الحصن فتنكر وتنكر معه جماعة من رجاله في لباس النساء ودخلوا القلعة واستولوا عليها فكان ذلك داعياً الى تراخي العلائق الودية بينه وبين اليونانيين وهم اذ ذاك لا يزالون تحت سلطة امبراطوري القسطنطينية

ثم حدثته نفسه بطلب العلى فاخذ يسعى في ذلك فوجه التفاته الى مدينة نيقية وكانت حصينة ولعلمه انها تمتنع على محاصرها وحوّل اعنة فتوحاته الى اماكن اخرى فخافه الامبراطور وبعث يستنجد احد امراء المغول على ان يزوجه ابنته مكافأة لنجدته . اما عثمان فلم يبال بذلك ولكنه واصل الفتوحات فبعث ابنه اورخان ففتح بورصة وكانت من المدن الشهيرة اذ ذاك وفتح قلاعاً عديدة وما زال مشدداً الحصار على نيقية . واما بورصة فلم يصل خبر فتحها اليه الا قبيل وفاته فسرّ لما اوتيه اورخان من الفتح ولما احسّ بقرب الاجل استقدمه فاجتمع به في صغود وهناك اوصاه قائلاً « ها اني مفارق هذا العالم غير آسف لاني تارك من يخلفني فكن يا ولداه عادلاً رأوفاً واتبع في احكامك شريعة النبي صلعم » وامره ان يتخذ بورصة عاصمة له وان يدفنه فيها لكي يرافقه

ذلك النصر الى القبر وكانت بورصة اول العواصم العثمانية وهي واقعة في شمالي اسيا الصغرى وغربيها بقرب شاطئ بحر مرمرا فتوفي السلطان عثمان مؤسس الدولة العلية العثمانية سنة ١٣٢٦ م بعد ان حكم ٢٧ سنة

وكان رحمه الله حسن الصورة حالك الشعر حتى لقب لشدة سواد شعره (قارا) اسود وهو من القاب الشرف الآن وكان طويل الذراعين حتى تصل يدهُ الى اسفل الركبة كثير الميل الى البساطة لا يتخذ من اللباس غير القفطان والكمة الحمراء تحيط بها العمامة البيضاء ولم يترك بعد وفاته ذهباً ولا فضة ولا شيئاً من الامتعة ما خلا ملعقة وملحة وقفطاناً وعمامة وبعض السراويل من الكتان (التيل) وجانباً من الخيل والماشية التي لا يزال نسلها معروفاً (١)

قائدان رومانيان عظيمان

ظهر في رومية في اواسط القرن الاول قبل الميلاد قائدان من اعظم قواد الرومانيين احدهما يدعى يوليوس والآخر بومبيوس نالا شهرة عظيمة بما افتتحاه من البلاد الكثيرة فان بومبيوس افتتح خمس عشرة مملكة وقهر ثمانمئة مدينة وحارب مثريداتس الشهير ملك بنطس في اسيا الصغرى اما يوليوس فانه تغلب على فرنسا وجرمانيا وبريطانيا وانتصر على عدة ملايين من الناس وقتل نحو مليون

فلما قويت شوكتهما ضاقت دونهما المملكة الرومانية على سعتها ووقع الخلاف بينهما والتف حول كل منهما احزاب فدار بينهما الخصام وانتشبت الحرب فعادت العائدة على بومبيوس ففر الى مصر فقتل في الاسكندرية في ايام الملكة كلوبطرا الشهيرة بالجمال والدهاء . ويقال انهم جاؤا براسه الى يوليوس فحزن كثيراً وأسف على موته اسفاً شديداً اما اعيان رومية فحالما علموا بانتصاره نادوا باسمه وعهدوا اليه السلطة المطلقة ولقبوه بقيصر فحكم في رومية حكماً مطلقاً واستجلب الاهالي اليه بالاكرام والانعام والعزائم والولائم فعظموه حتى نصبوا له تمثالاً في قاعة الكابيتول مع تماثيل الآلهة وكبار القواد ولقبوه بلقب نصف اله فاستنكف

(١) لم نعثر للسلطان عثمان على رسم حقيقي تزين به صدر المجلة فاكتفينا بذكر اوصافه

بعض كبار رجاله الاخصاء من ذلك وأحبوا التخلص من نيره وانقاذ البلاد منه فاجتمع ستون رجلاً من الاعيان وتواطأوا على قتله غيلة وكان في جملة هؤلاء المتواطئين رجل يقال له بروتس كان يوليوس يحبه محبة عظيمة وكان هو يحب يوليوس كثيراً ولكنه اضطر الى المواطئة على قتله سعياً وراء مصلحة بلاده واتفق المتواطئون على ان يكون قتله في مجلسه عند ابداء علامة عينوها

فخرج يوليوس قيصر من قصره ذات يوم بموكبه الحافل قاصداً المجلس وهو لا يدري بما تصبو له وفيما هو خارج من القصر دفع اليه احد المنجمين رقعة كتب فيها خبر ذلك التواطؤ وحذره من الذهاب الى المجلس ذلك اليوم فاخذ يوليوس الرقعة ودفعها الى بروتس ظناً منه انها تتعلق باشغال المجلس فاخذها بروتس واخفاها ولو اطلع قيصر عليها لنجا من القتل . فمر بموكبه في اسواق رومية والناس وقوف في الجانبين يدعون له بطول البقاء حتى وصل دار المجلس العالي وفيه من التماثيل شيء كثير فلما كان بالقرب من تمثال بومبيوس المتقدم ذكره دنا منه احد المتآمرين كأنه يدفع اليه ورقة وجثا امامه آخذاً بطرف ثوبه مستعطفاً فوقف قيصر ليرى ما في تلك الورقة وكانت هي العلامة التي اتفقوا عليها لاتمام بغيتهم فلم يكد يقف حتى ابتدره واحد بطعنة في كتفه وهجم الباقون عليه فدافع جهده بنشاط وقوة ثم التفت فاذا بروتس هاجماً عليه بخنجره حتى طعنه به فخارت قواه وكف عن الدفاع ونظر اليه نظرة التوبيخ قائلاً « وانت ايضاً يا بروتوس » ثم ستر وجهه بطرف ثوبه وسقط الى الارض ميتاً وكان ذلك سنة ٤٤ قبل الميلاد . فوقف بروتوس ازاء جثة صديقه وخطب في الجماهير يريد اقناعهم انه انما فعل ذلك حباً بمصلحة البلاد ومن قوله

« اذا تساءلتم عما حملني على قتل هذا القائد العظيم مع ما بيننا من الصداقة الصادقة اجبتكم ان السبب انما هو شدة محبتي لرومية وليس ضعف محبتي له فلو بقي هو حياً لنضيتم انتم تحت وطأة الاستعباد فها اني ابكيه لعظم محبته لي واكرمه لبسالته واقدامه ولكنني اقتله لانه كان محباً لذاته . واعلموا اني لم اعامله الا بما اريد ان تعاملوني به اذا اقتضت مصلحة البلاد ذلك »

يوليوس قيصر (عن تمثال في رومية)



بومبيوس (عن تمثال في رومية)

باب المقالات

الجرائد العربية في العالم

لم يكن للجرائد اثر في التمدن القديم على ما نعلم اما في التمدن الحديث فنراها عنوان الحضارة ودليل المدنية فاذا رسخت قدم جماعة في المدنية كثرت جرائدهم وتعددت مواضيعها · ولما كان المغرب مهد التمدن الحديث كان هناك منشأها ومرتع صباها منذ مئات من السنين اما في بلادنا العربية فلم تشرق شمسها الا في هذا القرن بعد ان بزغت شموس العائلة المحمدية العلوية في سماء الديار المصرية والفضل الاكبر في ذلك لمؤسس هذه العائلة الكريمة نعني به ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا محيي المعالم العربية ومنبت غرس التمدن الحديث في البلاد المشرقية على اثر ما اتاه من الاصلاح في الديار المصرية وهو الذي انشأ اول جريدة عربية منذ نحو اثنتين وستين سنة نريد بها الجريدة الرسمية للحكومة الخديوية التي لا تزال حية بعنوان « الوقائع المصرية » تصدر في القاهرة ناطقة بفضل ذلك الرجل العظيم على سائر ابناء اللغة العربية فضلاً لا يمحوه كرور الايام ولا تزيله عوامل الحدثان

فالوقائع المصرية اول الجرائد العربية نشأةً واثبتها مبدءًا ويليها في اقادم العهد جريدة « حديقة الاخبار » وهي الجريدة العثمانية الرسمية في الديار السورية نشأت منذ ٣٥ سنة ولا تزال تصدر في مدينة بيروت

ويلي حديقة الاخبار « الرائد التونسي » الرسمية لولاية تونس الغرب وهي الآن في سنتها الثانية والثلاثين وتصدر في تونس

ويلي الرائد التونسي « الجوائب » لمنشئها اللغوي المحقق والعالم المدقق المرحوم الشيخ احمد فارس الشدياق انشأها في الاستانة العلية بظل الحضرة السلطانية ايدها الله سنة ١٨٦١ وتعطلت بعد الحوادث العرابية قبل وفاة منشئها ببضع سنين .

وكانت مغارس العلوم والمعارف قد اخذت تنمو في مصر وسوريا فانشأ الطيب

الذكر الهمام الفاضل المعلم بطرس البستاني مجلة « الجنان » العلمية والسياسية في بيروت ثم اصدر « الجنة » السياسية وكلاهما متعطلتان الآن ثم ظهرت « النشرة الاسبوعية » وجريدة البشير وثمرات الفنون والتقدم والنجاح وغيرها

وأخذت الجرائد تتعدد في تلك الاثناء في مدينة بيروت الزاهرة فنشأت مجلة « المقتطف » العلمية وجريدة « لسان الحال » و« المصباح » وغيرها والجرائد الرسمية للولايات العثمانية « كالفرات » في مدينة حلب و« الزوراء » في بغداد الخ

أما في الديار المصرية فصدرت اولاً جريدة « وادي النيل » بمصر (سنة ١٢٨٤ هـ) ثم جريدة « روضة الاسكندرية » و« الاهرام » في الاسكندرية و« الوطن » و « الكوكب المصري » و« مصر » في القاهرة وكلها سياسية وصدرت جرائد اخرى في اماكن اخرى مما لا يمكنا تعيين زمانه ومكانه تعييناً تاماً

على اننا قد بذلنا الجهد في جمع اسماء الجرائد العربية التي صدرت حتى اليوم في سائر انحاء العالم من سياسية وعلمية وطبية ورتبناها في الجدول الآتي مبينين حالة كل منها وموضوعها بقدر ما سمحت لنا الحالة مع ما يحول دون مرامنا من العقبات

فنذكر اولاً الجرائد التي ظهرت وتوارت لضيق ذات يدها او تقاعد القراء عن الاشتراك فيها وتثبيطها واما ان تكون معلقة او ملغاة بامر الحكومة السنية لغرية اقترفتها او غير ذلك من الاسباب

ونعقب ذلك بذكر الجرائد الحية التي لا تزال تظهر حتى الآن في مصر وسوريا والبلاد الاجنبية على قدر ما اتصل بنا بعد البحث والتحري وربما فاتنا ذكر جريدة او اكثر فنتقدم الى من يعثر لنا على ذلك النقص ان ينبهنا اليه فنذكره في العدد التالي او ما بعده ان شاء الله تعالى



﴿ الجرائد التي ظهرت ثم توارت اما تعليقاً الى أجل واما الغاء مؤبدا ﴾

(مرتبة على الحروف الابجدية)

﴿ الجرائد المصرية ﴾

لم يظهر في غير القاهرة والاسكندرية من القطر المصري جريدة قط حتى الآن (يصدق ذلك على زمن صدور الطبعة الاولى من هذه السنة اما الآن فقد ظهرت جرائد كثيرة في كثير من بنادر القطر)

وهاك جدولاً يتضمن الجرائد التي كانت تصدر في هاتين المدينتين ومعظمها في القاهرة

ابو نضاره	هزلية (١)	الحضارة	علمية
الاحكام	حقوقية	حقيقة الاخبار	سياسية
الاحوال	سياسية	الراوي	ادبية
الاسكندرية	.	الرقيب	سياسية
الاعتدال	"	روضة الاخبار	"
الاعلام	.	الاسكندرية	.
الاعلان	اعلانات	المدارس	ادبية
البرهان	سياسية	الرياض المصرية	علمية
بستان الاخبار	.	الزمان	سياسيه
البيان	.	المنير	.
التنكيت والتبكيت	هزلية	الشرق	.
التوارد	?	الشفاء	طبية
توفوق	?	الصادق	سياسية
التيمس المصري	سياسية (٢)	الصحة	طبية
الجريدة المصرية	. (٣)	صدى الشرق	سياسية
الحجاز	.	صدى الاهرام	.

(١) نقلت الى باريز (٢) عربي وانكليزي (٣) ترجمة الاجبسيان غازت

الجريدة	نوعها	الجريدة	نوعها
الطائف	سياسية	مصر	سياسية
العصر الجديد	«	مصر الفتاة	«
الفانوس	هزلية	المفيد	«
القسطاط	سياسية	مكارم الاخلاق	علمية
القاهرة	«	المنارة	ادبية
الحرة	«	المبعون	هزلية
قراقوز	هزلية	النجاح	سياسية
كنز الزراعة	زراعية	النزهة	ادبية
الكوكب المصري	سياسية	النشرة التجارية	تجارية
مجلة الاحكام	حقوقية	النور التوفيقي	«
المخبر المصري	سياسة	نور الشرق	?
مرآة الشرق	سياسية	الوقت	سياسة
		اليعسوب	طبية

الجرائد السورية

وجميعها كانت تصدر في مدينة بيروت

الجريدة	نوعها	الجريدة	نوعها
التقدم	سياسية	كوكب الصبح	دينية
الجنان	« وعلمية	المشكاة	سياسية
الجنة	«	المقتطف	علمية (١)
الجنينة	«	المهماز	دينية
الزهرة	«	النجاح	سياسية
الصفا	علمية	النحلة	« (٢)
الطبيب	طبية	النفير	«
الفوائد	سياسة	الهدية	دينية

(١) لم تعطل ولكنها انتقلت الى القاهرة وستذكر في جرائد القاهرة الحية

(٢) انتقلت الى لندرا وتعطلت

الجرائد التي كانت تصدر في الاستانة

الاعتدال	سياسية	الجوائب	سياسية
الانسان	علمية	الحقائق	«
الحوادث	سياسية (١)	الكوكب	علمية
السلام	«	المنبه	سياسية

الجرائد التي كانت تصدر في اماكن متفرقة

من العالم على الوجه الآتي

اسم الجريدة	موضوعها	منشأها	اسم الجريدة	موضوعها	منشأها
المغرب	سياسية	مراكش	الحقوق	سياسية	فرنسا
ديك الشرق	«	قبرص	البرجيس	«	«
المستقل	«	ايطاليا	الشهرة	«	«
الانباه	«	فرنسا	العروة الوثقى	«	«
ابو المول	«	«	الاتحاد العربي	«	لندرا
الاتحاد	«	«	الخلافة	«	«
البصير	«	«	مرآة الاحوال	«	«
الصدى	«	«	مالطا	«	مالطا (١)

الجرائد العربية التي لا تزال حية

(مرتبة على حروف الهجاء)

جرائد القاهرة

الآداب	علمية	الفنى	علمية
الازهر	«	الفرائد	«
الاصلاح	ادبية	الفلاح	سياسية

(١) الغيت قبل صدورها (٢) كانت تصدر باللغة المالطية

البستان	ادبية	الفوائد الصحية	طبية
الحقوق	حقوقية	اللطائف	ماسونية
الزراعة	زراعية	الحاكم	حقوقية
المحروسة	سياسية (١)	الوطن	سياسية
المقتطف	علمية (٢)	الهلال	علمية
المقطم	سياسية	الوقائع المصرية	رسمية
المؤيد		وقائع البوليس	
النيل			

﴿ جرائد الاسكندرية ﴾

الاتحاد المصري	سياسية	السرور	ادبية
الاهرام		مرقى النجاح	
الحقيقة			

﴿ جرائد بيروت ﴾

الاحوال	سياسية	حديقة الاخبار	رسمية
البشير	دينية	الكنيسة الكاثوليكية	دينية
بيروت	سياسية	لسان الحال	سياسية
الرسمية	رسمية	المصباح	
ثمرات الفنون	سياسية	النشرة الاسبوعية	دينية

﴿ الجرائد العربية التي تنشر الآن في اماكن اخرى من العالم ﴾

اسم الجريدة	موضوعها	منشأها	اسم الجريدة	موضوعها	منشأها
لبنان	سياسية	لبنان	الزوراء	رسمية	بغداد
سوريا	رسمية	دمشق	صنعاء		صنعاء

(١) نشأت في الاسكندرية ونقلت الى القاهرة (٢) نشأت في بيروت ونقلت الى القاهرة

اسم الجريدة	موضوعها	منشأها
الفرات	رسمية	حلب
الشهباء	سياسية	« (١)
البصرة	رسمية	البصرة
الحاضرة	سياسية	تونس
الزهرة	«	«
طرابلس الغرب	رسمية	طرابلس الغرب
تلمسان	«	تلمسان
الحقوق	حقوقية	الاستانة (٢)
المبشر	سياسية	الجزائر
الرائد التونسي	رسمية	تونس
الكشكول	سياسية	تفليس (٣)
ضياء الخافقين	«	لندرا (٤)
نخبة الاخبار	«	الهند
كوكب اميركا	«	اميركا

فترى مما مرَّ بك ان الجرائد التي أُنشئت باللغة العربية منذ اول امرها الى الآن في سائر مدن العالم لا تبلغ المائة وخمسين جريدة بين سياسية وعلمية وطبية وحقوقية وادبية وغير ذلك ولم يبقَ منها حياً مع ذلك الا ٥٤ جريدة منها في القاهرة ٦ جرائد سياسية و ٨ علمية وادبية وواحدة طبية واثنتان حقوقيتان وواحدة زراعية وواحدة ماسونية واثنتان رسميتان · وفي الاسكندرية ٣ جرائد سياسية واثنتان ادبيتان وفي بيروت خمس سياسية و ٣ دينية واثنتان رسميتان وفي ما بقي من العالم على ما اتصل بنا الى ساعة كتابة هذا ثماني عشرة جريدة ٩ منها سياسية و ٨ رسمية وواحدة حقوقية · واقدم الجرائد السياسية العربية الحية الآن (غير الرسمية) جريدة ثمرات الفنون في بيروت وهي في سنتها التاسعة عشرة وتليها جريدة الاهرام في الاسكندرية وهي في سنتها السادسة عشرة ثم لسان الحال في بيروت والوطن في القاهرة في سنتها الخامسة عشرة ثم المصباح في بيروت وهكذا الى احدث الجرائد

اما المجلات العلمية والادبية فاقدمها مجلة المقتطف العلمية وهي الآن في سنتها السادسة عشرة وتليها مجلة اللطائف الماسونية وهي في سنتها السابعة ثم مجلة الآداب وهكذا الى احدث المجلات

ولا مشاحة في ان هذا الزمن اكثر الازمان زهاء بالجرائد والمجلات العربية

(١) لم تظهر بعد (٢) في العربية والتركية

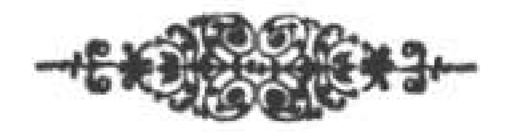
(٣) تظهر في اللغات التترية والفارسية والعربية

(٤) « في اللغتين العربية والانكليزية

اذ لم يتفق انها بلغت مثل هذا العدد دفعة واحدة في زمن غير هذا ولا ريب في ان ذلك دليل على انتشار العلوم والمعارف بين ظهرانينا واقترابنا خطوة اخرى من صرح المدنية لما تقدم لنا من دلالة الجرائد عليها على نسبة في تعدادها وانتشارها ٠ والفضل في ذلك راجع (اولاً) لرغبة رجال حكومتنا في تنشيطها واعانتها بما يبذلونه مادياً وابدياً لقوام عنصرنا علماً منهم ان ذلك اقوى مساعد لهم على بث روح العدل ونشر لواء الامن فيما بيننا (ثانياً) لثبات الذين ساروا امامنا من اصحاب الاقلام في نشر الجرائد ومقاومة الصعوبات في اجتياز العقبات التي كانت تحول دون نشرها حتى كثر عدد القراء الراغبين في مطالعتها وتسنى لنا نحن المقتفين لآثارهم ان نقدم على نشر مثل هذه المجلة الحقيرة آملين ان نلقى بين ابناء اللغة العربية من يرمقها بعين القبول تنشيطاً للكتاب حتى يمضوا في خدمة الامة والوطن مرضاةً لاولي الامر منا وتنفيذاً لما يريدونه من نشر المعارف بيننا

﴿ الزقازيق ﴾

هي مركز مديرية الشرقية واقعة على بحر مويس وهي من المدن المصرية الحديثة بنيت في زمن المغفور له محمد علي باشا وكان في موضعها سدٌ في البحر لاجل الريّ فاراد رحمه الله ان يعوض عنه بقناطر لتسهيل الريّ فاحضر العمال فاقاموا هناك في اعشاش بنوها على جانبي البحر وجاءهم بعض الباعة فاقاموا معهم لبيع اصناف الطعام عليهم فاصبح المكان قرية واخذت العمارة تزيد بعد اتمام القناطر حتى بلغت ما هي عليه الآن وقد دعيت زقازيق نسبة الى مستنقع في جوارها كان يعيش فيه نوع من السمك الصغير يدعونه زقازيق جمع زقزوق والله اعلم



الهلال

الجزء الثاني من السنة الاولى

(اوّل اكتوبر سنة ١٨٩٢) (١٠ ربيع اوّل سنة ١٣١٠) (٢٢ توت سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



السلطان سليمان الكبير

الملقب بالقانوني

(ولد سنة ٩٠٠ ه (١٤٩٥ م) وتولى ٩٢٦ ه (١٥٢٠ م) وتوفي ٩٧٤ ه (١٥٦٦ م)

وهو ابن السلطان سليم الاوّل فاتح الديار المصرية ابن السلطان بازيد الثاني

شقيق السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية · حكم في المملكة العثمانية ٤٦ سنة حارب في اثنائها حروبا كثيرة حضر ١٣ منها بنفسه وسن للدولة قوانين ونظامات (قانون نامه) عادلة محكمة فلقب بالقانوني · ويلقبه كتبة الافرنج بالكبير لعظمته واتساع سلطانه اذ قد بلغت المملكة العثمانية في عهده ذروة من المجد والعظمة لم تبلغها قبله ولا بعده · ويلقبه مؤرخو الدولة بصاحب القرن لاتفاق ولادته في اول القرن العاشر للهجرة ويدعونه صاحب الكمالات العشر اشارة الى حسن اخلاقه

وفي التاريخ ازمان تمتاز بعظم رجالها او عظائم حوادثها كزمن هذا السلطان فانه زمن تفرد بمعاصرة الملوك العظام في ممالك اوربا وآسيا فقد كان على مملكة فرنسا الملك فرنسيس الاول محبي غرس المعارف وعلى سرير اسبانيا وجرمانيا الملك العظيم الشان شرلكان الذائع الصيت · وعلى انكلترا الملك هنري الثامن صاحب الاصلاح العظيم وعلى كرسي رومية البابا ليون العاشر وعلى بولونيا الملك سجسموند الاول وعلى الفرس شاه اسماعيل وعلى الهند شاه اكبر وكان القيصر واسيلي بولوويتش فاتح استراخان يؤسس الدولة الروسية العظمى واما السلطان سليمان فكان اشد بطشا وارفع منارا من جميع هؤلاء

وكانت المملكة العثمانية عند توليته شاسعة الاطراف والعلم العثماني يخفق فوق القارات المعمورة (آسيا وافريقيا واوربا) على اثر فتوحات والده السلطان سليم وجده وسائر اسلافه الغزاة المفتحين فكان في حوزته الروملي والاناضول وقرمان وارزروم وديار بكر وكردستان واذربيجان وبلاد فارس والشام ومصر والحرمين وسائر بلاد العرب واليمن وغيرها

ولما توفي والده كان هو في مغنيسيا بالاناضول فحالما بلغته رسالة الصدر الاعظم بذلك اسرع الى الاستانة فوصلها في ١٦ شوال سنة ٩٢٦ (٣٠ سبتمبر سنة ١٥٢٠ م) وفي الصباح التالي احتفل بتوليته ودفن جثة والده وفي اليوم الثالث احتفل الانكشارية بالاستيلاء على الهدايا المضروبة لهم على من يتولى عرش السلطنة واستوزر السلطان سليمان قاسم باشا وهو اول من تولى الصدارة العظمى في عهده

واستهل السلطان حكمه باطلاق ستمئة مصري كان السلطان سليم قد اسرهم وضيق عليهم · وقتل جماعة من الجندارية كانوا عثرة في سبيل الامن وشنق

جعفر الذي اشتهر بالقسوة والاستبداد . ومن اوامره للقضاة واهل الشرع قوله « ان بقاءكم في قيد الحياة متوقف على استقامتكم وقسطكم واذا اتخذتم الصرامة فلتكن صرامة عادلة » وكان الغزالي قد تولى دمشق في زمن السلطان سليم فحدثته نفسه بالاستقلال ولكنه لم يباشر ذلك حتى ذهب فريسة مطامعه ورمي رأسه بين رجلي السلطان

وفي السنة التالية لحكمه تمرد اهل هونغاريا (المجر) وقتلوا بهرام شاوئيس سفير السلطان لانه طالبهم بالجزية فبعث حملة تحت قيادة احمد باشا ثم حمل بنفسه وانضمت اليه قوات كثيرة من رعيته في طريقه فحاصر مدينة سابقس وافتتحها عنوة في ٢ شعبان ودخلتها الجنود المظفرة على رؤوس القتلى ثم فتحوا مدينة سملين ومنها ساروا الى بلغراد وحاصروها حصاراً شديداً حتى فتحوها عنوة في ٢٥ رمضان وكانت قد امتنعت على اسلافه فاقام فيها الصلاة ولبث هناك مدة ثم عاد الى الاستانة ظافراً فبعثت اليه الروسية والبندقية وراغوس يهنئونه بذلك الفوز ويتقربون منه خوفاً من بطشه ويطلبون عقد المعاهدات

وكانت جزيرة رودس لاتزال ممتنعة على العثمانيين مع ما بذل السلطان محمد الفاتح من الجهد في فتحها فعول السلطان سليمان على فتحها تأييداً لقوته البحرية وتسهيلاً للمواصلات بين مصر والاستانة والوصول بحراً الى سوريا ومنها الى الحرمين . ولكنه قبل المسير اليها بعث الى رئيسها يطلب اليه التسليم ويعده بالامن مؤيداً ذلك بالقسم فلم يصغ اليه فبعث عليها في ١٦ رجب سنة ٩٢٨ (١٦ يونيو سنة ١٥٢٢) مئة الف مقاتل وثلثمئة شراع تحت قيادة الدرعسكر مصطفى باشا وبعد وصول الحملة بيسير وصل السلطان واتحدت القوات العثمانية وفي اول شوال بدأ العثمانيون بمحاربة رودس وبعد ٤ اشهر سلمت الجزيرة قهراً وكتبت شروط التسليم في ٢ صفر سنة ٩٢٨ ه وقد اظهر السلطان سليمان في ذلك من الشهامة وكرم الاخلاق ما يخلد له مدى الدهر واكرم مثوى رئيس الجزيرة وخلع عليه ولما جاء ليودعه ويبرح المكان قبل يده وكان شيخاً طاعناً في السن فقال السلطان لابراهيم باشا احد المقربين منه « يشق عليّ والله ان ارى هذا المسيحي نازحاً من وطنه منكسر القلب وهو في حال الشيخوخة » وتناقل

ابراهيم باشا هذا في السنة التالية الصدارة العظمى وكان السلطان يحبهُ

ثم عاد السلطان الى القسطنطينية فتقاطرت اليهِ رسل التهنئة من ملوك الارض كافة لان فتح رودس زاد عظمة الدولة العثمانية في عيون الدول الاخرى وسلمت لها على اثر ذلك كل الجزائر الصغيرة المجاورة لرودس

ثم عادت الفتن الى بلغاريا فجرد السلطان حملة ثانية وخرج من الاستانة في ٢٣ افريل (نيسان) سنة ١٥٢٦ وكان ذلك عقيب اختراعهم للقنابل وما زالوا سائرين يدافعون الدفاع الشديد ويفتحون المدن حتى وصلوا موحكز فاذا هي محصنة وقد تهيأ رجالها للقتال في سهل بالقرب من المدينة فجلس السلطان الى اكمة وهو في لباسهِ الذهبي المرصع وفي عمامتهِ ثلاث من ريش طير المالك الحزين ونظر فاذا بالمونجاريين يتدفقون كالبحر الزاخر فخاف على رجالهِ فرفع يديهِ نحو السماء قائلاً « لك القدرة والجبروت يا الله فاعضد عبدك المؤمنين » وكان المونجاريون تحت قيادة لويس الثاني بنفسهِ ففيض الله النصر للعثمانيين وانهزم عدوهم وقتل لويس ولم يعلم احد بمكان جثتهِ ومن نجا من الموت غرق في النهر فخضعت اوفن عاصمة هونجاريا للسلطان وبعثت وفداً لاستقبالهِ والقاء مقاليد الاحكام اليهِ فولى على المدينة رجلاً يدعى زابولا وعاد الى الاستانة وفي ركابهِ مئة الف اسير

ولم تطل مدة زابولا حتى نقم شرلكان عليهِ بدعوى اختلاسهِ الحكم وبعث اخاه فرديناند ملك اوستريا ليحكم مكانهُ ففرَّ زابولا واستنجد السلطان فحمل هذه المرة بمئتين وخمسين الفاً وثلثمئة مدفع وقهر فرديناند واعاد الحكومة لزابولا وامعن في اوربا قاصداً فينا عاصمة النمسا حتى نصب قسطاطهُ امام اسوارها في ٢٧ سبتمبر (ايلول) ولم تكن حامية المدينة تزيد على ١٧ الفاً ولكنهم صمدوا على الدفاع الشديد فهاجم العثمانيون المدينة اولاً وثانياً فهدموا من اسوارها جانباً واظهر السلطان وقواده في الهجمة الثالثة بسالة لم يسبق لها مثيل ولكن المدينة امتنعت عليهم وفصل الشتاء دنا فخافوا مداهمة الامطار لهم في ارض العدو فانقلبوا راجعين وقد قاسوا في رجوعهم مشقة عظيمة من وعرة الطرق ولم يدخل السلطان الاستانة حتى أُنبئ بانتقاض المونجاريين على زابولا واخراجهِ ثانية بابعاز شرلكان

وكان شرلكان طامعاً في قهر الدولة العثمانية بعد ان قهر بافيا وروميه فحمل السلطان على موهجاريا ثالثة ولم يكن انتصاره هذه المرة بيِّناً لمقاومة ما جريات الطبيعة له كالامطار والسيول والعواصف ولأن عدوَّه الملك شرلكان الذائع الصيت وزد على ذلك انشغال باله بما كان من انتقاد عالو عليو في آسيا الصغرى والجزيرة والعراق فانتهت هذه الحملة بعقد معاهدة سلم بين السلطان وشرلكان في يوليو (تموز) سنة ١٥٢٢

ويقال ان سبب تجريد هذه الحملة على موهجاريا التماس فرنسيس الاول ملك فرنسا عندما اسر شرلكان وكان بينه وبين السلطان معاهدة هجوم ودفاع وقد عثرنا على ترجمة كتابين بعث بهما السلطان سليمان الى الملك فرنسيس المشار اليه جواباً على التماسين استنجده باحدهما على شرلكان وهاك نصه

هو الله

« بنعمة الله جل جلاله وتعالت كلمته وبركة شمس سموات النبوة وكوكب برج الاولياء . رئيس طغمة الابرار محمد الطاهر صلى الله عليه وسلم . وبظل انفس صحابته الاربعة الطاهرين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي صلوات الله عليهم . شاه سلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان الغازي

انا سلطان السلاطين وملك الملوك ومانح الاكاليل للملوك العالم ظلّ الله على الارض بادشاه سلطان البحر الابيض والاسود وبلاد الروملي والاناضول وقرمان وارزوم وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم ودمشق وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس الشريف وسائر بلاد العرب واليمن وايالات شتى افتتحها سلفاؤنا العظام واجدادنا الفخام بقواتهم الظافرة وكثير من البلاد التي اخضعتها عظمتي الملوكية بسيفي الساطع انا ابن السلطان سليم بن السلطان بيازيد شاه السلطان سليمان خان اكتب اليك

يا فرنسيس بك بلاد فرنسا

ان الكتاب الذي طرحته امام سدتي الملوكية ملجأ الملوك على يد فرنكيبان المستحق لثقتك والالفاظ الشفاهية التي حملها اليّ قد علمت منها ان العدو مستحكم

من مملكتك حتى صرت له اسيرًا وتطلب اليّ انقاذك . فجميع ما قلته قد عرض على اعتاب كرمي عفتني الذي هو ملجأ العالم وقد فهمت شرحه واحاط علمي الشريف به . فاذا قهر الملوك هذه الايام فلا تعجب بل فلتشدد قلبك ولا تصغر نفسك وقد رأينا سلفاءنا العظام واجدادنا الفخام لم يحجموا في مثل هذه الحال عن قتال الاعداء والنهوض الغزوات والفتوحات وانا قد اقتفيت آثارهم واخضعت ممالك عديدة وفتحت حصونًا منيعة فلا انام ليلاً ولا نهارًا وسيفي لا يفارق جانبي فنتوسل الى الله تعالى ان يسهل طريقنا الى ما فيه الخير واسأل رسولك عما رآه وسمعه وايقن انه هكذا

كتب في العشر الاولى من هلال ربيع الثاني سنة ٩٣٢ من الدار الملوكية في محروسة الاستانة العلية »

واما الكتاب الثاني فكتب سنة ٩٣٥ هـ ومفاده ان السلطان سليمان لم يمكنه اجابة طلب الملك فرنسيس في اعادة كنيسة جعلها الاسلام جامعًا في بيت المقدس بدعوى ان الشريعة الغراء تحظر عليه ذلك ولكنه يعده باجراء كل ما يطلبه ان لم يكن مخالفًا للشريعة وقد اكتفينا بالاشارة الى هذا الخطاب لضيق المقام

وبعد عقد المعاهدة مع شرلكان حمل السلطان سليمان على بلاد الفرس وقامت الحروب زمنًا طويلاً ففتح بغداد وتبريز وعاد غانمًا ولكنه لم يلاق شاه العجم لانه كان منهزمًا من وجهه . وظهر في اثناء ذلك من الصدر الاعظم ابراهيم باشا المتقدم ذكره اعوجاج فاوجس السلطان منه فامر بقتله

ونبغ في ذلك الحين القبطان خير الدين باشا وهو في الاصل ابن احد قواد العثمانيين ويلقبه كتبة الافرنج بربروسا وكان قائدًا عظيماً مشهورًا بالبسالة والاقدام وحارب حروبًا هائلة تحت راية ملوك تونس الغرب ومراكش والجزائر حتى تولى الجزائر بعد قتل ملكها ولكنه كان يود الدخول في حوزة الدولة العثمانية والخدمة في مصلحتها فاخذ يترقب الفرص حتى اتفق ان اهل موريتانيا هاجروا الاندلس يطلبون لهم مقامًا فبعث اليهم مراكبه فجاء جماعة كثيرة منهم واقاموا في مملكته فعظم خير الدين . ثم افتتح داريا الاميرال الجينوي الشهير مدينة كورون في المورة فبعث السلطان سليمان الى خير الدين يقلده القيادة البحرية ويأمره

بالمسير لفتح تلك المدينة فسار وفتحها ثم فتح تونس ولم يلبث فيها زمناً حتى جاءته حملة من الالمان والايتاليان والاسبان بامر شرلكان فدافعهم دفاعاً حسناً ولكنه لم يقوَ على دفعهم لكثرة عددهم وانتقاض اهل المدينة عليه لان جانباً كبيراً منهم مسيحيون ففتحها شرلكان واعاد اليها واليها السابق المنلا حسن من بني حفص وجعل فيها حامية . فسار خير الدين باشا الى الاستانة وفي نفسه من الغيظ وحب الانتقام ما حركه الى الحمل على البندقية بحجة لا تستوجب الحرب فاوعز الى السلطان فامره بالمسير فسار يخترق البحر الادرياتيكي ويستعبد اهلها ثم عاد لمحاصرة كورفو وكان السلطان ممن حضر ذلك الحصار ويقال في سبب انسحابه عنها انه رأى اربعة من رجاله قتلوا برصاصة من الاسوار فقال « ان خسارة مسلم واحد لا تعوض بفتح مئة حصن » وامر بالانسحاب اما خير الدين فسار بالعمارة الى الارخبيل اليوناني فسلمت له عدة حصون ومدن وحارب البندقيين وضرب عليهم غرامة حربية

ثم توفي زابولا عامل هونجاريا عن طفل لا يتجاوز سنه ١٥ يوماً فعاد المتناظرون الى اختلاس الحكم منه فاستنجدت والدته بالسلطان فبعث رسولاً ثبتها وثبته فبعث الملك فرديناند جيشاً لمحاصرة اوفن عاصمة هونجاريا فقدم السلطان بنفسه لرفع الحصار فعاقته الامطار ولكن الحصار رفع عن المدينة قبل وصوله وانتهت الحرب وعاد الى الاستانة ثم عادت الحرب وما زالت الى سنة ١٥٤٧ م وانقضت بمعاهدة صلح مع الملك فرديناند دخل فيها شرلكان وهي اول معاهدة قضت على دولة النمسا باداء الجزية السنوية لسلاطين آل عثمان وتوفي اثناء ذلك خير الدين باشا وكان من اشهر قواد البحار

وجرد السلطان في تلك السنة على شاه العجم وقهره وفي سنة ١٥٥٣ تمرد مصطفى ابن السلطان على ابيه فقتله وشق ذلك على اخيه جيهان واشتد عليه الحزن حتى اماته . ثم نقض فرديناند المعاهدة وعادت الحرب مع هونجاريا واشتدت وطال امرها وتفرعت حتى توفي السلطان في سبيلها والسبب في ذلك ان الهونجاريين بعثوا اليه يطلبون الصلح ولم يؤدوا الجزية فغضب وامر بالحمل عليهم وكان مصاباً بداء المفاصل فلم يستطع الركوب فرافق الحملة في مركبة

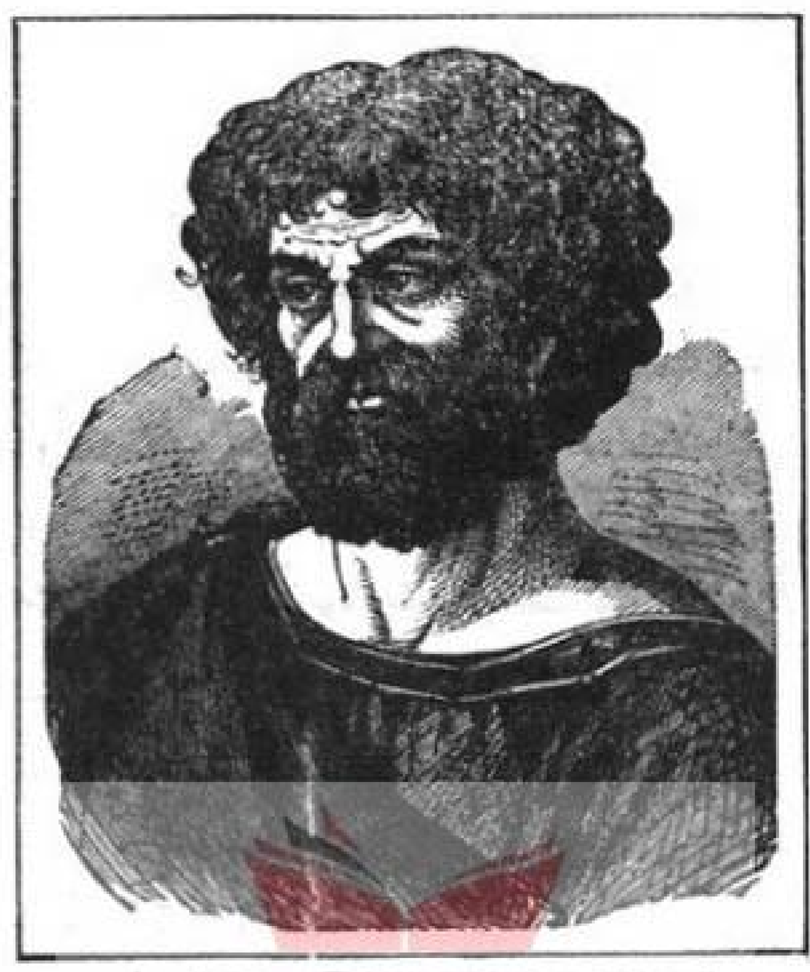
فوصلوا بلغراد ومنها الى سملين فافتتحوها ومات السلطان في محاصرة قلعة الزيجات وكتموا امر موته ثلاثة اسابيع حتى فتحوا القلعة ووصل ولده السلطان سليم الثاني واستلم القيادة ونقل جثة والده الى الاستانة

وكان السلطان سليمان اسمر اللون واسع الجبهة عبوس الوجه عالي الهمه نادر المثال بالحزم والنشاط والحكمة والتعقل فقد سن الشرائع (القانون نامه) وبنى ابنية فاخرة في الاستانة منها جامع السليمانية البديع الاتقان وغيره من المدارس والمكاتب والجسور وغيرها وكان استخدم في مجلسه خدمة صماً بكماً لا يسمعون ولا ينطقون تخلصاً مما يخشى من اباحة الاسرار وهو اول سلطان استخدم على مائدته اواني من الذهب والفضة . وفي ايامه دخلت القهوة بلاد الدولة وعمّ استعمالها وكان للسلطان سليمان حظ من العدد عشرة بنوع خاص فانه ولد في اول القرن العاشر وهو عاشر سلاطين آل عثمان واحد الملوك العشرة المعاصرين وولد له عشرة اولاد واستوزر عشرة وزراء ولقبوه بصاحب الكمالات العشر

وهو آخر من قاد جيوشه بنفسه من سلاطين آل عثمان لانهم تقاعدوا بعده عن الذهاب الى الحروب تاركين قيادة الجند الى قوادهم ورجال دولتهم . والسلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان اول من انغمس بالترف والف الاقامة في القصور وامسك عن الحروب واقتدى به من جاء بعده ولولا بعض السلاطين المصلحين منهم كالسلطان محمود الثاني والسلطان عبد الحميد خان الحالي وغيرهما لما كانت حال الدولة على ما هي عليه الآن

وقد امتاز عصر السلطان سليمان باكتشاف العالم الجديد (اميركا) وطريق راس الرجا الصالح وظهور عصر الاصلاح ونبوغ لوثير زعيم طائفة الانجيليين

هذا ملخص تاريخ حياة هذا الرجل العظيم نمثل به للقارىء ما بلغت اليه دولتنا العلية في عصره من السطوة والنفوذ ولو اردنا استيفاء تاريخه لضاق بنا المقام ولكننا آخذون في كتابة تاريخ تام الدولة العثمانية ورجالها العظام نطبعه في كتاب على حدة والاتكال على الله



هنيبال

القائد القرطجني

قرطجنة مستعمرة فينيقية تأسست في القرن التاسع قبل الميلاد فيما يجاور تونس الغرب الآن وكانت من اشهر مدن الاعصر الخالية حتى قامت بينها وبين دولة الرومان حروب هائلة عرفت بالحروب البونية الثلاث ابتدأت سنة ٢٦٥ ق م

اما هنيبال فهو بطل الحروب البونية الثانية ولد في قرطجنة سنة ٢٤٧ ق م ووالدهُ هملقار من اشد قواد قرطجنة ولما بلغ التاسعة رافق اباهُ الى اسبانيا لمحاربة بعض المدن المتحازة الى الرومانيين وشهد عدة مواقع قتل في احداها والدهُ فخلفهُ صهرهُ وتوفي هذا سنة ٢٢١ ق م فتفرّد هنيبال بالقيادة العامة لجيوش قرطجنة وسنهُ ٢٦ سنة فثابر على مشروع ابيهِ ونفسهُ تحدثهُ بالمسير الى رومية العظمى وافتتاحها فعبر نهر ابيروس فاذعنت لهُ القبائل المجاورة لهُ ثم قطع جبال بيرينة واوغل في غاليا (فرنسا) بتسعين الف ماشٍ و١٢ الف فارس و٣٧ فيلاً وجانب من الماشية

تاركًا اخاهُ لحماية اسبانيا وما زال يخترق اصقاع غاليا كانهُ صاعقة منقضة من السماء حتى عبر نهر الرون فاعترضتهُ جبال الالب المشهورة بوعرة المسلك وعظم الارتفاع وما يكسوها من الثلوج حتى ظُنَّ قطعها مستحيلاً ولا سيما على الجماعات اذا ثقلت احمالهم وكثرت دوابهم ولكن ذلك لم يكن ليثني همة ذلك القائد العظيم فامر رجالهُ وهم اطوع لهُ من ظلهِ فساروا يخترقون تلك الجبال المتشامخة بخيولهم وافيالهم ومواشيهم واحمالهم والبرد قارس والارض مجدبة لا يكسوها الاَّ الثلوج فاشرفوا بعد عناء خمسة عشر يومًا على شمالي ايطاليا وقد هلك نصفهم وبادت الماشية جملة ولم يعد يقطع تلك الجبال بعدهُ الاَّ بونابرت بعد ذلك بعشرين قرنًا

وما زال هنيبال سائرًا بما بقي من رجالهِ بعزم ثابت يهاجم تارة ويدافع اخرى حتى كانت موقعة كانيه التي انكسر فيها الرومان انكسارًا قبيحًا وقتل منهم زهاء ثمانية آلاف بين راجل وفارس وكان ذلك في ٢ يونيو (حزيران) سنة ٢١٦ ق م وهو تاريخ دوَّنهُ الرومانيون بمداد من الدم · واما هنيبال فانهُ اغتنم كثيرًا من الحلى الفضية والذهبية ارسل منها احمالاً الى قرطجنة

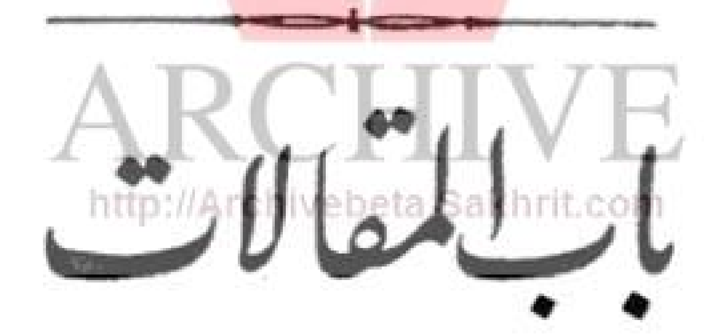
فوقع الرعب في قلوب اهل رومية وخافوا سقوط مملكتهم فعقدوا الاجتماعات وتشاوروا في الامر وقام الخطباء على منابرهم يحثون الناس فهبت ايطاليا على ساق وقدم وبعثت المشيخة الرومانية كرنيليوس شيبيو اشهر قوادها في حملة لمحاربة القرطجنيين في اسبانيا وسيسيليا وقرطجنة تقليلاً من عزم هنيبال

اما هنيبال فلو واصل سيرهُ بعد تلك الموقعة الى رومية لافتتحها وبادت دولة الرومان وقامت دولة قرطجنة وتغير وجه الكرة لانهم كانوا فيما علمت من الخوف والرعب ولكنهُ تربص في مدينة كابوا ينتظر فساد الرومانيين فيما بينهم وانقسامهم على انفسهم فيتداول المملكة غنيمة باردة · فجاء الامر بالعكس فحبطت آمالهُ واصبح لا يدري كيف يتوجه وشق عليهِ ما علمهُ من فوز الرومان على احزابهِ في اسبانيا وسيسيليا على ان اخاهُ كان قد جند جيشًا واتى لنجدتهِ فمات ومن معهُ قبل ان يعرف هو بمجيئهم

اما شيبيو وجندهُ فانهم فازوا فوزًا تامًا في اسبانيا وسيسيليا وحاصروا قرطجنة فخاف القرطجنيون وبعثوا يستقدمون هنيبال من ايطاليا فعاد خائبًا باكيًا بعد

قضاء ١٥ سنة بين حروب واهوال فوصل قرطجنة سنة ٢٠٢ ق م وفي ثمن من وطأة الرومان فحصلت بين الفريقين موقعة عادت فيها العائدة على هنيبال فالتمس عقد معاهدة الصلح فلم يقبل شيبيو الاّ بعد ان اقسم القرطجنيون بان لا يجردوا سلاحاً ولا يقوموا لحرب الاّ بمصادقة رومية ثم عاد شيبيو الى رومية سنة ٢٠٢ ق م

اما هنيبال فلم يستطع صبراً على ذلك الذل فسار الى سوريا يستحث ملكها انطيوخوس على محاربة رومية فلم يطعه ثم علم ان الرومانيين بعثوا يطلبونه ففر الى بروسياس ملك بيثينيا في آسيا الصغرى واستجنه فبلغ الرومانيين ذلك فبعثوا الى بروسياس ان يسلمه اليهم فوقع في حيرة بين ان يخرق حرمة الذمام او يقاوم دولة الرومان . ففضل هنيبال في الامر بتناوله جرعة سامة كانت لا تفارق خاتمة في اصبعه فمات ذلك البطل القرطجني سنة ١٨٣ ق م في حالة اليأس وكان يعدهُ الرومانيون في الطبقة الاولى بين القواد حتى ان شيبيو نفسهُ كان يعترف لهُ بذلك



الامتيازات الاجنبية

(اصلها وتاريخها)

قسم الجغرافيون الكرة الارضية الى نصفين شرقي ويتضمن قارات اسيا وافريقيا واوربا وغربي هو قارة اميركا . ولكن اصحاب التاريخ والسياسة جعلوا البحر المتوسط وسطاً وما الى الشرق منهُ شرقاً وما الى الغرب غرباً فيدخل في الغرب ممالك اوروبا واميركا وبعض ممالك افريقيا . ويعبر بعض كتابنا المعاصرين بالشرق عن المملكة العثمانية خاصة وبالغرب عن اوروبا وقد يريدون بالشرقيين المتكلمين بالعربية وبالغربيين المتكلمين باللغات الاوروبية . ولكن مهما اختلفت التقاسيم لا خلاف في ان مصر وسوريا من بلاد المشرق واوروبا من بلاد المغرب

ومن غرائب الحكمة في الخليقة ان الله سبحانهُ وتعالى جعل لاهل الشرق

اخلاقاً واذواقاً تختلف عما لاهل الغرب وتتباعد عنها بنسبة تباعد المساكن بينهم

اما المواصلات بين هذين الفريقين فتتصل الى ما قبل الميلاد باجيال وكان المباشر فيها اهل المشرق وفي مقدمتهم الفينيقيون الذين جابوا البلاد واخترقوا الاصقاع الى اقاصي الدنيا في طلب الاتجار والاستعمار وكان اهل المغرب اذ ذاك في ظلمات من الجهل والهمجية . ويقال ان عالماً مصرياً اسمه سيكروفوس قدم بلاد اليونان في جماعة من اهل وطنه في القرن السادس عشر قبل الميلاد وعلّم اهلها الديانة والتمدن واسس مدينة اثينا وقدمها بعد ذلك بنصف قرن عالم فينيقي اسمه قدموس وعلم اهلها الكتابة ولا تزال اسماء الحروف اليونانية واسماء بعض آلهتهم اثراً شاهداً لذلك وفي القرن الخامس ق . م . حمل الفرس على اليونان غير انهم لم يلبثوا ان عادوا على اعقابهم ثم ظهر الاسكندر الاعظم في المغرب وكرّ على المشرق ففتح معظم ممالكه واستولى على مملكة فارس واستقر في مدينة بابل ولكن المنية عاجلته فخلفه قواده ومنهم دولة البطالسة في مصر والسلوقيون في سوريا وغيرها وبقي الاختلاط بعد ذلك زماناً طويلاً في عهد الرومان حتى اندرست دولة الروم في المشرق وقامت دول الاسلام بعظمتها وسوددها ونشأت في اثناء ذلك دول اوروبا الحديثة ونشطت من عقال الهمجية . ثم كادت المواصلات تنقطع بعد ظهور الاسلام لانغماس الفريقين في الاعمال الحربية والدفاع كل منهما عن بلاده لما استحكم بينهما من العداوة الجنسية والدينية الى ان كانت الحروب الصليبية في اواخر القرن الحادي عشر بعد الميلاد اذ زحف اهل اوروبا بمئات الالوف وكروا على سوريا وفلسطين لافتتاح بيت المقدس واستخراجه من دولة المسلمين ففتحوه بعد عناء شديد وبقي في حوزتهم زهاء قرن من الزمن بالغوا اثناءه في الاختلاط بالشرقيين والحروب قائمة بينهم وبين دول الاسلام حتى ظهر السلطان صلاح الدين الايوبي فاخرج البيت من ايديهم فعادوا الى بلادهم ولم تقم لهم قائمة في المشرق من ذلك الحين الا فيما نوخوه من الاتجار او زيارة البيت

على انهم لم يكونوا يجوبون تلك الاصقاع الا وهم في خوف شديد على حياتهم واموالهم وقلما كانوا يجسرون على المرور او الاقامة هناك الا بمعاهدات تجارية بين ملوك اوربا وحكام المشرق حتى اشرقت انوار الدولة العلية العثمانية ودوخت

البلاد ومدّت سلطانها في الشرق والمغرب ودرست بقية دولة الرومان الغربية وكان من نفوذها على ملوك اوروبا ما قد علمت ولكنهم كانوا يوسعون لاهل المغرب سبل الوصول الى المشرق ويصدرون المعهدانامات والاوامر في تسهيل الاتجار فيه وزيارة بيت المقدس فلم يكن اهل اوروبا يستطيعون ذلك الا بالمعاهدات المشار اليها صادرة من الجناب السلطاني تسهيلاً لمرورهم وصيانة لحياتهم واموالهم وكانت تلك المعاهدات او الامتيازات تصدر لكلّ من دول اوربا على حدة تبعاً لما تقتضيه المجاري السياسة بينها وبين الدولة العثمانية

واقدم ما اتصل بنا من تلك المعاهدات معاهدة البندقية من السلطان محمد الفاتح صدرت سنة ١٤٥٤ وهي السنة التالية لفتح القسطنطينية تسهيلاً للتجارة لان البندقية اقدم الممالك الحديثة في توسيع التجارة ويليها معاهدة فرنسا سنة ١٥٣٥ بين السلطان سليمان الكبير وفرنسيس الاول وقد مرّت بك الاشارة اليها وهي بالحقيقة اول معاهدة عامة اعطيت لدولة لان معاهدة البندقية ليست بالشيء العام وانما هي تتعلق ببعض الحالات التجارية واما معاهدة فرنسا فانها كانت عامة وبقي رعايا سائر دول اوروبا زمناً لا يستطيعون الاتجار او سلك البحار الا تحت الراية الفرنساوية. وتلي معاهدة فرنسا معاهدة انكلترا كتبت في سبتمبر سنة ١٦٧٥ من السلطان محمد الرابع لشارلس الثاني ملك انكلترا . وتليها معاهدة النمسا كتبت في ١٧ يوليو سنة ١٧١٨ من السلطان احمد الثالث لشارلس السادس ملك النمسا وتليها معاهدة اخرى لفرنسا كتبت في ٢٨ مايو سنة ١٧٤٠ من السلطان محمود الاول الى لويس الخامس عشر ملك فرنسا وهي مؤلفة من ٧٥ مادة [١] وتليها معاهدة الدنمارك سنة ١٧٥٧ . ثم معاهدة اسبانيا التجارية سنة ١٧٨٢ . ثم معاهدة الروسية سنة ١٧٨٣ . وتليها معاهدة اميركا التجارية من السلطان محمود الثاني سنة ١٨٣٠ . ثم معاهدة بروسيا سنة ١٨٤٠ . ثم معاهدة ايطاليا سنة ١٨٦١ . ثم هولانده سنة ١٨٦٢ وهكذا

والمراد من هذه المعاهدات او الامتيازات تسهيل الاتجار والاقامة لرعايا تلك الدول في بلاد الدولة العلية لانهم لم يكونوا يجسرون على ذلك بدونها وهاك

---

(١) صدر لفرنسا بين هذه المعاهدة ومعاهدة ١٥٣٥ بضع عشر معاهدة اغضينا عنها لقلة اهميتها

شذرة من معاهدة فرنسا سنة ١٧٤٠

من مآل تلك المعاهدة « الترخيص للفرنساويين بزيارة بيت المقدس والاتجار تحت حماية الدولة والكف عن استعبادهم واعفاؤهم من الضرائب والخراج وبعض عوائد الجمارك واحالة الفصل بين المتخاصمين منهم الى القناصل والسفراء ليحكموا عليهم بمقتضى شرائع بلادهم ومساعدتهم بحرًا في حال النوء وترك امر توزيع تركاتهم او ما شاكل للقناصل والتصريح لجماعة الجزوبت والكبوشيين بمعاطاة فروضهم الدينية في كنائسهم والتصريح لهم باصطناع الخمر او استجلابه لمشروبهم وعدم وقوع الحجز او السجن على تراجمة السفراء واعفاء ١٥ شخصاً من خدمة كل سفير من العوائد على اختلاف انواعها والترخيص لاي سفير بتعيين العدد الذي يريده من الانكشارية لحماية بيته ومنع اي كان من اهل القضاء او العسكرية من الدخول الى بيوت الفرنساويين بغير اذن السفير » الى غير ذلك مما ينطوي تحت هذا المعنى

فيستفاد من مآل هذه المعاهدات انها انما منحت للدول الاجنبية رفقاً برعاياها واستجلاباً لراحتهم واطلاقاً لحريتهم ولكنها اصبحت مع توالي الزمن واستفحال امر تلك الدول عثرة في طريق عمال الدولة العلية واغلالاً لايديهم وقد توسع السفراء والقناصل في استخدامها حتى صاروا يضعون حمايتهم على من شاؤوا من رعايا الدولة بحجة كونهم من تراجمتهم او قواسيهم او عملائهم او غير ذلك . ولما كانت مصر اكثر ازدحاماً بالاجانب من سائر ولايات الدولة كانت الامتيازات الاجنبية اكثر توسعاً ونفوذاً فيها مما في سواها فشق ذلك على الباب العالي فاصدر منشورات عرفت بالنظامات القنصلية صدر اولها في ٩ اوغسطس سنة ١٨٦٣ وثانيها سنة ١٨٦٥ والمراد بهما تعيين عدد التراجمة والقواسة لكل سفير او قنصل او وكيل قنصل وتحديد امتيازات كل منهم وحدوده حتى لا يتعداها . واصدر منشوراً ثالثاً سنة ١٨٦٧ بالتصريح للاجانب في امتلاك العقارات الثابتة ولم يكن يؤذن لهم بذلك قبل هذا التاريخ . واصدر منشوراً رابعاً سنة ١٨٦٩ يتكفل بتحديد امتيازات القناصل في ما يتعلق بواردلتهم عن طريق الجمارك من الاصناف التجارية وغيرها ولما رأى الباب العالي رعايا الدولة يدخلون في خدمة القناصل والسفراء بكثرة احتماء بهم وطمعاً بامتيازاتهم امر بمنشور عالٍ انه لا يجوز لاي كان

من رعايا الدولة الانتماء الى احدى الدول الاجنبية الأ ببراءة من الباب العالي

واصدر ايضاً في تلك السنة منشوراً عاماً لوكلاء الدول كافة يتعلق بالامتيازات الممنوحة لهم ولدولهم سابقاً اراد بوايقاف تلك الدول عند حدها خصوصاً بما يتعلق بالامور القضائية والمرافعات بين الاجانب ورعايا الدولة العلية . وكان في جملة امتيازاتهم ما يعبرون عنه بكلمة (EXTERITORIALITÉ) والمراد بها اعتبار منازل الاجانب في بلاد الدولة كأنها خارج المملكة العثمانية فاذا دخل مأمور عثماني بيت احد الاجانب يفقد صفته الرسمية ويصير كاحد الناس اي كأنه في اعتبارهم دخل بيت ذلك الرجل في وطنه باوروبا فلا تسري عليه احكام الدولة وقد كان ذلك شاملاً كل اجنبي بوجه الاطلاق ولكنه حصر الآن في من هم من اصحاب الوظائف الاجنبية الرسمية كالقناصل وتراجمتهم ومن هم حائزون على براءة رسمية سلطانية بوظيفتهم المشار اليها

وبقيت الحال سائرة كذلك في سائر ايالات الدولة العلية ولكنها كانت تختلف باختلاف نوع العلاقة بين الايالة والدولة فلم تكن الامتيازات في سوريا مثلاً كما هي في بلغاريا والصرب بعد الحروب الاخيرة ولا كما هي في الجزائر او تونس او بلاد اليونان فان رومانيا والصرب قد تحررت من هذه الامتيازات وليس كذلك بلغاريا فانها لا تزال مقيدة بها على مقتضى معاهدة برلين واما البوسنا والهرسك وقبرص فانها خرجت من حكم الامتيازات بعد الاحتلال

والامتيازات على معظم تمكنها الان في ايالات الشام وآسيا الصغرى وبلاد العرب وغيرها . اما مصر فقد تسلط العنصر الاجنبي فيها بنوع خاص منذ تبوء العائلة المحمدية العلوية اكثر مما في سائر ولايات الدولة وخصوصاً بعد تولية الخديوي اسماعيل باشا فكانت القضايا القائمة بين وطني واجنبي تنظر في القنصلاتو اذا كان المدعى عليه اجنبياً وفي المجالس القضائية المصرية اذا كان وطنياً وفي الحالة الثانية يشهد المرافعة ترجمان او مندوب بعينه القنصل التابع له المدعي واما في الحالة الاولى فلا يحضر في القنصلاتو من يدافع عن الوطني او يراقب محاكمته فكان ذلك مظنة لوقوع الاجحاف في الوطنيين وباعثاً على اهتمام الحكومة بملافاة هذا الامر وما قد ينجم عنه من اهتضام الحقوق . فجعل الخديوي اسماعيل باشا يسعى في

طريقة تتكفل بالافاة الامر وكان ذلك في وزارة المهام دولتلو افندم نوبار باشا فارتأيا انشاء مجالس قضائية مختلطة ينتخب قضاتها من الاجانب براي دولهم يقضون في القضايا التي يكون فيها الخصمان من دواتين متباينتين فتدخل في ذلك القضايا القائمة بين الوطني والاجنبي فشخص نوبار باشا بامر الخديوي الى اوروبا وزار عواصمها وبذل قصارى جهده في مخاطبة الدول في الامر ولم يعد حتى تكللت سعيه بالنجاح وتأسست المجالس القضائية المختلطة على مثل ما هي عليه الآن اول سنة ١٨٧٦ وهي تتشكل من قضاة تابعين للدول الاجنبية العظمى

هذا ما يتعلق بالقضاء اما الامتيازات الاجنبية المتعلقة بالاملاك وسائر طرق التجارة وغيرها من الاعمال فلا يزال الاجانب فيها في جانب الاستقلال الاّ فيما اقرّت عليه دولهم من القوانين والنظامات فهم مثلاً لا يخضعون لقانون المطبوعات المصرية القاضي على كل وطني اراد فتح مطبعة او انشاء جريدة بتقديم التأمين او الضمانة بعد التحري عن سيرته وكفاءته للقيام بما يطلبه فيفتحون المطابع وينشؤون الجرائد بغير استئذان لان دولهم لم تصادق على ذلك القانون وقس عليه

والوطنيون يحسبون ذلك اجحافاً بحقوقهم لما يرون من اعفاء الاجنبي من مثل هذه القوانين وعدم تنفيذ كل قوانين بلاده عليه اذ قد يكون في بلاده قوانين او ضرائب ليست في الديار المصرية الاّ ما يتعلق بالاحوال الشخصية كالزيجة والمواريث فانها تنظر في القنصلاتو وتجري على كل اجنبي بمقتضى قانون بلاده . وهذا ما اوجب التماس الوطنيين على ألسنة الجرائد السياسية النظر في امر هذه الامتيازات وتحويرها او الغائها . ولا مشاحة في ان شوكتها قد اخذت في الذبول منذ الاحتلال الانكليزي اذ ربما كان ذلك الاحتلال حاملاً للدول على المصادقة في كثير من القوانين الحالية التي صدرت بعد ذلك التاريخ . ولنا وطيد الامل في استجلاب مصادقتهنّ في ما بقي . والاّ فاعفاء الوطنيين مما لا يجري على الاجانب اقرب الى مقتضيات العدالة واخلق بما يتوخاه ولي النعم من تعزيز جانب الوطنية في بلاد يقتضي اصلها ان يكون مساوياً لنزيلها والامر لله يفعل ما يشاء



الهلال

الجزء الثالث من السنة الاولى

اول نوفمبر سنة ١٨٩٢ (١١ ربيع الثاني سنه ١٣١٠) (٢٣ بابه سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



السلطان محمود الثاني

ولد سنة ١١٩٩ ﻫ (١٧٨٥) وتولى ١٢٢٣ ﻫ (١٨٠٨) وتوفي ١٢٥٦ ﻫ (١٨٣٩)

هو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان شقيق السلطان مصطفى الرابع وابن السلطان عبد الحميد الاول . تبوأ السلطنة العثمانية وهي في اختلال عظيم وارتباك لم يسبق له مثيل . وقد قدمنا في تاريخ السلطان سليمان القانوني في

العدد الماضي من الهلال انهُ آخر من قاد جنودهُ بنفسهِ من سلاطين آل عثمان وانهم تقاعدوا بعدهُ عن المسير الى ساحة الحرب تاركين قيادة الجند الى وزرائهم ورجال دولتهم الامر الذي آل الى تقهقر الدولة واختلال احوالها وانتقاض ولاتها واصبح الانكشارية عثرة في سبيل فلاحها بعد ان كانوا حصناً لها وقواماً لسطوتها . وكان السلطان سليم الثالث ابن عم صاحب الترجمة قد شرع في اصلاح ما فسد من شؤونها فاظهر لابن عمهِ كل ما كان في نيتهِ من ذلك

فلما اتيح للسلطان محمود تولي السلطنة اخذ على عاتقهِ القيام بتلك المهام واخراجها من حيز القوة الى حيز الفعل . وكان اعظم وزراء الدولة اذ ذاك مصطفى باشا البيرقدار وهو الذي اجلس السلطان محمود على سرير السلطنة بعد سفك الدماء فولاهُ السلطان الصدارة العظمى لما تبينهُ فيهِ من الشجاعة والاقدام وشدة البطش فباشر البيرقدار اول كل شيء قطع شأفة الاحزاب المضادة فقتل بعضاً ونفى آخرين حتى خلا لهُ الجو فاخذ في باصلاح شؤون المملكة باذلاً في ذلك جهد الطاقة عملاً بارادة مولاه فرأى ان يبدأ باصلاح القوة العسكرية وتنظيمها على النمط الحديث الذي وضعهُ نابوليون بونابرت وهو المعول عليهِ في تنظيم جنود اوربا

وعلم ان مباشرة ذلك تقضي بتغيير الانكشارية وتردعهم لما يرون في الامر من انحطاط سطوتهم وتقلص ظل مجدهم فاحتال على العلماء والوزراء وكبار اهل الدولة واستجلب مصادقتهم في تنظيم جند جديد واصلاح جند الانكشارية بتدريبهِ على النظام الجديد فتعهد لهُ اولئك ببذل ارواحهم واموالهم توصلاً الى تلك البغية فعلقت الآمال باصلاح الحال على يد ذلك الوزير

وكان الله سبحانهُ وتعالى لم يشأ ان يتم ذلك على يده فجاء البيرقدار اموراً غيرت عليهِ القلوب اخصها انهُ طمع في اموال الناس فاكثر من الضرائب واستخدم في استخراجها طرقاً غير قانونية فخاف الناس الانتظام في الجندية واوجس العلماء والمشائخ خيفة على مال الاوقاف لئلا يصبح طعمة لهُ . اما السلطان فانهُ لم يكن اقل حذراً منهم وقد رأى كل شيء صائراً الى ما يريدهُ هذا الوزير والاحكام في يده يديرها كيف شاء

وما زالت الاحزاب تتعاظم وتتكاثر حتى صاروا يجاهرون بذلك في مجتمعاتهم

العمومية . واتفق ذات يوم ان البيرقدار كان سائرًا بموكبه والمحافل والشوارع غاصة بالجماهير فامر رجاله ان يبعدوا الناس عن الطريق بالعنف وان يضربوا من لا يطيع الامر حالاً فنفر الناس الى القهوات والجوامع وقد عدوا ذلك استبدادًا فائق الحد واخذوا ينقمون عليه فاجتمع جماعة منهم الى اغا الانكشارية وتوسلوا اليه ان يتقدم من استبداد ذلك الرجل . وكان الانكشارية اشد منهم رغبة في قتله فتواطأوا على مهاجمة منزله بغتة واحراقه فهجموا عليه واحرقوه بما فيه من الرجال والنساء وكان البيرقدار في جملتهم فذهب فريسة النار فتخلصت الاستانة منه . ولكنه لا يزال مع ذلك معدودًا في جملة اهل الاصلاح لما اتاه من الاعمال العظيمة وما خصه الله به من المواهب التي رفعته من حضيض الفاقة الى منصة الصدارة العظمى ويروى عنه اعمال تدل على قسطه وعدالته مما يطلق الالسنة بالثناء عليه

وكان في جملة من قتل اثناء تلك الثورة السلطان مصطفى الرابع وكان معتزلاً عن السلطنة فلم يبق من عصبية آل عثمان الا السلطان محمود ولم يعد للانكشارية باب للعزل والتولية فامن دسائسهم ولاح له لحسن سياسته ان يصلح ما بينهم و بين العساكر الذين سيباشر تدريبهم على النظام الحديث فاصلح ذات بينهم وابعد من بقي من اصدقاء البيرقدار فسكنت الخواطر فتربص ينتظر فرصة لتنفيذ ما يريده من الاصلاح فشغلته الاعمال الحربية التي قامت بين الدولة والروسيين وقد اخذوا يزحفون بعدتهم ورجالهم نحو الدانوب فاحتلوا بعض المدن هناك فجرّد السلطان جندًا لدفعهم واتفق اثناء ذلك تجريد نابوليون بونابرت على روسيا (سنة ١٨١٢) فاضطرّ الروسيون لعقد معاهدة الصلح في ١٦ مايو (ايار) من تلك السنة مع الباب العالي وسحب جيوشهم عن الحدود لقتال نابوليون

وبقي ذلك الصلح مرعياً ثماني سنوات اهتم السلطان اثناءها في اخماد ما ثار اذ ذاك في ولايتي بغداد وآيدين وقمع عصيان الوهابيين الذين ظهروا في شبه جزيرة العرب بدعوى دينية حتى تعاظم امرهم فبعث السلطان الى محمد علي باشا والي مصر اذ ذاك فجند عليهم وقطع دابرهم

وفي سنة ١٨٢١ ثار اليونان في المورا وشقوا عصا الطاعة حتى صاروا يهاجمون

سواحل سوريا والاناضول وغيرهما ويصادرون العمارات العثمانية فبعث السلطان جنداً عظيماً لردعهم فقامت الحرب على ساق وقدم وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا اذ ذاك ايضاً فارسل حملة تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا انضمت الى جيوش الدولة وضيقوا على اهل المورا فاستنجد اليونان الدول الاوربية فتوسطت دولتا انكلترا وفرنسا فلم يرض السلطان بتوسطها فبعثتا عمارتيهما وانضمت اليهما العمارة الروسية وتهددوا ابراهيم باشا وعمارته في مينا نافارين من اعمال المورا وطلبوا اليه ان يكف عن القتال فابى الاّ ان يكون ذلك بامر من السلطان فدخلوا المينا واطلقوا النار على العمارتين المصرية والعثمانية في ٦ يوليو (تموز) سنة ١٨٢٧ وظهروا عليهما بعد دفاع شديد فاضطرّ السلطان محمود لقبول اقتراح الدول المتحدة وامضى معاهدة تقضي باستقلال اليونان

وكان السلطان في اثناء ذلك مشتغلاً بتنظيم الجند الجديد لعلمه ان جند الانكشارية لا يقوى على مدافعة جنود اوربا المنظمة ولكنه علم بما يحول بينه وبين ما يريد فجمع اليه رجال دولته بحضرة المفتي افندي وخطب الصدر الاعظم اذ ذاك محمد سليم باشا خطاباً عدد فيه ما وصلت اليه فئة الانكشارية مع ما هم فيه من التصور في النظامات الحربية الجديدة وطلب اليهم ان يبدوا رأيهم فيما يجب اتخاذه من الوسائل لملافاة ما يتهدد المملكة العثمانية بسبب ذلك فاقر الجميع وفي جملتهم آغا الانكشارية على اتخاذ الوسائل الفعالة فتلا المكتوبجي امراً قاضياً بتنظيم جيش جديد باسم (ايكنجي) وتهذيبه فوقّع الجميع على وجوب تنفيذ ذلك الامر وتلي ذلك بعد ئذ على ضباط الانكشارية فقبلوا به فاخذوا في تنظيم الجيش وفي ٦ ذي الحجة سنة ١٢٤١ (١٢ يونيو (حزيران) ١٨٢٦) استعرضوه وشرعوا في تهذيبه للمرة الاولى في ساحة آتميدان

اما الانكشارية فحالما شاهدوا ذلك النظام تذكروا عهودهم لما رأوا في الامر مما يحط من سطوتهم ونفوذهم واخذوا يتحدثون سرّاً وينقمون على تلك البدعة فحاول الصدر الاعظم قمعهم سرّاً وجهراً فلم يزدادوا الاّ عناداً حتى هجموا اخيراً على منزله للايقاع به فلم يظفروا بشخصه لانه لم يكن هناك فتفرقوا في المدينة يصادرون المارة والباعة فبعث الصدر الى السلطان بالامر واركان ضباطه وجنده الخصوصيين فحضروا

في السراي اما الانكشارية فاصروا على اعمالهم وجاهروا في طلب رؤوس الذين اشاروا بتنظيم ذلك الجيش فوقف الصدر الاعظم وحوله من رجاله والعلماء والمشائخ عدد غفير في انتظار مجيء السلطان وكان في بشكطاش فاسرع الى السراي وخطب في الجماهير فانهض هممهم فاقسموا على الثبات حتى يفوزوا أو يقتلوا فداء عن سلطانهم وطلبوا اليه ان يجرد العلم النبوي الشريف فجرده ومشى فتبعه الناس وتقاطروا من انحاء المدينة للدفاع عن السلطان والسنجق الشريف ففرق فيهم الاسلحة ثم سلم العلم الى المفتي وجلس الى قصر (كشك) فوق باب السراي حيث يشرف على الساحة ويشاهد الجماهير

ثم اجتمع الصدر الاعظم والمفتي والعلماء في جامع السلطان احمد وتلوا الفاتحة وسورًا اخرى بالخشوع التام ثم نهضوا في هيئة الحرب وفيهم العساكر واهل المدينة فادركوا الانكشارية وقد تجمهروا في ساحة اتميدان فحاولوا ردهم بالتي هي احسن فابوا فاطلقوا عليهم الرصاص ثم القربنات وكانت المذبحة هائلة عادت فيها العائلة على جند الانكشارية ومن لم يقتل منهم قيد اسيرًا تحت البلاد منهم وهدأت الاحوال

وعكف السلطان محمود بعد ذلك على تنظيم الجند على النمط الفرنساوي المتقدم ذكره فاغتنمت الدولة الروسية انهماكه بذلك واشهرت الحرب وزحفت بجنودها الجرارة لجهة الدانوب في اوربا وجهة القرص وارضروم وغيرهما في اسيا وبعثت عمارتها البحرية الى البحر الاسود فعظم ذلك على السلطان لما يعلمه من قصور جنده الجديد ولكنه جند على الروسيين . وجاهد العثمانيون جهاد الابطال دفعًا لعدوهم عن حدود البلاد ما ليس فوقه غاية وقد شهد لهم بذلك اعداؤهم على ان جهادهم وبسالتهم وثباتهم لم تغن عنهم شيئًا لانهم انما كانوا يحاربون ثلاث دول عظام وليس الروس وحدهم كما علمت من نجدة انكلترا وفرنسا للمورا وانقضت الحرب الروسية هذه باحتلال بعض المدن في رومانيا وفي اسيا

ولما علم السلطان بذلك اضطرب قلبه ولم يكن يعرف الاضطراب قبل ذلك ولكنه اظهر ثباتًا وحزمًا جديرين بالسلاطين الفخام والمصلحين العظام وانتهت تلك الشرور بعقد معاهدة ادرنة في ٢ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٢٩ القاضية باستقلال اليونان استقلالاً تامًا والتنازل عن اقليم السرب لعائلة دو ربنوفيتش وعن اقليمي

الفلاخ والبغدان وقد انضمَّ هذان سنة ١٨٦١ الى امارة واحدة عرفت بامارة رومانيا تدفع جزية سنوية للدولة العلية كالديار المصرية . والتنازل عن بعض الجزائر الواقعة عند منصب الدانوب وعن بلاد اخرى في اسيا مع غرامة حربية مقدارها مائة مليون وعشرة ملايين من الفرنكات

وقد يستغرب القارىء رضوخ السلطان محمود لتلك المعاهدة وهو من سلاطين آل عثمان الذين دوخوا العالم وارجفوا ملوك الارض ودانت لهم اعظم ممالك الدنيا ولكن ليس ذلك محل الاستغراب وانما الغرابة في ثبات هذه الدولة ايدها الله ودفاعها الدوائين والثلاث او اكثر معاً بعزم ثابت وكانت كل دول اوربا ضدها تنتظر فرصة لابتلاعها فلو لم تكن اقوى الدول واشدهن بطشاً ما استطاعت دفع تلك الصدمات ناهيك عما كان مستحكماً في داخليتها من الخلل وما افسده الانكشارية ومن جرى مجراهم

ولم تكد تتملص من تلك المشاكل حتى كانت حملة الجنود المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا على سوريا فاتتحوا عكا واوغلوا في داخل القطر وما وراءه حتى كادوا يتهددون الاستانة فتوسطت الدول واوقفتهم في سوريا حيث اقام ابراهيم باشا حاكماً ضمن حدود وعهود تسع سنوات توفي السلطان محمود في السنة التاسعة منها بعد ان حكم احدى وثلاثين سنة كلها حروب واهوال ولولا حزمه وثباته وقسطه ما قوي على مقاومة تلك الصدمات التي لو كانت على اعظم دول الارض لذهبت بها الى الدمار

وكان رحمه الله ثابت الجنان مقداماً حازماً تتجلى في وجهه ملامح الوقار والرزانة وقد قال الذين تشرفوا بمقابلة جلالته من سفراء الدول الاجنبية انهم لم يجدوا في سائر ملوك اوروبا وامبراطرتها المعاصرين ما في السلطان محمود من قوة التسلط على الافكار والتأثير على العقول . وكان يحسن الخط ونظم الشعر متبصراً لا يعمل عملاً ما لم يتدبره وينظر في عواقبه . ومن اعماله ابادة وجاق الانكشارية وتأسيس النظام الجندي الجديد . وهو اول من لبس الطربوش واللباس الافرنجي على الزي المعتاد (في اواخر حكمه) واول من ركب عربة (فايتون) من سلاطين آل عثمان وقد كان السلاطين قبله يلبسون العمامة والجبة ويركبون الخيل .

وفي عصره ظهرت اول جريدة (بغير اللغة العربية) في المملكة العثمانية (سنة ١٨٢٨) كانت تدعى « رقيب الشرق » ويقال انه اذن بنقل رسمه بالزيت وعرضه في الترسخانة العامرة وقد طبع ذلك الرسم بمطبعة الحجر وبيع في الاستانة



كونفوشيوس

الفيلسوف الصيني الشهير

ولد سنة ٥٥١ ق م وتوفي سنة ٤٧٩ ق م

اسمهُ في اللغة الصينية كونغ فوتشو وشي لفظة مركبة مفادها (الاستاذ كونغ) فحرفها الافرنج حتى صارت كونفوشيوس . ولد هذا الرجل العظيم في (لو) من بلاد الصين سنة ٥٥١ ق م . ويعتبرهُ الصينيون في المقام الاول بين الفلاسفة يتصل نسبهُ بالامبراطور (هوانغ تي) الصيني الشهير . ويدعى والده (كونغ شوليانغ هي) ولما وُلِدَ له كونفوشيوس دعاه (كيو) لنتوٍ كان في راسهِ

وتوفي والده وهو في الثالثة من عمره فهاجرت به والدته الى مدينة (كوفو) واعتنت في تربيته وتهذيبه حتى بلغ السابعة من عمره فارسلته الى مدرسة تعلم فيها مبادي العلوم وامتاز عن رفقائه وكان على صغره في مهابة الرجال حتى انتدبه استاذ المدرسة ليشرح لها الدروس

ولما بلغ السابعة عشرة تقلد نظارة مبيع الحبوب وتوزيعها وبعد ذلك بسنتين تزوج ابنةً من عائلة (كي) تدعى (كيكوان شي)من مملكة (سنغ) فوضعت له في السنة التالية غلاماً دعاهُ (لي بو) . واتسعت شهرة كونفوشيوس وتولى نظارة المزارع والماشية قبل ان يتجاوز الحادية والعشرين فقام بمهامها حق القيام واتسعت شهرته وارتفع مقامه . ثمَّ توفيت والدته وهي في سن الاربعين فاعتزل الاعمال ثلاث سنوات انقطع فيها الى الدرس والمطالعة في المواضيع الفلسفية وزار مدينة (لو) بالقرب من مدينة (هوان فو) الآن ويقال انه اجتمع هناك بالفيلسوف الصيني الشهير (لاوتسو) وفي سنة ٥١٧ ق م حصل في ولاية (لو) اضطراب فرجع كونفوشيوس الى بلاده وقضى فيها عدة سنين لا يتعاطى عملاً

وفي سنة ٥٠١ ق م توفي ملك (لو) في منفاه وخلفه اخوه (تنغ كونغ) فقلد كونفوشيوس حكومة مدينة (تشونغ تسو) وكان من حسن ارادته وحزمه ونشاطه انه تعين في السنة التالية ناظراً للاشغال العمومية ثم ناظراً للحقانية فبلغت ولاية (لو) في وزارته شأواً من العظمة هاج حسد ملك (تسي) . وكان من دهاء هذا الملك انه بعث الى ملك (لو) هدية من الغواني الجميلات والخيل الجياد حتى يشغله عن مملكته فانغمس ملك (لو) في الملاهي وانقطع عن الاهتمام بشؤون المملكة حتى آل الامر الى نفور كونفوشيوس واعتزاله عن العمل وقد بلغ ٥٤ سنة من العمر وغادر مملكة (لو) سنة ٤٩٧ ثم عاد اليها سنة ٤٨٤ . ولكنه اعتزل عن المصالح واخذ في التجوال في انحاء مملكة الصين شرقاً وغرباً يعلم ويهذب ويبث تعاليمه حتى طار صيته في الآفاق وتعددت تلامذته وطلابه

وفي اثناء ذلك توفي ملك (لو) فخلفه ابنه وبعث هذا الى كونفوشيوس ان يعود الى الوزارة واصلاح شأن المملكة ولكنه لم يكد يفعل حتى عاجلته المنية

فقضى هذا الفيلسوف سنة ٤٧٩ ق م وسنهُ ۷۲ سنة فشيعوا جنازتهُ ومشى فيها تلامذتهُ واهتزت لوفاتهِ الاقطار الصينية لانهُ كان ركناً عظيماً من اركانها . قضى كونفوشيوس منذ نيف و٢٣ قرناً من الدهر ولكنهُ لا يزال حياً في عالم العلم والفلسفة ولا تزال الهيئة الاجتماعية في الاقطار الصينية التي يعد اهلها بمئات الملايين مديونة لهُ ديناً لا تمحوهُ كرور الايام وتوالي الازمان

ولا يخفى ان لكلٍ من الفلاسفة تعاليم مختصة بهِ او هي اراؤُه الخصوصية يبثها فيتبعهُ فيها من شاء من الطلبة والمطالعين وعلى مثل ذلك سار الفلاسفة القدماء قبل كونفوشيوس وبعده كافلاطون وسقراط وفيثاغورس وغيرهم من فلاسفة المغرب اما في المشرق فكثيرون امثالهم ولا سيما في المواضيع العقلية والدينية واللغوية مما لا حاجة بنا الى ذكرهِ

واما تعاليم كونفوشيوس فاساسها كلها الفضائل الطبيعية التي تؤيدها البراهين الحسية وتستلزمها العواطف النفسية وقد كانت لازمة للامة الصينية بوجه الاجمال من الصعلوك الى الملك . ولهُ من المؤلفات ما لا يحصى عدًّا في مواضيع مختلفة فلسفية وتاريخية وتعليمية وتهذيبية وهو اول من قال بوجود العناية الوحدانية وكان الصينيون في ظلمات من الوثنية والوحشية حتى يستحيل ان يقوم من بينهم رجل في مثل ما قام فيهِ كونفوشيوس وقد كان فوق كل ذلك هماماً مقداماً لا يبالي بالاخطار والاسفار في سبيل الفضيلة والتعليم لا يتعدهُ شيء عن بث مباديهِ مع ما فيها من المناقضة لتعاليم تلك الايام

ومن تعاليمهِ قولهُ محدثاً عن نفسهِ « علقت المعرفة في الخامسة عشرة من عمري وهام قلبي بها في الثلاثين وانكشف لي سرُّها في الاربعين وتعلمت الشريعة في الخمسين ولما بلغت الستين صرت افقهُ ما اسمع . وفي السبعين تسلطت على عواطفي واخضعتها لسلطان العدل »

ومن اقوالهِ « الفقر لا يستلزم التعاسة . والغنى بلا فضيلة ظل زائل . لا تحزن لجهل الناس بك ولكن احزن لجهلك بهم . لا تعامل الناس بغير ما تريدون ان يعاملوكم بهِ » وغير ذلك من الاقوال التي لم يأتِ الفلاسفة بافضل منها على اختلاف الازمان

وقد احلّ الصينيون كونفوشيوس مقاماً يليق وهم يقدمون الذبائح من اجله كما يفعلون للعائلات الملوكية . فان الذبائح في اعتقادهم ثلاث مراتب (١) الذبائح العظمى التي تقدم باسم السماء (تيان) والارض (تي) والهياكل العظمى لسلفائهم وفيها اسماء الامبراطرة المتوفين من العائلة الحاكمة منقوشة على الواح وباسم (شي تسي) اله الارض والزرع (٢) الذبائح المتوسطة ويذبحونها باسم التسعة الآتية وهي . الشمس . والقمر . وارواح المالكين من العائلات التي حكمت قبل العائلة الحاكمة . وكونفوشيوس . وقدماء اصحاب الفلاحة والحرير . والهة الارض والسماء والسنة والدور . (٣) الذبائح الدنية وتقدم باسم المتوفين من اهل الاحسان والمصلحين وارباب الشهرة والرياح والامطار والجبال والانهر وغيرها

فترى انهم جعلوا كونفوشيوس في مصاف الشمس والقمر والعائلات الملوكية ولا غرو فانه اثر في اصلاح بلادهم اكثر ما اثره اعظم ملوكهم



وليم الاول

أمبراطور المانيا

ولد سنة ١٧٩٧ وتولى سنة ١٨٦٠ وتوفي سنة ١٨٨٨

هو الولد الثاني لفريدريك وليم الثالث ملك بروسيا ولد سنة ١٧٩٧ وهي السنة التي تبوأ فيها والده كرسي الملك ولما توفي والده سنة ١٨٤٠ خلفه اخوه الاكبر فريدريك وليم الرابع وكان صاحب الترجمة قد اشتهر بالاعمال الحربية والقيادة العسكرية واكتسب ثقة الرعية . واصيب اخوه بانحراف صحته اقعده عن معاطاة امور المملكة فاقيم هو وصياً عليه سنة ١٨٥٧ ولما توفي اخوه سنة ١٨٦١ تقلد هو منصة الاحكام بلقب ملك بروسيا

وكانت جرمانيا منقسمة الى ٣٩ مقاطعة متحالفة يحكم كلاً منها حاكم وفي جملة هؤلاء الحكام واشدهم بطشاً امبراطور النمسا وملك بروسيا (صاحب الترجمة) وملوك باڤاريا وسكسونيا وهنوفر وورتمبرج اما ما بقي فكان حكامها امراء وفيهم

الدوق والبرنس ثم انحلت خمس من تلك المقاطعات والحقت بما بقي وكانت
حكومة كل مقاطعة مستقلة باحكامها لكنها خاضعة لمجلس عام مشكل من وكلاء
يرسلون من اطراف المقاطعات ويجتمعون في مدينة فرانكفورت للمدافعة عن
حقوقها وسن الشرائع والقوانين وكانت تلك الشرائع تقضي على تلك المقاطعات
بالتعاضد والتعاون عند الحاجة خوفاً من فرنسا التي كانت قد اضرّت بها ضرراً

بابيغا في زمن نابوليون الاول

ففي سنة ١٨٦٦ في زمن صاحب الترجمة نشبت الحرب بينهُ وبين النمسا فتغلب عليها بزمن وجيز في وزارة السياسي الذائع الصيت البرنس بسمارك وكان الى ذلك العهد يعرف بلقب كونت بسمارك . وقضت الحرب المشار اليها بانفصال النمسا من المعاهدة الجرمانية واسس صاحب الترجمة معاهدة اخرى عرفت بمعاهدة جرمانيا الشمالية دخل فيها احدى وعشرون مقاطعة من المقاطعات الجرمانية

وفي سنة ١٨٧٠ نشبت الحرب الهائلة بين بروسيا وفرنسا اظهر اثناءها البرنس بسمارك من ضروب السياسة فنونًا تحير بها الباب سياسي اوربا كافة

واظهر الامبراطور وليم من البسالة والاقدام والاعمال الحربية ما شهد له به القاصي والداني لانهُ قاد جنودهُ بنفسهِ واقام في قلب جيشهِ وكانت الغلبة لبروسيا ودخلت جنودها ظافرة الى مدينة باريس بعد ان ظفرت بالفرنساويين في سائر مواقعها في متز وسيدان وستراسبورج وغيرها فاهتزت لذلك اركان العالم السياسي وخيف سوء العاقبة وقضت القوانين الحربية على الفرنساويين بدفع الغرامة الحربية فطلب البرنس بسمارك غرامة مقدارها خمسة مليارات فرنك (نحو مايتي مليون جنيه) وكان يظن ان الفرنساويين يعجزون عن القيام بدفعها ولكنها دُفعت بمواعيدها وكتبت معاهدة الصلح وعادت جنود بروسيا الى بلادهم وانقضت تلك الحرب التي قلما اتفق حرب هائلة مثلها لان الجنود كانت تعد بمئات الالوف في الجانبين فكم اهرقت من دماء واماتت من نفوس

وعلى اثر تلك الحرب تأسست دولة المانيا الحالية واتحدت جميع المملكة تحت سلطة واحدة ولقب صاحب الترجمة بلقب امبراطور المانيا وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٧١ . ولم يألُ الفرنساويون في تلك الحرب جهدًا وقد دافعوا دفاع الابطال ولكن النصر كتب للالمان وقد اراد الله رفع شأنهم وتشييد دولتهم فاتسعت شهرة المانيا ولكن تلك الشهرة كانت ثانوية بالنسبة الى ما نالهُ وزيرها الخطير البرنس بسمارك فانهُ اصبح بعد ذلك النصر المبين محور السياسة واساس السلام فلا يعقد السياسيون او يحلون الاّ برأيهِ حتى قبض على زمام الدنيا بيدهِ وقد صدق من قال ان عز السلطان بوزرائهِ وذوي شوراه

وفي ٩ مارس (اذار) سنة ١٨٨٨ توفي الامبراطور وليم الاول المشار اليه وله من العمر ٩٢ سنة تاركاً مملكته في المقام الاول بين ممالك الارض

ويؤثر عنه انه كان محباً للجندية منذ صباه حتى انه لم يكن يختار من الالعاب الا ما يماثل اعمال الجند وربي في ذلك وشب وشاب ونال من ثمرة حبه هذا واثال مملكته منه شأناً عظيماً . وكان محباً للتقوى متكلاً على الله ولما تتوج جعل التاج على رأسه قائلاً « اني اتقلد هذا التاج بفضل الله وفيض نعمه » وكان لشدة وثوقه بالقضاء والقدر لا يعتني بوسائل الحذر ولا يخاف غدراً او خيانة . وكان ثابتاً مقداماً كثير المحافظة على الوقت نزيهاً كريم النفس عادلاً لا يخاف في الحق لومة لائم وكان محباً لرعيته شفوقاً عليهم يعاملهم معاملة الاب لاولاده فيصغي لظلاماتهم وينظر فيها بعين الناقد فينصف الظالم من المظلوم فاجمعت الرعية على ولائه ورافقوه في الحرب بقلب قوي وعزيمة ثابتة فلاقى فيهم رجالاً تليق بهم المحبة ويجدر بهم الحلم والرعاية

وكان اذا آب من نصر نسب الفضل فيه لرجاله ووزرائه كما فعل بعد واقعة سيدان وغيرها . وكان طلق المحيا بشوش الوجه وديعاً لا يأنف من مخاطبة الكبير او الصغير ويخاطب كلاً منهم بما يؤيد حبه ومحبة لرعيته . وقضى سني حياته بصحة تامة حتى قضى في شيبة جليلة تتجلى في وجهه مهابة الملوك ووداعة رجال الفضل



باب المقالات

اصل اللغة

لا شيء احب الى الانسان من الاطلاع على اصل لغتهِ وكيفية نشأتها ولكنَّا مع ذلك قلما نرى من يتصدّى للبحث فيها من هذه الوجهة فاردنا طرق هذا الباب استنهاضاً لكتابنا البارعين حتى يتحفونا منهُ بما هو اكثر مادة واوفر فائدة فنقول :

للغويين في اصل اللغة اقوال متباينة . قال فريق انها توقيفية منزلة وقال آخرون انها اصطلاحية وُضعت بالتواطؤ والاصطلاح ولكل من الفريقين ادلة معظمها نظري مبني على مجرد الاقيسة العقلية والاحكام المنطقية بقطع النظر عن عوامل الاختبار والاستقراء . ولذلك فقد اغفلنا ايرادها وعمدنا الى النظر في اصل اللغة من وجهة الاستقراء بالقياس على ما نشاهده كل يوم مما هو ثابت لا يقبل التأويل او التحريف . وقلما يقوى احد على نقد ما كان الاستقراء اساسه والاختبار قوامه وهو السبيل الذي جرى عليه العلماء في تأييد العلوم الحديثة من طبيعية وغير طبيعية فما سيرد هنا من الادلة على اصل اللغة انما هو مبنيٌّ على الاستقراء والقياس على ما هو جار في الطبيعة ثابتٌ لا يقبل التأويل

فاللغة في رأينا ليست توقيفية ولا اصطلاحية لان المراد بالتوقيف عندهم انها منزلة علَّمها سبحانهُ وتعالى للانسان تلقيناً او وحياً وذلك يقتضي كونها ثابتة البناء والدلالة غير قابلة التغيير شأن كلما هو توقيف منهُ تعالى والواقع خلاف ذلك لان اللغة كما لا يخفى عرضة للتغيير نحتاً وابدالاً وقلباً واستعارة فما نتفاهم بهِ الآن يختلف دلالة ولفظاً عما تفاهم بهِ سلفاؤنا وما سيتفاهم بهِ خلفاؤنا . ويريدون بكونها اصطلاحية انها وُضعت بالتواطؤ بين جماعة من الناس فوضعوا اسماً لكل

شيء بالاشارة اليهِ فدعوا اليد يدًا والراس رأسًا والحجر حجرًا وهلم جرًّا . وذلك بعيد الحدوث في اول وضع اللغة لانهم لما أرادوا وضع اول لفظ لم يكونوا يعرفون النطق اذ ان النطق اكتسابي ومن لا يتعلم النطق صغيرًا يشب لا يستطيع التلفظ بكلمة فكيف باول من اراد التلفظ ومن اين اتى بالمقاطع والحروف حتى ركب منها لفظًا . ولكن الاصطلاح قد يكون عونًا لاصحاب اللغة في توسيع نطاق لغتهم وتكثير الفاظها بعد اتمام وسائل التفاهم كما حدث ويحدث ما هو على شاكلة المجامع العلمية في هذه الايام واما في اول نشأة اللغة فلا تأثير له البتة

فيجب علينا النظر اولاً في كيفية توصل الانسان الى النطق بالمقاطع او الحروف ثم استخدام تلك المقاطع او مركباتها للدلالة على المعاني ونجعل اساس بحثنا كما قدَّمنا الاستقراء والمشاهدة وما يبنى عليها بقطع النظر عن النصوص والروايات وما جرى مجراها لا استخفافًا ولا امتهانًا لا سمح الله ولكن لأن كلاً من الوجهين سبيلاً يؤدي الى المراد والسبيل الذي اخترناه اقرب الى الفهم واجلى للتصور

ومسيرنا في هذا النحو من الادلة الطبيعية يقضي علينا بالرجوع الى الكلام عن الانسان في ادنى حالاته واقربها الى حالة الحيوان الاعجم فنقول

يرى علماء الطبيعة ان الانسان قد كان في بادىء امره عاريًا يأوي الى الكهوف ويقتات على لحوم الحيوانات ويكتسي بجلودها لا يمتاز عن سائر الحيوان الاَّ بالادراك وحدة الذهن والاستعداد الطبيعي للنطق ولكنهُ لم يكن يتكلم . فالجأتهُ حالهُ من التعرض للمؤثرات الخارجية وقصوره عن مقاومة العوامل الطبيعية الى التكاتف والتعاون او الاجتماع الامر الذي لا يتأتى له الا بالتفاهم او تبادل الافكار فعمل الفكرة سعيًا في ذلك وما زال مع توالي الزمن حتى تمكن من النطق الذي بلغ ما بلغ من الكمال حتى الآن . اما كيفية توصلهِ الى النطق فنبدأ منهُ اولاً بالمقاطع او الحروف ونبحث عما اوصلهُ الى اكتسابها والتلفظ بها

نقول ان الانسان مفطور على التقليد والاقتداء في سائر اعمالهِ وهو على هذه الفطرة لا يزال حتى اليوم لانهُ لا يعمل عملاً او يشرع في عمل الا اقتداء بمن سبقهُ اليهِ او الى ما يشابهُ او ما يوجه الفكر نحوهُ . وهذا شأن الافراد والجماعات من الامم والممالك مما لا يحتاج الى برهان . وقد كانت قوة التقليد فيهِ اذ ذاك اشدّ

مما هي عليه الآن لما كان فيه من الحاجة اليها لقصر باعه وقلة معارفه وخلو ذهنه. ولم يكن لديه في حاله المشار اليها ما يقلده من الاصوات ما خلا الاصوات الطبيعية الجارية حوله كهزيم الرعد وهبوب الريح وتصادم المعادن وخرير الماء واصوات الكسر والقطع واللطم واصوات الحيوانات كنبح الكلب وفحيح الافعى وزئير الاسد وخور الثور ومواء القط وصياح الديك وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر وما لا ننتبه اليه الآن لاستغنائنا عنه. ولم يتعلم الانسان تلك الاصوات تعلماً اصمّ ولكنه كان ينطق بها او بما يحاكيها في ذهنه لما تقدم من استعداده للنطق ويريد بها معاني مقرونة بها. كأن يريد بصوت تصادم المعادن الدلالة على المعدن او الحجر او التصادم وربما نطق بما يحاكيه فقال (طق) او (دق) مثلاً. ومثل ذلك صوت القطع وربما حاكاه بلفظ (قط) او (قد) او (قص) وقد ينطق به ويريد به الخشب او القطع او ما يتعلق به. وكذلك حكاية صوت الهر فهي (ماو) او (ناو) ولا نزال حتى الآن نستعملها لهذا المعنى وقس عليه سائر حكايات الاصوات.

ومن الاصوات ما يخرجه الانسان كاصوات النفخ والسعال والضحك والصفق واللطم وغيرها مما لا يعجز الفم واضيق الحلق عن استيفائه. فهذه كلها قد قلدها الانسان ونطق بما خيل له انه يحاكيها من المقاطع واستعملها في بادىء الرأي للدلالة على ما يخرج ذلك الصوت او على الصوت نفسه كأن يستعمل كلمة (عوى) حكاية صوت الكلب للدلالة على الكلب او على النبح او على ما يتعلق باحدهما ثم جعل يركب مما لديه ليؤدي معاني اخرى كأن يقول (عاو. قط) مثلاً ويريد (ان الكلب قد قتل) وقد ينوع الصوت لتنوع المعنى فيخفف العين في (عاو) ويريد بها كلباً صغيراً او يشددها ويريد كلباً كبيراً. وبمساعدة العوامل الطبيعية على الكلم كالنحت والابدال والقلب واختلاط الالفاظ والمعاني تعددت الكلمات وتفرعت وتنوعت حتى صارت لغة من لغات اليوم. على ان الاصوات الاصلية لا يزال منها في كل لغة من لغات البشر اثر مستعمل لما كان يستعمل له في اول شأن اللغة فيقال في العربية ماء القط وعوى الكلب وهما حكاية صوتيهما ومثل ذلك صرصرة البازي وقعقعة الصقر وبطبطة البط ووعوعة الذئب. والوقوقة او النقنقة صوت الكلب اذا خاف والنطنطة صوت القطا وفحيح الافعى او كشيشها بجلدها ونقيق الضفدع

والخرشة الجراد عند اكلو وقعقعة الرحى وجمجمتها وطنين الجرس ورشّ الماء وغير ذلك . ويقال في العربية « قط » للقطع ومثلها في الانكليزية cut وكذلك في الفرنساوية casser وما شابه ذلك في اللغات الاخرى ومثلها نفخ والحرف الاصلي فيه الفاء لانها حكاية صوت النفخ فيقالها في الانكليزية puff وفي الفرنساوية Gonfler او enfler او soufler والفاء لازمة فيها كلها وغير ذلك مما يماثله ولا يحصيه عدٌّ

ورب قائل « اين تلك المقاطع البسيطة القليلة من الفاظ اللغة المتعددة وخصوصاً اللغة العربية الشريفة التي تعد الفاظها بعشرات الالوف وفيها من انواع الاشتقاق والتركيب ما يحير العقول ويذهل الصائر كيف يمكن ان تكون صادرة عن مثل تلك الاصوات القليلة التي هي ليست من الالفاظ في شيء » . اقول انك اذا تدبرت العوامل الفاعلة على اللغة وما يطرأ على الفاظها من التغيير والتبديل بين قلب وابدال ونحت تبعاً لمقتضيات الاحوال مما لا يزال عاملاً حتى الآن (كما تراه مفصلاً في كتابنا في الفلسفة اللغوية) هان عليك العسير وصح لديك ما ظننته مستحيلاً او قريباً من المستحيل

وايضاحاً لما تقدم اذكر لك حكاية صوت القطع (قط) وما نشأ عنها من التنوعات لفظاً ومعنىً بالنحت والابدال والقلب . فتنوعاتها بالابدال كثيرة منها قصّ وكسّ وجذّ وجزّ وخصّ وخذّ وقدّ وغيرها وكلها بمعنى قطّ او قطع . وكلٌّ من هذه التنوعات قد تولد منه بالنحت عدة الفاظ فمن (قط) تولد قطع وقطب وقطف وهذان الاخيران يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطمَ وقطلَ . ومن (قص) تولد قصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن معني النقص وقصف وقصا وجميعها تتضمن معنى القطع . ومن « فض » فاض وفضم وفضب وفضع . ومن « كسّ » كسر وكسع وكسم . ومن « جذّ » جذب وجذر وجذف وجذم . ومن « جزّ » جزأ وجزر وجزع وجزحَ وجزل وجزم . ومن « خزّ » خزع وخزق وخزم وخزل . فترى معنى القطع واضحاً تماماً في جميع هذه التنوعات وقد تراه بعيداً في غيرها ومفقوداً في بعضها فان « خصّ » تفيد معنى الافراد بالشيء فترى معنى القطع فيها مجازياً فكأنه يقول خصه بالشيء اي قطعه عن سواهُ ومنها خصم بمعنى الخصام او

الشقاق او الانقسام فظهر فيها معنى القطع ولكنهُ غير واضح وهكذا في خضم فانها لا تزال تتضمن معنى القطع وليس كذلك خضع وخضل . ومن « خذ » خدع قال البيضاوي « الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيهِ من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب توارى في جحره » ولا يخفى ما يستلمح في هذا من معنى القطع . وخدرَ البنت الزمها الخدر اي قطعها عن الاختلاط بالناس وخدف ولا تزال تفيد القطع صريحًا . ويجانس خذ (خذ) ومنها خذع قطع وكذلك خذعب وخذعل وخذل اما خذل فقد اصبحت بمعنى خرب لكنك تراها عند التدقيق تفيد القطع او الانقطاع لانهم يقولون خذلت الظبية اذا تخلفت عن صواحبها وانفردت او انقطعت . ويجانس قص (قس) ومنها قسم وقسط فان هذه الاخيرة وسائر الافعال المتعلقة بالاحكام المقررة ترد الى معنى القطع المعنوي كعدل وقضى وفصل وحكم وقسط وكذلك افعال القسم كاقسم وحلف . ويجانس قس ايضًا (قش) ومنها قشر تتضمن مع القطع معنى النزع وكذلك قشط وقشع اما قشب فلا تدل على القطع لكن قشب الخرقة منها يستلمح فيها ذلك المعنى والظاهر ان قشب خسرت معنى القطع بالاستعمال والعامة في سوريا يقولون تشقت الشفة اي تشققت . وهناك تنوعات اخرى اغضينا عن ذكرها اكتفاء بما ذكرنا على سبيل المثال . ولا بد لنا من ذكر مثل للتنوعات التي تحصل بزيادة حرف على اول الاصل مثل نقض من قض ومقط من قط بمعنى الكسر . او في الوسط نحو قرص من قص وقرض من قضّ وقس عليهِ التنوعات الحاصلة بالقلب مما يضيق المقام عن استيفائهِ

ومن غريب الابدال ان تكون « يد » و (قط) او احدى اخواتها من اصل واحد ولا انكر ما في ذلك من دواعي الاستغراب ولكن الدليل يقرّب البعيد فان القرب بينهما في المعنى واضح لان اليد هي مصدر القطع واول استماع الانسان حكاية صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ونسبة اليد للقطع معنىً كنسبة قاطع الى قطع ولا يخفى ما هنالك من المشابهة . واما في اللفظ فاننا باستقراء اصل كلمة يد في اللغات السامية اخوات العربية نرى انها قريبة جدًّا من قط فانها في الاشورية « غت » وفي البابلية « كت »

وهي حكاية صوت القطع بعنف

فترى ان تنوعات حكاية صوت القطع مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدًّا ولا يخفى ان كلاًّ من هذه التنوعات اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظًا ومعنى حقيقة ومجازًا واذا اردت تحقق ذلك راجع كلاًّ من هذه المواد في مكانهِ من القاموس فترى ان لبعضها مئات من التنوعات المعنوية التي منها ما يرد الى معنى القطع صريحًا او ما حام حولهُ من اظلال المعاني الاخرى اما بالاستعمال او بتنوع المعاني نفسها او غير ذلك

وما قيل في «قط» يقال في غيرها من حكايات الاصوات فمن «هب» حكاية صوت اللهيب اذا نفخته الريح او هو ما نسمعهُ ممن يعمل عملاً يقتضي اجهادًا وقد تصوروا فيهِ معنى الهيجان لنا سلسلة هج وهذ وهش وهبص وهبا وسلسلة لهب ورهب وسلسلة هدب وهكذا . ولنا من «لت» حكاية صوت اللطم لتّ ولتب ولتح ولتخ ولتد ولتذ ولتم ولتن . ويجانس لت «لط» ومنها لطأ ولطث ولطح ولطخ ولطس ولطش ولطع ولطم ولطه وجميعها تتضمن معنى الدق والخد ومنها سلسلة اخرى اولها لبط ومنها . . . ويقال في «فق» حكاية صوت القربة اذا انبثق الماء منها وتتضمن معنى الفتح ومنها فقّ وفقأ وفقح وفقر وفقص وفقش وفقع وقس عليهِ كثيرًا من امثالهِ

ولا بد لنا قبل ختام الكلام من ايراد مثل لتنوعات الاصوات التي يخرجها الانسان فلنأخذ «تف» وهي حكاية صوت الباصق فمن تنوعاتها بالنحت «تفل» بصق ولما كان الانسان يبصق احيانًا استخفافًا بامرٍ قالوا «تفّه» خسّ او قلّ ولما كان يبصق ايضًا استنكارًا لشيء ذاقهُ قالوا طعام تفه اي عديم الطعم ولما كان ذلك الصوت يحاكي صوت اطفاء اللهيب قالوا طفئ بمعنى خمد واطفأ وقس عليهِ

بقي علينا مثل لما يخرجهُ الانسان من الاصوات الطبيعية بغير اختيارهِ كالانين عند التألم والتأوه للحزن والقهقهة عند الضحك والتأفف عند الضجر وما شاكل فلنأخذ صوت التأوه (آه) فقد قالوا آهَ يأوهُ أوهًا اي شكا وتوجع وهكذا تأوه تأوُّهًا ودعوا داء الحصبة «آهة» والجدري «مآهة» كأنهم يريدون ما يرافق هذين المرضين من التأوه . واشتقوا من حكاية صوت الضجر «أفّ» يؤفّ

أفاً تضجر ورجل أفاف اي كثير التضجر ودعوا فلانة الاظافر ووسخ الاذن افاً ومنها ايضاً الافة بمعنى الرجل القذر وفس عليو

وجملة القول ان اللغة مكتسبة اصولها من محاكاة الاصوات الخارجية وما يخرجه الانسان من الاصوات اختياراً او اضطراراً والله سبحانه وتعالى اعلم

سوء التفاهم . اصل التخاصم

اذا اختلف اثنان في امر فاما ان يكون منشأ ذلك الاختلاف اختلافهما في الاحكام العقلية واكثر ما يكون ذلك في المباحث الفلسفية كان يقول احدهما النفس مادة ويقول الآخر النفس جوهر والغالب ان يكون الصواب في جانب اسماها مدارك . او ان يكون منشأ التفاوت في المعرفة والاختبار واكثر ما يكون ذلك في الابحاث الطبيعية كان يقول احدهما الحرارة تمدد الاجسام و يقول الآخر انها تقلصها والصواب غالباً في جانب اكثرهما اختباراً . وقد يتفق ان يكون الاثنان مصيبين كما اتفق لاثنين اختلفا في لون السرطان فقال احدهما انه اسود وقال الآخر انه احمر واصرّ كل منهما على زعمه وكان كلاهما مصيباً لان الاول شاهد السرطان حياً ولونه اسود والآخر شاهده مشوياً وقد احمر لونه

وليس فيما تقدم شيء من الخصام وانما هو مجرد اختلاف في الراي لا يمس كرامة الاشخاص وقد يطول الجدال والاخذ والرد فيه ولا يؤثر شيئاً في صداقة المتناظرين لان الحكم بينهما انما هو العقل الذي اذا تجرد عن العواطف والاغراض كان معصوماً عن الخطاء

واما الخصام فهو الاختلاف الناجم عن حكم العواطف الذي قلما يكون في جانب الاصابة والعواطف من اول مظاهر الصبوة والشباب و في حكمها من المسارعة والطيش ما في حكم الشباب فيالتعاسة الذين يعملون باحكامها وابلغ من ذلك ان حكمها نافذ في الاكثر بين الاصدقاء

قلنا ان حكم العواطف قلما يكون في جانب الاصابة والسبب في ذلك ان الانسان قريب الخضوع لها سريع في تنفيذ احكامها فلا تمهلة ريثما يستوفي

باب المراسلات

هل الآداب بالطبع ام بالوضع

مولاي صاحب جريدة الهلال الغراء

اتصل بي العدد الاول من مجلة الهلال فوقعت فيه على مسائل متنوعة تحتمل الوجهين من البحث . ومن جملتها — هل الآداب بالطبع ام بالوضع — فآثرتها لجلالة موضوعها وغرابة مطلبها . فاقدمت على الكلام فيها غير جاهل وعورة المسلك وخشونة المركب وعذري الوحيد في الاقدام معرفتي ان البحث متقضٍ على كل ذات فاكون آملاً ان اتوصل الى الحقيقة التي لا يميط النقاب عنها الا البحث مقروناً بالاخذ والرد وحسبي من نفثات اقلام الكتاب ما اسدد به غلطي واقوم عوجي والله من وراء الهداية

وقبل الولوج في باب البحث اذكر تعريف الكلمات الثلاث التي يتألف منها الموضوع وقد لخصته من كتب القوم بتصرف يقتضيه المقام . فالآداب كلمة شائعة على الالسنة يراد بها العصمة عن الشين على طريق الحصر كما يستفاد من ظاهر المسئلة والا فهي تقع على العلوم والمعارف مطلقاً . والطبع السجية جبل عليها الانسان . والوضع ضد ذلك . اي ما قصده المرء بالذات فكان هيئة عارضة له وصفة طارئة عليه — اما الوجه الذي ذهبت اليه فهو السلبي اي الآداب بالوضع . وهذا اوان الشروع في البحث فاقول

اطبق المتفكرون من الباحثين في العمران ان للوجود الانساني ثلاثة ادوار توالت عليه منذ اتيح له الوجود الى ان بلغ حالته الحاضرة . الاول دور الفطرة وهو الحالة الخلقية والثاني دور الاجتماع وهو الحالة المدنية والثالث دور الاجتماع مقروناً بصيانة الحقوق والواجبات وهو الحالة السياسية . فالمرء يكون ساذجاً فطرياً يلتمس الغذاء والمبيت وسائر الحاجات الطبيعية مما تصل يد امكانه اليه . ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع وتلجئه كثرة الحاجات الى الاعانة فيتألف ويجتمع فيصير مدنياً ثم يتقدم في هاته المرتبة فينظر في شؤون نفسه

ويهتم باحوال جنسهِ فيصير سياسياً وهو الانسان الكامل الحقوق والواجبات

ومن تأمل في الطبيعة بعين المتعقل الباحث يعلم ان كل ما فيها من جماد ونبات وحيوان مقترن وجوده بالضرورة مدفوع الى العمل بحكم الاضطرار فكما ان الانسان يندفع لمجرد الحاجة قسرًا الى الحركة والعمل لتناول القوت يسعى الحيوان ايضاً مضطرًا بنفس هذا العامل الى نول عين هذه الغاية كما يحلل النبات التربة والمواء محتاجًا اليهما على حد الانسان والحيوان عموماً بل كما يسقط الحجر على الارض بحكم الشريعة العامة للاجسام اعني بها الجاذبية . وهذا السقوط وذاك التحليل وذلك السعي والطلب محتوم بالضرورة على كل الذوات الطبيعية . ولولاه لم يبق للكون نظام ولم يفهم للشريعة معنى على الاطلاق

وهكذا الشأن في « الآداب » فالانسان لولم تدعهُ الضرورة الى العلم بها ما تصورها ولا ادرك لوجودها سرًا . والعلم بها ليس بغريزة جبل عليها بل هو حادث لم يعد دخوله في طور الاجتماع حين الجأتهُ الضرورة وعمل فيه الاضطرار – ولقد كان الانسان الاول في الدور الخلقي — كما قال مونتسكيو – مجردًا عن كل مبداء ادبي ليس فيه من الاحساسات غير الاحساس بالخوف والشعور بالرهبة والمسكنة والضعف . اجل . كان في اول عهده بالوجود اشبه بالعجماوات لا يميز بنفسه شيئًا من المواطف الادبية لعدم اضطراره لتصورها بل جل ما كان يختلج في ذهنهِ الضعيف الرعب من اصوات الحيوان والاندعار من خفيف الاوراق اذا مرَّت بها نسمات الشمال مضافًا الى ذلك شعوره بالحاجة الى تحصيل الغذاء كسائر الحيوان — وكانت قواه العاقلة قاصرة لم ينبهها بعد عامل الضرورة ولذلك كان ضعيف التأثر لا يبتهج بندى الصباح على الاغصان ولا يطرب لزقزقة العصفور اذا حيته اشعة الشمس ولا يتأثر لخرير الماء ينساب بين خضرة الرياض او لهبوب الهواء متعطرًا من ارج الازهار . والباحث في الحالة الاولى يحكم لاول وهلة ان لا لزوم البتة لوجود الآداب في مخيلة الانسان الاول لقصور فهمهِ عن تناول معناها وعدم الضرورة التي تستلزم توجه العقل اليهِ

ولما دعتهُ الحاجة واضطره حفظ الذات الى صيانة ماله ونمائهِ نشأت

(العصبية) بين افرادهِ حماية للنفع المتبادل . فاخذت العصائب بالتوطن وقاية لارزاقها من السلب والاعتداء وهذا هو دور الاجتماع وهو الدور الذي بدأ الانسان فيهِ باكتساب المبادىء الادبية واستفادة العواطف الخيرية . والوجه في ذلك انهُ لم يطل عهد الاجتماع على الانسان حتى كثرت مواليدهُ فضاق بها الوطن وكانت اوجه المعيشة التي انتحلها قليلة العدد محصورة الكيفية فظهرت عند هذا الحاجة ووجد التنازع . فنمت قوى الانسان العقلية واتسعت مداركهُ ومعارفهُ بداعي الافتقار الى انتحال طرق جديدة للعيش كما اشار اليهِ فولطير . وهنا نشأت مقدرة العقل البشري على الشعور بالمبادىء الادبية وهي الحق والواجب آية الحكمة والعدل في الوجود . وهذا هو الدور الثاني للانسان — رأى العقلاء منهم ما حلَّ بطوائفهم من الشر والفساد بسبب تنازع البقاء والجهاد في طلب الرزق فكانت هذه الحالة الشعبية داعية لهم الى تصور نقيضها اعني بها الحالة الادبية . وهذا هو مصدر وجودها في الفكر البشري . فنهض هؤلاء يسعون في الاصلاح بما لهم من النفوذ على العامة فوضعوا لهم اصول الشريعة مكاشفين بها على صورة الديانة كمعا الحج الدهرية في كل فئة بالقسطة حالها وهذا ما نعرفهُ عن التمدن القديم في اشور ومصر وفينيقية وغيرها واراد الله فاوحى بديهِ الحق على لسان انبيائهِ صلوات الله عليهم ومنهُ منشا التمدن الحديث

والحاصل من كل ما تقدم ان الآداب والمراد بها التزام حدود الحق والواجب معانٍ اكتسابية عرضت للانسان في دور الاجتماع . لان الحق والواجب لم يقم لهما صورة في العقل حتى حدثت المعاملة بين الناس والمعاملة ليست من شأن الانسان في دورهِ الحيثي كما قدمنهُ في صدر هذه الجملة بل هي طارئة عليهِ بعد اجتماعهِ — وان هذه المعاني كانت تنطبع في الفكر البشري على نسبة وقوع نقيضها وهو الشر اي كانت في الاول ممتزجة يتوقف فهمها على فهم نقيضها ثم عم النقيض والفهُ الناس فعمت بذلك معاني الآداب والفها العقل حتى صار مفهومها كلياً محضاً ومعنى مجرداً بمثابة الاولي الغريزي والله اعلم

أقول ولادباء بلادنا وكتاب جرائدنا الادبية مجال رحب ان يحرمونا اشباع القول فيهِ بما يكون من ورائهِ تكثير الفائدة وظهور الحقيقة ان شاء الله

(بيروت) «اسبريدون ابو الروس»

الهلال

الجزء الرابع من السنة الاولى

اول دسمبر سنة ١٨٩٢ (١١ جمادى الاولى سنة ١٣١٠) (٢٣ هاتور سنة ١٦٠٩)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



بطرس الاكبر

قيصر روسيا

ولد سنة ١٦٧٢ وتولى سنة ١٦٨٢ وتوفي سنة ١٧٢٥

هو اكبر قياصرة روسيا واعظمهم سطوة واشدهم بطشاً و يعدّ في الدرجة الاولى بين رجال الاصلاح كما سترى في سياق ترجمته

هو ابن القيصر الكسيس ولد في مدينة موسكو في ٣٠ مايو (ايار) سنة ١٦٧٢ . توفي والده وهو في الرابعة من عمره فتولى المملكة اخوه الاكبر (فيدور) وكان هذا ضعيف العزم والعزيمة لايليق بالاحكام وله اخ آخر اسمه ايفان كان كاخيه فيدور بالضعف فمرض هذا واشتد عليه المرض فاوصى بالمملكة لبطرس وسنه عشر سنوات لعلمه ان ايفان لايقوى على سياسة الملك لضعفه

وكان في جملة اخوات بطرس اخت اسمها صوفيا وكانت ذات ذكاء ومكر فلما رات ايفان ضعيفاً وبطرس صغيراً طمعت بالسلطة فدخلت في الامر كمن يطالب بحقوق ايفان لانه اكبر منه وكان في جملة الجند الروسي وجاق اشبه شيء بوجاق الانكشارية عند الدولة العلية يقال له وجاق الاسترلتش فاغرتهم صوفيا على التمرد فثاروا بدعوى تاخر مرتباتهم فاعطيت لهم مطاليبهم فادعوا سواها ولم ينفكوا حتى اعملوا السلاح في بلاط الملك فقتلوا بعضاً من اخوته وطبيبه واجروا فظائع كثيرة تقشعر منها الابدان وانتهت تلك الدسائس باشتراك ايفان وبطرس في الاحكام تحت وصاية اختهما صوفيا وهذا ما كانت تسعى اليه هذه الداهية وكان ذلك سنة ١٦٨٢ فصارت الاحكام اليها والحل والعقد بيدها ولكنها رات بعد حين ان اخاها ايفان لا يصلح للملك فتخلت عنه واستبقت بطرس واستوزرت رجلاً يدعى الامير بازيل غالتزين وكان من اعقل الناس واقربهم الى الحكمة والتبصر وحسن التدبير فاول شيء وجه اليه انتباهه وجاق الاسترلتش لانه راى من تمردهم واستبدادهم مايخشى منه على قوام الدولة فاستخدم الحكمة والدراية في تشتيتهم وتفريق كلمتهم ففرقهم في انحاء المملكة وهم لا يشعرون وتخلصت المملكة من شرهم (موقتاً) ولم يضطر في ذلك لسفك الدماء كما حصل في ابادة وجاق الانكشارية في الاستانة والمماليك في مصر

ثم رات صوفيا ان اخاها بطرس يزداد نفوذاً في الرعية يوماً فيوماً فخافت ان يتمكن بعد قليل من نزع السلطة من يدها فاتحدت مع وزيرها على قتله فاستدعى هذا من كان لايزال في موسكو من جماعة الاسترلتش واغراهم على قتل بطرس فعلم بطرس بالامر ففرّ الى دير يدعى دير الثالوث الاقدس وهو معد لحماية العائلة الملوكية ولما استقر به المقام هناك استدعى احزابه اليه وفيهم النمسويون وغيرهم

من الغرباء وخطب فيهم يستحثهم على قتل اخته صوفيا لانها السبب الرئيسي لجميع هذه المتاعب

ففاز حزب بطرس وجيء بالوزير والملكة صوفيا الى ما بين يديه فعفا عنهما على ان تذهب صوفيا الى الدير كما كانت قبل الملك وان يبعد الوزير الى مدينة كرغا . وقتل جانباً من الاحزاب فخلا له الجو فعاد الى كرسي الملك وليس من يناظرهُ عليه وكان ذلك من حسن حظ العالم الروسي لان بقاء هذا القيصر عليهم كان سبباً لرفعهم من حضيض الجهالة والهمجية الى افق التمدن والمعارف

وتزوّج بطرس سنة ١٦٨٩ بابنة احد رعيته على مقتضى العادة التي كانت جارية عندهم اذ ذاك . وهي ان الملك اذا اراد التزوج جيء اليه بعدة من اجمل بنات المملكة فتقبلهن سيدة قصره وتضع كل واحدة منهن في غرفة على حدة ثم تاتي بهنَّ وقت الطعام وتقف بهن حول المائدة فيأتي الملك متنكراً او غير متنكر فمن تقع في عينيه موقعاً حسناً يخلع عليها خلعة العروس فتكون امراته ويفرّق اثواباً اخرى على البنات الاخريات

وكان بطرس يتقدم يوماً فيوماً في الاختبار والمعرفة وكان يعتقد ان امة النمسا اقرب الممالك الى التمدن والعلم فدرس لغتها واللغة الفلمنكية . واما الاعمال الحربية فكانت افكاره متجهة فيها لمحاربة التتار وتفريق الاسترلتشن تفريقاً تاماً وابادتهم ففرق الاسترلتش وحارب التتار ولكنه لم يفز عليهم فوزاً تاماً . فترك الاعمال الحربية وعمد الى اصلاح المملكة فاخذ يدرب جنده على الفنون العسكرية واتى ببناة السفن الحربية وبنى جانباً منها . ومما رغب رعيته في الطاعة انه كان اذا امرهم بتعلم شيء بدأ هو بتعلمه قبلهم بل كان يعامل نفسه كافل واحد فيهم فاذا نظم جنداً دخل هو فيه بصفة ضارب الطبل او نفر عسكري وهي من الامور الغريبة التي لم يسبقه اليها احد من الملوك ونظراً لخلو روسيا اذ ذاك ممن يحسنون التنظيمات العسكرية كان يستخدم اليه رجالاً من الدول الاخرى الاوربية . وكان في جملة اعوان بطرس في هذه التنظيمات رجل ايطالي اسمهُ لوفورت وكان من اهل الحسب والحزم . فلما راى مقاصد هذا القيصر تعهد له بتنظيم جند جديد على النمط الحديث الذي يريده ويكون له عوناً على وجاق

الاسترلتش الذي كان الى ذلك العهد لايزل عثرة في طريق الاصلاح كما كان وجاق الانكشاريه في الاستانة في عهد السلطان سليمان القانوني فاذن له بذلك فنظم جنداً من الفرنساويين الهاربين من بلادهم وعددهم ١٢ الفاً فسرّ بطرس بذلك واقام لوفرت هذا قائداً عاماً عليهم

وكانت الحدود الروسية من جهة مملكة الصين غير متفق عليها فألف بطرس وفداً روسياً اجتمع بوفد صيني وقرروا الحدود

وفي سنة ١٦٩٥ حارب الدولة العلية وكان هو في جملة الجند المحارب ولكنهُ لم يفز ثم عاد الى الحرب سنة ١٦٩٦ ففتح قلعة ازوف

ومن اهم اعمال هذا الرجل العظيم تنكرهُ وطوافهُ في ممالك اوروبا لاكتساب الصنائع الحديثة فرحل الرحلة الاولى متنكراً بصفة خادم ومعه ثلاثة من كبار قوادهِ سنة ١٦٩٧ فساروا يتجولون وينتقدون احوال البلاد التي يمرون فيها وعينا بطرس تنظران الى كل شيء يرى فيهِ غرابةً او اتقاناً ويقرر في ذهنهِ ان يدخل كل ذلك في مملكتهِ حتى دخلوا برلين عاصمة بروسيا وهم في لباس اهل المشرق وعلى رؤوسهم القلانس المرصعة وسيوفهم مسترسلة على احقائهم واما بطرس فكان لابساً على الزي النمسوي ومعه امير بلباس فارسي وهناك افترقوا ثم اجتمعوا في امستردام وبطرس بزي قبطان فزار معملاً للسفن في قرية سردام فاعجبهُ ما فيهِ من اجتهاد العمال واتقان صناعتهم ودقة ادواتهم فدخل في ذلك المعمل بصفة احد الفعلة وتزيا بزيهم وعاش عيشتهم ولما اتقن صناعة السفن دخل معامل الحديد والحبال والمطاحن والمعاصر ومعامل الورق والاسلاك المعدنية ودعى اسمهُ في سجل الفعلة بطرس ميخائيل وكانوا ينادونهُ المعلم بطرس

ومن الغريب انهُ كان وهو في حالة الفعلة يلاحظ حالة بلاده ويبعث الاعلامات اليها امراً او نهياً . ودرس فوق هذه الصنائع فن التشريح وعمل عمليات جراحية

وبعد اتقانهِ كل هذه الفنون سار بصفتهِ الملوكية لزيارة وليم ملك انكلترا فنال منهُ كل رعاية واكرام ثم عاد الى معمل السفن واصطنع فيهِ سفينة كبيرة بنفسهِ تحمل ستين مدفعاً . وكان اثناء وجوده في المعامل ينتخب من يختبر مهارتهم

في الصناعة ويبعث بهم الى موسكو ليعملوا هناك على نفقة حكومتهِ وعاد مرة اخرى لبلاد الانكليز واتقن فيها بعض الصنائع التي لم يتمها في امستردام واتقن هناك صناعة الساعات وغيرها

ويقال بالاجمال انهُ اتقن بسفرته هذه اكثر الصنائع والفنون ولا سيما صناعة السفن ودرس من العلوم شيئاً كثيراً كالطبيعيات والرياضات وغيرها

وفي سنة ١٦٩٨ برح انكلترا عائداً الى بلاده فمر ببلاد الفلمنك وصحب جانباً من ارباب الصنائع والحرف والمهندسين والطوبجية وسار بهم وفرقهم في اماكن مختلفة من بلاده لبث صنائعهم بين ظهراني رعيتهِ ومرَّ بطريقهِ على النمسا ليشاهد ما عندها من العلوم والمعارف العسكرية حتى لا تفوتهُ فائتة وكان مع ذلك يراقب احوال ما يمرُّ بهِ من الدول سياسياً وادبياً وتجارياً وكان في نيتهِ ان يمرَّ بالبندقية فجاءهُ نبأ عن فتنة ظهرت في بلادهِ فعاد اليها سراعاً واخمد تلك الفتنة بقتل جماعة من القسس والاسترلتش لانهم كانوا سبب ذلك العصيان

ولما هدأت الاحوال اخذ في تدريب جنده على النمط الاوروي والبسهُ الملابس القصيرة على نمط واحد وجعل اساس نظام ذلك الجند المساواة بين الرفيع منهم والوضيع واخذ من الجهة الثانية في انشاء القلع والجسور والحصون واصلاح السفن ولم يقصر اصلاحهُ على الامور العسكرية ولكنهُ وضع قوانين ونظامات ادارية ومدنية ودينية وابطل الرهبنة القاضية بعدم الزواج فغضب عليهِ جماعة الاكليروس. وعكف على نشر فن الطباعة والمعارف والآداب لتنوير اذهان رعيتهِ. وابطل عادة التحجب القاضية بان لا يرى الرجل زوجتهُ الا بعد الاقتران بها وصار من يطلب زواج ابنة يعاشرها ويختبر اخلاقها قبلاً. وابطل الالقاب التبجيلية التي كانت تستعملها الرعية في مخاطبة ملوكهم وابدلها بكلمة (احد رعيتكم)

وكان مع انهماكهِ في هذه الاصلاحات لا يغفل عن توطيد علائق المودة مع الدول المجاورة وفي مقدمتهن الدولة العلية فعقد معها معاهدة صلح عادت عليهِ بالنفع الجزيل

ثم قامت الحرب بينهُ وبين اسوج ولم ينتصر فيها فدبَّ اليهِ الفشل فلم تنثنِ عزيمتهُ فعاد ثانية واوقد نار الوغى وعاد مكللاً بالظفر. وكان في جملة البلاد التي افتتحوها

بلدة موشبورغ على حدود ليفونيا استأسر ولي نساءها في جملتهن ابنة اسمها كاتربنا احبها بطرس بعد ذلك وتزوجها واصبحت بعد حين امبراطورة عظيمة حكمت مملكة روسيا عدة سنين وذاع صيتها في الآفاق

ولما عاد بطرس من حرب الاسوجيين ظافراً عكف على اصلاح موسكو عاصمة بلاده الى ذلك العهد واسس مدينة على اسمه سماها بطرسبورج وهي عاصمة الروسيين الى هذا اليوم

وعادت الفتنة بينه وبين الاسوجيين عدة مرار كان الفوز في اغلبها له حتى استولى على اقليم انغريا وعاد الى موسكو ولم يستقر له المقام فيها حتى اضطر لمحاربة البولونيين ثم الاسوجيين وكان الفوز تارة لهذا الجانب وطوراً لذاك ولكن الاغلب في جانب الروسيين . وكان من عواقب تلك الحروب اختلال العلائق الودية بين الروسيين والعثمانيين وقامت الحرب بين الفريقين سنة ١٧١١ واظهر بطرس في تلك الحرب شجاعة الابطال وكذلك امرأته كاتربنا فانها كانت تركب امام الجند تشجعهم وتزور الجرحى وتسعفهم ولكن العثمانيين ضيقوا عليهم كثيراً وخصوصاً في موقعة البروث ولولا حكمة كاتربنا وتدبيرها بعقد الصلح مع العثمانيين لما عاد من الروسيين مخبر . ومن مقتضى تلك المعاهدة عود مدينة ازوف وما يلحق بها من الضواحي الى كنف الدولة وهدم عدة قلاع صغيرة واقعة على نهر ازوف ولما تمّ الصلح على هذه الصورة عاد كل من الفريقين الى حال سبيله

ولم يفارق السعد بطرس الا في محاربته الدولة العلية اما فيما خلا ذلك فكان السعد خادماً له وقلما قام لحرب الا عاد ظافراً وعلى الخصوص مع الاسوجيين

ولما هدأ بطرس من الحروب عنّ له ان يتجول في بلاد اوربا بصفته الملوكية يتفقد احوالها ويتدبر شؤونها فلما وصل امستردام سار تواً الى المعمل الذي تعلم فيه صناعة السفن منذ ١٨ سنة فاذا به قد تحسن عن حالته الاولى ولا تسل عما لاقاه هذا الامبراطور من الاحتفاء في تلك المدينة لانهم كانوا قد عرفوهُ قبلاً بصفة عامل في معاملهم وكان كلما زار مدينة لاقى احتفالاً يليق به ولا سيما في فرنسا وانكلترا ثم عاد الى بلاده

وكان لبطرس ولد اسمهُ الكسيس من امرأتهِ الاولى (غير كاترينا) وكان ذميم الاخلاق مسرفاً وقد تزوج بامرأة فاضلة ماتت ضحية قساوتهِ عقيب ولادة فشق ذلك على بطرس فكتب اليهِ يوبخهُ وينهاهُ عن غيهِ ويتهدده بحرمانهِ من ولاية العهد اذا لم يكف عن غرورهِ ومما قالهُ لهُ «اني امهلك فترة من الزمن لتقلع عما انت فيهِ فاذا اصررت على غيك فاني محرمك من حق الملك ولا يغرنك مني الحنو الابوي لاني ابذل نفسي عن وطني فكيف لا افتدي بوادي وخير لي ان اولي امر بلادي اجنبياً يصونهُ من ان اعهد بهِ الى ولدي واعز الناس عندي ويهدمهُ لان شعبي ووطني اعز شيءٍ عندي»

وكان قد ولد لبطرس اثناء ذلك غلام من كاترينا فكتب اليهِ الكسيس انهُ يتنازل عن ولاية العهد لولده الجديد فكتب اليهِ بطرس «قد اطلعت على كتابك فاذا انت تخاطبني في امر الولاية بعدي كاني استفتيك بها وقد قلت لك انهُ يهمني من امرك ما انت فيهِ من سوء التصرف وقد اوعزت اليك ان تصرف عن ذلك فلم تجبني فقد كتبت اليك كتابي هذا وهو آخر كتبي اليك . فبالله ما الذي تفعلهُ بلادي بعدي وانت تحتقر نصحي فلا اشك بانك تدوس كل مشروعاتي وتميت كل مقاصدي وانا اعلم انك لو وعدتني الوعود الوثيقة بعدولك عن غيك لا تلبث بعد موتي حتى تعود الى غوايتك اذ يعدل بك اصحاب اللحى (القسوس) الى اغراضهم ويحملونك على نقض ما ابرمتهُ لانهم واثقون ان ينالوا اغراضهم بواسطتك لما يرونهُ من ميلك الى مواساتهم فما قد عققت نعمتي ولم تطعني فيما اردت من الخير لبلادك منذ بلغت اشدك فالبدار الى اصلاح هذا الحال واسع في ما تصير بهِ اهلاً لولاية الملك بعدي والا فالانتظام في سلك الرهبنة اولى بك والاقامة بين الرهبان اقرب الى طباعك فعليك بالاجابة على هذا والا فاني اعاملك معاملة الاشرار المتمردين والسلام»

فاجابهُ الكسيس انهُ يفضل الترهب وعوَّل على الفرار من وجه ابيهِ حتى يسكن غضبهُ فشق ذلك على بطرس ولكنهُ عمد الى التروي وطول الاناة وكتب الى ولده يستقدمهُ اليهِ ويتضمن لهُ ان يطيعهُ فخاف الكسيس عقاب والده فجاءَ في موسكو سنة ١٧١٨ وتقدم الى والده وجثا عند ركبتيهِ وقبلها ثم جلسا يتحادثان فظن الناس انهما تصالحا

وفي الصباح التالي امر بطرس بتسليح فرقة من الحرس وضرب الجرس الكبير وكان لا يأمر بضربه الا لامر ذي بال وبعث الى اكابر الدولة واعيانها فحضروا الى دار الحكومة ثم امر بالكسيس فجاؤوا به مجردًا من سلاحه فلما مثل بين يدي والده جثا امامه باكيًا ودفع اليه كتابًا يتضمن الاعتراف بخطائه والتماس اعفائه من ولاية العهد وحقن دمه

فامسكه الامبراطور بطرس بيده واوقفه ثم خلا به في غرفة مدة يسأله بعض الاسئلة ويتهدده بالقتل اذا لم يجب عليها الجواب الصريح ثم عاد به الى حيث المجلس منعقد وقرأ اعلانًا يتضمن مؤاخذته ولده لعدم اعتنائه في التعلم وقبح سلوكه مع زوجته وميله الى فتاة من رعاع الناس وذهابه الى فينا ودخوله في حماية النمسا وقال انه بذلك قد هتك حرمته وخانه وبنى على ذلك استحقاقه للقتل ولكنه يعفو عنه شفقة عليه واما ولاية العهد فحرمه منها رسميًا امام ذلك المجلس فأذعن الكسيس معترفًا باستحقاقه لذلك . ثم عاد بطرس ففكر بعاقبة الامر فرأى ان وجود الكسيس حيًا بعد موته يكون سببًا لعوده الى التمرد ومناظرة اخيه على الملك فتعود الفتن وتصبح البلاد في خطر السقوط فعاد الى استنطاق ولده ليستعلم منه عن الاحزاب التي كانت تنصره في اعماله الماضية وبعد البحث والتنقيب تبين للناس من اقراره انه كان مقاومًا لمقاصد ابيه ويود قتله والتولي مكانه وان بعض القسس وافقوه على ذلك

فوقف بطرس في الجمهور وقال ما نخصه

« ان الشرائع الالهية والقوانين البشرية تمنع افراد الرعية من الحكم على اولادهم اما نحن فلنا السلطة المطلقة في الحكم نظرًا لما ظهر من اعمال ولدنا الكسيس ولكن لما كان الطبيب الماهر لا يخاطر بعلاج نفسه بنفسه بل يدعو طبيبًا آخر فاخشى تهوري في حكمي على ولدي هذا ولا سيما بعد ان اقسمت بالله ان اعفو عنه فاتقدم اليكم ان تحكموا عليه بمقتضى حقوق الدولة والامة والوطن ولا تسلكوا سبيل التمليق »

فاجاب القسوس ان هذه القضية ليست من متعلقاتهم وان للملك وحده حق الحكم فيها ولكنهم دخلوا في جوابهم هذا ما يدل على ميلهم الى العفو عنه .

وبعد الاخذ والرد وتكرار جلسات المجلس مرارًا اقروا على اعدام الكسيس وكان المجلس مؤلفًا من ١٤٤ عضوًا وارادت كاترينا التوسط في العفو عن فتاه فلم يصغ بطرس الى كلامها

ولما صدر الحكم احضر ولده وقرأ صورة الحكم علانية على مسمع من الجميع وفي جملتهم الكسيس فاصابته تشنج غيبه عن هداه ولما فاق طلب مواجهة ابيه وبكى الاثنان بدموع الندامة والحنو وطلب الولد من ابيه فعفا عنه علانية ولكنه مات بحضور ذلك الديوان في اليوم الثاني من قراءة الحكم

ولم نأتِ على تفصيل هذه الحادثة بنوع خاص الاَّ لانها تدل دلالة صريحة على عدالة بطرس وحبه لرعيته ورغبته في مصلحتهم حتى بذل ابنه الاكبر فداء عنهم ولا ننكر ما في عمله هذا من القساوة والمغالاة في الصرامة ولكنه اوقع الرعب في قلب الرعية كافة وجعل للعدالة تمثالاً حيًّا نصب اعينهم اما ولده الآخر فلم يعش الا اربع سنوات

وآخر حرب حضرها هذا الرجل العظيم حرب الفرس ولما عاد منها وقد صفا له كاس الزمان واتسعت مملكته اراد ان يتوّج امرأته كاترينا في ذلك لانها شاركته في اكثر اعماله الحربية فتوجها في ١٨ مايو (ايار) سنة ١٧٢٤ فتذكرت وهم يضعون التاج على راسها في الكنيسة ما وصلت اليه من النعم بعد ان كانت من احقر الناس فاحنت لتقبيل ركبة القيصر فمنعها

وفي اول السنة التالية (١٧٢٥) اشتد المرض على بطرس ومات على ذراعي كاترينا ودفن بالتجلة والاكرام وخلفته امرأته كاترينا على سرير الملك

كان بطرس الاكبر ثابت العزم رابط الجاش حسن التبصر بالعواقب حازمًا مجدًا صبورًا على العمل هامًا نشيطًا وكان قوي البنية لطيف المزاج جميل الخلقة طويل القامة معتدلها ذا هيبة ووقار مقدامًا لايخشى المصاعب والاهوال ولو كان ممن تربوا تربية حسنة وتثقفوا في المدارس من صغره لاوصل بلاده الى اكمل مما اوصلها اليه وكان في زمن شبابه يحب الزهو ومعاشرة النساء وربما كان ذلك من اشد العوامل في تهذيب اخلاقه ولين جانبه وكان مع ذلك محبًا للبحث في الامور العسكرية والمباحث السياسية . وبالاجمال انه كان من اعظم بني الانسان

في اطواره . ومن غريب ما يحكى عنه انه كان في صغره يخاف ركوب البحار خوفاً شديداً ولكنه اصبح بعد يسير اول من خاطر في ركوبها عن خبرة وارتياح وخلاصة القول ان هذا الرجل مجتمع الغرائب فقد كان لوطنه امبراطوراً عظيماً ولرعيته اباً حنوناً ولحقوقهم قاضياً عادلاً ولجندهم قائداً عظيماً ولابنائهم معلماً ولصناعتهم مؤسساً ولدولتهم مصلحاً كبيراً رحمه الله وجعله قدوة لسواه



باب المقالات

اثبات وجود الله

القول بوجود الله قضية مسلمة عند الفئة الكبرى من اهل البحث والفلسفة من متاخرين ومتقدمين حتى قيل انها بديهية لا تحتاج الى دليل ولكننا راينا فئة من الناس اخذ بهم التسارع في الحكم فقالوا بخلاف ذلك وكان من انكارهم تلك الحقيقة ما اوجب اقامة الادلة وحدا باهل البحث منذ القدم الى النظر في اثبات وجود الله بالبراهين المنطقية مستندين ذلك الى القضايا العقلية الفلسفية . واما المنكرون المتاخرون فبنوا انكارهم على الظواهر الطبيعية المحضة وقالوا اننا لا نسلم بامر ما لم تؤيده النواميس الطبيعية وتوضحه البراهين الحسية فلمثل هؤلاء قد كتبنا هذه المقالة نريد بها اثبات وجود الله جلّ جلاله بالادلة الطبيعية والبراهين الحسية على قدر ما وصلت اليه معرفتنا آملين ان يقع موقعاً يؤيد الواقع ويوضح الحقيقة وعلى القارىء ان يمعن النظر فيما نأتيه من القضايا التمهيدية ويتدبر ذلك بعين التروي لعله يؤانس في ما يلي جلاء لما يعتقد غموضه ويظن بطلانه والله المهدي الى الصواب

(١)

لا علم لنا بغير ما نتصل اليه بحواسنا

من الامور المسلمة اننا لولا النظر ما علمنا بوجود شيء من المرئيات ولولا السمع ما ادركنا شيئًا من المسموعات . ويقال مثل ذلك في المشمومات والملموسات والمذوقات وبالجملة اننا لولا حواسنا ما علمنا من امر هذا الكون شيئًا والانسان الفاقد الحواس فاقد للتصور ايضًا . اذ ان العقل لا يدرك شيئًا ولا يتصوره الا عن طريق الحواس فاذا فقدها فقد التصور فالاعمى لا يتصور الالوان او الابعاد والاصم لا يتصور الاصوات الموسيقية او غير الموسيقية لان الاصوات وان تكن امورًا وهمية لا صورة لها ولكن لها صورًا وهمية في ذهن الذين سمعوها ولولا ذلك ما استطاعوا التمييز بين الانغام ودرجات الاصوات من الارتفاع والانخفاض وما شاكل . وفاقد اللمس لاصورة للنعومة او الخشونة عنده ولا فرق لديه بين الصلب واللين والجامد والسائل وفاقد الشم لا يميز بين الروائح الكريهة والطيبة ولا يعرف لها صورة في ذهنه ومثل ذلك يقال في الذوق وغيره فلا علم لنا بغير ما نتصل اليه بحواسنا وفاقد الحواس فاقد التصور

(٢)

الحواس متفاوتة في الانسان وتختلف باختلاف الوسائط

قلنا ان الانسان لا يدرك شيئًا بغير الحواس ولكن هذه الحواس تختلف في الناس باختلاف صحة ابدانهم ومدة اعمارهم وتركيب اجسامهم واحوال معيشتهم فاهل البادية ابعد نظرًا من اهل المدن واقوى سمعًا واصحاب الصنائع اليدوية ادق لمسًا من سواهم وقس عليه . ونرى في المدينة الواحدة بل في العائلة الواحدة تفاوتًا كليًا في قوة الحواس بين افرادها فان بعضهم يرى الاشباح عن ابعاد لا يتصورها الاخرون فاذا وقف اثنان على مرتفع ينظران الى الافق وقال احدهما اني ارى طيرًا على تلك الشجرة او

انساناً قادماً من تلك الجهة وقد لا يرى رفيقه شيئاً من ذلك ولكنه لا يجرؤ على تكذيب قوله لعلمه بتفاوت الناس بقوة النظر وامكان رؤية الواحد ما لا يراه الآخر وغاية ما يستطيع قوله اذا سئل انه لا يرى شيئاً واذا كابر وادعى على رفيقه الكذب نعته مكابراً عنيداً . ومثل ذلك لو اختلف اثنان في سماع صوت فقال احدهما انه يسمع اطلاق مدفع لم يسمعه الآخر لبعده وقس عليه سائر الحواس ويدخل في تفاوت الحواس استعمال الآلات المكبرة والمقربة كالتلسكوب والميكروسكوب وآلات السمع وغيرها فقد ادركنا بها ما لم يخطر على بال اسلافنا من الاجرام السماوية والحيوانات الميكروسكوبية ما بهرنا وذهل عقولنا

(٣)

في بعض الحيوان حواس ليست في الانسان

طالما قرأنا وسمعنا عن ادراك بعض انواع الحيوان اموراً لا يمكننا تصورها اخصها ما نسمعه عن الكلب فانه يميز بين الاشخاص تمييزاً عجيباً يعجز عنه الانسان فيعرف صاحبه مثلاً ولو مهما اختلف في شكل لباسه وهيئته وينسب بعضهم ذلك لحاسة الشم ويقول بعضهم ان الكلب يعرف ذلك بحاسة اخرى ليست موجودة فينا وفي كلا الحالين موضع تعجب ناتج اما عن حاسة خصوصية في الكلب واما عن ارتقاء حاسة الشم الى ما ليس للانسان . ومن امثال ذلك حاسة معرفة الجهة في النحل فانك اذا اخرجت نحلة من قفيرها وجعلتها في صندوق وذهبت بها مقفلاً عليها الى مكان بعيد ثم اطلقتها فانها تطلب جهة القفير وتعود اليه من تلقاء نفسها وهذا ما لا يستطيعه الانسان وقس عليه ما تفعله انواع أخرى من الحيوان

(٤)

الادراك متفاوت في الانسان

ومثل تفاوت الانسان في الحواس تفاوته في الادراك وهذا التفاوت يكون بين

الاقاليم والقبائل كما يكون بين العائلات ويكون ايضاً بين الافراد من العائلة الواحدة . واسبابه كثيرة تعود الى اختلاف الاحوال وانواع المعيشة ويظهر في مظاهر تركيب الدماغ وشكله فان في القبائل المتوحشة من لا يدركون من الاعداد ما يجاوز الخمسة حتى انك لا ترى في لغتهم الفاظاً لتاديه ما وراء الاثنين من الاعداد مثل قبيلة من قبائل استراليا الذين عندهم لفظ « نتات » للواحد « ونابس » للاثنين فاذا ارادوا التعبير عن الثلاثة جمعوها فقالوا « نابس نتات » او اربعة فقالوا « نابس نابس » او خمسة قالوا « نابس نابس نتات » او ستة قالوا « نابس نابس نابس » اما السبعة وما وراءها فيقفون عندها مندهشين وتضيق دونهم سبل التصور فيعبرون عنها بقولهم « كثير » وقس عليه الذين يقصرون عن ادراك بعض البديهيات وتدرَّج في ذلك الى التفاوت بين اهل المدينة الواحدة فان في المدينة الواحدة اناساً لا يستطيعون ادراك قضية هندسية فلو حاولت افهامهم مثلاً ان الثلاث زوايا من مثلث تعدل زاويتين قائمتين وجئت بما ادركت من الادلة وبذلت قصارى جهدك في الاقيسة العقلية والبراهين المنطقية اذهبت مساعيك ادراج الرياح مع ان هذه القضية لدى بعضهم لا تحتاج الى برهان او هي بمنزلة القضايا البديهية عندهم ولكن قد يكون بين هؤلاء من يستحيل عليه ادراك قضية من الدرجة الثانية ولو بالغت في ايضاحها لقصر مداركه عن تصورها وبين الذين يدركون هذا النوع من القضايا من لا يدرك القضايا من الدرجة الثالثة ومن الذين يدركون هذه من لا يدرك ما وراءها حتى تصل الى بعض النوابغ الذين يدركون القضايا السامية ولا يدركها من الناس الاَّ نفر قليلون ممن قد بلغت مداركهم اسمى درجات الكمال

ومما يحكى عن مكسويل الرياضي الشهير انه لما كان يدرس الهندسة كان يحسب القضايا الهندسية بديهيات لا تحتاج الى برهان ويفهمها بمجرد النظر اليها فيسرد برهانها من تلقاء نفسه ومثل ذلك يقال عن الفيلسوف اسحق نيوتن الذائع الصيت وكان ادراكه من اسمى ما تصل اليه الانسان فقد وضع من القضايا الرياضية الفلكية ما لم يتصل الناس الى فهمها حتى الآن ويحسبها بعضهم من المستحيلات لعجزهم عن ادراكها او حلها كل ذلك ما يدلك على تفاوت الناس في الادراك ولا يحتاج الى زيادة ايضاح

(٥)

فلا يحق لزيد تكذيب عمرو في قضية لم يدركها هو

فكما ان الذي لم يرَ الشبح عن بعد وقد رآهُ رفيقهُ لا يستطيع تكذيبهُ هكذا الحال في من لم يدرك قضية ادركها غيرهُ لما علمت من تفاوت الناس في الادراك ولولا ذلك ما انقادت الجماعات للافراد في آرائهم ومذاهبهم وهم لم يدركوا حقيقتها ولولا ذلك لبطلت الاحزاب وانحلت عروة المذاهب والشيع اذ يستحيل على كل فرد ان يدرك كل قضية والناس كما علمت من تفاوتهم في المدارك والعقول



(٦)

فلا يحق لنا تكذيب الانبياء ومن جرى مجراهم

روى لنا الانبياء ما شاهدوهُ او سمعوهُ فوقع لدينا موقع استغراب لخروجهِ عن حد تصورنا وبعدهِ عما يقع تحت حواسنا فاختلفت الاحزاب من بيننا فقال جماعة سمعنا واطعنا وقال آخرون بل تلك تمويهات لا اصل لها او هي خرافات لا تطابق ما جريات الطبيعة وقالت فئة انها وضعت لاغراض شخصية وقال غيرهم غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر . اما الرواية فقد رووها وكذلوا لنا صدق رواياتهم وانهم لم يقولوا غير ما شاهدوا او سمعوا او اوحي اليهم فلا يحق لنا تكذيبهم بوجه من الوجوه ولا ان نظن بهم سوءا . اذ قد يكون سبب استغرابنا اقوالهم قصراً في مداركنا لتفاوت الناس في المدارك كما قدمنا فربما ادرك هؤلاء ما لم ندركهُ نحن وغاية ما يمكننا قولهُ اننا لم ندرك ما ادركتم كما قال احد الرفيقين لرفيقهِ « انت نظرت ولكني لم انظر »

ولا وجهة لنا في استغشاشهم اذ يظهر لنا من ترجمة حياة كل منهم انهم كانوا يعتقدون ما يقولونهُ كل الاعتقاد حتى كانوا يعرضون بانفسهم لخطر الموت والعذاب تمسكاً برأيهم وانتصاراً لما اعتقدوا صحتهُ فلو كانوا لا يعتقدون ما يقولونهُ اعتقاداً

حقيقيًا ما تمسكوا بهِ ودافعوا عنهُ حتى قضى بعضهم سنينًا طوالاً في أمرّ العذاب ورضي الآخر بالقتل صلبًا على الرجوع عن رأيهِ وعرض الآخر نفسهُ لعداوة قبيلتهِ وذوي قرابتهِ وهاجر وطنهُ في سبيل تأييد اقوالهِ التي ولا ريب انهُ كان يعتقد واقعيتها اعتقادًا متينًا

ومثل ذلك يقال في من جرى مجرى الانبياء من الفلاسفة والحكماء منذ القدم فكم القوا بانفسهم الى الخطر وذهبوا فريسة السيف والنار دفاعًا عن القول بوجود الخالق العظيم فلا يحق لنا ان نتهمهم بالكذب وهم يعتقدون ما يقولون

(٧)

﴿ اذا اتفق جماعة في رواية ترجح صدقها ﴾

قلنا ان الانبياء ومن جرى مجراهم قالوا بوجود الخالق العظيم ولو اختلفوا في روايتهم او تناقضت اقوالهم اسقطت دعواهم ولكنهم متفقون في الجوهر اتفاقًا تامًا . خذ اقوال فلاسفة المصريين القدماء وفلاسفة اليونان وغيرهم وامعن النظر في وصفهم للخالق العظيم فلا ترى فرقًا بينهم فهم مجمعون على ان تلك القوّة التي اوجدت هذا الكون (وقد دعاها كل قوم باسم) قوة عظيمة موجودة في كل مكان قادرة على كل شيء لا تدركها الحواس . فاتفاق الانبياء وفئة من الحكماء والفلاسفة في رواية او تقرير حقيقة يرجح صدقها بل يؤيده

(٧)

﴿ اقرب الآراء الى الصواب ابسطها تفسيرًا للحوادث ﴾

الحوادث ما نشاهده كل يوم من ما جريات الطبيعة كشروق الشمس وغروبها وهبوب الريح وتساقط الامطار وتركيب العناصر وتحليلها وما شاكل ذلك من اعمال الجذب والدفع والتحليل والتركيب والولادة والموت والمرض والصحة الخ

فاننا نشاهد هذه الحوادث كل يوم ونميل بفطرتنا الطبيعية الى البحث عن اسبابها فنرتاي رأياً ونطابق الحوادث عليهِ فاذا تطبقت واستطعنا تعليل حدوثها بهِ كان الرأي صواباً او قريباً من الصواب والّا فاننا نعمد الى غيره واذا صحّ تعليل الحوادث برأيين تمسكنا بابسطهما لانهُ يكون اقرب الى الحقيقة والحقيقة ليس ابسط منها

وامثال هذه الآراء كثيرة في العلوم الطبيعية كالرأي الجوهري ودوران الارض وكرويتها وخسوف القمر وكسوف الشمس وغير ذلك فترى بعض هذه الآراء بسيطاً سهل التعليل كالخسوف والكسوف يفهمها اصغر الطلبة بغير كبير مشقة ويتلوهما بالصعوبة دوران الارض لانهُ اكثر تركيباً ثم الرأي الجوهري

رأى الناس شروق الشمس وغروبها وحركة الفلك واختلاف موقع الشمس والقمر فحكموا ان ذلك ناجم عن حركة الشمس والفلك برمتهِ وان الارض ثابتة في موضعها وبنوا على هذا الرأي علماً قائماً بنفسهِ واصطنعوا لهُ آلات متعددة ومشى عليهِ الفلكيون زمناً طويلاً لم يعترهم اثناءهُ شك حتى ظهر بعض الفلاسفة الحديثين فرأى القول بثبوت الارض ودوران الشمس والفلك ينافي كثيراً من الحوادث الطبيعية فارتأى دوران الارض وثبوت الشمس والفلك فاضطهده الناس ثم نظروا في رأيهِ بعين البصير المتروي فرأوا انهُ اقرب الى الحقيقة لانهُ ابسط من ذلك ولا يخالف شيئاً من الحوادث الطبيعية فاختاروهُ على الاول وهم عليهِ حتى يظهر لهم ما هو ابسط منهُ واكثر تطبيقاً للحوادث

ورأى العلماء الطبيعيون ان الاجسام سائرة في التركيب والتحليل على نمط واحد فلا تتركب العناصر بعضها مع بعض الّا بنسب معلومة غير قابلة التغيير تعرف بالاوزان الجوهرية او التكافؤ ورأوا بين كثافة العناصر ووزنها النوعي ووزنها الجوهري نسبة ورأوا غير ذلك مما ليس هنا محل الكلام عليهِ فاخذوا يبحثون عن رأي يعللون بهِ تلك الحوادث الكيماوية فارتأوا آراء متنوعة انتهت الى ما يعرف بالرأي الجوهري فقالوا ان كل المواد التي تدركها الحواس من جامدة وسائلة وغازية مؤلفة من اجزاء لا تدركها الحواس لصغرها دعوها جواهر فردة وذهبوا الى ان هذه الجواهر متساوية حجماً ومختلفة وزناً غير قابلة الانقسام او

التجزؤ او الاحتكاك تتحرك دائماً في سائل لطيف جداً دعوه اثيراً وقد وضعوا كل ذلك موضع الحقيقة وهم لم يروا ذلك الجوهر ولا ادركوا شيئاً من ابعاده او حركاته وانما اركنوا الى التسليم به لانهم آنسوا فيه تعليلاً للحوادث الطبيعية. فقالوا ان سبب تركيب العناصر الكيماوية على نسبة ثابتة انما هو لان التركيب يحصل بين الجواهر وهي ثابتة الوزن غير قابلة التجزؤ وذهبوا الى اسباب الحرارة والنور والكهربائية بانها متوقفة على حركة تلك الجواهر فتظهر تلك الحركة بمظهر الحرارة اذا كانت اهتزازية وبمظهر النور اذ كانت خطرانية وبالكهربائية اذا كانت غير ذلك وقس عليه تعليل سائر الظواهر الطبيعية. وقد ارتاحوا الى هذا الرأي وسلموا بصحته تسليماً يقرب من اليقين وهم مع ذلك لم يدركوا شيئاً من حقيقة ذلك الجوهر بحاسة من حواسهم ومثل ذلك يقال في سائر الآراء الطبيعية. فلا يمنع قصورنا عن ادراك رأي التسليم بصحته

(٩)

✻ من الآراء ما نحتاج اليه لتفسير الحقائق الطبيعية ومنها مانحتاج اليه لتفسير الحقائق العقلية والادبية ✻

وما يقال في الحوادث الطبيعية يقال في الحوادث العقلية والادبية فان تقسيم القوى العقلية الى الذاكرة والادراك والحكم وغيرها لم يكن الا رأياً ارادوا به تعليل الاعمال العقلية المختلفة وهكذا ايضاً الحوادث الادبية مما يضيق المقام عن استيفاء شرحها

(١٠)

✻ اقرب الآراء الى الحقيقة اعمها تفسيراً للحوادث ✻

لان الرأي الذي يفسر لنا حادثتين اقرب الى الحقيقة من الذي يفسر حادثة واحدة وأقرب منه الذي يفسر ثلاث حوادث وهكذا كلما تعددت الحوادث المنطوية تحت ذلك الرأي فانه يقرب من حقيقة على نسبة تعدد الحوادث التي تنفسر به فاذا ارتأينا رأياً فسرنا به الظواهر الجوية ورأياً آخر عللنا به الظواهر الكيماوية

وآخر للظواهر الطبيعية ثم رأينا رأياً تنفسر به جميع هذه الحقائق معاً فاننا نحكم بان هذا الراي أقرب الى الحقيقة من الآراء السابقة . واذا رأينا رأياً عللنا به جميع هذه الظواهر والظواهر العقلية والادبية تحقق ادينا ان هذا الاخير اقرب الى الحقيقة من الجميع

(١١)

لدينا كثير من الظواهر الطبيعية التي لم نستطع تعليلها حتى الآن

قد ذكرنا فيما تقدم الظواهر التي استطعنا تعليلها بالآراء والفروض ولكن كثيراً من الحوادث الجارية في الطبيعة قد عجز العلم والفلسفة عن تعليلها . اخصها الاعمال الحيوية فالعلماء حتى الآن لم يفهموا كيف وجدت الحياة ولا كيف تولدت الامراض وقد تاهوا في فيافي البحث فلم يهتدوا الى كيفية التراكيب العضوية . فهم يعلمون ان النشاء والسكر والالياف النباتية والصمغ وغيرها مركبة من عناصر على نسبة واحدة فيها كلها ولكن مداركهم قصرت عن ادراك سبب اختلاف ظواهر هذه المركبات وقس عليه امثال ذلك في المركبات الحيوية على اشكالها . ولا تسل عن عجز الكيماويين عن استحضار تلك المركبات بما لديهم من الوسائط الكيماوية الحاضرة

هذا فضلاً عما لا يحصى عد من غوامض الطبيعة ولا سيما اصل الوجود وحدود هذا الكون وكيفية صيرورته الى هذا النظام وما سيصير اليه في مستقبل الايام . فان فلسفتهم قاصرة كل القصور عن ادراك كنه ذلك ولا نظنهم يدركونه في مستقبل الايام

(١٢)

القول بوجود الله بكامل صفاته يعلل الحوادث الطبيعية والعقلية والادبية مهما تفاوتت في الغموض

فالقول بوجود الخالق العظيم وبانه موجود في كل مكان وقادر على كل شيء يعلل كل ما ظهر وغمض من علل هذا الكون وهي حقيقة بسيطة تطابق

النقل وتوافق احكام العقل ولو قصرت حواسنا عن ادراكها وتقاعدت عقولنا عن تصورها ومن تأملها بعين البصير يعلم انها ابسط الحقائق واعمها تفسيرًا للحوادث وهي من اقدم ما ذهب اليه الفلاسفة على اختلاف ازمانهم ودرجات عقولهم

هذا ما وصلنا اليه بالاستقراء عقلاً ونقلاً ملتزمين جادة الايجاز وفوق كل ذي علم عليم

النهضة المصرية الاخيرة

كان المصريون في اقدم ازمانهم مصدر العلم والمعرفة ومنشأ التمدن والحكمة وسلاطين العالم المعمور حتى اذا كانت دولة الروم وتسلط الاجانب عليها ذوت اغصان مجدها وانحطت سلطة العلم فيها وتسلط عليها سلطان الجهالة حتى كانت تصير الى الدمار فقيض الله لها دولة الاسلام العربية فرفعتها من حضيض الدمار الى عرش المجد ثم دخلت في سلطة الاكراد ثم الشراكسة حتى اذن الله بانضمامها الى الممالك المحروسة العثمانية . وقد كان من بعدها عن دار الخلافة وصعوبة المخابرات في الاجيال الماضية ما حدا بها الى تمرد حكامها من الامراء المماليك فشقوا عصا الطاعة وساروا على خلاف ما يريده جلالة السلطان الاعظم ثم ظهر نابوليون بونابرت في أواخر القرن الماضي ففتحها ولم يمكث فيها زمنًا حتى خرج وعادت الى كنف الدولة العثمانية ثانية . ولكنها لم تنشط من عقال الجهالة حتى تولى اريكتها ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا

فيبتدي تاريخ الاصلاح الاخير في مصر من يوم تولي البطل القوالي المتقدم ذكره مؤسس العائلة الخديوية الكريمة لانه ادخل في هذا البر من الاصلاحات الزراعية والصناعية والتجارية والسياسية والقضائية والعلمية وغيرها ما لا يحتاج الى دليل وما زالت الحالة العمومية سائرة نحو الاصلاح خطوة بعد أخرى حتى صارت مصر تباري الممالك الاوروبية بانتظام ادارتها وكثرة مدارسها وترقي شأنها

ولكن تلك الاصلاحات على اختلاف انواعها قد دخلتها على يد رجال من اهل اوروبا كانت تنتدبهم الحكومة المصرية لانشاء المعامل وتنظيم المدارس على انواعها وتهذيب الجند وغير ذلك من الاعمال التجارية والصناعية والهندسية

والطبية والحربية مما تراهُ مفصلاً في كتب التاريخ · فنتج عن ذلك تسلط النفوذ الاجنبي فيها بحكم الضرورة · واما الوطنيون فلا مشاحة في انهم نالوا حظا وافراً من اثار ذلك الاصلاح وادركوا من المدنية شأواً عظيماً الا انهم كانوا لا يزالون يشتكون ضغط رجال الحكومة على كثير من حقوقهم وتقييد افكارهم وحرمانهم مما قد وهبة الله لهم من الحقوق الوطنية وغيرها · فلما تولى الاريكة الخديوية ساكن الجنان الخديوي السابق رحمة الله اظهر من اميالهِ الوطنية واخلاصهِ لابناء الوطن المصري ما استوجب من اجلهِ الثناء بكل لسان فرفع عن عاتق المصريين وافكارهم اثقالاً طالما كانت مثقلة عليهم ومغلة لايديهم فنشر لواء الحرية بين ظهرانيهم مجاهراً بحبهِ الوطن وابناءهُ فنهض المصريون وعكفوا على التمتع بملاذ الحرية الشخصية ومالوا بكليتهم الى تأييد النزعة الوطنية وكانت تلك نهضة وطنية توسم الناس فيها حسن المآل · ولكن تلك الحرية جاءت مسرعة قبل اوانها فصادفت قلوباً تئن من ثقل الضغط عليها فلما آنست راحة انفجرت وتاهت في فيافي الحرية ولم تعد تعرف لها حداً فآلت الى ما لا تحمد عقباه من الثورات وسفك الدماء وتداخل الاجانب في ادارة البلاد

على ان ذلك لم يمنع اكتساب المصريين الشعور بالاستقلال العقلي وادراك كنه الوطنية وحقوقهم فيها ومنزلة الاجانب منهم ولكن ذلك لم يكن ليؤثر شيئاً في ترقية شأنهم لو لم يصادفوا من سمو الخديوي الحالي عباس باشا الثاني رجلاً عارفاً كنه التمدن الحقيقي لما توسع فيهِ من العلم والمعرفة واختبار احوال الممالك المتمدنة اختباراً شخصياً

فنتج عن ذلك النهضة المصرية الاخيرة اذ نرى اخواننا المصريين على اختلاف طبقاتهم عاكفين على انشاء الجمعيات والشركات وتأليف الكتب وانشاء الجرائد السياسية والعلمية والصناعية والزراعية ما لم يكن لهُ مثيل قبلاً فلا يمرُّ يوم لا نسمع فيهِ عن انشاء جمعية خيرية او علمية او تأليف كتاب او انشاء جريدة علمية او سياسية او طبية او هندسية او زراعية ونرى حكومة الجناب العالي تمهد سبل النجاح لكل تلك المشروعات ادبياً ومادياً

ومما نذكره انهُ لم يكن في القاهرة منذ ست سنوات من الجمعيات الادبية الا جمعية

الاعتدال على ما نعلم وكنا نرى الناس يتقاطرون اليها افواجاً لاستماع الخطب والمباحثات وقد ادركنا من مبادئهم الى تلك الاجتماعات اذ ذاك ما تنبأنا بقرب حدوثه من عكوفهم على انشاء الجمعيات حتى صارت الآن تعد بالعشرات على اختلاف المواضع والمقاصد

اما الجرائد فلم يكن منها الاَّ عدد قليل ولا سيما المجلات العلمية ولم يكن منها اذ ذاك الاَّ مجلة المقتطف الغرّاء ومجلة اخرى او اثنتان حديثتان

اما الآن فهذه الجرائد على اختلاف نزعاتها ومواضيعها تعد بالعشرات ولا سيما المجلات العلمية والادبية فقد صدر منها في اثناء هذين الشهرين في القاهرة بضع عشرة مجلة مما لم يحدث له مثيل في التاريخ المصري اما الجرائد السياسية فلولا صعوبة نيل الرخصة بها لرأيت منها اكثر مما ترى باضعاف الاضعاف

ولا مشاحة ان الزمن الذي نحن فيه الآن من الازمان التي يفتخر التاريخ بتدوينها فانها نهضة مصرية نرجو ان لا يفارقها الثبات لان الملل آفة العمران فاذا ثبت اخواننا في الخطة التي هم سائرون فيها لا يلاقون من ولي نعمتهم الاَّ اكبر منشط لهم وايقظ ساهر على مصلحتهم ونحن نبشرهم بالسعادة التي طالما تاقت نفوسهم اليها وتتوق اليها نفس كل حرٍّ صادق

باب المراسلات

الزواج بالمراسلة

اشرنا في العدد الماضي الى سؤال ورد علينا من طنطا بشان الزواج بالمراسلة ونصه

جناب صاحب امتياز جريدة الهلال الافخم

بعد تقديم اوفر الاحترام لجنابكم نعرض ولا بد ان تكونوا اطلعتكم في العدد ٤٤٤٦ من جريدة الاهرام على اعلان تحت عنوان طالبي زواج وبما ان الاعلان المذكور اخذ شهرة عظيمة ولكون حضرتكم من رجال العلم المشهورين ونحن من مشتركي جريدتكم الغرّاء قصدنا معلوميتكم مؤملين ان تعلقوا شرحاً وافياً وتبدوا

افكاركم باستحسان هذا المشروع او انتقاده من وجهيهِ الادبي والمدني · لان كثرة التحارير الواردة من عموم جهات القطر المصري تدل على الاستحسان وسلفاً نقدم تشكراتنا لحضرتكم ودمتم
الامضاء

طنطا في ٢٣ اكتوبر سنة ٩٣ ١١٠٢

(الهلال) الزواج عقد ارتباط يبرم بالارادة تحت شروط معلومة بين الرجل والمرأة غايتهُ حفظ النوع

وكيفية التوصل الى عقد ذلك الارتباط تختلف في كل قوم باختلاف عوائدهم واخلاقهم وازمانهم اما في مصر وسوريا فكانت العادة ان يتزوج الشاب اعتماداً على شهادة والديهِ او احد ذوي قرباه او معارفهِ · وسبب ذلك في الغالب ميل اهل هذه البلاد الى التحجب فلا يستطيع الشاب مشاهدة الابنة الأخاطبة لا تفيده في معرفة اخلاقها ومداركها شيئاً فلا بد له من الاعتماد على شهادة والديهِ او احدى صاحباتها فيقصصن عليهِ ما شاهدنهُ من سواد عيني تلك الفتاة وبياض وجهها ولين قوامها فيؤثر ذلك الوصف في عقلهِ على نسبة ما بالقوى فيهِ وما تحمل له فيبعث والديهِ او بعضاً من ذوي قرباه ليعقدوا له عليها وقد لا يراها حتى يتم الاقتران · ولا يخفى ما في هذه العادة من الخطر اذ ربما كان بين الزوجين تنافر في الطباع يجعل حياتهما اشقى من حياة ساكني السجون

ولكن هذه العادة قد اخذت بالزوال ولا سيما بين المسيحيين فصار الشاب يتردد على بيت الابنة اياماً ويتحرى سيرتها واخلاقها بنفسهِ فاذا تحقق لديهِ موافقتها له عقد عليها وهي العادة الجاري عليها اهل اوروبا كافة والمظنون انها افضل وسيلة واحسن طريقة الآ اذا تخللها من الشطط والتهور والاساءة ما يجعلها اخطر من العادة الاولى

اما الزواج بالمراسلة فعادة حديثة في اميركا واوروبا وقد سمعنا ممن زار تلك الاصقاع وقرأنا في جرائد القوم ان السيدات ايضاً يعرضن امر الزواج ويطلبن ازواجاً يشترطن فيهم شروطاً محدودة كما يفعل الرجل وقد يرفق الرجل او المرأة اعلانهُ برسمهِ ولهم في ذلك اساليب وطرق متنوعة وفي كل حال فالشرقاه منهم يستنكفون من الاتيان بمثل هذا الزواج

اما في بلادنا فلم نسمع بحصولهِ الَّا مرة وعلمنا بعد ذلك انها كانت على سبيل المجون او المزاح

وقد اوعز الينا بعضهم ان هذه المرة ايضًا من قبيل المجون فانكرنا عليهِ ذلك وربما انكرناه على انفسنا او حدثنا بشيء من مثلهِ اذ يبعد عن اعتقادنا ان يكون بين شباننا من لا يعرف للعرض قيمة ولا يراعي للمخدرات حرمة فيستنزلهنَّ الى مكاتبتهِ ويغريهنَّ على مساومتهِ استجلابًا لضحكهِ او تمضية لساعات بطالتهِ . على ان مثل هذا لو وجد بيننا فالتجاهل عن وجوده اولى بنا والتعامي عن معرفة اسمهِ افضل لنا . وما شأننا فيما نقولهُ الَّا شان الناظر الى ما قيل لا الى من قال

وقد آن لنا الآن ان نجيب على سؤال حضرة المقترح فنقول . اما رأينا في هذا الامر فعلى خلاف ما اورده حضرتهُ ولا نحسب الزواج بالمراسلة الَّا شيئًا بعيدًا عن اذواق المشارقة ومضرًّا بهم ادبيًا ومدنيًا ودينيًا

وما الزواج بالمراسلة الَّا اشبه بعقد تجاري يتم بالمساومة لا ينظر فيهِ المتعاقدان الَّا الى وجه الربح المادي فمثل الرجل منهما في ذلك مثل من يعرض مستقبل حياتهِ للبيع بثمن يحدده على نسبة ما تقودهُ اليهِ مطامعهُ من احوال الدنيا كما فعل حضرة نمرو ١١٠٢ لانهُ لم ينظر في طلبهِ من اوجه المناسبة في الفتاة التي يريدها الَّا الى ماليتها وظواهرها وسنها وصحتها فلو كان توفر ذلك في فتاة يضمن لهُ الراحة لكان خيرًا ولكنهُ تجاهل عن امر هو اهم ما تتوقف عليهِ سعادة الانسان او شقاوتهُ نعني بهِ الاخلاق فانها محور حياة الزوجين من السعادة والشقاء اذ قد يكون بين اخلاقهِ واخلاقها تنافر لا تنزعهُ ثروة قارون ولا صحة شمشون ولا يصلحهُ جمال سلمى ولا دلال ليلى ويا لتعاسة الزوجين اذا تخالفت طباعهما وتنافرت اخلاقهما ولا سيما اذا كان زواجهما بالمراسلة بغير ان يجذبهما جاذب المحبة اذ قد يتغاضى المحب عن زلات حبيبهِ وعين الرضى عن كل عيب كليلة

اما الفتاة عند المشارقة فجمالها الحياء وزينتها الصمت فاذا خرجت عنها الى مراسلة طالبي الزواج ومساومة النفوس فقد ابتذلت نفسها وعرضت بضاعتها وكل معروض مهان

فما اجدر ذوات الخدر بالانزواء وراء الف حجاب والصمت عن كل خطاب بدلًا من حسر برقع الحياء وعرض انفسهنَّ عرض السلع وبيع حياتهنَّ بيع المتاع

بتنا بالامس نشكو امتهان السيدات وطلب المهور (الدوتات) ولكننا نشكو اليوم عرضهنَّ للبيع بالمساومة فيا حبذا الحجاب ولو بولغ فيه وربما للعقد على يد الاقارب والاصحاب فان فيه حفظاً لكرامة البنات ورعاية لمقام العائلات

ناشدتك الله اخبرني ايها الشاب كيف ترضى الاقامة مع من زفّت اليك نفسها وساومتك ثمنها وانت تعلم انها لم ترض بك الا يأساً من نيل سواك او رغبة في مجرد الزواج ولا تقل حبّاً بحسن خصالك لانها لم تعرف الجناب الا بالمراسلة . فهل تحسب الزواج ضرباً من ضمان الاطيان او مقاولة على نور يد الفحم لنظارة الاشغال . أليس اوّل شروط ذلك العقد المقدس المحبة الطاهرة وملائمة الاخلاق فاذا خلا منها كان عقداً فاسداً الا اذا جوّزت لنفسك وقررت في ذهنك ان تعمد الى استبدال تلك الزوجة استبدال المتاع اذا لم تؤانس منها ما ترتاح اليه نفسك فتعلن مرة اخرى وتشترط شروطاً اوضح والبلية الثانية شرّ من الاولى

وانت ايتها الفتاة كيف يخيل لك القبول بالمعيشة مع من عرض نفسه لسواك على السنة الجرائد ام كيف تحبينه وانت لا تعرفينه بل كيف تراسلينه ولم تعرفي من اسمه الا ارقاماً

ولو راجعنا تواريخ الاقدمين على اختلاف الطبقات والنزعات من الانبياء الى الفلاسفة فالعلماء ومن الملوك الى الامراء فالصعاليك فاننا لا نرى احداً بينهم قد خطا مثل هذه الخطوة لا سهواً ولا عمداً بل نراهم مجمعين على ان التمنع والحياء افضل ما تتزين به العذارى

اما (التحارير) الكثيرة التي قال حضرته انها وردت عليه وانها تدل على الاستحسان فقد علمنا ان جانباً عظيماً منها مفتعل على سبيل المجون من اشخاص معلومين يريدون استطلاع حقيقة اسم صاحب نمرو ١١٠٢ فلا يعدها حضرته من قبيل استحسان الجمهور لهذا المشروع

هذا ونرجو ان لا يقع كلامنا هذا موقع الاهانة الشخصية لدى احد لا سمح الله لاننا انما نخاطب شخصاً وهمياً وقد احسن حضرة المقترح اخفاء اسمه اطلاقاً للقلم وتوسعة لنا في ابداء رأينا . ولحضرات الأدباء مجال للكلام في هذا الموضوع توصلاً الى الحقيقة وكشفاً عن موضع النقص وفوق كل ذي علم عليم

الهلال

الجزء الخامس من السنة الاولى

اول يناير سنة ١٨٩٣ (١٢ جمادى الثانية سنة ١٣١٠) (٢٤ كيهك سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



الامير عبد القادر الجزائري

« ملخصة من تاريخ سوريا سنة ١٨٦٠ (لم يطبع) تأليف صديقنا الفاضل نعمان افندي قساطلي »

هو الامير عبد القادر ناصر الدين ابن الامير محيي الدين الحسني يتصل نسبه بالامام الحسين (رضه) ولد في شهر مايو (ايار) سنة ١٨٠٧ في قرية القيطنة التابعة لايالة وهران في جزائر الغرب . وكان والده من اكابر العلماء العاملين محترماً

لدى اعيان الجزائر لبسط يده وكرم اخلاقهِ ودعتهِ

وقد بذل قصارى جهدهِ في تثقيفهِ لما آنس فيهِ من الذكاء والدراية حتى انهُ تمكن بمدة قصيرة من اكتساب جانب عظيم من العلم وحفظ القرآن الشريف حفظاً جيداً . واشتهر في السابعة عشرة من عمرهِ بشدة البأس وقوة البدن والفروسة حتى كان يشار اليهِ بالبنان بين الفرسان لمهارتهِ في ركوب الخيل والتلاعب على ظهورها وكان يطارد الخنزير البري في الغابات ويصطاده . على ان كل ذلك لم يشغلهُ عن القيام بواجباتهِ الدينية

وفي نوفمبر سنة ١٨٢٥ صحب والدهُ الى الحرمين لاداء فريضة الحج فمرّا بحاشيتهما بالاسكندرية وزارا القاهرة وفيها المغفور لهُ محمد علي باشا فاكرمهما . ومن القاهرة قصدا الحجاز عن طريق السويس وعرجا بعد الحج نحو دمشق فقضيا فيها زمناً وسارا منها الى بغداد لزيارة مقام سيدي عبد القادر الكيلاني فنالا كل رعاية واكرام . ثم عادا من هناك الى الحرمين ثانية ومنها الى وطنهما فوصلاه في اوائل سنة ١٨٢٨

ولم يزدد عبد القادر بعد هذا السفر الا شغفاً في العلم فاعتزل لفضيلتهِ ولازم الخلوة يطالع كتب العلم والفلسفة فدرس رسائل افلاطون وفيثاغورس وارسطاليس وتعمق في درس الفقه والحديث والجغرافية والفلك والتاريخ وكتب العقاقير وجمع مكتبة من اثمن مكاتب تلك الايام

وفي سنة ١٨٣٠ استولى الفرنساويون على الجزائر ونشروا المنشورات الرسمية بامتلاك البلاد واخراجها من ايدي العثمانيين فشق ذلك على القبائل العربية القاطنة في تلك الانحاء وانتقضوا على الفرنساويين . وكان الفرنساويون تحت قيادة الجنرال برمونت وقد بلغوا جبل الاطلس فاضطروا للتقهقر الى الشطوط واخذوا في تحصينها ثم عادوا فاستولوا على مدينة وهران

ونشأ عن تداخل الفرنساويين وخروج جانب من تلك البلاد من حوزة الدولة العلية اختلال في الاحوال وسادت الفوضى فاجتمع المرابطون ورؤساء القبائل وفي جملتهم الامير محيي الدين والد صاحب الترجمة وتشاوروا في الامر فقر رأيهم على الانضمام الى سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن فبعثوا اليهِ بذلك فوافقهم فدخلت

الجزائر في سلطانو وخطب الجزائريون له وبايعوهُ فغضب الفرنساويون وبعثوا الى مولاي عبد الرحمن يتهددونهُ بالحرب او بسحب جنوده من الجزائر فنفضل الانسحاب فاجتمع كبار اهل الجزائر وتفاوضوا في امرهم فقر رأيهم على ان يقيموا عليهم الامير محيي الدين سلطاناً يرجعون اليو فذهبوا الى القيطنه (بلدتو) وطلبوا اليو قبول اقتراحهم وارادوا مبايعتهُ فامسك عن الاجابة فاصروا عليو وتهددوه بالقتل اذا تمنع فاجابهم على ان تكون تلك السلطة لولده عبد القادر فقبلوا وكان عبد القادر يحارب الفرنساويين في مكان يقال له حصن فيليب فبعثوا اليو وبايعوهُ وسنهُ اذ ذاك ٢٥ سنة فذهب الى الجامع وصلى وحثّ الناس على الطاعة والسير بمقتضى الشرع الشريف والاقتداء بالخلفاء الراشدين (رضه) . واول شيء باشرهُ جمع كلمة القبائل وضمها بعضها الى بعض حتى يقووا على مقاومة العدو الاجنبي واخراجه من بلادهم . وحارب بهم عدة مواقع فاز في بعضها ولا سيما في موقعة وهران فانهُ انتصر فيها انتصارًا مبينًا وكانت الجنود الفرنساوية تحت قيادة الجنرال ميشيل فصار يهابهُ الفرنساويون ويخشون بطشهُ

وكانت فرنسا على رغبتها في التفرد بسلطتها في الجزائر لا تحب المخاطرة بجملة كبيرة من جندها لقهر عبد القادر فاوعزت الى الجنرال ميشيل ان يعقد معهُ معاهدة صلح فخابرهُ بذلك وتمت المعاهدة سنة ١٨٣٤

ولما هدأت الاحوال تفرغ عبد القادر لاصلاح شؤُون داخلية بلاده واعداد المعدَّات الحربية لاعتقاده ان الحرب لا بدَّ من العود اليها فانشأ معامل لعمل الاسلحة وصب المدافع واصطناع البارود ونظم الجند . فاضطرَّ من اجل كل ذلك للنفقات الطائلة فطالب القبائل بالزكاة عن المواشي فانتقض عليو بعضهم ولكنهُ تمكن بحسن درايتو من اخضاعهم ولم شعثهم فاتسعت سلطتهُ وامتدَّ نفوذه فشق ذلك على الجنرال دي اورلين القائد الفرنساوي اذ ذاك فبعث اليو ان يلازم حدوده ولا يمد يده الى خارج وهران فاجابهُ ان دائرة سلطانو غير محدودة بمقتضى المعاهدة المارّ ذكرها . فدارت المداولة بين الفريقين بالمسالمة ولكن مطالب عبد القادر لم تحز قبولاً لدى الفرنساويين فاضمر لهم الشر وامر بعض القبائل المقيمة بجوار وهران ان تنزح الى داخل البلاد فخاف هؤلاء بطش الفرنساوية

وطلبوا حمايتهم فطلب الامير الى الفرنساويين ان لايحموهم فاستاؤوا واشهروا عليه القتال وساروا في خمسة آلاف ماشٍ وعدة من الفرسان وبعض المدافع ولكنهم رأوا من رجاله ما اضطرهم الى الانسحاب حالاً فعلم الامير بجهة انسحابهم فسار للاقائهم في مضيق وهم لا يعلمون فلما بلغوا المضيق هجم عليهم برجاله فابادوا فيهم ولم يبقوا الاَّ على نفر منهم

وكان لهذه الغلبة رنة في باريس وقام الخطباء يحثون الحكومة على ارسال القوات اللازمة لقتال ذلك الامير البدوي وقهره وكان عبد القادر يعرف كل ما يدور في باريس من هذا القبيل لانهُ كان يطلع على الجرائد الفرنساوية بواسطة تراجمة يحسنون فهمها فكان على بينة من مقاصد عدوّهِ

وفي نوفمبر سنة ١٨٣٥ قدمت الجنود الفرنساوية الى وهران لمحاربتهِ فقاتلهم ولكنهُ لم يفز فتفرّق رجالهُ فعاد الى عاصمتهِ (مسكرا) ونزل في بلد على مقربة منها وهو في حالة اليأس الشديد خوفًا من نهوض الفرنساويين عليهِ وكانوا معسكرين في مسكرا فاصبح يومًا وقد اخلوها لغير سبب يعلمهُ فعاد هو اليها ونزلها فعاد اليهِ رجالهُ واشتد ازره واخذ في مقاصة الذين عصوه

اما الفرنساويون فاحتلوا تلمسان فلاقاهم اهلها بالترحاب ولكنهم ضربوا على يهودها ضريبة كبيرة اعتذروا عن دفعها فاجبروهم فندم هؤلاء على التسليم وصاروا يودون العود الى عبد القادر وكان ذلك مما شدد عزم الامير فجاء وطارد الفرنساويين واخرجهم من تلمسان

فغضب الفرنساويون في باريس فبعثوا بالنجدات القوية فحاربها عبد القادر مرارًا ولكنهُ انكسر في واقعة منها انكسارًا رديئًا انتقض من اجلهِ العرب عليهِ وفي جملة المنتقضين قاضٍ يقال لهُ سيدي ابراهيم وكان في نيتهِ خلع عبد القادر والاستيلاء مكانهُ فحمي غضب الامير لتلك الخيانة فجرّد سيفهُ وعلقهُ بسرج جوادهِ وركب واقسم انهُ لا يغمد ذلك السيف حتى يقطع رأس ذلك الخائن. فلما بلغ منزلهُ امر باحضاره فاحضروه وهو يرتعش فضربهُ ضربة قطعت رأسهُ فكان لذلك وقع عظيم في قلوب رجال عبد القادر فاحبوه والتفوا اليهِ واستهانوا الموت في سبيلهِ فحمل بهم على مواقع الفرنساويين وضايقهم مضايقة عظيمة حتى قلت المؤَن

لديهم وقلّت الذخائر لديو

فدارت المخابرة بين الفريقين في ان يتبادلوا التجارة فيبتاع كل من الفريقين ما يحتاج اليو وتمّ الاتفاق على ذلك وهدأت الاحوال

وبعد ذلك بيسير قدم الجنرال بوجيد من جانب حكومة فرنسا الى وهران ببحث الجند الفرنساوي على القتال حتى يبيد الامير ورجالة او يقبل بهذه الشروط وهي

(١) اعتراف عبد القادر بسيادة فرنسا

(٢) تحديد مملكتو الى نهر الخليف

(٣) اداؤه الجزية لفرنسا

فعظمت هذه المطالب على عبد القادر واجاب انهُ لا يحق لفرنسا ان تشترط هذه الشروط وهي ليست المنتصرة في مواقع الحرب معهُ وتهددها فشقّ ذلك على الفرنساويين ولكنهم فضّلوا الصلح على الحرب لعلمهم ان عدوّهم عنيد باسل

وبعد المخابرات والاخذ والرد رأى بوجيد ان الحرب اولى له لانهُ لم يستطع التوصل الى وفاق موافق لدولتو فعرض عساكره فاذا هم لا يستطيعون مناواة عدوّهم فاستأنف المخابرة بشأن الصلح وطال الجدال بشأنو حتى تم القرار عليو في ٣٠ ايار سنة ١٨٣٧ فعقدت المعاهدة المعروفة بمعاهدة التافنا وفي جملة بنودها ان لا يسلم الامير شيئاً من شواطىء بلاده لدولة اجنبية الاّ بعد مشورة فرنسا وان يكون لكل من الامير وفرنسا قناصل في بلاد الآخر

ولما ارتاح الامير من قبيل المعاهدة وجه انتباهه لاصلاح الداخلية وتنظيم مملكتو والاستعداد للحرب لانهُ علم لحسن فراستو ان الحرب لا بد من استئنافها فعصاه بعض القبائل فاخضعهم بالسيف وحسن الدراية وكان الفرنساويون ينصرونهُ عند الحاجة وفي جملة القبائل التي اقلقت راحتهُ بعصيانها قبيلة ارازق ولكنهُ ما انفك حتى اذلها وادخلها تحت لوائو

ثم ابتنى مدينة دعاها تقدمة وجعلها مركزاً تجارياً وانشأ كثيراً من المعاقل ونظم جيشاً على النمط الافرنجي الحديث تحت قيادة قواد اوروبيين وانشأ معامل للمدافع والاسلحة في تلمسان وغيرها واستخرج المعادن ونشط الصناعة والزراعة

والتجارة واخذ بناصر العلم فافتتح المدارس حتى في الاحياء الصغيرة وكان في عزمه انشاء مدرسة جامعة في تقدمة تجمع بين العلوم الدينية الاسلامية والعلوم الحديثة. وضرب نقوداً فضية ونحاسية نقش على احد وجهيها «هذه مشيئة الله وعليه توكلت» وعلى الوجه الآخر «ضرب في تقدمة السلطان عبد القادر» وكان شديد السهر والتيقظ على مصالح بلاده حتى كان يتفقدها بنفسه

ولكن الاقدار لم تسمح باستمرار الامن لان الفرنساويين بعد ان استولوا على قسطنطينة ارادوا مدّ سلطتهم على البلاد الواقعة بجوارها وكانت في حوزة الامير فعارضهم بدعوى ان معاهدة التافنا تقضي له بها فأصروا على عزمهم وأنكروا عليه الامر بتحريف كلمة من كلمات المعاهدة فاستأنف امره الى باريس فلم تنصفه الحكومة الفرنساوية فاخذ على نفسه الدفاع بالقوة وحصن الاماكن التي عليها الخلاف وبعث الى قائد الحملة الفرنساوية والى الموسيو تيرس وزير فرنسا الشهير اذ ذاك ينذرهم بأن الاصرار على طلبهم لا يفيدهم الا سفك الدماء فلم يعبأوا بتهديده ولكنهم قووا جندهم واخذوا يتظاهرون بالتأهب للحرب ظناً منهم انه يخاف عددهم وعددهم فيذعن بدون حرب وكان الامير بالعكس فانه ثبت على عزمه حتى انتشبت الحرب وتقهقر الفرنساويون الى الشطوط

فعظم الامر على الحكومة الفرنساوية وبعثت بالنجدات المتوبة فاشتد أزر الفرنساويين وقاتلوا الامير بجوار جبال الاطلس وتغلبوا عليه وكان جنده على النظام الافرنجي فعدل عنه الى النظام القديم فقوي على اعدائه وأعادهم على اعقابهم وكان يفوز عليهم في كل موقعة ودامت تلك المواقع مدة ست سنوات. فتعبت فرنسا منه وهو لم يتعب فأبدلت قائد الحملة وبعثت القائد القديم الجنرال بوجيد ومعه الجيوش المجيشة ولكنه لم يثبت امام ذلك البطل المغوار

ولما رأى الامير ان البلاد اصبحت برمتها ميداناً للحرب ابتنى مدينة نقالة دعاها الزمالة يلجأ اليها المنهزمون بنسائهم واولادهم ويقيم فيها الصناع والعمال والتجار فحيثما انتقل الجند انتقلت تلك المدينة معهم وهي مؤلفة من خيم جعلها على نظام فاذا نقلت من مكان الى آخر يعرف كل مكان خيمته وامر رجاله ان لا يقتلوا اسيراً واجاز من يأتي بالاسير حياً

وعلم الفرنساويون بالزملة وبما لها من المنفعة للامير ورجاله فاهتدوا اليها بخيانة بعضهم وهاجموها فاحرقوا وقتلوا ونهبوا ولم يبقوا عليها وكانوا قبل ذلك بقليل قد احرقوا تقدمة المدينة التي ابتناها الامير لنفسه

وكان الامير في احراش سيرسو فبلغه خبر حرق الزملة وتقدمة فتكدر كدرًا لا مزيد عليه اعلمه ان ذلك يفلل من نفوذه ويقود رجاله الى الفشل ولكنه اظهر الجلد وقال لمن حوله « لا تخافوا ولا تحزنوا لان اخواننا الذين قتلوا قد مضوا الى النعيم » ثم نهض وجدد قوته بالف زملة جديدة واستنجد حكومة انكلترا فلم تنجده ثم استنصر سلطان مراكش فلم ينصره فاضطر لان يقوم باعماله بنفسه وهو ثابت العزم لا يثنيه شيء ولا يخيفه امر

ولكن فرنسا انجدت جندها واغرت سلطان مراكش على معاضدتها فاشتد الامر على الامير ووقع في وهدة اليأس حتى حدثته نفسه بنشر راية الجهاد والمسير برجاله الى مكة المكرمة تاركًا البلاد خرابًا لجنابها وفيما هو يفكر في ذلك جاءته نجدات عديدة من بعض القبائل فاشتد عزمه وعاد الى الحرب حتى اصبحت الجزائر بجملتها ميدانًا للقتال وما زالت الحال كذلك الى نهاية سنة ١٨٤٦ فمل العربان وانحاز جانب منهم الى سلطان مراكش فاغتنم الفرنساويون تلك الفرصة واثاروا المراكشيين ونهضوا على الامير وقاتلوه فبعثوا اليه جيوشًا حاربته في اماكن مختلفة وكان الامير يقاتل بالامر الممكن لا تثنيه كثرة اعدائه ولا شدتهم ولكنه استاء من خيانة سلطان مراكش فبعث اليه يذكره بالصداقة القديمة فاجابه اما ان يسلم نفسه او ان يرحل الى براري الجزائر فكظم الامير على نفسه وفضل الاعتزال عن الناس على التسليم فاقام على الصلاة وتلاوة القرآن الشريف

وفي اواخر سنة ١٨٤٧ علم بقدوم المراكشيين لغزو زملته ولم يكن فيها اكثر من خمسة آلاف اما المراكشيون فكانوا يزيدون على الخمسين الفًا فخاف الامير على رجاله وان يكن لم يعرف الخوف قبلًا

« سيأتي البقية »



جورج وشنطون

محرّر اميركا

هو من نوابغ القرن الثامن عشر ومن أعظم رجال الحرّية ومقدامهم في الازمنة الاخيرة ولد في ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٣٢ في قرية من قرى اميركا الشمالية في ولاية فرجينيا من عائلة معروفة وتثقف على قدر ما سمحت احوال تلك الايام من العلم والمعرفة ولكنه كان ذا ذكاء وفطنة طبيعيتين فنبغ بين اقرانه وكان ينمو نموًّا سريعًا جسمًا وعقلاً ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى كتب لنفسه كتابًا جمع

فيو مائة وعشر قضايا في حسن السلوك وكان قد تعلم اللغة الانكليزية ثم عكف على درس اللغة الفرنساوية ولكنه لم يستطع درسها كما يجب . ومال من صغره الى الاعمال الشاقة فكان محبًا لركوب الخيل والتجول ثم تعين مباشرًا لبقعة صغيرة من مقاطعة فرجينيا وكان يضطر لتلك المهنة ان يخاطر بنفسه ويقضي اسابيع عديدة في الاحراش عرضة لقاطعي الطرق من هنود اميركا ولكنه كان محبوبًا من جميع اهل تلك الجهة وكان كل يوم يزداد اعتبارًا ووقارًا في قلوبهم

واتفق في أثناء ذلك انتشاب الحرب بين الانكليز والفرنساويين بسبب الاختلاف على الحدود بين مستعمراتهما في اميركا الشمالية وتعين جورج وشنطون في تلك الاعدادات الحربية قائدًا على مقاطعة من مقاطعات فرجينيا مع رتبة بكباشي ثم اضطر لمرض اخيهِ ان يعود بهِ ويعتزل عن الاشغال مراعاة لصحتهِ

وفي سنة ١٧٥٢ توفي اخوهُ فورث منهُ تركة كبيرة وازداد عظمة في عيني نفسهِ وشعر باستقلالهِ وجاء الزمن لاظهار مواهبهِ فتعين في سنة ١٧٥٢ معاونًا لمقاطعة فرجينيا كلها وسار بهيئة مخصوصة الى الفرنسويين ولم يستطع سواهُ ان يقوم بها وقد لاقى في طريقهِ الى معسكرهم من الاخطار شيئًا كثيرًا ولم يكن معهُ الاَّ بعض الجند وصل المعسكر فقوبل بالترحاب ولكنهُ اغتنم فرصة اشتغال قائد الفرنساويين بكتابة الجواب ورسم في ذاكرتهِ هيئة المعسكر وكل خفاياهُ من الحصون والخطوط وقدر قوة العدو

وكان مضمون الرسالة طلب انسحاب الفرنساويين وكان الجواب انهم لا يستطيعون الانسحاب فعاد وشنطون وبلغ الرسالة واطلع حكمدار فرجينيا على خفايا معسكر الفرنساويين وقواتهم وحصونهم فاعادهُ اليهم في جند لاخراجهم وسنهُ الى ذلك الزمن لم يتجاوز الثانية والعشرين

فسار وشنطون بقلب لا يهاب الموت واظهر في هذه التجربة الصغيرة من البسالة والدراية والاقدام ما شهد له ورجاله على انه لم يستطع اخراج الفرنساويين فعاد متقهقرًا مع المحافظة على شرفهِ وشرف دولتهِ

وجرى بعد ذلك عدة مواقع بين الانكليز والفرنساويين اظهر فيها وشنطون اهلية وبسالة ترقى بها الى رتبة اميرالاي . وانتهت تلك الحرب سنة ١٧٥٩

فاعتزل وشنطون عن الاعمال الحربية وقد تعلم فيها ما لم يكن يعلمهُ وتزوج بارملة كان قد احبها واسمها مدام كوستيس كانت مشهورة بالتعقل والتقوى وحسن التدبير ولجأ الى مسكن عائلتهِ القديم في جبل فرنون وانقطع الى الزراعة ولم يكن نشاطه فيها اقل من نشاطهِ في الاعمال الحربية . وكان من القضايا المتبعة عندهُ قولهُ « اذا اردت انجاز عمل فاعملهُ انت بنفسك » فكان يقضي نهاره عاملاً بين غرس وحصاد وخبوالة وصيد

ثم انتدبتهُ الحكومة ليدير الى ولاية اوهيو لقضاء مهمة مدنية وكان حكمدار ولاية فرجينيا قد أبدل بآخر اسمهُ لورد دنمور واتفق ان مجلس اعيان بورجيس اقام الحجة على الحكومة لامر فامر اللورد دنمور بحلهِ فاغضب ذلك جماعة الاعيان فكاتبوا نواب الولايات المتحدة الاخرى للاجتماع والمفاوضة في امر معاملة الحكومة الانكليزية لهم فاجتمعوا اجتماعاً عمومياً في فيلادلفيا في ٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤ ثم اجتماعاً آخر في ١٠ مايو سنة ١٧٧٥ حضرهُ وشنطون وكتبوا الى حكومة انكلترا وشعبها بشأن علاقة المستعمرات الاميركية ببريطانيا واصروا على المدافعة عن حقوقهم واختاروا جورج وشنطون رئيساً لاجتماعهم وقد صمموا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم

ومما كتبهُ وشنطون بهذا الشأن لصديق له قولهُ « يسوءني ان نجرّد سيوفنا على اخواننا وان اصقاع اميركا بعد ان كانت مرتع الراحة والسكينة تصير إما الى مجاري الدماء وإما الى الاستعباد »

وجنّد الاميركان جنودهم واقاموا وشنطون قائداً عاماً في ٢ يوليو سنة ١٧٧٥ لما علموا من بسالتهِ واقدامهِ وعلو همتهِ ودرايتهِ وهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ

فسار بجندهِ الى نيويورك فكمبردج وغيرها وكان حيثما حلَّ تقام له الاحتفالات والاميركان قائمون على ساق وقدم طلباً للاستقلال . وسارت الحملة الاولى لضرب بوستون وكان الاميركان في قلة من المؤن والذخائر والرجال ولولا حكمة وشنطون وكتمانهُ ضعف جندهِ لذهبت آمال الاميركان عبثاً وحبطت مساعيهم ولكنهُ تصرَّف تصرُّف الابطال وصبر صبر الرجال حتى لمَّ شعث رجالهِ واستعدَّ لملاقاة عدوهِ

وفي ٤ مارث سنة ١٧٧٦ هجم وشنطون على حصون بوسطون وتهددها باطلاق النار اذا لم تسلم وبعد المخابرات سلمت الحصون وانسحب الانكليز وعادت عمارتهم ودخل وشنطون المدينة ظافرًا فوردت عليهِ رسائل التهنئة من سائر انحاء الولايات المتحدة لما أُوتيهِ من النصر المبين مع ما كان فيهِ من صعوبة المركز وقلة الجند بالنسبة للانكليز

وسار وشنطون بعد ذلك الى فيلادلفيا واجتمع بمجلس الامة وتفاوضوا في طريقة يتوصلون بها الى اصلاح ذات البين بينهم وبين انكلترا رعاية لسلطانها وبطشها فقال وشنطون « اننا لا نستطيع القيام بمطالب انكلترا وليس لنا أمل بعقد الصلح معها فاما ان نجمع كلمتنا وندافع عن وطننا الى آخر نسمة من حياتنا واما ان نضع اعناقنا تحت اقدام الانكليز ونقول على الحرية واهليها السلام » فوافقهُ المجلس على رأيهِ وتأهبوا للدفاع

وكان الانكليز قد قدموا بعماراتهم لضرب مدينة نيويورك فسار وشنطون بما لديهِ من الجند لدفاعهم ولم يكن هذه المرة واثقًا بالنصر لقلة رجالهِ. ومما كتبهُ الى اخيهِ من نيويورك قولهُ « اننا نتوقع قضاء صيف دموي في نيويورك وكندا ولا أرانا اهلاً للصبر على ذلك بما لدينا من العدة والرجال ولكننا نرجو بحسن نيتنا وصدق دعوتنا ان العناية الالهية التي كانت لنا عضدًا في حروبنا الماضية ستكون معنا في هذه ايضًا »

وامتنعت نيويورك على دوارع الانكليز مدة اجتمع مجلس الامة الاميركية اثناءها وقرر التصريح باستقلال الولايات المتحدة في ٤ يوليو (تموز) سنة ١٧٧٦

فاعتبرت انكلترا اهل الولايات المتحدة عصاة وصرحت بذلك فامست حربها معهم حربًا تأديبية وجرت بينها وبينهم مواقع كثيرة كان النصر تارة لهؤلاء وطورًا لهؤلاء ودامت تلك الحروب ثماني سنوات انتهت بعقد المعاهدة الاخيرة في باريس في ١٩ ابريل سنة ١٧٨٣ وانسحبت الجنود الانكليزية من الولايات المتحدة واستقلت تلك البلاد استقلالاً تامًا

ولما انتهت المواقع الحربية وانعقدت المعاهدة ودع وشنطون اصدقاءهُ ورفقاءهُ في تلك الحروب واعتزل الى منزلهِ في جبل فرنون وعاد الى الاشتغال

بالزراعة والعمل في الحقول ولكن منزلهُ لم يكن يخلو من الزائرين من انحاء اميركا واوربا ليشاهدوا ذلك الرجل العظيم الذي قاد جنود اميركا في طلب استقلالهم . وكان يقضي جانباً من وقتهِ في مراسلة اصدقائهِ ولم يكن شيء اشهى لديهِ من البقاء على تلك المعيشة ولكن الاميركيين اجتمعوا لانتخاب رئيس لجمهوريتهم الجديدة في افريل سنة ١٧٨٩ فوقع انتخابهم بالاجماع على جورج وشنطون قائد جنودهم ومحرر ولاياتهم ومع شدة رغبتهِ في الخلوة لم يسعهُ الاَّ الانصياع الى طلب ابناء وطنهِ ليعود الى خدمتهم مرة ثانية وهو اول رئيس لجمهورية اميركا

ولكنهُ لم يكن يستقر في ذلك المنصب حتى أُصيب بداء شديد وحالما تعافى عاد فاهتم في تنظيم الجمهورية فاسس لها طرقاً تسير عليها وكان كل سنة يطلب الانسحاب والعود الى حقلهِ ولم يتمكن حتى كانت سنة ١٧٩٦ فاصرَّ على الانسحاب ولكنهُ لم يكد يستريح حتى عادوا فالحّوا واستدعوهُ للرئاسة بداعي بعض المشاكل السياسية التي لم يكونوا يستطيعون حلها بدونهِ فعاد ثانية

وفي ١٨ دسمبر سنة ١٧٩٩ توفي جورج وشنطون اثر داء عياء ولم يترك نسلاً. ومما يحسن ذكرهُ انهُ كان معاصراً لقائد فرنسا العظيم النابوليون بونابرت فاكرم بهما من قائدين عظيمين يفتخر بهما القرن الثامن عشر

وكان وشنطون مثالاً للهمة والنشاط والتعقل والاخلاص كما يفهم مما تقدم وكان كثير التقوى شديد الاعتماد على الله كثير المحافظة على الوقت ولا يزال الاميركيون يبكونهُ حتى الآن وعلى مثلهِ يحق البكاء فانهُ قد حرر بلادهُ وبذل نفسهُ من اجل ابناء وطنهِ رحمهُ الله

تنبيه . قد الجأتنا كثرة الرسائل في هذا العدد الى اغفال باب المقالات فنرجو من حضرات القراء عذراً وموعدنا ان نعوض عليهم ذلك في العدد التالي ان شاء الله تعالى

باب المراسلات

امتهان السيدات واستبدادهن

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

قد اطلعت على جوابكم المعنون « الزواج بالمراسلة » المندرج في العدد الرابع من مجلتكم الغراء . فاذا بكم قد نطقتم بلسان المشارقة كافة وشرحتم حقيقة ارائهم واستوجبتم شكرهم وثناءهم

وقد أذكرني قولكم « بتنا بالامس نشكو امتهان السيدات الخ » مسألة طالما خامرت ذاكرتي وكثيراً ما ترددت في فهم حقيقتها وهي اننا من جهة نشكو امتهان السيدات وطلب الدونات ومن جهة اخرى نشكو استبدادهن وتقدمهن على الرجال في المعاملات والمعاشرات والاجتماعات فاذا مشت مشى الى يسارها واذا دخلا دخلت امامه واذا جلسا كانت الجالسة اولاً واذا تكلما تقدمته بالقول والرأي الى غير ذلك مما اكتسبناه من عوائد الافرنج . ولم اكن اهتدي الى طريقة اعلل بها هذا التناقض فأتيتكم راجياً ابداء رأيكم في كيف نشكو احتقارهن واستبدادهن في وقت واحد ولكم الفضل   القاهرة   (ر . ن .)

(الهلال) المرأة بالطبع اضعف من الرجل مضطرة للخضوع له . وقد جاء في الكتب المنزلة ان الرجل رأس المرأة وان للذكر مثل حظ الانثيين وقد اتفق الانبياء كافة بوجوب خضوعها له وائتمارها بامره ولكنهم حكموا على الرجل بحبها واكرامها مراعاة لضعفها كأن يكون ذلك من قبيل الشفقة عليها

والعوائد المشرقية وخصوصاً العربية كانت جارية على مقتضى ذلك بالفطرة ولما كان الرجل اقوى من المرأة وله عليها الافضلية شرعاً وطبعاً كان له اولوية الاختيار في امر الزواج فهو الذي يطلب الاقتران وينتقي الفتاة التي تحسن في عينيه فيخطبها من والديها ولم يكن للفتاة شيء من ذلك ولكن الوالدين كانوا مخيرين في قبول ذلك الطالب اما من تلقاء انفسهم او بمشورة ابنتهم

ولما كان الرجل لا ينتقي لنفسهِ الاَّ ما يكون موافقاً لهُ وهو في الغالب لا يطلب الاَّ من يتراءى لهُ انها افضل من سائر ابناء صنفها مع مراعاة النسبة بينهُ وبينها كان مطالبًا بارضائها وارضاء والديها فنتج عن ذلك ان يتوخى الشاب كل ما من شأنهِ ان يقربهُ من رضاء التي ارادها قرينة لهُ وذلك طبيعي جارٍ في سائر انواع الحيوان من ادناها الى اعلاها فان الذكر فيها كلها هو الطالب وهو الذي يبذل جهدهُ في ارضاء التي يحبها حتى اصبحت ذكور الحيوانات على توالي الازمان اجمل من اناثها وهذا ما يدعوهُ علماء الحيوان بالانتخاب الجنسي لان الذكر لما كان هو الذي يطلب الانثى كان يميل بطبيعتهِ الى تحبيبها بهِ وهي لا ترضى بطالب دون آخر الاَّ اذا رأت فيهِ الافضلية فبقي النسل الانسب ونتج عن ذلك بتوالي الدهور اختصاص الجمال في الحيوانات بالذكور وامثلة ذلك كثيرة نشاهدها كل يوم. انظر الى ذكور الطيور فانها اجمل من اناثهِ كثيرًا ابن جمال الديك من الدجاجة والطاووس من الطاووسة مثلاً وهكذا في الحيوانات الاخرى فان الحصان اجمل من الحجر والاسد اجمل من اللبوة كثيرًا وقس عليهِ انواع الكلب والهر وغيرها مما لا مشاحة فيهِ

والانسان لا يخرج من هذه الحيثية عن هذا الاعتبار والرجل بالقياس الطبيعي اجمل من المرأة وقد كان الجمال وحده كافيًا لارضائها في اوائل احوال الانسان ثم أخذت مرضاتها تتنوَّع وتتفرَّع عند كل جماعة باختلاف احوالهم واخلاقهم فالبدوية ترضى بطالبها اذا كان شجاعًا مقدامًا في ساحة القتال محبًا للغزو كريم النفس حسن الضيافة. والحضرية قد تميل خصوصًا الى من كان متصفًا باوصاف الحضارة من الغنى وحسن الزي وربما فضلت بعضهن الغني واخرى العالم واخرى الشجاع واخرى غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر ولكن الرجل في كل ذلك مختار والمرأة مستشارة

أما المهر فسببهُ على ما نظن ان العوائد المشرقية ولا سيما العربية تقضي على البنات ان يكن طوع والديهنَّ في امر الزواج فربما قبلت الفتاة الشاب ولم يقبل والدها بهِ فهي لا تستطيع الخروج عن رضائهِ فكان الشاب اذا احب ابنة يجتهد من جهة ان يحببها بهِ ومن جهة اخرى ان يرضي والديها

فيرضيها بما يراها مهالة اليه من اوصاف الرجال ويرضي والدها ببذل الاموال وهذا ما يدعونه بالمهر . وهو وان اعطي الى الفتاة الا انه جعل في الاصل لارضاء والدها لانها لا حاجة لها بالمال متى صارت زوجة ولا فائدة لها منه لانه ينتقل من جيب زوجها الى جيبها وهما واحد

هذه هي الطريقة الطبيعية في اختيار الزوجين اما الزوجة فلم تكن تجهل مقامها من رجلها لعلمها انه لم ينلها الا لانه اهل لها وقد بذل نفسه وماله من اجلها وهو ايضاً كان يشعر بسلطانه عليها لعلمه بانها لم تقبل به الا لما رأت فيه من الكفاية والافضلية على سواه ادبياً ومادياً

اما (الدوتة) وهي ما يبذله الوالدون لتزويج بناتهم فعادة افرنجية نشأت في اوروبا وسببها على ما نظن معاناة اهل تلك البلاد في الاجيال المتأخرة الحروب المتواترة حتى قل الرجال بالنسبة للنساء ثم انغمس الباقون في الفواحش واباحة امر المومسات حتى اصبحوا لا يعبأون بامر الزواج لاستغنائهم عنه بما احلوه لانفسهم من الامور المحرمة فكسدت سوق البنات وبقي جانب منهن في بيوت والديهن حملاً ثقيلاً عليهم لما يقتضي لهن من بذل الاموال مع ما اخترعنه من ابواب النفقات في تحسين الازياء وانواع الزينة في سبيل ترغيب الشبان بهن فاصبح والدوهن يشكون ثقل ذلك ويخشون الفقر فضلاً عما يلحق بهم من دواعي البلبال فاضطروا لتزويج بناتهم الى ترغيب الشبان بهن فصاروا يبذلون الدرهم والدينار في سبيل ذلك وربما كان ذلك قاصرًا في بادىء الرأي على جماعة قليلة ليس في بناتهم ما يؤهلن للزواج من الاوصاف اللازمة للمرأة فسدوا النقص ببعض الدريهمات ثم امتدت تلك العادة حتى جرى عليها اهل اوربا كافة

اما نحن فقد قضت علينا الايام ان نسير على خطوات اهل تلك البلاد ونقتدي بهم في اعمالهم شأن الضعيف مع القوي فاخذنا عنهم كثيرًا من العوائد الحسنة والقبيحة وفي جملتها هذه العادة

ولكنها ليست من العوائد الملائمة لنا لانها لم تنشأ بيننا ولا استلزمتها حالتنا ولكن قضى علينا الضعف ان نتخذها اقتداء بمنشئيها ولا يخفى على حضرات القراء ما كان لها من العواقب السيئة في سائر الاحوال فان شباننا (ولا نقول كلهم)

اصبحوا عالني الآمال بالاثراء بواسطة الزواج وقد يكون بعضهم من اصحاب المواهب التي لو استعملوها وثابروا على العمل بها لاغنتهم عن اموال الناس وربما صاروا من الاغنياء. ولكنهم يعلقون آمالهم منذ نعومة اظفارهم بنيل (الدوطه) ويقدرون مقدارها وربما ناموا في عالم الخيال وجعلوا يحسبون مقدار ربحها لو تاجروا بها ويضيفون الربح الى رأس المال حتى يخيل لهم انهم اصبحوا من اصحاب الملايين فتكبر نفوسهم وتغل ايديهم عن العمل فيقضون اثمن سني حياتهم في مثل هذه الاوهام فلا يفيقون من غفلتهم الا وهم على شفا جرف يكاد يذهب بآمالهم اذ يشعرون بخلو ايديهم وجيوبهم وبيوتهم واذا ارادوا عملاً لا يستطيعونه لما تعودوه من البطالة والكسل وهم كل سنة اقل املاً بنيل (الدوطه) من السنة الماضية فيدركون سن الكهولة ويدركهم اليأس وهم لا يستطيعون الزواج لان اصحاب الدوطه لا يعطونهم وهم لا يتزوجون بغير (دوطة) لقصر ذات يدهم عما تقتضيه الزيجة من النفقات والمهمات فيعودون بصفقة المغبون وربما ربحت تجارتهم ولا كانوا مهتدين

وهب ان واحداً منهم بعد طول الانتظار تزوج وقبض الدوطه فماذا يعمل بها لا اظنه الا انه يقضي باقي عمره مثل ماضيه وهو خادم لآمال اسيرته التي ابتاعته بدرهمها على انه لو اراد عملاً او تجارة لا يستطيعها او ربما لا توافقه عليها في سبب يخطر لها وقد يخيل لها انها لم تأخذه الا ليقوم بواجب خدمتها واذا عصاها تهدده بالحرمان وربما جمعت عليه الجيران وتهمته بالبلادة والكسل واستجارت بالله من مصيبتها وهي مصيبة باستجارتها لان من كان مثل زوجها خليق بالاحتقار والا ما رضي بالكسل والبطالة استناداً على مال الزواج هذا اذا لم تراع الزوجة سلطة رجلها عليها ولكنها مهما اغضت عن احتقاره فهو لا يستطيع الا احترامها والشعور بفضلها عليه فيجتهد لارضائها بكل ما في وسعه وهذا اكبر سبب من اسباب استبداد السيدات مع ما نشكو من امتهانهنّ وقد كان استبدادهنّ منصوراً في مثل هؤلاء فعمّ الاكثرين الآن وصاروا ينظرون الى المرأة نظرهم الى شخص يستوجب احترامهم وهم يفعلون ذلك ويحملونه محمل اكرامهم لضعفها

ولا بد لنا قبل ختام الكلام في هذا الشأن من التصريح اننا نخطئ طالب الدوطه اذا كان انما يريد الزواج لمجرد الاثراء بقطع النظر عن اخلاق الفتاة

ومنزلتها ونسبها . ولا بد من التمييز بين الدوطه وحق الارث فان بعض البنات يرثن من والديهن اموالاً طائلة وهي حق لمن يتزوجن ام لم تتزوجن فاذا تزوج شاب فتاة لحسن خصالها وكان لها مال بحق الارث من والديها او احد اقربائها بمقتضى الشرع فان ذلك المال لا يعد من قبيل الدوطه اذ انه حق شرعي لها تناله على اي حال ولكن الدوطه المرادة هنا ما يشترط الشاب نيله قبل عقد الاقتران كأنه يقول انا لا اقبل بفلانة الا اذا اعطيتموني المقدار الفلاني من المال وقد لا يكون والدها مالكاً لذلك القدر وربما اضطر لتزويج ابنتهِ الى بيع عقارهِ او الاقتراض من احد بالربا فما شأنه اذ ذاك الا شأن من استأجر خادماً لابنتهِ باجرة كبيرة

وخلاصة القول ان من يتزوج فتاة لمجرد الحصول على مالها بقطع النظر عن خصالها فقد باع نفسه لها والتي تقبل بمن لم يطلبها الا رغبة في مالها فقد قيدت نفسها بيدها واشاعت البلاء بدرهمها . لان الرجل ان لم يكن راس امرأتهِ ورئيس اهل بيتهِ مجلباً لرزقهِ يوشك ان يكون بلاء على اهلهِ وقدوة سيئة لاولادهِ وحملاً ثقيلاً على عاتق ذوي قرابتهِ وصحبهِ والامرأة العاقلة لا تريد الرئاسة على رجلها ولا مفاضلتهُ في شيء بل تود ان تكون تابعة له مقتدية به وان يكون هو مصدر فخرها ومحور افتخارها كما جعله الله وكما نصت عليهِ الكتب المنزلة لا كما قادتنا اليهِ دواعي الحروب وعواقب الفحشاء

ومما تقدم يظهر سبب احتقارنا للسيدات واحترامنا اياهن في وقت واحد

هل الآداب بالطبع ام بالوضع (١)

حضرة مدير الهلال الفاضل

قرأت في العدد الثالث من مجلتكم الغراء مقالة في « هل الآداب بالطبع ام بالوضع » ذهب فيها صاحبها الى الوجه السلبي مسنداً كلامهُ الى كتبة الافرنج

(١) وردت علينا هذه الرسالة في الشهر الغابر بعد اقفال باب المراسلات فاخرنا درجها الى هذا العدد

وآرائهم في هذا الموضوع وإذ قد اباح لنا النظر في ما كتبه اشباعاً للقول ابيت على تسطير هذه الكلمة لا اخرج فيها عن حد المعقول اذا جاوزت المنقول ولا اطلب غير الاستفادة اذا لم احسن الافادة والله الموفق الى الصواب فاقول

ان جل ما كتبه حضرة صاحب الوجه السلبي ينحصر في هذه القضايا الثلاث (١) ان الانسان خلق مجرّداً عن كل مبداء أدبي اي اشبه بالعجماوات في جميع اطواره واحواله الطبيعية (٢) انه اضطر الى المعاملة باسباب متنوّعة وبالمعاملة اضطر الى وضع الآداب (٣) ان هذه المعاني اي الآداب لم تكن تنطبع في الفكر البشري الا على نسبة وقوع نقيضها وهو الشرّ فمذ عمّ هذا والفه الناس عمت تلك المعاني والفها العقل . فينتج عن كل هذا ان الآداب وضعية محضة بدليل تجرُّد الانسان في بدء وجوده عن كل مبداء ادبي واضطراره بعد المعاملة الى الآداب موضوعة على نسبة وقوع نقيضها . وفيه نظر لانه اذا سلمنا بوجود الانسان في البدء على هذه الحالة اعني مماثلا للعجماوات على الاطلاق لزم التسليم بذلك في الحالة الحاضرة لانه من الضرورة على حكم الترقي ان يتبع الواحد الآخر في ارتقائه طالما انطبق التشابه بينهما والتسليم بذلك في الحالة الحاضرة غير ممكن لما لا يخفى من بعد التفاوت بين الجنسين فالتسليم به في الحالة الاولى غير ممكن ايضاً . واي دليل لنا على وجود الانسان في اول عهده مجرّداً عن كل مبداء ادبي اشبه بالعجماوات ونحن نرى ما بين الاثنين من التفاوت . فما الذي صدّ هذه عن مرافقته في نشوئه اذا كان اشبه بها فان للحيوان نفس الاميال الطبيعية التي للانسان من الجوع والخوف والراحة والضعف وغير ذلك ووسائل المخاطبة والتفاهم حاصلة عند افراد كل منهما . بل ما الذي مهد للانسان سبيل الترقي عن الحيوان الاعجم بمراحل يستحيل عليه مجازها اذا كان في عهد وجوده على شاكلته . فلا ريب ان هنالك قوة خلق مميزاً بها عن غيره وهي التي رقته بما فيها من الاستعداد — وهذا ما فات حضرة الكاتب ذكره مع ان العبرة به — وما عساها ان تكون تلك القوّة سوى العقل الانساني الذي فطر عليه والعقل مجتمع للعواطف والعواطف منشأ الآداب . فما قاله حضرة الكاتب من انه (لم يكن يمر بنفسه شيء من العواطف الادبية لعدم اضطراره الى تصوُّرها)

مأخذ للاعتراض لانهُ كما اشرنا خلق ذا عقل والعقل مجتمع العواطف فالعواطف كانت فيهِ بالطبع غير انهُ لم يكن يمر بنفسهِ شيءٌ يؤثر في تلك العواطف الادبية حتى ينبهها فلم يضطر الى تصوُّرها والعلم بوجودها فيهِ فظلت كامنة كمون النار في الزناد حتى أُتيح لهُ الاجتماع فنبهت حالة المعاملة مشاعرهُ اذ ذاك فادرك وجودها فيهِ واضطرتهُ الاحوال اليها في التصرُّف والمعيشة فابرزها الى العمل فالمعاملة اكملت صورة الآداب لا اوجدتها لانها اي الآداب لو لم تكن مطبوعة فيهِ بالاستعداد لما كان اهلاً لان يدرك اسرارها ولما تسنى لهُ هذا الترقي مهما كانت معاملتهُ فلا تكون اذًا وضعية والطبع مصدرها · فلو اخذنا مثلاً ولدًا حديث النشأة ووضعناهُ في قفر آهل بالوحش لا تطأ تربه قدم انسان لشبَّ وشاخ وجاز مراحل العمر أبكم لا يوفَّق الى النطق ولكن لو اتينا به حينًا من الزمن الى عالمهِ الاصلي لاظهرت فيهِ هذه الخاصة شيئًا فشيئًا حتى يصل الى اتقانها اخيرًا · افنقول هنا ان النطق كسبي لمجرَّد تعذره على ذلك المرء عهد اعتزالهِ المعاملة البشرية وانقطاعهِ عنها · فاذا كان هذا فلم لا يصل اليهِ الحيوان الاعجم مع طول مخالطتهِ للانسان . ذلك ما يدل على ان في المرء استعدادًا ليس في ذاك فهذا الاستعداد المطبوع فيهِ لولا المعاملة ما ظهر فعلهُ وكذا المعاملة فلولا اباه ما افادت الولد شيئًا فالفضل هنا في اظهار النطق مشترك بين الاثنين ولكن نسبتهُ الى كونهِ بالطبع اولى لانهُ اقدم وافضل فلولا الطبع لم يكن وضع وهذا امر اوَّلي — وهكذا القول في الآداب فلو لم تدعها ضرورة المعاملة لظلت كامنة في نفس الانسان ولولا استعداده لها بالعواطف الاصلية لما نفعت ضرورة المعاملة ففضل كلا الاستعداد والمعاملة واحد في اظهار الآداب فالافضل اذًا ان نقول بها طبعية لا وضعية لان الوضع صفة طارئة وهيئة عارضة فنسبتها الى الاصل اظهر · ولانهُ يفهم بلا ريب ان للوضع دخلاً في اظهارها اذ انها تترقى دائمًا مع ترقي الطبع بالمعاملة بخلاف ما لو جعلناها وضعية اذ لا يفهم منها الا اكتسابية محضة لا دخل للطبع فيها وهذا تحكم لا يحسن عند البصير

وكذلك النقيض فقد كتب مونتسكيو ما مفادهُ « انهُ لا بدَّ للبشر من العدوان بدء اجتماعهم لما يستدعيهِ كل من القوَّة بنفسهِ والغيرة على صوالحهِ والميل

الى الرئاسة وحب الذات الخ » فهذه العواطف التي تبهت روح الشرّ والعدوان هي بالطبع في الانسان ولكن المعاملة نبهتها فيه قبل الآداب لان الشرّ اغلب على الطبع والنفس امّارة بالسوء فلما احسّ بسلطتها عليه وفعلها به تنبهت مشاعره بما فيه من الاستعداد الى شيء يعترضها ويضادها في الآداب فلو كانت هذه بالوضع اضطرارًا لما بقي لدينا اثر لبعض الافريقيين ممن اعرقوا في الهمجية اذ تضطرهم معاملاتهم الشريرة الى وضعها كبحًا لجماح انفسهم ودفعًا في صدور فنهم كما اضطرّت غيرهم (على زعمه) غير انه لوجودها بالطبع بالاستعداد لم يوفّق اليها هؤلاء لغلبة طبع الشر فيهم عليها ولهذا يعقب مونتسكيو جملة بقوله (فاضطرّ العقلاء منهم الى وضع الشرائع الخ » لان الاستعداد للشرّ كان خفيًا في هؤلاء اي العقلاء فتغلبت العواطف الادبية فيهم اخيرًا واستكملت معداتها بالظهور

ولو مضى حضرة الكاتب في المسألة الى آخرها واتى على جمع اطرافها بايضاح وافٍ لظهر لديه افضلية القول بالوجه الايجابي على ما بيّنا . وهنا تناقض في كلامه اشير اليه قبل انهاء هذه الكلمة فقد قال (فالمرء يكون ساذجًا فطريًا يتحسس الغذاء والمبيت وسائر الحاجات الطبيعية ما تصل يد امكانه اليه ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع الخ » فكيف يفهم معنى الحرص على الذات من كان في هذه الحالة البسيطة من البداوة ام كيف يدرك كنه هذه الحكمة من كان اشبه بالعجماوات — اما كلام مونتسكيو وغيره في هذا الصدد فهو ان مجرّد اللذة وليس الحرص على الذات ما دفعه الى ما نتج عنه بقاء النوع بلا تعمد منه او سابق علم وهذا الاظهر

هذا ما اراه مع العلم بعجزي ولاهل النظر رأيهم في تمحص المسألة مما يكاشفنا اسرار هذه الحقيقة المشتبهة باجلى وضوح

كاتبه

بيروت نقولا فياض



صلاح الدين موقعة سلمت بها يافا . غير ان بيت المقدس كانت لا تزال ممتنعة عليهم وقد اخذ منهم الجوع والعطش ماخذاً عظيماً وجاء فوق كل ذلك الانشقاق فحبطت مساعي ريكاردوس واضطر للعود الى بلاده فعاد في ۹ اوكتوبر سنة ۱۱۹۲ وهكذا كانت نهاية الحملة الصليبية الثالثة

وفي اثناء هذه الحملة حصل ما حصل بين قلب الاسد وصلاح الدين ما يرويهِ لنا التاريخ ويفتخر بهِ الاسلام لما اظهرهُ السلطان صلاح الدين من الشهامة وكرم الاخلاق اذ انهُ كان في حرب مع الصليبيين فعلم ان رئيسهم قلب الاسد مريض فتنكر بلباس طبيب عربي وسار لتطبيبهِ حتى اذا شفي عاد الى حربهِ وتلك شهامة لم يسمع بمثلها ولا يزال الافرنج يذكرونها لصلاح الدين الى هذه الغاية

واتفق لريكاردوس اثناء عودهِ الى انكلترا نوء شديد حطم مركبهُ في خليج البندقية (فينس) ولكنهُ نجا هو فعوّل على ان يمرّ باوربا بصفة حاج عائد من بيت المقدس ودعا نفسهُ الخواجه هوج فوصل الى اربرغ قرب فيانا عاصمة النمسا فكُشف امرهُ هناك فقبض عليهِ ليوبولد دوك اوستريا وكان قد اهانهُ ريكاردوس امام حصون عكا وضربهُ فلما ظفر بهِ الدوك هذه المرة اراد الانتقام منهُ فحجزهُ في قلعة تيرنستين غير ان الامبراطور هنري السادس افتداهُ بستين الف ليرة على ان ينقل الى قلعة في تيرول وما زال في تلك القلعة ١٤ شهراً محجوباً لا يعلم بهِ احد من الناس فبعث اتباعهُ يتفقدون احوالهُ فلم يقفوا له على خبر واخيراً علموا بمقرهِ بطريقة غريبة . وذلك ان ريكاردوس كان قد نظم لحناً في الغناء لطيفاً وكان يحبهُ كثيراً فطاف احد رجال فرنسا واسمهُ بلوندل ضارباً ذلك اللحن على العود عمداً فمرّ بتلك القلعة فسمعهُ ريكاردوس فعلم انهُ ممن يريدون اكتشاف امرهِ فاجابهُ بمثل ذلك اللحن فعلم الرجل ان ريكاردوس هناك . على ان الامبراطور كان قد بعث الى فيليب ملك فرنسا يخبرهُ عن سجن ريكاردوس وبعد جدال طويل افتدى ريكاردوس بمبلغ مائة الف مرك دفعها رجال انكلترا فعاد ريكاردوس الى انكلترا سنة ۱۱۹۴ فاذا باخيهِ يوحنا قد اختلس الملك فلما وصل ريكاردوس خافهُ يوحنا وجاء اليهِ والتمس الصفح فصفح عنهُ بعد ان تداخلت والدتهما في الامر وعاد ريكاردوس الى الملك وقضى باقي حكمهِ بالحروب

مع فرنسا وانفق في سبيل ذلك مبالغ جسيمة كان يجمعها من الشعب حتى قيل انهُ جمع في مدة سنتين مبلغ مليون ومائة الف ليرة انكليزية

وأصيب ريكاردوس في فرنسا بسهم في كتفهِ قادهُ الى حتفهِ ولما جيء اليهِ بالضارب وهو يتقلب على فراش الموت صفح عنهُ الاّ انهُ لم يسلم من يد قوّادهِ . ولما مات ريكاردوس دفن عند اقدام ابيهِ في فونتفرود

وكان هذا الرجل قويّ البنية ازرق العينين لامعهما جعدي الشعر أشقرهُ حاذقاً في الالعاب الموسيقية مولعاً بالتاريخ والحكايات ولكنهُ مع كل ما خصتهُ بهِ الطبيعة من القوة والمواهب لا يمدحهُ الانكليز لانهُ لم يقم بين ظهرانيهم اثناء حكمهِ الاّ ستة اشهر ولم يسبب لانكلترا الاّ الجوع والفقر

وفي ايامهِ اتسعت تجارة المغرب مع المشرق واقتربت علائقهما بسبب الحروب الصليبية واهمّ ما اصاب انكلترا في ايامهِ ضعف شوكة الاشراف وتداخل الجمهور في الاعمال الادارية الامر الذي آل بعد ذلك الى انشاء مجلس العموم الذي لا يزال قائماً في انكلترا الى اليوم

الملوك المعاصرون لهُ

	حكم سنة
اسكوتلاند	
وليم الاوّل	١١٦٥
فرنسا	
فيليب اوغسطس	١١٨٠
كاستيل	
الفونس التاسع	١١٥٨
امبراطرة	
فريدريك الاوّل	١١٥٢
هنري السادس	١١٩٠

	حكم سنة
تابع الامبراطرة	
فيليب	١١٩٨
الباباوات	
كليمندوس الثالث	١١٨٧
سلستين الثالث	١١٩١
اينوسانت الثالث	١١٩٨
مصر	
السلطان صلاح الدين	١١٧١
الملك العزيز ابن يوسف	١١٩٣

﴿ أهمّ الحوادث الأجنبية ﴾

الحملة الصليبية الثالثة	سنة	١١٨٩
« « الرابعة	«	١١٩٥
« « الخامسة	«	١١٩٨
تحرير فلورانسا	«	١١٩٨



﴿ يوحنا سنستر ﴾

﴿ او لاكلاند ﴾

« ولد سنة ١١٦٦ وحكم سنة ١١٩٩ ومات سنة ١٢١٦ م »

ولما توفي ريكاردوس وليس له من برثة من ابنائو اوصى بالملك لاخيو يوحنا دوك مورتاني وثبت ذلك باجتماع رسمي في نورثمبتون وأُلبس يوحنا تاج الملك في وستمنستر ولم يكن حقهُ بالملك صريحًا لان اخاهُ الاكبر جوفري ترك ولدًا اسمهُ ارثر دوك بريتانيا وكان سنهُ اذ ذاك ١٢ سنة فطالب بحقوقو بالملك وعضدهُ ملك فرنسا ولكنهُ وقع في يدي يوحنا في قلعة ميرابو فالقاهُ في سجن روين ولم يعد احد يسمع بخبرهِ فتكاثرت الاشاعات عنهُ فقال بعضهم ان يوحنا ذبحهُ بيدهِ والقى جثتهُ في النهر. وسجن يوحنا ايضًا اليينور اخت ارثر في قلعة بريستول وبقيت هناك الى آخر ايامها

ثم اطلق يوحنا امرأتهُ جوانا وتزوج ايزابلًا فكان ذلك سببًا لنفور الشعب منهُ وكانوا قد تغيروا عليهِ بسبب ما فعلهُ بارثر فازدادوا بذلك تغيرًا نتج عنهُ خسران نورمنديا وبريتانيا وأنجو وماين وتورين وبواتو سنة ١٢٠٤

ولما خلا كرسي اسقفية كنتربري اقام رهبانها عليهم يوحنا غري اسقف نوريش اسقفاً غير ان البابا عيّن في ذلك المنصب اسقفاً آخر يقال له ستيفن لانغتون فاذعن الرهبان للبابا وتخلوا عن يوحنا غري هذا . فشق ذلك على الملك يوحنا فاخرج الرهبان من الاديرة وسلبهم كل ممتلكاتهم واموالهم فاغتاظ البابا فاصدر حرماً عاماً على شعب انكلترا سنة ١٢٠٨ فمضت ست سنوات والكنائس مقفلة والمذابح مجللة بالسواد والاجراس صماء والموتى تدفن بدون جناز وكان الشعب بحسب ذلك اكبر لعنة عليهِ اما الملك فلم يكترث فذهب لزيارة اسكوتلاندا وايرلاندا وويلس لتفقد طاعتها وتقرير الجزية عليها

فاستنجد البابا ملك فرنسا لتنزيل يوحنا فخاف هذا واذعن ثم رأى ان الجند الذين كانوا تحت اوامره وعددهم ستون الفاً لم يعد احد منهم يطيعهُ فاقسم للبابا بالطاعة والاخلاص وتعهد ان يدفع لخزينة الرومانيين جزية سنوية مقدارها الف مارك (نحو ٦٠٠ جنيه) عن مملكتيهِ انكلترا وايرلاندا . الّا ان ذلك لم ينجِّ يوحنا من مطامع فيليب ملك فرنسا فانهُ رغماً عن تلك المصالحة جرَّد الى انكلترا يريد افتتاحها فلاقاهُ جند الانكليز وحطموا عمارتهُ فسكر يوحنا بخمرة النصر فسار الى بواتو ثم علم بانكسار محالفيهِ الامبراطور اوتو الرابع وفراند في بوفين فالتمس المهادنة لخمس سنوات فاعطيت له سنة ١٢١٤

وفي ١٥ جون سنة ١٢١٥ امضى على اللائحة العظمى ومن مقتضاها انهُ لا يمكن القبض على احد او سجنهُ او عقابهُ او تجريدهُ من ملكهِ بغير حكم قانوني يصدر من اشراف المملكة بحسب القوانين ولا تزال النسخة الاصلية لهذه اللائحة محفوظة الى الآن في المتحف البريطاني في لوندرة وبعد يسير وقع على لائحة الحراج او الغابات

واقسم الملك يوحنا اقساماً عظيمة ان يحافظ على تينك اللائحتين الا انهُ كان ممن لا يحترمون الاقسام فاغتاظ البارونية وخلوا الديار ولجأوا الى بلاد اخرى هرباً من استبدادهِ . فشق ذلك عليهِ واختلَّ شعورهُ فامر بالحرق والنهب ففرَّ الناس الى التلال والحراج فبئس البارونية فطلبوا الى لويس ملك فرنسا ان يستلم زمام الاحكام فأصبحت انكلترا يتقاذفها خطران عظيمان فلا تدري أتعرض نفسها الى فتوح دولة فرنسوية جديدة ام تبقى تحت جور ذلك الملك الظالم



الجزء السادس — السنة الاولى

(اول فبراير سنة ١٨٩٣) (١٤ رجب سنة ١٣١٠) (٢٦ طوبه سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



نابوليون بونابرت

(ولد سنة ١٧٦٩ وتوفي سنة ١٨٢١)

هو عمدة القواد ومثال المتفقهين بغني ذكره عن نعته . ولد في ١٥ اوغسطس

(آب) سنة ١٧٦٩ في اجاكيو من جزيرة كورسكا من جزر البحر المتوسط وكان والده محامياً واسمه كارلو بونابرت

ولما بلغ العاشرة من عمره ادخله والده في المدرسة الحربية في بريان فقضى خمس سنوات اظهر فيها من النجابة والذكاء وحدة الذهن ما ميزهُ عن سائر رفاقهِ ولا سيما في العلوم الرياضية . وقد حكى عنهُ بعض اترابهِ انهُ كان على صغرهِ وفقرهِ كبير النفس عزيزها مغرماً بمطالعة اقاصيص الرجال العظام لا يحب الانشاء المنمق بزخرف الكلام وكان لعزة نفسهِ لا يحتمل عتاب الاساتذة فانتهار الاستاذ كان يوقعهُ في حالة هستيرية لشدة التأثر

وكان يشغل نفسهُ ايام الفراغ من الدرس ببناء الحصون والقلاع من الثلج يمثل بها احياناً هيئة هجوم او دفاع مع رفاقهِ التلامذة فيعجبون لمهارتهِ في فوزهِ عليهم مدافعاً كان او مهاجماً

وفي سنة ١٧٨٤ كان في جملة التلامذة العشرة الذين وقع عليهم الانتخاب ليتمموا دروسهم في مدرسة باريز الحربية فدخلها وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمرهِ ولكنهُ كان في تعقل الرجال وادراكهم

ومما يؤْثر عنهُ انهُ بعد دخولهِ تلك المدرسة ببضعة اشهر كتب تقريراً طويلاً قدمهُ لرئيسها يشير فيهِ الى ما شاهده فيها من المبالغة في بذخ التلامذة وترفههم وكثرة الخدم الذين يقومون في خدمتهم ومما قالهُ « اذا اعتاد هؤُلاء القيام بخدمة انفسهم بانفسهم يشبون وقد تعودوا مقاومة العوارض الجوية من الحر والبرد وتنمو فيهم الشجاعة اللازمة لكل رجل محارب » وقد نظرت عمدة المدرسة في تقريرهِ بعين الاعتبار

ولم تمض سنة من دخولهِ تلك المدرسة حتى نال رتبة ملازم ثان في فرقة الطبجية لما ظهر من اجتهادهِ وإكبابهِ على الدرس والتنقيب وممارسة الحركات العسكرية . ويقال ان فرقتهُ نزلت زمناً في اوكسون من اعمال بورغانديا وكان يتردد على بيت رجل يتعاطى الحلاقة فمر بتلك المدينة بعد عدة سنين وقد صار جنرالاً فقصد منزل ذلك الحلاق فالفي امرأتهُ هناك فسألها اذا كانت تذكر ضابطاً صغيراً اسمهُ بونابرت كان يتردد عليهم فاجابت « نعم اذكرهُ ولكنهُ كان فظاً متعجرفاً

لا يبرح منفردًا في غرفته لا يخاطب احدًا » فقال لها « ولكن ياسيدتي لو اني قضيت وقتي كما تريدين حضرتك ما استطعت قيادة جيش ايطاليا الآن »

ثم كانت الثورة الفرنساوية بعواصفها وتيارها فترقى بونابرت في اثنائها الى رتبة قائمقام وكانت الجمهورية في ضيق شديد مما حلّ بها وثارت مدن مرسيليا وليون وطولون فسار بونابرت في جملة من سار لاخماد تلك الثورة في طولون واظهر في هذه الحملة ما اوجب اعجاب رفاقه الضباط بوفترقي على اثر ذلك حتى صار قائدًا عاماً لفرقة الطبجية في جند ايطاليا . وكتب عنه الجنرال دومربيون الى باريس يقول « ان نصرنا كان موقوفاً على مهارة قائد الطبجية »

ثم سار في جيش عيّن لاخماد ثورة الملكيين في باريس سنة ١٧٩٥ فاجاد في تلك الحملة حتى اجرى الدماء واسكن الثورة ولم يكن قائدًا عاماً ولكنه نال على اثر ذلك رتبة قائد ثان لجيوش فرنسا الداخلية

وفي السنة التالية نال رتبة قائد عام لجنود ايطاليا وفي تلك السنة تزوّج بجوزفين الشهيرة بالجمال والذكاء وهي ارملة الجنرال بوهارنيه احد قواد الفرنساويين وكان مولدها في بيت حقير ولكن العناية قدرت لها الارتقاء الى اوج السلاطين ولولم تنقض عليها حالها من العقم ان يطلقها بونابرت بعد ذلك بسنين ويتزوّج بابنة ملك اوستريا كما سترى لتمت لها السعادة

وفي تلك السنة (١٧٩٦) سار بونابرت للمرة الاولى قائدًا رئيسياً لحروب ايطاليا واستعرض جنوده قبل السفر فاذا هم في حالة الضنك من الجوع والعرى فوقف فيهم وقال « ايها الجنود . اراكم عراة جائعين واعلم ان لكم على الحكومة حقوقاً ولكنني اعلم ايضاً انها لا تستطيع القيام باداتها فها اني سائر بكم الى اخصب الارضين وسوف تفتحون مدناً وتضعون ايديكم على خزائنها فتنالون الفخر والمجد والثروة معاً . فياجنود ايطاليا هل يعوزكم بعد ذلك بسالة او ثبات » وكانه قال لم ان الديركتوار (الحكومة القنصلية) في باريس لا يرتكن اليها ولا يعتمد عليها فاسعوا بانفسكم فيما تحتاجون اليه من اللباس والطعام

وسار بذلك الجند وكان فوزه في تلك الحملة تاماً . وكانت اول حملاته فاستبشرت فرنسا به وسارت اعماله على ألسنة الناس سير الامثال والحكم وكلهم معجب

بشجاعتهِ واقدامهِ على صغر سنهِ . ومما يؤْثرونهُ عنهُ انهُ كان يقول لجندهِ « ان عدوكم لا يلبث ان يرى بطشكم حتى يفر هاربًا فتعقبوهُ ومزقوهُ اربًا واسحقوهُ سحقًا » وكان لكلامهِ هذا في جندهِ تأثير اشبه شيء بتأثير السحر اذا كان للسحر تأثير . فكان ينقضُّ على عدوهِ انقضاض الصاعقة وكنت تراهُ اذا هاجم اليوم هذه المدينة وفتحها لا يمكث ريثما يستريح ولكنهُ يواصل السير والهجوم على غيرها وما زال كذلك حتى افتتح سائر ايطاليا وقهر جنود اوستريا وانتهت تلك الحرب في السنة التالية بعقد المعاهدات مع اوستريا وبروسيا وسكسونيا وغيرها

وقد قيل ان ملك اوستريا كتب في جملة بنود المعاهدة ما مفاده « ان امبراطور النمسا يعترف بالجمهورية الفرنساوية » فقال بونابرت للمعتمد الاوستري « امحُ هذه الفقرة لان الجمهورية الفرنساوية ظاهرة كالشمس في رابعة النهار لا يتجاهل عنها الاَّ الاعمى ولنا وحدنا ان نقيم اي نوع من الحكومة اردناه ملكيًّا كان او جمهوريًّا » ويستدل من قولهِ هذا انهُ كان ميالاً الى الاستبداد بالحكم المطلق والغاء الجمهورية

وعاد بونابرت من تلك الحملة الى باريس وقد رفع شأْن الدولة الفرنساوية وعزز سطوتها . وقد يعجز هذا القلم عن استيفاء ما كان من احتفاء الباريسيين بهِ اذ لم يكن يمرُّ في شارع او حيٍّ الاَّ وتعلو فيهِ الضوضاء من اصوات المتهللين والمحتفلين حتى صار يفضل العزلة والانزواء في منزلهِ تخلصًا من ضوضائهم

وفي منتصف سنة ١٧٩٨ وجه مطامعهُ نحو الديار المصرية يريد افتتاحها واستخراجها من ايدي الامراء المماليك لتسهل عليهِ الطريق الى الهند تذليلاً لانكلترا فاجتمع بالقناصل (الديركتوار) وشاورهم في الامر فلم يوافقوهُ فألحَّ عليهم وهددهم بتقديم استعفائهِ فأذعنوا لما اراد فسار بعمارتهِ من طولون في مايو (ايار) من تلك السنة ففتح الاسكندرية ودخل الديار المصرية حتى وصل القاهرة ونازل المماليك في امبابه قرب الاهرام العظيمة وكانت لهُ معهم موقعة هائلة خاف فيها على جندهِ فوقف بازاء الاهرام وخاطبهم قائلاً « ان اربعين جيلاً من الناس ينظرون اليكم من قمم هذه الاهرام » فثارت الحمية في رؤُوسهم واحلوا بالمماليك وردوهم على اعقابهم فاستتب لهُ الامر واقاموا في هذا القطر ثلاث سنوات صاروا في غضونها

لافتتاح سوريا ففتحوا يافا بعد حصار طويل وكان فيها حامية من الاتراك وغيرهم عددهم اربعة آلاف رجل فسلموا على شرط الابقاء على حياتهم فاقتضت سياسة بونابرت الحربية قتلهم جبرًا في سهل رملي خارج يافا وهي نقطة سوداء في تاريخ هذا القائد العظيم وقد نال جزاء هذا العمل لما سار الى عكا فان حاميتها لما علمت ما تمّ لحامية يافا صممت على الثبات الى آخر نسمة من الحياة فوقف الفرنساويون عند اسوار عكا وفيها احمد باشا الجزار فحاصروها شهرين فامتنعت عليهم وساعدتها عمارة انكليزية من البحر تحت قيادة الاميرال السير سدني سميث فعادوا على اعقابهم وقد تفشى فيهم الوباء بما افسدوه من الهواء بجثث قتلاهم المساكين خارج يافا

وكان الاميرال نلسون الانكليزي قد جاءهم على اثر دخولهم مصر فحطم عمارتهم بابي قير واي تحطيم ففشلوا وضعفت آمالهم

وحصل في فرنسا امور الجأت بونابرت الى الانسحاب من مصر بنفسو سرًّا خوفًا على خروج حكومة فرنسا من يدهِ فعهد القيادة في مصر الى الجنرال كلابر وكان من احسن قوادهِ وخرج من الاسكندرية سرًّا

اما كلابر في مصر فقضى بطعنة من رجل حلبي يقال لهُ سليمان فخلفهُ الجنرال مينو وهذا لم تطل مدة حكومتهِ فخرج بجندهِ من مصر سنة ١٨٠١ منسحبًا انسحابًا قانونيًّا بمساعي انكلترا وقوة الجنود العثمانية

وبعد وصول بونابرت الى باريس بقليل تجددت انتخابات حكومتها فتألفت القنصلية من ثلاثة قناصل اكبرهم نابوليون بونابرت . ومن هنا يجب ان ننظر الى بونابرت نظرنا الى حاكم نافذ السلطان لانهُ كان نافذ الكلمة على رفيقيهِ كأنهُ هو الحاكم المطلق وان تكن مظاهر اعمالهِ باسم الجمهورية الفرنساوية غير انهُ كان هو وحدهُ الجمهورية برمتها حتى ان الحزب الملكي كانوا ينتظرون منهُ اعادة حكم البوربون الى فرنسا اما هو فكان حريصًا على اجتناء ثمرة اتعابهِ بنفسهِ

واول شيءٍ باشرتهُ القنصلية هذهِ المرة مخابرة اوستريا وانكلترا بشأن المعاهدات فاجابهُ الاثنان سلبًا فاضطر الى الحرب ولكنها انتهت بعقد المعاهدة معها . اما معاهدة انكلترا فلم تمكث طويلاً لانها كانت قاضية عليها باخلاء مالطا ولم تخلها فشق ذلك على بونابرت وتهدد انكلترا فشهرت عليهِ الحرب واتحدت معها دول اخرى وهي

اسوج وروسيا واوستريا وكان في عزم نابوليون ان يقطع خليج المانش ويهاجم انكلترا فارتعدت تلك الجزيرة واخذت تتأهب للدفاع

وقبل الشروع في الحرب قام الفرنساويون قومة واحدة يطلبون جعل مملكتهم امبراطورية وانتخبوا نابوليون بونابرت امبراطورًا عليهم وتوجوه مع امرأته جوزفين في دسمبر من تلك السنة . فدخلت سنة ١٨٠٥ والفرنساويون فرحون بامبراطورهم يتأهبون للحرب وفي اواسط اوغسطس زحف بجيشهِ الجرار وقوادهِ العظام وكان تعداد تلك الحملة نحو ثلاثمئة الف مقاتل فكانت موقعة اولم ثم اوسترلتز فانكسرت الجيوش النمساوية وانسحب الروسيون وانعقدت معاهدة برسبرج في ٣٠ دسمبر وكان النصر تامًّا للفرنساويين الا ان الاميرال نلسون الانكليزي حطم عمارة كبيرة كانت للفرنساويين والاسبان قرب قادس ولم تعد تقوم للفرنساويين قائمة في البحر من ذلك الحين وهكذا انتهت تلك الحملة

وفي سنة ١٨٠٦ اتحد الانكليز مع بروسيا واسوج وعقدوا محالفة لمحاربة فرنسا ولكن الفرنساويين فازوا في هذه الحرب ايضًا حتى دخل نابوليون مدينة برلين ظافرًا فازداد فخر الفرنساويين ولكنهم خسروا جانبًا عظيمًا من رجالهم على ان ذلك لم يكن ليبغضهم بامبراطورهم . ومما يحكى ان نابوليون لاقى امرأة من نساء الفلاحين في فرنسا كانت مسرعة لمشاهدة الامبراطور فقال لها « وما الذي يحملك على مشاهدتهِ وهو لم ينفعكم في شيء وانما انقذكم من شر ورماكم في شر اعظم كنتم تحت سلطة البوربون فصرتم تحت سلطتهِ » فاجابته المرأة « لا بأس من ذلك لان نابوليون ملكنا نحن واما البوربون فكانوا ملوكًا للاشراف » اما روسيا فعادت صفراء اليدين واضطرت لعقد معاهدة الصلح ايضًا

فعاد الفرنساويون سكارى بما اوتوا من الفوز وهذا اعلى ما وصلوا اليهِ من درجات الفخر والسودد لانهم ذللوا معظم دول اوربا

وفي سنة ١٨١٠ طلق نابوليون امرأتهُ جوزفين لانها لم تلد له ولدًا وتزوج بماريا لويزا ابنة الامبراطور فرنسيس ملك اوستريا وفي السنة التالية جاءهُ منها غلام لقبوهُ يوم ولادتهِ بملك رومية

وفي سنة ١٨١٢ جرد نابوليون جيشًا جرارًا وسار بهِ لمحاربة روسيا ومهاجمة

موسكو عاصمتها اذ ذاك وكان عدد ذلك الجيش خمسمئة وخمسة وسبعين الفًا من الرجال والف ومائتي مدفع فدخل حدود المملكة الروسية في يونيو من تلك السنة فسار الفرنساويون على عجل يريدون مهاجمة الروسيين على حين غفلة فالتقوا بهم في سمولنسك فظهروا عليهم فتقهقروا فتتبعوهم حتى وصلوا بورودينو فاتتهم نجدة فعادوا على الفرنساويين وحاربوهم فتقهقر الروسيون فتتبعهم الفرنساويون حتى اطلوا على مدينة موسكو عن بعد فصرخوا وابتهجوا لتيقنهم بافتتاحها عنوة وما زالوا حتى دخلوها فاذا هي خالية من السكان وفيها القصور والبنايات والخيرات من المصنوعات الثمينة وغيرها فعكفت العساكر على النهب والسلب . وفيما هم في ذلك اذا بالنيران قد انتشبت في اربع جهات العاصمة ولم ينتبهوا الأ وقد كادوا يذهبون فريسة لها فعلموا ان اخلاءها انما كانت مكيدة عليهم ففروا منها ولم يصدقوا انهم نجوا من الحريق وكان ذلك سببًا لفشلهم فشلاً لم يذوقوه قبل ذلك الحين وكان ذلك اول انحدارهم من ذروة الفخر والمجد فكتب نابوليون الى القيصر يطلب اليه الصلح فاجابه «انه لا يمكنه المخابرة في شيء الا اذا خلت ارض الروس من الفرنساويين جملة » فانسحب الفرنساويون من روسيا بحالة الضنك الشديد مما قاسوه من البرد القارس لمرورهم على الجليد حتى مات جانب عظيم منهم من شدة البرد

ولم يكد الجند الفرنساوي يعود من تلك الحرب الهائلة حتى نهضت دول اوروبا وتحالفوا على محاربتهم حربًا نهائية تخلصًا منهم وكانت هذه هي المحالفة السادسة التي تحالفتها دول اوروبا ضد الفرنساويين (سنة ١٨١٣) فاجتمع من الجيوش المتحالفة نحو من اربعمئة الف مقاتل في هولاندا وعلى ضفاف الرين وابتدأت الحرب في بداية سنة ١٨١٤ فاظهر الفرنساويون بسالة وثباتًا جديرين بهم ولكن الحرب كانت هائلة والعدوّ كان عنيدًا . واتفق وهم في حروبهم ان الاحزاب في باريس اختلفت آراؤهم وقاموا يريدون تنصيب البوربون فاغتنم العدو تلك الفرصة وسار جانب منهم الى باريس وهاجموها فعلم بونابرت فكرَّ يريد الدفاع عنها فعلم وهو في الطريق ان العدو قد دخلها عنوةً فوقع في وهدة اليأس فعرضت عليه الدول المتحالفة ان ينسحب بالقاية الى جزيرة البا وتكون عطية له

مع اربعمئة من رجاله المخصوصين وما يحتاج اليه من النفقات فاضطر للقبول بذلك فسار على رغمه . وتولى عرش فرنسا لويس الثامن عشر غير انه لم تمض سنة حتى عاد نابوليون وتولى الامبراطورية وانزل لويس

ودخلت سنة ١٨١٥ التي حصلت فيها موقعة واترلو الشهيرة التي لا ينساها المؤرخون ولا سيما الانكليز منهم لانها كانت القاضية بسقوط رجل فرنسا العظيم نابوليون الاول ونفيه الى جزيرة القديسة هيلانة وكانت تلك الموقعة بين نابوليون وانكلترا قضت فيها العناية بانكسار الفرنساويين والقاء القبض على امبراطورهم والحكم عليه بالنفي الى جزيرة القديسة هيلانة فقضي فيها ست سنوات ومات (في ٥ مايو (ايار) سنة ١٨٢١) وقد قال الذين حضروه ساعة وفاته ان افكاره لم تبارح فرنسا ولسانه لم ينفك عن ذكرها وذكر ولده الذي كان كل رجائه فيه وجنده الذين كثيرًا ما قادهم في الحروب والانتصارات ويتخلل ذلك ذكر العناية الالهية التي بيدها الحياة والموت والرفعة والضعة

وقد قيل انه قال في منفاه « قد ارتكبت ثلاث غلطات سياسية وهي اني كان يجب ان اصالح فرنسا باخلاء اسبانيا وان ارجع بولونيا ولا اذهب الى موسكو وان اعقد صلحًا في درسدن (سنة ١٨١٣) باخلاء همبورج وبعض البلاد الاخرى التي لم يكن لي بها منفعة »

وكان من القواعد المتبعة عنده الثبات حتى قال « ان الثبات اساس النصر » ومنها ايضًا قوله « ان من لم يتم عملاً كأنه لم يبتدئ به » وكان يستاء مما يجري عليه الناس من مراعاة الخواطر والمقامات فقال « يجب ان تكون حالة الانسان مرآة قلبه » وكان كثير الاعتماد على نفسه محبًا للحقائق كارهًا للاقوال النظرية التي لا يمكن اخراجها الى حيز الفعل . وكان يقول عندما يعرضون عليه احدًا لتوليته بعض المناصب « اريد رجلاً اكبر رأسًا واصغر لسانًا من هذا » ولم يكن يميل الى شقشقة اللسان ولا فصاحة الكلام او بلاغته وكان يقول « ان في مجلس الاعيان اناسًا كثيرين افصح لسانًا واحسن بيانًا مني ولكني كنت افحمهم بكلمتين لا تخرجان عما هو في حد قولنا اثنان واثنان اربعة » وكان اذا اعتذر احد امامه عن اتمام عمل بانه عمل النهار كله ولم يتمه يقول له « الم يكن عندك ليل » ومن اقواله « ليس في قاموسي كلمة مستحيل » وغير ذلك مما جرى مجرى الامثال والحكم



الدكتور ميخائيل مشاقه

(ولد سنه ١٨٠٠ وتوفي سنه ١٨٨٨)

هو من افراد هذا القرن ونابغة من نوابغه ذكاء وفطنة وشهامة ولد في قرية رشميا من اعمال جبل لبنان من عائلة ذات نسب جليل يتصل بيوسف بتراكي الذي هو جدّ جدّ صاحب الترجمة ولقب بمشاقة لاحترافه تجارة مشاقة الحرير . وكان والده جرجس في بلاط الامير بشير الشهابي الكبير امير جبل لبنان اذ ذاك ومن المقربين منه فنقل بيته الى دير القمر مركز الامارة ليكون قريباً من مكان وظيفته

وكان ميخائيل نبيهاً ذكياً متوقد الذهن فتمكن من القراءة في مدة وجيزة وكان له ميل طبيعي الى الرياضيات فتلقن الحساب البسيط عن ابيه ثم تعلم مسك الدفاتر

وكان على صغر سنه يجالس كبار القوم ويستفيد من احاديثهم فسمع من يهود دير القمر انهم يعرفون اوان الخسوف والكسوف قبل حدوثهما فمال الى استطلاع كيفية ذلك فلم يستطع فازداد قلقة وكان يعتقد مثل اعتقاد اكثر اهل تلك الايام من ان علم الفلك ينبئ صاحبه بالغيب

وفي سنة ١٨١٤ قدم بطرس عنحوري خال صاحب الترجمة من دمياط الى دير القمر وكان بارعاً في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية فانتهز ميخائيل تلك الفرصة وطلب الى خاله ان يدرسه علم الفلك فسر بطلبه واخذ يدرسه

باجتهاد فاكتسب منهُ جانبًا كبيرًا بمدة قصيرة فاحبهُ خالهُ محبة شديدة واعجب بذكائهِ وفطنتهِ وفي سنة ١٨١٧ ذهب ميخائيل الى دمياط وتعين كاتبًا في محل عمهِ هناك وكان كبير النفس لا يقنع باقل من الاستقلال فما لبث زمنًا حتى تعاطى التجارة بنفسهِ واكتسب ثروة صغيرة

واتفق انهُ طالع سنة ١٨١٨ كتاب سياحة الفيلسوف فولني فوقع في حالة التردد من امر الدين وصار ذلك شغلاً شاغلاً لافكاره

ومن غريب اخلاقهِ وحميدها انهُ لم يكن يرى شيئًا او يسمع عنهُ الاَّ احب استطلاع كنههِ وكانت لهُ ثقة تامة بقواه العقلية ولذلك كان يعتقد انهُ يقدر ان يتعلم كل ما ارادهُ

ويحكى انهُ حضر عرسًا في مدينة دمياط كانت تصدح فيهِ الموسيقى فسأَلهُ احد الحاضرين عن لحنٍ هل يعرفهُ فاظهر البعض الآخر استخفافًا بهِ فثارت في رأْسهِ الشهامة وعزم من تلك الساعة ان يدرس فن الموسيقى ففعل وتمكن منهُ حتى أَلَّف فيهِ رسالة بديعة بعد ان اتقن الضرب على سائر الآلات

وفي سنة ١٨٢٠ ظهر في دمياط وباءُ الطاعون فرجع ميخائيل الى دير القمر وهو لم يفتر عن المطالعة وكان يطالع الجبر والمقابلة بنفسهِ

وبعد ذلك انتدبهُ الامير بشير ليكون مدبرًا عند امراءِ حاصبيا فاكرموا مثواه ووهبوه اراضي واسعة في جهات الحولة ونهر اللدان وقرية في قضاء القنيطرة وهذا يدلنا على مقدار ما اعجبوا بهِ وباعمالهِ ولكنهُ اصيب بمرض سنة ١٨٢٨ فاضطر لان يعود الى دير القمر للمعالجة فعالج خمسة اشهر كان في اثنائها يلاحظ العلاج الذي كان يتناوله ويود لو انهُ كان يعرف صنعة الطب جريًا على طبيعتهِ كما قدمنا فحالما نقه من مرضهِ عكف على مطالعة ما وصلت اليهِ يداه من الكتب الطبية حتى فهم اكثرها ولكنهُ عجز عن ادراك كثير من اصطلاحاتها وكان خاله المتقدم ذكره قد عاد الى دير القمر فافهمهُ اياها واستعان ايضًا بطبيب آخر ايطالي كان هناك

وفي سنة ١٨٣١ جاءَ ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير بجنودهِ لافتتاح عكا وكان بينهُ وبين الامير بشير تحالف فجاءَ الامير لمعاضدتهِ في ذلك الحصار

وقدم ميخائيل مشاقه برفقة الامير ومن ثم انضم الى الجنود المصرية ورافقها الى دمشق وحمص يطبب جرحاها والمصابين بالكوليرا (الهواء الاصفر) ثم رجع الى دير القمر وقد لحقتهُ بعد ذلك بسبب حروب ابراهيم باشا خسائر جسيمة مالية حتى اضطر للتطبيب بالاجرة وكان قبل ذلك يطبب مجاناً ونزح الى دمشق واقام فيها واغتنم فرصة بوجود الدكتور كلوت بك الشهير هناك مع الحملة المصرية فطالع ما نقصهُ من الطب عليهِ فتمكن من تلك المهنة حتى ولتهُ الحكومة رئاسة اطباء دمشق

ولم يكن يقنع بعلم دون آخر فانهُ لما تمكن من الطب طالبت نفسهُ شيئاً آخر فدرس المنطق وتوسع فيهِ وعند ما خرجت الجنود المصرية من سوريا تعين مترجماً للمستر وود الذي أرسل قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق

وفي سنة ١٨٤٦ قدم الديار المصرية وواظب على ممارسة العمليات الجراحية في مدرسة القصر العيني حتى نال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور ثم عاد الى دمشق وتحركت افكارهُ اثناء ذلك حركة دينية وجعل يتردد بين الديانة المسيحية وما ذهب اليهِ فولتير حتى وقع على كتاب البينة الجلية فاخذ يراجع فيهِ وفي غيره لعلهُ يهتدي الى ما يريح ضميرهُ من التردد ثم اخذ يطالع كتباً جدلية بين طائفتي الكاثوليك والبروتستانت وجرى بينهُ وبين البطريرك مكسيموس مظلوم اذ ذاك مجادلات طويلة انتهت بانحيازه الى طائفة البروتستانت وصار من اكبر المدافعين عنها وعن تعاليمها تكلماً وكتابة

وفي سنة ١٨٥٩ تعين قنصل للولايات المتحدة الاميركانية في دمشق وفي السنة التالية كانت الثورة المشهورة بل المذبحة المعلومة في دمشق وغيرها من سوريا فاصاب الدكتور مشاقة جراحاً كثيرة ولولا مساعدة الامير عبد القادر الجزائري ما نجا من القتل ولكنهُ تمكن بمساعدتهِ من الالتجاء الى مكان طبب فيهِ جراحهُ حتى شفي

وبقي هذا الرجل عاملاً في الطب والسياسة والديانة والفقه والحساب وسائر انواع العلوم حتى كانت سنة ١٨٧٠ فاصيب بفالج بجانبهِ الايمن فانقطع عن اشغال القنصلاتو فاحيلت لولدهِ نصيف بك

اما هو فلم ينفك عن العمل في بيتهِ ولم يكن يخلو منزلهُ من الزائرين على اختلاف الاجناس والطبقات لمشاهدتهِ وتحقق ما سمعوه عنهُ وقد اتيح لنا الحظ بزيارتهِ سنة ١٨٨٢ في منزلهِ بدمشق فاذا بهِ رجل ذو هيبة ووقار بحللة الديب يلبس العمامة والجبة طويل القامة كبير الجثة لطيف الحديث واسع الاطلاع كثير الترحيب بزائريهِ كسائر اهل دمشق وقد اطلعنا على كثير مما كتبهُ ولم يطبعهُ من المؤلفات وفي جملة ذلك رسالة في الالحان الموسيقية العربية ومطول في الحساب والمعين على حساب الايام والاشهر والسنين مذيل بجداول لمئة مئة سنة تحتوي على مطابقة ايام الشهور العربية والرومية والقبطية والعبرانية والاسلامية ومواقع كسوفات الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها وغيرها

اما الكتب التي طبعت من مؤلفاتهِ فاكثرها ديني جدلي وفي جملتها كتاب سماه البرهان على ضعف الانسان جوابًا لصديق لهُ كان تابعًا لتعاليم فولتير

وكانت وفاتهُ في السادس من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٨٨ في دمشق الشام ولهُ من العمر تسع وثمانون سنة قضاها في العمل والاجتهاد وخدمة بني الانسان

الامير عبد القادر الجزائري

« ملخصة من تاريخ سوريا سنة ١٨٦٠ (لم يطبع) تأليف صديقنا الفاضل نعمان افندي قساطلي »

(تابع لما قبلهُ)

قلنا في العدد الماضي ان المراكشيين حاولوا لغزو زملة الامير وانهُ خاف لقلة جندهِ فيها ولكنهُ عادت اليهِ نخوتهُ فهجم ابلاً بذلك الجيش القليل وفرق شمل المراكشيين ثم عادوا فاجتمعوا ثانية وهاجموهُ فطاردهم وظهر عليهم ولكنهُ خسر جانبًا من رجالهِ فرأى الانسحاب افضل لهُ فرجع الى الجزائر فوصل مكانًا علم بعد وصولهِ اليهِ ان الجيش الفرنساوي على مسافة ثلاث ساعات منهُ ورأى ان جيشهُ قد انهكهُ السفر والحرب فخشي ان يقع هو وزملتهُ في يد الفرنساوية لانهُ لا يستطيع الرجوع والمراكشيون من ورائهِ يطاردونهُ ولكنهُ عاد فرأى انهُ قد بذل قصارى جهدهِ فجمع اليهِ رجالهُ وخطب فيهم منصحًا عما هم فيهِ من الضيق وقال « اراكم

قد وفيتم بما بايعتموني عليه وبذلتم جهدكم في معاضدتي واما الحالة الراهنة فتقضي علينا بالتسليم للعدو وعندي ان التسليم للفرنساوية خير من التسليم للمراكشيين فما رأيكم »

فاجابوهُ انهم على رأيهِ فنظر اليهم فاذا هم علة من احسن الرجال واشدهم وقد رافقوهُ في حروبهِ خمس عشرة سنة فشق عليهِ ان ينتهي جهادهُ هذا بالتسليم للعدو ولكنهُ اذعن لحكم الضرورة قسرًا وهو غير خائب لانهُ جاهد الجهاد الحسن مدة ١٥ سنة حتى نفدت الحيلة

واراد ليلة ٢١ دسمبر سنة ١٨٤٧ كتابة شروط التسليم فلم يستطع لتساقط الامطار وهبوب العواصف فبعث اثنين من خاصتهِ دفع اليهما ختمهُ شاهدًا على صدق نيابتهما عنهُ امام قائد المعسكر الفرنساوي الجنرال لاموريسير فذهبا وعرضا الشروط ومن مقتضاها ان يبارح الامير بلاده ويسكن في الاسكندرية بما معهُ من الرجال والنساء والاولاد او في مدينة بورصة فقبل الجنرال الشروط بدون تردد وسرَّ لانتهاء متاعب فرنسا في حروب هذا الامير واخبر فرنسا بذلك فابتهجت باريس . وهكذا سلم الامير ولكنهم احتفلوا بهِ عند قدومهِ المعسكر احتفالاً عظيماً

وفي ٢٥ منهُ سافر الامير بمن اراد مرافقتهُ من رجالهِ وعددهم ثمانون على دارعة الى طولون فتوسلوا بالترحاب ثم طالبوا اليهِ التنازل عن اشتراطهِ السكنى في الاسكندرية اوغيرها من المدن العثمانية وان يقيم في فرنسا بكل احترام وبكل ما يحتاج اليهِ من النفقات فابى ثم انقلبت حكومة فرنسا من الملكية الى الجمهورية وبعد اخذ ورد اجابوهُ الى ما اراد ولكنهم اشترطوا عليهِ ان يتعهد بعدم الذهاب الى الجزائر فتعهد بذلك كتابة هو ورجالهُ في اذار (مارس) سنة ١٨٤٨ وبات ينتظر الامر بالذهاب فورد عليهِ الجواب على غير المراد ومفادهُ ان الجمهورية تعتبرهُ اسيرًا كما تركتهُ الحكومة السالفة وجعلوه في السجن مع رجالهِ . فتكدر الامير كدرًا لا مزيد عليهِ ولكنهُ كان يتأسى في سجنهِ بالكتابة والتأليف ورأى رجالهُ يتذمرون من الاسر فالحَّ عليهم ان يتركوهُ ويذهبوا لانهم غير مكلفين باحتمال الاسر من اجلهِ فابوا الا مرافقتهُ في السراء والضراء . وبقوا في ذلك الاسر الى اكتوبر سنة ١٨٥٢

فقدر الله ان البرنس نابوليون كان مشغولاً في انحاء المملكة فمر بباريس حيث كان

الامير مأسورًا فزارهُ ووعدهُ بالانقاذ وبعد بضعة ايام اطلق سراحهُ ودعاهُ لزيارتهِ في باريس فقوبل فيها بالحفاوة والاكرام والباريسيون مطلّون من الشبابيك والكوى لمشاهدة الامير البدوي الذي شغل دولة فرنسا ١٥ سنة بالحروب ثم دعي لزيارة البرنس نابوليون في قصره فسار مع اربعة من اخصائهِ وكانت الحفلة حافلة فتكلم الامير معتذرًا عن عدم معرفتهِ العوائد الجارية في فرنسا وطلب الاغضاء عما ربما يأتيهِ مما يخالف ذلك وتعهد لهُ بعدم الرجوع الى الجزائر فأكرمهُ البرنس وبعد الغداء طاف بهِ في القصر واهداهُ جوادًا عربيًا . وبالاختصار ان احتفال البرنس نابوليون بالامير عبد القادر كان عظيماً جدًا وبعد مضي شهر في باريس اتفق اجماع الفرنساوية على ارجاع الامبراطورية فكان الامير في جملة المنتخبين ووقع الانتخاب على البرنس نابوليون ولما تنصب زارهُ وهنأهُ فلاقى منهُ كل رعاية واعطاهُ سيفًا مكتوبًا عليهِ « من الامبراطور نابوليون الثالث الى الامير عبد القادر ابن محيي الدين »

وفي ٢١ دسمبر سنة ١٨٥٢ بارح الامير فرنسا فوصل الاستانة فاحتفل بهِ سفير فرنسا هناك احتفالاً شائقًا وبعد ايام سار الى بورصة على نية الاقامة فيها فاقام فيها ولهُ نفقات معينة من فرنسا تبلغ اربعة آلاف جنيه سنويًا تنفق عليهِ وعلى رجالهِ ولم يطب لهُ المقام هناك فاستأذن بالعود الى فرنسا فعاد ومكث فيها مدة ثم عاد الى بورصة قضى فيها بضعة اسابيع ريثما اعد نفسهُ ورجالهُ ومتاعهُ وبارحها الى بيروت فوصلها في ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٥٦ ومنها الى دمشق فخرج للقائهِ جماهير كبيرة بالاحتفاء اللائق رجالاً ونساء حتى وصل المحل المعد لاقامتهِ ثم اتخذ مسكنًا لهُ في محل يقال لهُ العمارة في دمشق واقام فيهِ وقد طابت لهُ المعيشة في تلك المدينة الفيحاء الى آخر ايامهِ لما لاقى من لطف اهلها وانسهم وكان يقضي معظم وقتهِ في المطالعة والصلاة والتأليف لا يخلو مجلسهُ من العلماء والفضلاء

وفي سنة ١٨٦٠ كانت الثورة المشهورة في دمشق وهي المذبحة التي ذبح فيها المسيحيون وكان الامير من اكبر المعارضين لاجرائها ولما نفدت حيلتهُ في منعها اصر على بذل قصارى جهده في كف الاذى عن المسيحيين

فلما علم يوم الاثنين في ٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٦٠ بابتداء المذبحة تكدر جدًا وبعث حالاً الى كل مغربي في دمشق وفرقهم في احياء المدينة لانقاذ من يستطيعون انقاذه من المسيحيين فكانوا يهجمون كالاسود بقلوب لا تهاب الموت ورؤوس قد ثارت فيها الحمية والمروءة فيأتون بمن يستطيعون انقاذهُ رجالاً ونساء واولادًا الى دار الامير ولما علم النصارى بما عزم عليه الامير كانوا يفرون اليهِ من تلقاء انفسهم ويقيمون في بيتهِ حتى غصت داره فاخذ البيوت المجاورة لهُ واخلاها واقام فيها اللائذين بهِ وفي جملتهم قناصل الدول وغيرهم وكان ينفق عليهم كل ما يحتاجون اليهِ من الطعام وغيرهِ وممن عاضدهُ في هذا العمل الخيري العالمان الشريفان محمود افندي حمزة واخوهُ اسعد افندي رحمهم الله اجمعين

وفي ثالث يوم المذبحة هجم الاكراد الثائرون على بيت الامير للقبض على النصارى فدافعهم الامير ورجاله والشريفان بكل ما في وسعهم فعاد الاكراد خاسرين ثم ان والي دمشق اذ ذاك وعد النصارى اذا سلموا ودخلوا القلعة انهم يكونون فيها آمنين من القتل فاجتمع فيها نحو من خمسة آلاف وكانهُ اراد بهم الغدر بعد ذلك بجماعة من الدروز كانوا قادمين للنهب فخرج اليهم الامير ورجالهُ وتهددوهم بالرصاص فخافوا وكروا على اعقابهم

وبقيت الثورة سبعة ايام متوالية لم يفتر فيها لحظة عن نصرة المظلومين وانقاذهم من القتل وتطبيب الجرحى وتعزية الثكالى والارامل واليتامى

وكان يقضي اكثر الليالي ساهرًا والبندقية في يدهِ حرصًا على من في حماه فاذا غلب عليهِ النعاس اسند رأسهُ الى فمها قليلاً

وفي ١٥ يوليو سنة ١٨٦٠ جاء دمشق والٍ جديد وعزل القديم واخذت الاحوال في الهدوء وقد كان في حمى الامير من النصارى يوم جاء ذلك الوالي نحو اربعة آلاف نفس وفي القلعة نحو ستة آلاف وبعد يسير جاء فؤاد باشا لفري المسألة ومقاصة المعتدين وهكذا انتهت المذبحة

اما النصارى فهم كانوا مقيدون بفضل هذا الرجل العظيم لانهُ جاء عملاً برهن على عظم نفسهِ ومروءتهِ وشهامتهِ وقد نال جزاءهُ من الدول الاوربية

فبعثت اليه بوسامات الشرف ورسائل الثناء وخصوصاً الدولة العلية ايدها الله

ولما هدأت الاحوال عاد الى السكينة وعكف على المطالعة والصلاة والتدريس. وفي سنة ١٨٦٣ استأذن الامبراطور في الذهاب الى الحج فاذن فزار الحرمين وقضى فروض الحج كما يجب وزار الطائف والمدينة المنوّرة وكان حيثما حل يلاقي كل رعاية واكرام وفي اثناء عوده من الحجاز سنة ١٨٦٤ مرّ بالاسكندرية وانتظم في سلك الجمعية الماسونية في ١٨ يونيو (حزيران) من تلك السنة وبعد ايام عاد الى دمشق وعكف على ما اعتادهُ من التدين والصلاة واشتهر بالتقوى حتى كان الصوفيون يعتبرونهُ مكاشفاً وينزلونهُ منزلة سيدي محيي الدين ابن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي وكان لهُ في قلوب اعيان دمشق منزلة رفيعة جدًّا وقد كتب كتباً في التصوف والتوحيد ولم يترك ملابسة العربية مطلقاً ونظرًا لمحافظتهِ على عهودهِ مع نابوليون كان يدعوهُ صديقهُ الباسل

وكانت معيشتهُ في بيتهِ في غاية البساطة مع الترتيب وما زال معظماً مكرماً محترماً لدى كل من عرفهُ حتى توفاه الله سنة ١٨٨٨ في منزلهِ في دمشق فاسف الناس واستعظموا المصاب فيهِ ورثتهُ الكتاب والعلماء ورثتهُ الجرائد في سائر الاقطار تغمدهُ الله برحمتهِ ورضوانهِ





باب المقالات

اللغة العربية الفصحى



واللغة العامية

قرأنا لجناب المستر وليم ولكوكس خطبة تلاها في كلوب الأزبكية ودرجتها جريدة الازهر الغراء في عددها الاخير الصادر في الشهر الماضي وموضوع تلك الخطبة « لمَ لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » وقد افاض حضرة

الخطيب في ذكر الاسباب المانعة لتلك القوة ثم اتى على ذكر العلاج وعدّد الطرق المؤدية الى ايجادها . وليس من غرضنا الخوض في شيء من مآل تلك الخطبة الاّ فيما يتعلق باللغة العربية

فقد قال حضرته ان من جملة العوامل في فقد قوّة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى واشار باغفالها واستبدالها باللغة العامية اقتداء بالامم الاخرى وذكر منها بنوع خاص الامة الانكليزية وقال انها استفادت افادة كبيرة باغفال اللغة اللاتينية التي كانت لغة الكتابة عندها واستبدالها باللغة الانكليزية الحاضرة

وعندنا ان المستر ولكوكس لم يصب المرمى في رأيه من هذا القبيل لأن ما صدق على اللغة الانكليزية لا يصدق على لغتنا لاسباب كثيرة نذكر منها

اوّلاً ان الانكليز باستبدالهم اللغة اللاتينية باللغة الانكليزية قد استبدلوا لغة اجنبية بلغة وطنية وليس كذلك الحال في اللغة العربية فان الفرق بين لغة الكتابة ولغة التكلم عندنا ليس بالشيء الكبير وقد لا يكون اكثر من الفرق بين لغة كتّاب الانكليز ولغة عامتهم الذين لا يعرفون القراءة

ثانياً ان استبدال اللغة العربية الفصحى باللغة العامية اذا انقذنا من شرّ فانه يوقعنا في شر اعظم منه لان الناطقين بالعربية تختلف لغتهم العامية اختلاف الاصقاع والفرق بين لغة مصر والشام ليس باقل من الفرق بين اللغة الفصحى واللغة العامية وكذلك بين لغة احد هذين البرين ولغة بلاد المغرب او الحجاز او غيرها من البلاد العربية ولا يخفى ما بين هذه الاقطار العربية من العلائق الادبية والمدنية والسياسية فباستبدالنا اللغة الفصحى باللغة العامية المصرية مثلا نحرم ابناء برّ الشام وبلاد المغرب من فائدة ما نكتبه في تلك اللغة وهكذا لو استبدلناه باللغة العامية الشامية او المغربية او الحجازية واذا لم نخسر بذلك الا الجامعة العربية فكفى بها خسارة

ثالثاً ان اللغة في كل أين وآن تتبع حالة عقول الناطقين بها ارتقاء وانحطاطاً فلغة العامة منحطة بنسبة انحطاط افكار الناطقين بها وليس لها ان تقوم مقام اللغة الفصحى ولا سيما العربية لانها ارقى لغات العالم وفيها من اساليب

التعبير ما تعجز لغة العامة عن القيام بمثله فاذا اردنا تدوين العلوم على أنواعها باللغة العامية كما ارتأى حضرة الخطيب فلا اظنها تقوم بتأدية المعاني الكتابية كما يجب ومن اين نأتي بالالفاظ التي نعبر بها عن الاصطلاحات العلمية ولا سيما الحديثة منها وقد كادت تعجز اللغة الفصحى عن القيام بها . فاذا قال اننا ندخل اليها تلك الاصطلاحات نقول ان الاصطلاحات المشار اليها ليست بالشيء القليل وانما هي قسم عظيم من اللغة ولا سيما لغة العلم فان معظمها اصطلاحات علمية . وتعليم العامة الفاظ اللغة الفصحى كما هي اسهل من تعليمهم الاصطلاحات العلمية وادخالها الى لغتهم وهذا شأن اللغة في سائر انحاء العالم . والمستر ولكوكس يعلم ان الكتب العلمية العالية المكتوبة بالانكليزية الآن لا يستطيع عامة الانكليز فهمها ولو مهما بولغ في ايضاحها وبسطها وذلك دليل على ان بين العامة والخاصة حجاباً لو حاولنا حسره عادت الطبيعة فسدلته

رابعاً ان الجامعة العربية قائمة بالمحافظة على اللغة الفصحى اذ لولا القرآن الشريف والمحافظة عليه منذ صدر الاسلام وعودتنا اليه في اصلاح ما تفسده الطبيعة من لغتنا لتشتت شمل الشعب العربي واصبح كل قطر من الاقطار العربية مستقلاً عن الآخر لا يفهم لغته كتابة ولا تكلماً كما حصل بالامم التي كانت تتكلم اللغة اللاتينية فقد أصبح لكل منها لغة مستقلة لا تفهمها الامة الاخرى مثال ذلك فرنسا وايطاليا واسبانيا وغيرها والفضل الاكبر في حفظ الجامعة العربية الى الآن القرآن الشريف والمحافظة عليه

خامساً ان اغفال اللغة الفصحى يستوجب اغفال كل ما كتب فيها من العلوم على أنواعها منذ الف وثلاثمائة سنة وهي خسارة لاتعوّض ولو مهما قيل بمنفعة فائدة اللغة العامية في الكتابة

فيتضح مما تقدم ان استبدال اللغة العربية الفصحى باللغة العامية رأيٌ اغفالهُ اولى بنا ليس فقط لكونه عقيماً بل لانه مضرٌّ باللغة والناطقين بها علمياً ودينياً وادبياً

على اننا لايليق بنا ختام الكلام في هذا الباب قبل الاشارة الى ما طالما شكوناه من توخي بعض الكتاب اختيار الالفاظ المستهجنة المهجورة اما اظهاراً لبراعتهم في حفظ مفردات اللغة واما احياء لالفاظ طوتها يد الايام لما اقتضته

حالة الحضارة وتنوُّع احتياجات الناس. فاذا قال المستر ولكوكس انهُ انما اراد اغفل مثل هذه اللغة فاننا نوافقه فيهِ ونؤيد قولهُ لان استعمال الالفاظ المستهجنة يحول دون الغاية المقصودة من تلك الكتابة ولا سيما في المواضع العمومية كالكتب التاريخية والقصص الادبية اما في المواضع العلمية العالية فان الضرورة تبيح لهم استخدام الالفاظ الوضعية لما وضعت لهُ بغير تساهل وعلى الخصوص لان تلك المواضيع انما يقرأُها افراد من خاصة الناس وهم مكلفون بمعرفة اوضاعها واصطلاحها

اما في القصص والروايات والتواريخ وسائر المواضيع الادبية العمومية فالكاتب مكلف بانتقاء الالفاظ التي تفهمها العامة مع مراعاة جانب اللغة والاعراب فاذا عرض للكاتب معنى لهُ لفظان الواحد مهجور والآخر مأْلوف فانهُ مطالب باغفال المهجور واستعمال المأْلوف وتلك قاعدة من قواعد الانشاء الصحيح لا تخفى على حضرات الكتاب فبدلاً من ان نقول « وجلس سجاح وجهو » نقول « وجلس تجاه وجهو » لمطابقة سجاح وتجاه المعنى المقصود زنة ومعنى وعندنا ان المجاوزة الى ما وراء ذلك واستخدام كلمتين او ثلاث مأْلوفة تؤدي معنى مراداً افضل من استخدام كلمة واحدة مهجورة تؤدي ذلك المعنى وان خالفنا في ذلك على نوع ما قاعدة من قواعد البلاغة لاننا نتمكن من الجهة الثانية من افهام المطالع اذا كان عامياً او غير عامي ما اردنا فهمهُ بدلاً من ان نحملهُ على الملل من القراءَة والتقاعس عن المطالعة ونحن نود مواظبته عليها لتحصل الفائدة المقصودة من كتابتنا . ويجب علينا فهم المقصود بالذات من كتابة الكتب الادبية للعامة باننا انما نريد بذلك اكتسابهم المبادئ الادبية او التاريخية لا تعليمهم الفاظ اللغة وقواعدها لانهم في غنى عن ذلك لاشتغال كل منهم بعمل يعمل بهِ لأَود حياتهِ ولا حاجة بهِ الى دخائل اللغة . اما من اراد منهم درس قواعد اللغة ومفرداتها فهناك كتب خاصة بذلك فليعتمد عليها

وخلاصة القول ان المواضيع العلمية العالية لا غنى لكاتب فيها عن الاركان الى ما وضع لكل علم من الاوضاع والاصطلاحات ولا مندوحة لهُ عن استعمالها فهمها العامي او لم يفهمها على ان العامي في غنى تام عن هذه المواضيع لبعدها عن مداركه واحتياجاته

اما المواضيع التاريخية والادبية العمومية وما جرى مجراها فالكاتب فيها مطالب بتجنب كل ما يحول دون فهمها لدى الخاص والعام فيجب ان تكون عبارته فيها بسيطة واضحة سلسة خالية من كل تعقيد حتى تكون المعاني جلية للمطالع كل الجلاء لا يحتاج في فهمها الى التوقف لحظة او مراجعة معجمات اللغة والاّ فان عجز الكاتب عن ذلك يعدّ نقصاً في واجبات صناعته

ونحن في موقف نلتمس فيه لحضرة المستر ولكوكس عذرًا على ما ارتآه لانه على ما نظن انما حكم بافضلية استبدال اللغة الفصحى باللغة العامية لما رأى في بعض الكتب من التعقيد من مثل ما تقدمت الاشارة اليه

على اننا لو سرنا في كتابتنا على الخطة التي اشرنا اليها بحيث نجعلها بسيطة واضحة مع مراعاة جانب اللغة والاعراب ما تركنا لحضرته اولسواه باباً للاعتراض او وجهاً لابداء مثل ذلك الرأي والله سبحانه وتعالى اعلم



باب المراسلات

المد والجزر

حضرة الفاضل منشىء الهلال

ما هو سبب حصول المد والجزر في البحر المالح وما هي كيفية تأثير القمر في ذلك ولمَ لا يحدث في البحر العذب

(السويس) ميخائيل حنا

معاون اول محافظة السويس

(الهلال) المد ارتفاع ماء البحر عند الشواطئ وامتداده نحو اليابسة والجزر عكسه اي انخفاض ذلك الماء وانحساره عنها ولكل من المد والجزر مواقيت معينة يشاهدها سكان السواحل ويحدث كل منهما مرتين كل اربع وعشرين ساعة وخمس وعشرين دقيقة اي كل يوم قمري . ومقدار المد والجزر يختلف باختلاف عمر

القمر وبعده عن الارض . اما كيفية تأثير القمر في المد والجزر فيظهر مما يأتي

لا يخفى ان الارض كرة متحركة في الفضاء كسائر النجوم السيارة تدور حول الشمس . والقمر سيار يدور حول الارض ولكل منهما مواقيت في الدوران معلومة . ولا يخفى ايضاً ان سائر الاجرام السماوية متشابهة في ذلك اي انها اما شموس ثابتة كشمسنا واما سيارات دائرة كارضنا وقمرنا . ولا حاجة بنا الى تفصيل ما قيل بشأن هذا النظام منذ القدم وانما يكفينا الاشارة الى ما وصل اليه الفلاسفة في ابحاثهم الاخيرة وفي مقدمتهم شيخهم العلامة اسحق نيوتن فانهم اثبتوا ان حركة الاجرام السماوية مهما تنوعت واختلفت فاساسها « الجاذبية العامة » ويراد بها الجاذبية المتبادلة بين الاجرام المتحركة والثابتة بحيث تتوازن قواتها فلا يختل نظامها وهي فاعلة بين كل جرم وآخر على التبادل فالارض تجذب القمر والشمس تجذب الارض والقمر يجذب الشمس والارض وكل من هذه تجذب سائر الاجرام السماوية وكل من الاجرام السماوية يفعل مثل ذلك

والمد والجزر يحدثان عن جذب الشمس والقمر للارض وانما التأثير الاكثر للقمر لقربه منها . ولايضاح ذلك نفرض الارض كرة سابحة في الفضاء تغطي المياه كل سطحها ولنفرض القمر كرة اصغر منها تدور حولها فالكرتان تتجاذبان ومعلوم ان الجاذبية تقلّ كلما بعدت الاجزاء المتجاذبة والعكس بالعكس فالقمر يجذب الجزء الاقرب اليه من الارض اكثر مما يجذب الجزء الذي بعدهُ فلنفرض القمر واقعاً فوق الارض تماماً فهو يجذب السطح القريب منهُ اكثر من الجزء الواقع تحت ذلك السطح ويجذب هذا الجزء اكثر مما يجذب السطح المقابل الواقع في الجهة السفلى من الارض . وقد فرضنا الارض مغمورة بالمياه فالجذب يكون على معظمهِ في الماء الواقع على السطح العلوي وعلى اضعفهِ في السطح السفلي وعلى متوسطه فيما بينهما اي في الجزء الجامد منها

ولو كانت الارض جامدة ولا ماء عليها لما حصل تغيير على سطحها ولكن الماء لسهولة تحركهِ يندفع بالجذب لجهة الجاذب بنسبة قربهِ منهُ فيرتفع الماء الواقع على السطح العلوي لانهُ اقرب الاجزاء الى القمر ويتبعهُ الجزء الجامد المتوسط اما السطح السفلي فلأن الجاذبية اقل تأثيراً عليه من ذينك الجزءين فيبقى ابعد

عن القمر منها فيظهر لمن يعاينهُ من اسفل انهُ مرتفع عن موضعهِ الاصلي

فيتضح مما تقدم ان وجود القمر في الجهة الواحدة من الارض يسبب ارتفاع الماء من الجهتين المتقابلتين فينحسر عن الجهتين الواقعتين بينهما فاذا كان القمر في الشرق يرتفع الماء في سطحي الارض الشرقي والغربي وينحسر في سطحيها الشمالي والجنوبي والعكس بالعكس

قد فرضنا الارض فيما تقدم مغمورة بالمياه في كل سطحها ولكن الماء بالحقيقة لا يغمر الا نحو ثلاثة ارباعها فارتفاعهُ في جهة يحسره من جهة اخرى فيظهر ذلك عند الشواطئ مظهر الجزر ثم اذا تحوّل القمر الى جهة اخرى بدورانهِ يبطل تأثير جذبهِ هناك فيعود الماء ويمتد نحو الشاطئ وهو المد

ولما كان موقع القمر في جهة يسبب ارتفاع الماء في جهتين كما تقدم وكان القمر يمر بكل جهة مرة في اليوم كان انحسار الماء عن الشواطئ وامتداده عليها يحدث مرتين في اليوم وبعبارة اخرى يحدث المد والجزر في المكان الواحد مرتين كل يوم وهو الواقع

ثم ان مقدار المد والجزر يختلف باختلاف موقع القمر من سطح البحر فيزداد كلما كان اقرب الى الخط العمودي . ولما كانت الشمس تجذب الارض كما يجذبها القمر (ولكن اقل مقدارًا بنحو النصف) كان لموقع الشمس من القمر تأثير في ازدياد المد والجزر. واعظم المد يكون اذا كان القمر بدرًا او هلالاً لانهُ في الحالة الاولى يكون مقابل الشمس فيجذب كل منهما الارض في الجهة المقابلة فيتضاعف ارتفاع الماء بنسبة مجموع جذبيهما لان جذب كل منهما يحدث مدًّا فيزداد الانحسار في الجانبين بتلك النسبة وفي الحالة الثانية يكون الاثنان الى جهة واحدة فيكون المد بنسبة مجموع جذبيهما معًا ايضًا . اما اذا كان القمر في الربع الاول او الربع الآخر فيكون مائلاً على الشمس ويكون المد بنسبة الفرق بين مديهما ومما يؤثر في ازدياد المد والجزر قرب القمر من الارض فيكون اعظم عند ما يكون القمر في الاوج وهو اقرب مسافة بينهُ وبين الارض

هذه هي كيفية تأثير القمر في المد والجزر اما عدم حدوثهِ في الابحر المغلقة (الانهر) فسببهُ ان تأثير جذب الشمس والقمر على الارض لا يظهر مظهر المد

والجزر الآ لفعلهِ في الابحر الكبيرة (الاوقيانوس) اما في الابحر الصغيرة كالبحر المتوسط والبحر الاحمر وغيرها فلا يظهر فيها الآ لاتصالها بالابحر الكبيرة واما الابحر الصغيرة غير المتصلة بالاوقيانوس فقلما يكون لهُ فيها تاثير ومن باب اولى عدم تاثيرها في الانهر وذلك ليس لعدم تاثير جذب القمر فيها ولكن لسبب صغرها وجريها فلا يظهر فيها عامل الجذب والله اعلم

الدوتة شكر واعتراض

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

اشكركم على ما تفضلتم به من الايضاح لما اشكل عليّ من امر امتهان السيدات واستبدادهنّ وقد افضتم في الموضوع واشبعتم الكلام وقد كان يجدر بي الوقوف عند ذلك والاكتفاء به ولكنني رأيت في ايضاحكم المشار اليه ما حملني على العود الى البحث فيما تفرع عن مسالتنا الاولى مما يتعلق بامر الدوتة فاقول

اراكم قد شددتم النكير على طالبي الدوتة وبالغتم في تسفيههم حتى قد يقال انكم تجاوزتم الى وراء ما يستوجبون وعندي ان الدوتة مهما قيل بشانها لا تخلو من الحسنات

ولا يخفى على حضرتكم ان بين شباننا عدداً كبيراً ممن قد منحتهم الطبيعة ذكاء وهمة ونشاطاً وقد تلقنوا العلوم وتهذبوا في المدارس حتى اصبحوا في استعداد تام لمعاطاة الاعمال العظيمة ولكن فراغ ايديهم من النقود يسد دونهم ابواب التقدم ويذهب بمواهبهم ومعارفهم ادراج الرياح حتى تطويهم الايام وهم بين تحرق وتأسف عاضين على نواجذ اليأس والفاقة . فهؤلاء اذا اتيح لهم التزوج بذوات اليسار لا اقل من ان تساعدهم الدوتة على استخدام قواهم ومعارفهم وناهيك عما قد يأتون من الاعمال العظيمة خدمة للانسانية والهيئة الاجتماعية واذا قلبنا صحف التاريخ وطالعنا سير الرجال العظام نرى عدداً كبيراً منهم انما كان نبوغهم نتيجة اقترانهم بنساء غنيات استخدموا اموالهن في اعمال جاءت باحسن النتائج وفي بعضهم كانت سبباً لتاسيس دول وانشاء امم

هذا ولا انكر ما للدوتة من السيئات والرأي لحضرتكم

القاهرة (ر . ن .)

في الامور السياسية والمخابرات الدولية ولذلك اتخذتها الدول الآن لغتها الرسمية التي تتخابر بها رسمياً

﴿ السكك الحديدية ﴾

حضرة الفاضل مدير جريدة الهلال الغرَّاء

نرجو درج رسالة مسهبة في اعمدة جريدتكم الغرَّاء عن السكك الحديدية واصل منشإها ومن المخترع لها بما اننا لغاية الآن لم نقف لها على تاريخ صريح فتارة نسمع بان آثارها وجدت جهة الاسماعيلية من عهد بعيد وسمعت من بعض قبط مصر انه رأى رسمها على جدران دير بجهة الصعيد يقال انه وجد مرسوماً قبل الآلاف من السنين وسمعت ايضاً اقاويل شتى في هذا الموضوع

فقد جئناك يا ابا التاريخ راجين اجابة هذا الطلب خدمة للعلم وابناء الوطن ولكم الفضل (منوف العلا) محمد حافظ

(الهلال) لا صحة لما يزعمون من قدمية السكك الحديدية فان اختراعها لا يتجاوز القرن السابع عشر اذ ان اوَّل خط وضع في انكلترا وكان خشبياً سنة ١٦٠٢ لجر عربات الفحم عليهِ بالخيل مسافة قصيرة اشبه شيء ببعض السكك الزراعية بمصر . وذلك قبل اختراع البخار . وجعل ذلك الخط حديدياً سنة ١٧٣٨ ولم تكن فائدته الا سهولة سير العربات الحاملة الاحمال الثقيلة اما السكك الحديدية البخارية فلم تستعمل الا في اوائل القرن التاسع عشر بعد اختراع الآلات البخارية واوَّل قطار بخاري استخدم لنقل الآدميين بناهُ جورج ستيفنس سنة ١٨١٤ وكانت سرعته اذذاك ستة اميال في الساعة واخذت سرعته تزداد بزيادة الاتقان حتى بلغت ما بلغت اليهِ الآن وهي سبعون ميلاً في الساعة

اما ما حمل البعض على القول بقدمية هذا الاختراع فعلى الغالب انهم رأوا بين الرسوم التي على الهياكل القديمة رسوماً تشبه القطار او الخطوط الحديدية فزعموا بان المصريين القدماء استخدموا القطار او البخار وذلك بعيد عن التصديق ولا دليل على صحتهِ

وسنفرد فصلاً مسهباً في تاريخ السكك الحديدية في فرصة اخرى ان شاء الله تعالى

تاريخ انكلترا (تابع لما قبله)

فجاءت المنية حداً فاصلاً لذلك المشكل لان لويس كان قد نزل سندويش وسار يوحنا لملاقاته فحصل نوء عظيم اغرق كل متاعه من المال والحلي فأصيب هو بحمى شديدة ذهبت بحياته . ويقول آخرون انه مات مسموماً وكانت وفاته في قلعة نيوارك ودفن في ورشستر في ١٩ اوكتوبر سنة ١٢١٦ وكان هذا الملك جباناً خسيساً افاكاً معطلاً . اما صفاته الشخصية فانه كان طويل القامة ممتلئاً تدل ملامح وجهه على ضعف عقله

وترك من امرأته الثانية ايزابلا ثلاثة ذكور وهم هنري وريكاردوس وادموند وثلاث أناث جوان واليانور وايزابلا . وفي ايامه تمّ بناء جسر لندرا

الملوك المعاصرون له

اسكوتلاندا	حكم سنة	الامبراطورية	حكم سنة
وليم	١١٦٥	فيليب	١١٩٨
اسكندر الثاني	١٢١٤	اوتو الرابع	١٢٠٨
فرنسا		**بابوات**	
فيليب اوغسطس	١١٨٠	اينوسنت الثالث	١١٩٨
كاستيل		هونوريوس الثالث	١٢١٦
الفونس التاسع	١١٥٨	**مصر**	
هنري الاوّل	١٢١٤	الملك العادل ابن ايوب	١٢٠٠

أهمّ الحوادث المعاصرة

استيلاء حملة الصليبين الخامسة على الاستانة	سنة	١٢٠٣
اذاعة جنكس خان في اسيا	«	١٢٠٥
محاربة الصليبيين لدمياط	«	١٢٠٠



﴿ هنري الثالث ﴾ (وينشستر)

« ولد سنة ١٢٠٧ وحكم سنة ١٢١٦ ومات سنة ١٢٧٢ م »

فلما مات يوحنا استولى لويس على لندرا والبلاد الجنوبية اما البارونية فلم يكونوا يسمحون بضياع بلادهم وخروجها من ايدي ملوكهم فنصبوا هنري ابن يوحنا والبسوهُ تاج الملك وكان تاج ابيهِ قد غرق فاصطنعوا لهُ تاجاً بسيطاً من الذهب وأُمر الاعيان ان يجعل كلٌّ على رأْسهِ رباطاً ابيض مدة شهر احتفاءً بذلك التنصيب ولم يكن سنّ هنري اذذاك اكثر من عشر سنوات فاقاموا عليهِ وصياً ارل بمبروك

واوّل اعمال هذا الملك تثبيت اللائحة العظمى المتقدم ذكرها وكانت مؤلفة من واحد وستين فصلاً فجعلها اثنين واربعين اما لويس فلم يترك البلاد الاّ بعد مواقع انتهت بموقعة لنكولن انكسر فيها الفرنساويون فبارحوا الجزيرة في ١٩ مايو سنة ١٢١٧ ثم علموا بتحطم عمارتهم وراء كالي

ثم توفي بمبروك بعد تولية الوصاية بثلاث سنوات فامست الاحكام سبباً للخصام بين هوبرت دي بورغ احد القواد العظام وبيتر دي روش اسقف ونشستر حتى كاد يقود ذلك الى حرب

وفي سنة ١٢٢٣ بلغ هنري السابعة عشرة من سنهِ وقد اصبح هوبرت من اخصائهِ فصغرت نفس بيتر فاتخذ قيادة الحجاج الى الارض المقدسة

ثم اجتمع المجلس الاعظم وقرّر تخصيص جزء من ١٥ من كل الممتلكات القابلة النقل استعداداً لمحاربة فرنسا على شرط ان يثبت هنري اللائحة العظمى مرة ثالثة فسارت الحملة سنة ١٢٢٥ ولكنها لم تستطع استرجاع بواتو وجوين اللتين كانتا قد دخلتا في حوزة لويس فلم تكن الاعمال الاّ سبباً لضياع الوقت وانفاق اموال الاهالي

لغير طائل فنسب الشعب كل ذلك الى هنري فالقى هو التبعة على دي بورغ فقرّ هذا الى كنيسة بوازار فقبض عليه هناك وقيد الى لندرا عريانًا على جواد ثم خاف هنري ان تثير هذه الاهانة خواطر الكهنة فاعادهُ ولكنهُ امر شريف البلد (حاكمها) ان يحاصر الكنيسة فحفر حولها خندقًا وبذر في افنيتها حسك الحديد ولم يمض على هوبرت اربعون يومًا على هذه الصورة حتى اخذ منهُ الجوع مأخذًا عظيمًا فسلَّم وما زالوا ينقلونهُ من سجن الى آخر حتى فرّ اخيرًا الى ويلس وبعد قليل صالح الملك

وفي سنة ١٢٤٢ اقام هنري حربًا اخرى على لويس وطال الاخذ والرد وانتهى الامر بمعاهدة تقضي باستيلاء هنري على ليموسين وبريغورد وكويرسي في مقابل نورمنديا ومابن وانجو وبواتو التي كانت قد دخلت في حوزة الفرنساويين

وتبادل هنري علاقات المودة مع ملك اسكوتلاندا فأزوجهُ اخته بولان

ثم رأى البارونية اعوجاج هنري عن واجبات الوطنية فثاروا تحت قيادة سيمون دي مونتفورت زوج اليانور شقيقة الملك واتفق اذذاك سفر ريكاردوس اخيه الاصغر الى جرمانيا فخلا الجوّ لاعداء هنري وتوطدت آمالهم في خلعهِ

ففي سنة ١٢٥٨ اجتمع البارونية في وستمنستر شاكي السلاح ثم لما اجتمعوا في اوكسفورد فيما دعوهُ البرلمانت المفتوءُ عينوا لجنة من ٢٤ نفسًا عهدوا اليهم اصلاح الامة وسنّوا لهم قانونًا مفادهُ

(١) يجب ان يحضر البرلمانت ٤ فرسان من كل ولاية لينوبوا فيهِ عن سراتها

(٢) ان حكام الولايات يجب ان يكون انتخابهم سنويًّا بالاكثرية

(٣) يجب ان يُقدَّم حساب عن اموال العامة كل سنة

(٤) ان يجتمع البرلمانت ثلاث مرّات في السنة (في فبراير (شباط) ويونيو (حزيران) واكتوبر (ت ١))

وقد دعيت هذه القوانين (ذخائر اكسفورد) غير ان تنفيذها تاخر بسبب الانشقاق الذي وقع فيما بين البارونية ثم اقاموا ملك فرنسا حكمًا يفصل بينهم وبين ملكهم فحكم للملك فآل ذلك الى حرب ملكية فضربت اجراس كنيسة القديس بولس فاجتمع اهل لندرا تحت لواء سيمون في ١٤ مايو سنة ١٢٦٤ واخذوا في السلب

والقتل ولا سيا في اليهود

ومثل ذلك حصل في لويس من سسكس وهناك أُخذ هنري اسيرًا وفي اليوم التالي سلّم البرنس ادوارد . فعقدت معاهدة تقضي بالافراج عن الملك ولكنها لم تنفذ فبقي هنري وولداهُ تحت الحجز التام

وفي السنة التالية سنة ١٢٦٥ استدعى سيمون مجلس البرلمانت ونوابًا عن المدن والبنادر فضلاً عن الاساقفة والبارونية وفرسان الولايات الذين هم اعضاؤُهُ الاصليون وكانت هذهِ الدعوى داعيًا الى ما اصبح عليهِ البارلمانت الانكليزي بعد ذلك فان الاساقفة والاشراف يؤلفون مجلس الاعيان والباقون مجلس العموم كما هو الحال الآن في لندرا

وفي اثناء ذلك نجا البرنس ادوارد من سجنهِ وفرّ فلاقاهُ سيمون في اقسام من ولاية ورستر فتلاحما وكان الملك هنري في معسكر سيمون مقيدًا فاجبروهُ على المحاربة فاصيب بجراح وسقط فخاف ان يذهب قتيلاً فنادى بأعلى صوتهِ « انا الملك هنري » فلما سمع ادوارد صوتهُ عرفهُ فجاء لمساعدتهِ واتحد الجميع على سيمون حتى قتلوهُ في ٤ اوغسطس سنة ١٢٦٥

فعاد كرسي الملك الى صاحبهِ الاصلي وانقضت الحروب الاهلية فسار ادوارد مع الحملة الصليبية التي احتشدت تحت قيادة الملك لويس . وتوفي هنري اثناء غياب ابنهِ وكان ملكًا ضعيفًا ساذجًا جبانًا كسلانًا اما في معيشتهِ الانفرادية فكان لطيف المعشر متوسط القامة وفي جفنهِ الايسر ذبولٌ يجعل في وجههِ معنى غريبًا

وفي ايام هنري دخلت معامل الكتان الى انكلترا واستعملت انابيب الرصاص لنقل المياه واتخذت الشموع بدلاً من مشاعل الحطب وأُذن باحتفار فحم الحجر وضربت النقود الذهبية . اما العلم فتقدم في ايامهِ بابحاث روجر باكون احد الاخوة الفرنسسكانيين في اكسفورد الذي استعمل الزجاج المكبر والفانوس السحري ولقب بسبب ذلك بالساحر

﴿ الملوك المعاصرون له ﴾

	حكم سنة
﴿ اسكوتلاندا ﴾	
اسكندر الثاني	١٢١٤
« الثالث	١٢٤٩
﴿ فرنسا ﴾	
فيليب اوغسطس	١١٨٠
لويس الثامن	١٢٢٣
لويس التاسع	١٢٢٦
فيليب الثالث	١٢٧٠
﴿ كاستيل ﴾	
هنري الاول	١٢١٤
فرديناند الثالث	١٢١٧
الفونس العاشر	١٢٥٢
﴿ امبراطرة ﴾	
اوثو الرابع	١٢٠٨
فريدريك الثاني	١٢١٢
فراغ الكرسي	١٢٥٠
﴿ البابوات ﴾	
هونوريوس الثالث	١٢١٦

﴿ تابع البابوات ﴾	حكم سنة
جورج التاسع	١٢٢٧
سالستين الرابع	١٢٤١
اينوسنت الرابع	١٢٤٣
اسكندر «	١٢٥٤
اوربان «	١٢٦١
اكليمندوس «	١٢٦٥
غريغوريوس العاشر	١٢٧١
﴿ مصر ﴾	
الملك الكامل ابن العادل	١٢١٨
« العادل ابن الكامل	١٢٣٨
« الصالح ابن الكامل	١٢٤٠
« المعظم ابن صالح	١٢٤٩
شجرة الدر اول سلاطين المماليك	١٢٥٠
ايبك الجاشنكير	١٢٥٠
الملك الاشرف	١٢٥٠
نور الدين علي ابن ايبك	١٢٥٧
المظفر سيف الدين قطوز	١٢٥٩
الملك الظاهر بيبرس	١٢٦٠

﴿ اهم الحوادث المعاصرة ﴾

انتصارات جنكزخان في اسيا	سنة ١٢١٨ — ١٢٢٧
بناء مدينة المنصورة	« ١٢١٩
الحملة الصليبية السادسة	« ١٢٢٧ — ١٢٢٩

الحملة الصليبية السابعة	سنة ١٢٤٨ — ١٢٥٠
خروج مصر من سلطة الايوبيين الى المماليك البحرية	« ١٢٥٠
تخريب مدينة دمياط	« ١٢٥٠
سقوط سلطة العباسيين وانتقالهم الى مصر	« ١٢٦٢
قلب اليونان لمملكة اللاتين في الاستانة	« ١٢٦١
الحملة الصليبية الثامنة وموت لويس التاسع	« ١٢٧٠



ادوارد الاول (لونغشانك)

« ولد سنة ١٢٣٩ وحكم سنة ١٢٧٢ ومات سنة ١٣٠٧ »

قد تقدم ان ادوارد كان في الحرب المقدسة يوم توفي ابوهُ ويقال انهُ اصيب هناك بجرح من شفار سام وان امرأتهُ الينور هي التي شفتهُ بامتصاصها السم من جرحهِ وكانت حروبهُ في الاراضي المقدسة عديمة الجدوى فبارح فلسطين بعد ان مكث فيها ثمانية عشر شهراً . فلما وصل ايطاليا بلغهُ خبر وفاة ابيهِ فتقدم الى بلادهِ بعد ان انهى بعض المشاكل في طريقهِ ولما وصل توّجوهُ وامرأتهُ في وستمنستر وكان ذلك بعد وفاة ابيهِ بسنتين وحضر ذلك الاحتفال اسكندر ملك اسكوتلاندا وكان يقبض خمس ليرات كل يوم لنفقات السفر . وكانت مطامع ادوارد متجهة نحو ويلس واسكوتلاندا على نية ان يجعل كل الجزيرة تحت لوائهِ وكان قد سبقهُ الى ذلك المقصد كثيرون من اسلافهِ . اما ويلس فامتنعت على الجميع ولم يستطع احد فتحها ولكنها لم تمتنع على ادوارد فسار لافتتاحها سنة ١٢٨٢ بجيوش اعتادت الحروب في الجبال. فدافع الويلسيون دفاعاً حسناً تحت قيادة ليولين ملكهم لكنهُ

اصيب اخيرًا بطعنة كانت القاضية عليهِ وعلى استقلال مملكتهِ فحزّ الانكليز رأسهُ وبعثوهُ الى لندرا فكللوهُ باللبلاب وعلقوهُ على باب البرج . وكان لهُ اخ يقال لهُ داود دافع بعد موت اخيهِ دفاعًا قليلًا ثم سلمهُ انصارهُ فشنقوهُ بامر ادوارد وتمّ الظفر لملك انكلترا ودخلت ويلس من ذلك الحين في حوزة الانكليز ولقب ادوارد ابنهُ ادوارد الثاني اميرًا على ويلس (برنس اوف ويلس) وهو اوّل من اعطي هذا اللقب ولا يزال الى اليوم لقب وليّ عهد مملكة انكلترا

اما اسكوتلاندا فوقع الخلاف على من يتولى كرسيها بعد انقطاع سلسلة حكامها بوفاة مرغريتا فتداخل ادوارد في الامر وادّعى انها تابعة لمملكتهِ حسب اقرار وليم الاسد لهنري الثاني وان ريتشارد الاوّل لا يحق لهُ بيعها لانها ليست ملكًا لهُ وانما هي ملك ملك انكلترا وبناء على ذلك تداخل ادوارد في اعمال اسكوتلاندا وولى عليها باليول من سلالة داود اخي وليم الاسد وذلك سنة ۱۲۹۲

وعقب ذلك حربٌ بحرية بين فرنسا وانكلترا وسببها ان رجلًا انكليزيًا ذبح رجلًا نورماندياً فترصد النورمانديون لاخذ الثار فظفروا بمركب انكليزي فاخرجوا منهُ احد الركاب وعلقوهُ على السارية . وكان ذلك قرب خليج بيسكي فاتسع الخرق وحصلت بسبب ذلك مناوشات عديدة كان الفوز فيها غالبًا للانكليز فطُلب ادوارد الى فرنسا فلم يحضر ولكنهُ استعدَّ للحرب وللنفقات الحربية فاختلس اموال اليهود وجعل الضرائب خمسة اضعاف فاعدَّ العمارة في بورت موث وهمَّ بالرحيل فاوقفتهُ ثورة ظهرت في ويلس ولما خمدت ظهرت اخرى في اسكوتلاندا . فبعث ادوارد الى باليول ملك اسكوتلاندا يطلب حضورهُ اليهِ ليسأَلهُ عن تصرفهِ فابى ولم يجب الاّ بالاستعداد للحرب ولكنهُ لم يقوَ على مناواة ملك انكلترا فاخضعهُ ودخل اسكوتلاندا لتأييد سلطتهِ فيها ثم عادت الى الثورة تحت قيادة والس وبروس ثورة انتهت باستقلالها . فلما اتصل بانكلترا ان بروس سمي ملكًا على اسكوتلاندا نهض ادوارد وسار حتى وصل اسكوتلاندا وكان ذلك آخر انتقالاتهِ لانهُ اصيب بمرض شديد فمكث في كارليل مدة وتوفي في ۷ يوليو (تموز) سنة ۱۳۰۷ بعد ان اوصى ان تنقل عظامهُ الى بلادهِ امام الجيش كما جاءت الى هناك وترك اربعة اولاد ذكور من امرأتهِ الينور التي توفيت سنة ۱۲۹۰ اكبرهم ادوارد الثاني وامرأتهُ

الثانية ولدت له ابنة وصبيين وهما ادموند وتوماس

وكان ادوارد شجاعاً باسلاً مدرّباً في الاعمال الحربية ولكنهُ كان قاسياً حقوداً طماعاً وكان طويل القامة مهيباً

وفي ايامهِ خرج اليهود من بلادهِ سنة ١٢٩٠ وادخلت طواحين الماء والعربات والورق والمرآة من البندقية (فنيس) وحظر استعمال الفحم الحجري منعاً لدخانهِ الذي تضرّر الناس منهُ

﴿الملوك المعاصرون لهُ﴾

﴿ اسكوتلاندا ﴾	حكم سنة	﴿ تابع الامبراطرة ﴾	حكم سنة
اسكندر الثالث	١٢٤٩	ادولفوس	١٢٩٢
مارغريت	١٢٨٥	البرت	١٢٩١
خلو الكرسي	١٢٩٠	﴿ الباباوات ﴾	
باليول	١٢٩٢	غريغوري العاشر	١٢٧١
خلو الكرسي	١٢٩٦	اينوسنت الخامس	١٢٧٦
روبرت الاوّل (بروس)	١٣٠٦	ادريان الخامس	١٢٧٦
﴿ فرنسا ﴾		يوحنا الحادي والعشرون	١٢٧٦
فيليب الثاني	١٢٧٠	نيقولا الثالث	١٢٧٧
فيليب الرابع	١٢٨٥	مارتين الرابع	١٢٨١
﴿ كاستيل ﴾		هونوريوس الرابع	١٢٨٥
النونس الرابع	١٢٥٢	نيقولا الرابع	١٢٨٨
سانخو الرابع	١٢٨٤	سالستين الخامس	١٢٩٤
فرديناند الرابع	١٢٩٤	بونيفاسي الثامن	١٢٩٤
﴿ الامبراطرة ﴾		بنيديكت الحادي عشر	١٣٠٢
رودولف	١٢٧٢	كليمندوس الخامس	١٣٠٥





الجزء السابع — السنة الاولى

(اول مارس سنة ١٨٩٣) (١٢ شعبان سنة ١٣١٠) (٢٣ امشير سنة ١٦٠٩)



الجناب العالي عباس باشا الثاني

خديوي مصر المعظم

الاحتفال بفتح الخط الحديدي بين اسيوط وجرجا

اصلاح خطأ ✻ وقع خطأ في تنمير صفحات الجزء السابق فقد جعلت نمرتها الاولى ١٨١ بدلا ١٩٣ فيجب اعتبار اولها ١٩٣ وآخرها ٢٠٠

تقدم لنا في ماضي من عداد الهلال كلام عن انشاء الخط المشار اليه الى سوهاج وقد وصل الآن الى جرجا وهي النقطة التي ينتهي اليها الخط المشروع فيه . وقد تحرك الركاب العالي مخترقاً الصعيد للاحتفال بفتح ذلك الخط فتحاً رسمياً اثناء الشهر الغابر وتفصيل سياحته اعزه الله كما يأتي

تحرك الركاب العالي من القاهرة في صباح السبت ٤ فبراير الماضي في القطار الحديدي بصحبة النظار الكرام ورجال المعية السنية ومدير السكة الحديدية فوصل اسيوط في مساء ذلك اليوم وبات سموه هناك في بابورات الركايب الخديوية وفي صباح اليوم التالي ركب القطار على الخط الجديد فوصل جرجا في الظهيرة فاطلقت المدافع وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وترنمت تلامذة المدارس وصاحت العساكر بالدعاء ببقاء الذات الفخيمة الخديوية ثم فتح الخط رسمياً بحضور الجماهير من الوزراء ورجال المعية السنية ومديري اسيوط وجرجا وقنا وعدد غفير من المدعوين على اختلاف الطوائف والملل ثم تشرف عمد مديرية جرجا واعيانها ووفد من مديرية قنا بالمثول بين يدي جنابه الفخيم

وفي مساء ذلك اليوم ركب سموه اليخت الخديوي (فيروز) عائداً بحراً الى سوهاج وبات هناك وتحرك ركابه العالي في صباح الاثنين ٦ منه من سوهاج بحراً ايضاً الى ابي تيج فوصلها في عصر ذلك اليوم وبات هناك وغادرها في صباح الثلاثاء ٧ منه فوصل الروضة في مساء ذلك اليوم وبات هناك وبرح الروضة في صباح الاربعاء ٨ منه فوصل المنيا في مسائه وبات هناك وسار من المنيا في صباح الخميس ٩ منه فوصل بني سويف مساء ذلك اليوم فبات هناك وبكر في صباح الجمعة ١٠ منه من بني سويف فوصل القاهرة في المساء وقد اشتاقت العاصمة لانفاس مولاها واميرها عزيز مصر وفخرها ايده الله

اما احتفال اهل الصعيد بقدوم سموه فيعجز هذا القلم عن استيفاء وصفه لانك كنت تشاهد علامات الزينة واقواس النصر واعلام الترحاب تخفق على ضفتي النيل ولا تسمع الا اصوات الدعاء ببقاء ولي النعم عزيز مصر المفخم وكانت مظاهر الزينة على اتقنها في البنادر التي تشرفت بوطء قدميه او التي وقف بجنة الميمون اليها او بات فيها وقد تقدم ذكرها

وقد كان لتلك السياحة المباركة وقع في النفوس وترحاب في القلوب حتى لم نكن نسمع الا التحدث بها ولا نقرأ الا شرح احتفالها وقد شغلت الجرائد معظم اعمدتها في تفصيل امرها ودرج ما جادت به قرائح الشعراء

وقد استحسنا اقتضاب بعض ما ورد من الابيات التاريخية في شأن ذلك فنقول

قال حضرة الفاضل صاحب العزة اسماعيل بك عاصم مؤرخاً سفر الجناب العالي من القاهرة

ومصر يوم النوى كانت مؤرخة   سر يا خديوي رعد في اجمل السعد ١٣١٠

وقال مؤرخاً عودة سموه

والناس من فرح قالت مؤرخة   يامصر عاد الخديوي زاين السعد ١٣١٠

وقال حضرة الفاضل ابراهيم افندي رمزي احد اعيان الفيوم

فالصعيد الآن للاهلين قد   شاد تاريخين فيما صححوه

قال في تشريف والبهم يو   خط جرجا بالصعيد افتحوه ١٣١٠

وقال الاستاذ الفاضل محمد افندي عبدالله بالمدرسة الاميرية باسيوط مؤرخاً تشريف سموه تلك المدينة

مرحباً انا نؤرخ   بك اسيوط اضاءت

وقالت السيدة خديجة المغربية باسيوط

سياحة العباس أرخ بها   نصر من الله وفتح قريب ١٣١٠

وايضاً عباسنا أرخ ونادي به   انا فتحنا لك فتحاً مبين ١٣١٠

وايضاً لنصر العزيز وان ارخوا   به جندنا لهم الغالبون ١٣١٠

وقال الاستاذ الفاضل الشيخ سليمان العبد تهنئة بالعود السعيد

ما انشد التاريخ فيه مؤرخاً   سير الخديوي للصعيد سعودُ ١٣١٠

وهناك كثير من القصائد والعرائض ما لايسعنا المقام لذكرها ولكننا نكتفي بالاشارة اليها ونطلب الى الله تعالى ان يعزز سمو اميرنا المعظم ويوفقه الى ما فيه خير الامة والوطن فتحقق آمالنا فيه لازال مؤيداً بامرائه معززاً بوزرائه محفوفاً برجال معيته محاطاً بآمال رعيته ما توالى الملوان وتكرر الجديدان

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال

الامير بشير الشهابي الثاني

المعروف بالكبير او المالطي

« ولد سنة ١٧٦٧ وتولى سنة ١٧٨٨ ونفي سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٨٥٠ »

هو اعظم امراء بني شهاب حكام جبل لبنان في الاجيال الاخيرة وهم عرب يتصل نسبهم الى قريش قدموا بلاد الشام في صدر الاسلام وما زالوا يتناوبون الاحكام في لبنان ووادي التيم مع العائلات الاخرى من الامراء وغيرهم تحت رعاية الباب العالي الى اواسط هذا القرن

اما الامير بشير فهو اعظم الامراء الشهابيين سطوة وهيبة وبسالة وبطشاً واطولهم حكماً تنصر والده في آخر ايامه ثم توفي عن ولدين حسن وبشير فتزوجت والدتهما وتركتهما وهما في ضيق من العيش وكان حسن اكبرهما سناً فانتظم في خدمة الامير يوسف الشهابي امير جبل لبنان اذ ذاك واقام في قصبة الامارة بلدة دير

القرى اما الامير بشير فاصبح وحيدًا منفردًا وكان لوالده خادمة امينة فلازمت الغلام شفقة عليهِ واقاما في برج البراجنة قرب مدينة بيروت · اما والدتهُ فسكنت مع زوجها الجديد في قرية الحدث قرب البرج وكانت تعول ولدها بشيرًا وتسعفهُ بما يقوم باود حياتهِ من الطعام واللباس

ولما ناهز السادسة عشرة انفت نفسهُ من تلك المعيشة فغادر البرج قاصدًا دير القمر ونزل في بيت الدين بالقرب من الدير في منزل رجل يقال لهُ الشيخ ابو علي البتديني وكان شيخ مجلس (خلوة) محترمًا محبًا للبر وكان يؤانس في وجه الامير بشير مهابة الاسود وشهامة الرجال ففتح لهُ صدر بيتهِ وانزلهُ على الرحب والسعة فأقام عندهُ بضع سنين يقضي نهارهُ في الصيد والهاه في الغرق لما هو فيهِ من ضيق المعيشة مع شرف الحسب والنسب ولكنهُ كظم على مضض الحياة ينتظر فرصة ينهض بها من حضيض الذل الى ما تطلبهُ نفسهُ من المعالي

فاتفق ان دروز لبنان وهم الفئة الكبرى من سكانهِ انفوا من حكومة الامير يوسف واجمعوا على انزالهِ واقامة امير سواه وكان كبير الدروز اذ ذاك الشيخ بشير جنبلاط وكان نافذ الكلمة شديد البطش فشاور العقلاء والاعيان فأخبرهُ بعضهم عن الامير بشير وقال « ان هذا اذا تولى الامارة كان آلة بيدنا لصغر سنهِ وقلة احزابهِ » فقال الشيخ بشير الحيَّ بهِ ولكن مجيئهُ الى منزلي سرًّا لا أراه ولا يعلم بهِ احد فبعثوا اليهِ فجاءه في منتصف الليل ودخل على الشيخ وحياهُ فسألهُ اذا كان يريد ان يتولى لبنان فقال « ومن اين لي ذلك ولا مال عندي ولا رجال » فقال « اما المال والرجال فنحن نقوم بنقديمها لك فكن ثابت الجاش وتربص ريثما نخلع الامير يوسف » وامر وكيلهُ فجاءه بصرة من الدراهم دفعها اليهِ قائلاً خذ هذه الآن ومتى انفقتها ابعث اليك بمثلها واحفظ هذا سرًّا حتى يؤن الوقت فشكرهُ الامير بشير وخرج ولم يعلم بهِ احد

ولكن صدق من قال « كل سرّ جاوز الاثنين شاع » لان الامير يوسف علم بما تواطأ عليهِ الدروز والامير بشير فعول على اعدامهِ قبل تمكنهِ من الحكم فبعث اليهِ اخاهُ حسنًا وامرهُ ان يقتلهُ ويأتي برأسهِ فسار حسن على الرغم منهُ حتى اتى بيت الدين فبلغ الامير بشيرًا ذلك فجاءه ببندقيتهِ وذخيرتهِ وجلس في

صدر المجد. فلما اطل عليهِ اخوه من بعيد ناداه قائلاً «لا تقترب من هذا البيت والاَّ فاني قاتلك لا محالة» وصوَّب عليهِ بالبندقية فقال لهُ «انا جئت لاخاطبك في امر» قال «لا تخاطبني في شيء اما كفاكم اني مقيم هنا ولا ينظر اليَّ احد كأنما انا من السوقة البس ذلك عارًا على الامير يوسف» فخجل حسن وعاد واخبر بما كان وحسّن للامير الرفق باخيهِ فبعث اليهِ جوادًا يريد تقريبهُ منهُ وهو غير واثق بما سمعهُ عنهُ

اما الدروز فكتبوا الى الجزار والي ولاية صيدا وكان لبنان تحت ولايتهِ يشكون من الامير يوسف واستبداده فبعث اليهِ الجزار ان ينزل او ان يبعث اليهِ احدًا من ذوي قرابتهِ رهنًا ضامنًا لتسديد ما تأخر عليهِ من مال الحكومة فارسل الامير بشيرًا تخلصًا منهُ ويقال انهُ لما امرهُ بالذهاب الى عكا ليكون رهنًا عند الجزار قال انهُ «مر يا ولدي الى الجزار في شغل» فاجابهُ «اخاف ان اذهب ولدك وارجع ولد الجزار» فلم يفقه الامير لما قالهُ

فوصل عكا مصحوبًا بكتب التوصية من الشيخ بشير للجزار وغيره من رجال حكومتهِ وفي جملتهم رجل يهودي اسمهُ حاييم كان مديرًا لدائرة الجزار وبيده الحل والعقد وعائلة سكروج وكانوا كتابًا في ديوانهِ فساعدوا الامير بشيرًا مساعدة قوية فولاهُ الجزار الامارة على لبنان والبسهُ الفروة واعطاه العدة والرجال وامره بالذهاب الى دير القمر لاستلام مهام مصلحتهِ فسار في مائتي جندي وعلم الامير يوسف بقدومهِ ففرَّ من الدير ودخلها الامير بشير وتولاها وكان الشيخ بشير جنبلاط وانصارهُ انصارًا للامير في كل ما يريد فتعززت خطوتهُ وذاع صيتهُ

ولكن لم يستتب لهُ الامر الاَّ بعد مقتل الامير يوسف لان اعوجاج حكم الجزار كان يقضي بالامارة لمن يدفع اليهِ الرشوى الكبرى فكان يتعهد الامير يوسف تارة بدفع قدر اعظم مما يدفعهُ الامير بشير فيوليهِ ثم يزيد هذا على ذلك القدر فيعيده ويعزل ذاك. وكان اللبنانيون يشتكون احيانًا من قساوة الامير بشير فيتآمرون عليهِ ويتظلمون منهُ وبقي الحال كذلك حتى قُتل الامير يوسف في عكا بامر الجزار سنة ١٧٩٠. وكيفية ذلك ان الجزار كان سائرًا الى الحج فوصل اليهِ وهو في المزاريب كتاب من الامير بشير يذكر فيهِ من دسائس الامير يوسف وكان

هذا قد التجأ الى حمى الجزار في عكا فكتب الجزار الى نائبه هناك ان يقتله ثم ندم على مسارعته فبعث اليه ان لا يقتله ولكن سبق السيف العزل فقتل الامير يوسف شنقاً قبل وصول الكتاب الثاني ويقال انه وصل واخفاه ابن المكروج كاتب الجزار خدمة لمصلحة الامير بشير ولما عاد الجزار وتحقق ذلك منه قتله

فاستتب الامر للامير بشير غير ان الفتن بين ولايتي صيدا ودمشق لم تكن تنقطع واللبنانيون تارة يثيرون على اميرهم وطوراً يستبد فيهم تحصلو الاموال ونظراً لكثرة الفئات والطوائف في لبنان لم يكن يخلو ذلك الجبل من فتنة تهرق في سبيلها الدماء وتسلب الاموال وكان الامير بشير يتدبر كل ذلك حيناً بالحكمة وآونة بالقوة وتارة بالحيلة والدهاء حتى بهر الحكام وسحر الرعية وزد على ذلك انه لم يكن في مأمن من صداقة رئيسه الجزار والي صيدا لان الجزار لم يكن يرعي ذماماً ولا يتفاضل الامراء عنده الا بنسبة ما يدفعونه اليه من الخراج والاموال وكان اذا ولى اميراً لا يأمن انتقاضه فيسترهن عنه ابنه او اخاه او زوجته فاذا عزله بعث اليه بالرهن ويسترهن احداً من ابناء الامير الجديد وهكذا

وفي سنة ١٧٩٩ قدم بونابرت بجيوشه لافتتاح سوريا بعد ان دوخ الديار المصرية فافتتح يافا ثم جاء عكا وحاصرها وكان الامير بشير عوناً كبيراً للفرنساوية بمدهم بالمؤونة والزاد وقد سر نصارى لبنان بقدوم تلك الجيوش وخاف الدروز. ولما طال الحصار على الفرنساويين وامتنعت عكا عليهم بمساعدة العمارة الانكليزية تحت قيادة السير سدني سميث مل الامير بشير من معاضدتهم ثم وردت عليه كتابات من السير سدني يبين له فيها « ان الفرنساوية لما دخلوا مصر نشروا منشورات ادعوا فيها انهم مسلمون وقد كسروا الصلبان في رومية » وبعث اليه بنسخة من ذلك المنشور فنفر الامير من الفرنساوية وقطع المؤونة عنهم وكان ذلك من جملة اسباب فشلهم وعودهم على الاعقاب ولم يفتحوا عكا مع انهم حاصروها زهاء شهرين

وكان الجزار قد تغير على الامير لمساعدته الفرنساوية ثم علم بكفه عن مساعدتهم ولكنه لم يقره في مكانه فتوسط له السير سدني سميث وكان بين هذا والامير صداقة ومهاداة وسافر الامير اثناء تغير الجزار عليه في مركب من عمارة السير سدني الى الاسكندرية وكان ذلك المركب بانتظاره في طرابلس وبالغ

السير سدني في اكرام الامير واحبهُ محبة شديدة لما رأى من هيبتهِ وجسارتهِ وامر بتصويرهِ وخاطب بحانهِ الصدر الاعظم الذي قدم غزة لمحاربة الفرنساوية ليعيده الى منصبهِ في امارة لبنان فاعادهُ

ولكنهُ اضطر بعد قليل لمغادرة لبنان لعدم رضوخ اصحاب المقاطعات لهُ فسافر في عمارة السير سدني الى قبرص واقام فيها ستة اشهر ثم سافر معهُ الى الاسكندرية وما زالا في البحر المتوسط بين ذهاب واياب نحو شهرين وبعد ذلك عاد الى امارتهِ في لبنان وكانت بينهُ وبين الجزار ومن ولاهم مكانهُ حروب دامت اربع سنوات ثم تصالح الامير والجزار سنة ١٨٠٢

وفي السنة التالية توفي الجزار وخلفهُ ابراهيم باشا (غير ابن محمد علي باشا) ولم تطل ولايتهُ فخلفهُ سليمان باشا وكان من مماليك الجزار وبينهُ وبين الامير صداقة فاقرهُ في امارتهِ وايد نفوذه وكان اولاد الامير يوسف من اكبر مناظري الامير في الامارة وكثيرًا ما كانوا يتمكنون من اغراء الجزار على عزلهِ والتولي مكانهُ بمساعدة مدبرهم جرجس باز واخيهِ عبد الاحد فلم يصفُ لهُ الكاس حتى قتلهما بدسيسة سنة ١٨٠٧ . وتوفي سنة ١٨٠٩ بنى الامير بشير جسر نهر الكلب وبعد سنتين بنى جسر نهر الصفا وكان للامير بشير ثلاثة اولاد وهم الامراء قاسم وخليل وامين

وفي سنة ١٨١٢ جاء الى الامير رجل حمصي اسمهُ بطرس بن ابراهيم كرامة وكان شاعرًا فصيحًا ومنشئًا بليغًا حسن الخط وكان قد قرأ صناعة الانشاء والشعر على الشيخ امين الجندي الشاعر المشهور فجعلهُ الامير نديمًا عندهُ ثم وكل اليهِ تعليم ابنهِ الامير امين وصار بعد ذلك كاتب يدهِ

وكان بجوار دير القمر قرية يقال لها بيت الدين وقد تقدم ذكرها فاتخذها الامير مسكنًا لهُ وبنى فيها الدور لسكناه واسكنى اولادهِ وفي جملتها السراي الباقية الى هذا العهد المعروفة بسراي بيت الدين وفيها مقرُّ متصرفية لبنان الى هذه الغاية . واجرى الى بيت الدين قناة من ماء تحت عين زحلتنا على مسافة ثلاث ساعات يسمى نبع القاع بجانب نهر الصفا وغرس فيها المغارس والبساتين حتى اصبحت من اجمل الماكن وابهاها

وكان الجنبلاطية عونًا كبيرًا لهُ في كل حروبهِ واعمالهِ لانهم هم الذين صعلوا

في امارتهِ وقد شدوا ازره وقاموا بنصرتهِ وايدوا حكومتهُ مادياً وادبياً ولكنهم كانوا يفعلون ذلك حباً بتعزيز سطوتهم وتأييد نفوذهم فكانوا ينظرون من وراء مساعدتهم الى ما يؤيد نفوذهم على العائلات الاخرى الدرزية التي كانت تناظرهم في السطوة ونفوذ الكلمة وقد سعوا في استخدام الامير بشير لاغراضهم حتى سئم هو من استبدادهم واعتراضهم له في اعمالهِ فرأى انهُ لا يخلو لهُ الجو الا اذا كسر شوكتهم وتفرد بالاحكام فعوَّل على التملص منهم

ولكنهُ لم يكن يتظاهر بالامر فاتفق ان احد الامراء المدعو الامير حسن اراد التزوج وبابنة ولما لم يرضَ ابوها بهِ غضب وقتلهُ وكان ذلك برضاء الشيخ بشير جنبلاط فغضب الامير على الامير حسن وامر بالقبض عليهِ ففرَّ الى دمشق وهناك استسلم ووشى بالامير انهُ مسيحي وهيج عليهِ الوالي فحقد الامير على الشيخ بشير لانهُ سبب ذلك البلاء. وفي اثناء ذلك بنى الشيخ بشير جامعاً في المختارة بالقرب من بيت الدين وتظاهر بالاسلامية فازداد حقد الامير عليهِ واضمر لهُ الشر وعوَّل على تعضيد الاحزاب المضادة لهُ من الدروز ولكنهُ كتم ذلك في باطن سرّهِ وبقي مظهراً الصداقة لهُ كالعادة

وفي سنة ١٨١٩ توفي سليمان باشا والي عكا وخلفهُ عبد الله باشا الخزنه دار ابن علي باشا أحد مماليك الجزار فاقر الامير في امارتهِ ولكنهُ اختلف بعد قليل وولي غيره مدة قصيرة ثم عادت الامارة اليهِ مكرماً مع الهدايا والتقادم على ان يكون اميراً على لبنان مدة حياتهِ ولكن بعض اللبنانيين لم يذعنوا لهُ بدسيسة من كان اميراً قبلهُ وابوا دفع الاموال كما ارادهُ هو فقامت بينهُ وبينهم حروب آلت الى خصام طويل بين ولايتي صيدا ودمشق وكان الامير يحارب مع عبد الله باشا والي صيدا او عكا ضد درويش باشا والي دمشق وقد أخلص النية وبذل قصارى الجهد في تلك المساعدة حتى اوجس درويش باشا خوفاً وكان عالماً ان الفضل في ذلك النصر للامير بشير فكتب اليهِ يستجلب رضاه واعداً اياه بالولاية على صيدا ولقبهُ بوالي الشام وصيدا فأعرض الامير عن اجابتهِ وبعث الكتاب الى عبد الله باشا فسرَّ هذا من صداقتهِ وكتب اليهِ ان يثابر في محاربة الدمشقيين ولقبهُ بوالي الشام وصيدا ايضاً. اما الامير فجاء عكاء يريد ارجاع عبد الله باشا

عن عزمهِ في ذلك فلم يجبهُ مسار في الجند كما امر وعاد الى المحاربة فاعتبرت الدولة العلية اعمال عبد الله باشا هذه تعديًا على حقوقها فنجدت درويشًا وأنذرت الامير بذلك فاذعن ولكنها اشترطت عليهِ بواسطة الشيخ بشير شروطًا صعبة في امارتهِ فلم يرضَ فاتفق الامير والشيخ على تولية الامير عباس فقبل درويش بذلك وعقد الامير مع الامير عباس عهدًا ان يحفظ هذا على بيت الامير بشير وكل مالهُ أثناء غيابهِ وركب قاصدًا عكا فعلم ان درويش باشا بعث للقبض عليهِ فعرج الى صيدا ونزل من ضواحي بيروت في مراكبهِ ومعهُ من الحاشية نحو مئة وخمسين رجلاً قاصدًا مصر سنة ١٨٢١ وفيها اذ ذاك ساكن الجنان محمد علي باشا والياً فلاقى منهُ كل رعاية واكرام

وكان الغرض من قدومهِ اليهِ الالتماس منهُ ان يتوسط لدى الباب العالي في العفو عن عبد الله باشا لان الدولة كانت تحب محمد علي باشا وتعد خاطره على أثر ما أوتيهُ من النصر في حرب الوهابيين في بلاد العرب بعد ان تعبت الدولة في قهرهم

وكان محمد علي باشا اذ ذاك في شاغل من امر الحرب في الموره وكانت الدولة قد بعثت اليهِ ان يجند جندًا لمحاربتها فلما جاءه الامير مستنجدًا طيب خاطره ووعده بالمساعدة وكتب الى الباب العالي بذلك ومكث الامير في بني سويف ريثما يرد الجواب وشدد في طلب العفو تشديدًا كبيرًا لانهُ كان راغبًا في امتلاك قلب الامير ولسانهِ ليكون لهُ عونًا في ما نواه من فتوح الشام

ولبث الامير في مصر حتى وردت الاوامر بالعفو عن عبد الله باشا فحملها شاكرًا بعد ان تداول مع محمد علي سرًّا بشؤون كثيرة تعود الى مقاصد الباشا في برّ الشام . وسار الامير من مصر الى عكا بكل اكرام مصحوبًا بسلاحدار الباشا حاملاً الفرمان بالعفو واصلاح عكا ولعلة ذلك فسرّ عبد الله باشا بفوزه ولكن الجنود العثمانية في الشام طلبت النفقات المعينة في مثل هذا الصلح ولم يكن عند عبد الله باشا نقود وكان الامير قد جاء بنحو نصف القدر اللازم من محمد علي فضرب عبد الله باشا الباقي ضروبًا على المقاطعات وفي جملتها جانب على الامير وكان الامير قد زاد حقدًا على الشيخ بشير ولا سيما لما بلغهُ تواطؤه مع الامير

عباس عليهِ فاحب التخلص منهُ قطعياً ففرض عليهِ جانباً كبيراً من ذلك المال فدفع جانباً واعتذر عن الباقي فهدد عليهِ ففرّ الى دمشق فطلبهُ الامير من واليها فامرهُ بالذهاب ثم التمس من عبد الله باشا التوسط لهُ عند الامير بالعفو فاظهر الامير القبول فحضر الشيخ بشير وكان لا يزال خائفاً من الغدر بهِ فجاء في جماعة من رجالهِ الى بيت الدين وسار تواً الى مقابلة الامير في سرايتهِ فجعل رجالهُ صفين مرّ بينهما ذليلاً خائفاً من الغدر بهِ حتى دخل على الامير وسلم عليهِ فامرهُ بالجلوس فجلس مكتئباً واجساً وامر لهُ بالقهوة فلم يستطع تناولها لما كان فيهِ من الارتعاش ولكنهُ امسك الفنجان واراد الارتشاف منهُ فنظر اليهِ الامير بعين الغضب فازداد ارتعاش يدهِ حتى انسكبت القهوة على ثيابهِ وكان منظر الامير مهيباً بغير غضب فكيف بالغضب . ولم يستطع الوقوف حتى حوّل الامير بنظرهِ عنهُ الى نافذة بقربهِ فنهض الشيخ مستأذناً وخرج

ثم بعث اليهِ الامير ان يصرف من جاء بهم من الرجال لئلا يتكدر خاطرهُ عليهم فانصرفوا عنهُ فخاف الشيخ ففر الى حوران فضبط الامير ارزاقهُ وممتلكاتهِ فعاد الشيخ بشير ناقماً وجمع اليهِ احزابهُ الدروز وبعض احزاب الامراء مناظري للامير وقدموا لمحاربتهِ فقامت الحرب بينهما شديدة حتى اضطرَّ لاستنجاد ولاة طرابلس وعكا ومحمد علي باشا في مصر فبعث اليهِ محمد علي باشا « ان الفي مقاتل متأهبة تنتظر امركم »

ولكن لم يعد من حاجة اليها لان والي الشام قبض على الشيخ بشير وباقي المشايخ وقتل احدهم الشيخ علي العماد لانهُ من اكبر زعماء الثورة وكان لوالي دمشق ثار عليهِ وبعث بالباقين الى عكا اما الامراء المتحزبون معهم فقبض عليهم الامير وامر بسمل اعينهم وقطع رؤوس السنتهم

اما الشيخ بشير فكتب الامير الى عبد الله باشا بان يقتلهُ لان اصل الشر منهُ ثم علم الامير ان الباشا قد اطلق سراحه واذن لهُ بالسكني خارج السجن فبعث الى محمد علي باشا على يد ابنهِ الامير امين لانهُ كان اذ ذاك في مصر يخبرهُ بالامر ويلتمس منهُ كتاباً الى عبد الله باشا بقتل الشيخ بشير فبعث اليهِ برسول خاص بشأن ذلك فقتلهُ شنقاً مع شيخ آخر وبقيت جثتاهما مطروحتين امام

باب عكا ثلاثة ايام

وبقتل الشيخ بشير خلا الجوّ للامير بشير ففرق اولاده وذويه حكاماً في المقاطعات وهدأت الاحوال الى سنة ١٨٢٦ حينما قدمت مراكب الاروام إلى بيروت وكان قدومها عدوانياً لان اليونان كانوا في حرب مع الدولة العلية في المورة فبعثوا بمراكبهم الى سواحل سوريا لافتتاح الثغور

فلما بلغ الامير قدام تلك المراكب جمع اليه رجاله ونزل الى حرج بيروت لدفعها وكانت قد اطلقت بعض القنابل على المدينة فلما علم اليونان بتجمع الرجال لدفاعهم تحولوا عن المدينة

وفي سنة ١٨٣٠ انتدبه عبد الله باشا لفتح قلعة سانور في نابلس فسار وفتحها فتحاً ايد ما عرف به اللبنانيون من الشجاعة والاقدام وفي السنة التالية قدم المغفور له ابراهيم باشا بن محمد علي باشا لحصار عكا

والسبب الحقيقي لقدومه يكاد يكون مجهولاً لان المؤرخين قلما افصحوا عن حقيقته ولكننا قد عرفناه ممن عاصر الامير وكان من حاشيته وسمع حقيقة الخبر من فيه قال ان محمد علي باشا لما قدم اليه الامير بشأن العفو عن عبد الله باشا تداولا في امور كثيرة تعود الى التعاضد والتعاون عند الحاجة ولذلك رأينا عزيز مصر لم يتقاعد عن نجدة الامير في حروبه مع الشيخ بشير كما قدمنا واما محمد علي فكان عازماً على توسعة نطاق حكمه بافتتاح سوريا وكان يظن ان صنعة الجميل مع عبد الله باشا والامير تكفي لبلوغ امانيه ولكنه رأى من عبد الله باشا اعوجاجاً عن غرضه والغالب ان هذا كان طامعاً بمثل مطامع محمد علي فلما علم بما نواه هذا صار يحاذره

وادرك محمد علي ذلك فعزم على اختباره والتعويل على تنفيذ مقاصده بالقوة فبعث الى الامير بشير ان يبعث اليه بجانب من الاخشاب التي يحتاج اليها في بناء المراكب فباشر الامير اجابة طلبه فمنعه عبد الله باشا فشق ذلك على محمد علي واعتبره بظاهر الامر مخالفاً لاوامر الدولة العلية لان تلك المراكب انما هي للحكومة السنية فجرد لمقاصته حملة تحت قيادة ولده ابراهيم باشا فسار لحصار عكا كما قدمنا

فبعث عبدالله باشا الى الامير ان يعد رجالة ويأتي لدفع الجنود المصرية عن عكا وكتب ابراهيم باشا بمثل ذلك لما بينه وبين والده من العهود فوقع الامير في حيرة بين ان يطيع رئيسه الشرعي او يقوم بمواعيده لدى والي مصر وكان حاقدًا على عبدالله باشا لانه رأى منه استبدادًا فيه بعد ان كان هو السبب في عوده الى ولاية عكا فترجح لديه افضلية نصرة الجنود المصرية فجمع رجاله وسار قاصدًا عكا وكان ابراهيم باشا قد استبطأ حضوره فكتب الى والده بذلك فغضب محمد علي وكتب الى الامير يتهدده فادركه الكتاب وهو قادم الى عكا وفي جملة ما قال له فيه « اذا تأخرتم عن الحضور الى ولدنا ابراهيم أخربنا دياركم وغرسنا موضعها زيتونًا » فظل سائرًا الى صحراء عكا فاستقبله ابراهيم باشا بترحاب لانه كان في حاجة كلية الى مساعدته فيما جاء من اجله

وكان الامير عضدًا قويًا للجنود المصرية في حصار عكاء وغيره من اعمالها في سوريا وكان ابراهيم باشا يحترمه كثيرًا ويدعوه « والدنا » وكان اعتماده في كثير من المواقع عليه وعلى اولاده ولا سيما الامير خليل فانه حارب عنه حروبًا كثيرة في طرابلس وغيرها . اما اهل لبنان فكان دروزهم ضد ابراهيم باشا ونصاراهم معه غير ان الدروز اضطروا اخيرًا الى الاذعان بمساعي الامير وتهديده وقد جاهد هذا مع الجنود المصرية جهادًا حسنًا وعرض بنفسه للخطر مرارًا حتى كان يضطر احيانًا الى التنكر بلباس الفعلة وغيرهم خوفًا من مكامن الدروز

وبعد ان فتح ابراهيم باشا عكاء وقبض على عبدالله باشا وبعث به الى الاسكندرية سار الى دمشق وبعث الى الامير ان يوافيه اليها فجند اليها وفتحوها وعاد الامير الى بيت الدين وسار ابراهيم باشا لفتح حمص ففتحها وسار منها الى حلب يحارب الجنود العثمانية ففتحها وسار حتى فتح ايقونية وهناك قبض على الصدر الاعظم قائد الجنود العثمانية وسار الى مرسين فترسيس وما زال في فتوحاته حتى توسطت الدول الافرنجية وتم الصلح بين الدولة العلية وابراهيم باشا على ان يقف عند حدوده في سوريا وان يكون والدًا عليها جابيًا لاموالها

ولما كادت تهدأ الاحوال انتقض النابلسيون وهاجوا وماجوا حتى اضطر محمد علي ان يأتي بنفسه لنجدة ولده فاتى واخمد الثورة وعاد وكان ذلك سنة ١٨٣٤

ثم رأى ابراهيم باشا ان الامر لا يستتب له الا اذا جرد اللبنانيين والنابلسيين وغيرهم من السلاح فعهد بذلك الى الامير فجمع السلاح ولم يكن ذلك كافياً لاستتباب الراحة لان البلاد لم ترضخ لحكومته رضوخاً تاماً والدولة لم تفتأ عن محاربته تارة بعد اخرى فقضى ابراهيم باشا في سوريا نحواً من تسع سنوات لم يهدأ له فيها بال . وفي سنة ١٨٣٧ قدم الدكتور كلوت بك كبير الاطباء المصريين الى بيت الدين فطلب اليه الامير ان يستأذن محمد علي باشا في ارسال بعض اللبنانيين يدرسون الطب في القصر العيني على نفقة الحكومة فنال ما طلبه وبعث بعضاً منهم الى تلك المدرسة

وفي سنة ١٨٣٨ امر ابراهيم باشا ان يلبس اولاد الامير بدل العمائم الطرابيش وكتب الامير الى اقاربه ان يفعلوا ذلك ايضاً ففعلوا

وفي سنة ١٨٤٠ توسطت الدول الاوروبية ثانية في فض الخلاف فعقدوا مؤتمراً اقرّوا فيه على وجوب اخلاء الجنود المصرية للديار السورية . ومما حملهم على اخلائها ايضاً ان الحكومة المصرية جندت عسكراً ادخلت فيه شباناً من الذين كانوا قد أرسلوا لدراسة الطب في مصر فلما بلغ نصارى لبنان وسوريا ذلك خافوا ان يجري ذلك عليهم اذا استقام الامر للمصريين بينهم فانتفضوا عليهم وكان الامير بشير مع ذلك يحاول اقناعهم في الخضوع فلم ينجح وحاول جمع سلاحهم ثانية فلم يفز

ورأت الدول ان ابراهيم باشا لا بد من اخراجه من سوريا بالقوة فجاء ريشارد وود الانكليزي بمأمورية سرية وكان يعرف العربية فاغرى السوريين على كتابة عرض يطلبون فيه من الدولة العلية وسفراء دول انكلترا وفرنسا والنمسا ان يخرجوا الجنود المصريين من بينهم فكتبوا وارسلت الكتابة الى الاستانة

فجاء الاميرال نابيه في عمارة انكليزية الى مينا بيروت وبعث يتهدد متسلمها ويبشر اللبنانيين والسوريين بقدوم عمارات اخرى من دول اخرى لانقاذ سوريا من الدولة المصرية ثم جاءت العمارة العثمانية وفيها بوارج افرنجية كما تقدم واطلقت المدافع على بيروت فتحققت الجنود المصرية ان الانسحاب اولى بهم بعد ان دافعوا دفاع الابطال وصبروا صبر الرجال

اما الامير فخاب امله وكان يظن ان فرنسا تساعده عند الحاجة فلم يتحقق ظنه فاضطر الى التسليم فسلم فأمر بالذهاب بمن اراد من اهله وذويه للاقامة في مالطة فأخذ اولاده وحفدته وكاتبه المعلم بطرس كرامة وسائر الحاشية وسار مودعاً لبنان بدموع الاسف في مركب اعد له حتى اتى مالطة فأقام فيها مكرماً نحو سنة ثم استأذن في الاقامة في الاستانة فأذن له فأقام فيها مع اولاده نحو ثلاث سنوات ثم أرسل الى الاناطول الى بلدة اسمها زعفرانبول فاقام فيها سنة ونصف سنة ثم اقام في بورصه سنتين منفياً ايضاً ثم عاد الى الاستانة ومات هناك شيخاً هرماً ودفن في كنيسة الارمن الكاثوليك بغلطة

اما اولاده فالامير امين اعتنق الديانة الاسلامية بعد مجيئه الى الاستانة واستأمن فلم يسر مع والده الى المنفى واما الامير خليل فبقي مسيحياً حتى توفي في الاستانة

اما بطرس كرامه فتعين مترجماً في الباب العالي وبقي مع ذلك محافظاً على صداقة الامير وتوفي بعده بضعة اشهر في الاستانة ايضاً

هكذا كانت نهاية هذه العائلة بعد الحروب الطويلة والمعاناة الشديدة

وكان الامير بشير ربع القامة كثير الشعر حادّ العينين عظيم الهيبة جداً ويروى عن هيبته وشدة بأسه وصرامته روايات اشبه بالخرافات منها بالحقائق

ومما يحكي عنه انه كان لعظم هيبته لا يستطيع احد ان يطيل النظر اليه بغير ان يخافه . وكان جهوري الصوت حتى قد يسقط الرجل خوفاً ورعباً بمجرّد سماع صوته اذا غضب ولولا ذلك لم يستطع ان يحكم اللبنانيين المعروفين بالشجاعة وشدة البأس وقوة الاجسام والعقول . ومما يحكى عن صرامته ان احد رجاله الذين كان يبثهم في انحاء لبنان لحفظ الطرق من اللصوص جاءه يوماً قائلاً « رأيت ايها الامير امساً في وادي العليق فتاة مارّة منفردة في ظلام الليل غير خائفة فعجبت من جسارتها فسألتها عما جرّأها على المسير وحدها في ذلك الوادي المخيف فقالت اني لا اسير وحدي لان ابا سعدى (تريد الامير بشيراً) سائر معي فعجبت لجسارتها وتركتها »

فحملق الامير بالرجل حتى كاد يقع صريعاً من الخوف وقال له « لقد صدقت الفتاة ولكن ما الذي جرّأك انت على مخاطبتها وهي سائرة بنفسها في طريقها »

وامر فقبض عليهِ ويقال انهُ قتلهُ

ويُروى عنهُ من امثال هذه الحكاية شيءٌ كثير تشيب لهولهِ الاطفال

ومما يحكى عن هيبتهِ انهُ لما كان في الاستانة وكان قد زادهُ الشيب هيبة ووقاراً دعاهُ الصدر الاعظم لزيارتهِ في مجلس الوكلاء فلما حضر وقف لهُ ولي كرمهُ فلما خرج عنف الوكلاء الصدر على وقوفهِ لهُ فوعدهم انهُ اذا جاء ثانية لا يقف لهُ . فلما زارهُ المرة الثانية لم يستطع الاَّ الوقوف رغماً عنهُ فسألهُ الوكلاء بعد خروجهِ عما حملهُ على الوقوف واخلاف وعدهِ قال « اني وقفت لهُ رغماً عني لاني حالما رأيتهُ وما هو فيهِ من الهيبة لم اشعر الاَّ اني وقفت بغتةً »

وكان اذا جلس في مجلسهِ لا يجلس الاَّ جاثياً على طرف مقعد وغدارتهُ محدوَّة الى جانبهِ

أما لباسهُ فكان بسيطاً لا يزيد عن القفطان الحريري والجبة والعمامة وفي اخر ايامهِ لبس الطربوش كما يشاهد في الصورة

وكان عفيف النفس قليل النهم في الطعام وكان يدخن في شبق كبير يسع ربع رطل مصري من التبغ فاذا اخذ في التدخين يتصاعد الدخان من فيهِ كدخان الاتون مخللاً شعر شاربيهِ ولحيتهِ

وكان قويّ البنية شديد البطش . اما آدابهُ فكانت من العفة على جانب عظيم وكان بعيداً عن مغازلة النساء ورعاً تقيّاً مثابراً على الفروض الدينية حتى اقام كنيسة للصلاة في نفس منزلهِ في بيت الدين وقضى حياتهُ طاهراً عفيفاً لم يدنس عرضهُ ولا شرفهُ بدنيئة حتى توفاه الله

✻ اصلاح خطأ ✻ (١) وقع خطأ في مقالة « الطائفة الارثوذكسية وغبطة البطريرك » صفحة ٢٢٥ من العدد الخامس فقيل ان المبلغ الذي اوقفهُ البطريرك لعائلتهِ في اثينا الفا فرنك والصواب مائتا الف فرنك مع رباها لسبع سنين

باب المقالات

علم التاريخ وتاريخه

التاريخ في اللغة تعريف الوقت . وعلم التاريخ معرفة احوال الامم وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وانسابهم وافرادهم ووفياتهم . والغرض منهُ الوقوف على تلك الاحوال . وفائدتهُ العبرة بها بالاطلاع على تقلبات الزمن

وينقسم التاريخ الى مدني وهو ما تقدم وطبيعي ويبحث عن الموجودات العضوية وغير العضوية المؤلفة منها الكرة الارضية . والمدني ينقسم الى عمومي وخصوصي . والعمومي يتضمن تاريخ البشر عمومًا وينقسم اعتياديًا الى اربعة اعصر وهي العصر القديم منذ الخليقة الى سقوط مملكة الرومان وانقراضها سنة ٤٧٦ م . والعصر المتوسط منذ سنة ٤٧٦ الى افتتاح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ والعصر المتأخر من تلك السنة الى سنة ١٧٨٩ ثم العصر الحديث وهو الحالي

والتاريخ الخصوصي يشمل التاريخ الخاص المتعلق بموضوع واحد كتاريخ مملكة او ولاية او مدينة او دولة او عائلة او شخص والمتعلق بشخص واحد يسمى ترجمة او سيرة او حادثة ما أو ثورة كتاريخ الاصلاح ومذبحة المماليك وحادثة عرابي وظهور المتمهدي ونحو ذلك . ويسمى التاريخ الخصوصي باسماء تختلف باختلاف موضوعه كتاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي والفرعي والقضائي والتجاري والادبي والعلمي وغير ذلك وقد يسمى التاريخ المدني باسماء غيرها بحسب المجرى الذي يجري فيه

اما التاريخ الطبيعي فينقسم الى ثلاثة اقسام كبرى وهي علم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن وبهِ يتعلق علم الجيولوجيا الذي يبحث عن طبقات الارض وتوزيع المعادن فيها وما تقلب عليها بمر الدهور

اما واضع علم التاريخ فغير معلوم ولكننا نعلم ان الانسان ميال بفطرته الى تدوين الحوادث التي يشاهدها او يجري بها اما حفظًا لآثاره او خدمة لمن يأتي

بعضٌ من ابناء نوعهِ او لاغراض اخرى · ويدلنا على ذلك ان الانسان قبل ان تعلم الكتابة كان يقيم الانصاب والتماثيل ويشيد الابنية ويريد بها الاشارة الى عمل علة او الرمز عن حادث شاهدهُ او ما شاكل ذلك

ثم تدرَّج من هذا الى استخدام الرسم او النقش على الحجارة او غيرها لمثل تلك الغاية حتى نشأت الكتابة الصوَرية ثم الرمزية فصار يدوّن تلك الوقائع نقشاً على الحجارة او الهياكل كما فعل المصريون القدماء بالكتابة الهيروغليفية والاشوريون بالكتابة المسمارية والفينيقيون بالفينيقية والصينيون بالصينية وغيرهم بغيرها ومثل هذه الكتابة كان مستعملاً منذ عهد غير بعيد في اماكن كثيرة من العالم المكتشف حديثاً في امركا واوسترالها وجزائر المحيط

والمصريون القدماء اكثر الناس استخداماً للنقش على الحجارة وتدوين حوادثهم بالكتابة الهيروغليفية مما يشاهدهُ كل من زار هياكلهم وآثارهم الباقية في انحاء شتى من الديار المصرية الى هذه الغاية وفي جملة ذلك وريقات وكتب من البابيروس (البردي) مكتوبة بالحرف الهيروغليفي او الهيراتي المتولد عنهُ

اما تدوين التاريخ بصفة كتب ترتبت فيها الحوادث وتناسقت الوقائع فاقدم ما نعلمهُ كتاب التاريخ المقدس او بالاحرى تاريخ الخليقة او الاسفار الخمسة والغالب انها كتبت في زمن موسى (عم) في القرن الخامس عشر قبل الميلاد

واقدم مصادر التاريخ بعد تاريخ الخليقة اشعار هوميروس الشاعر اليوناني الذائع الصيت فانهُ كتب قصصاً على سبيل الرواية ادخل فيها التاريخ اليوناني القديم وقد نظمها في القرن العاشر قبل الميلاد

اما التاريخ بالصفة التاريخية المنطبقة على حدود هذا العلم فاول من دونهُ هيرودوتس الرحالة الشهير الملقب بابي التاريخ كتب تاريخهُ في القرن الخامس قبل الميلاد شرح فيهِ وقائع الدول القديمة التي توالت الى ذلك العهد وهو اول من استعمل كلمة Historia اللاتينية بالمعنى المراد منها الآن عند الافرنج واما مؤداها الاصلي فهو (البحث)

وبعد هيرودوتس ظهر تيسياس المؤرخ الطبيب الفارسي في القرن الرابع قبل الميلاد وكتب تاريخ الفرس القديم

وهؤلاء المؤرخون الثلاثة هم عمدة التاريخ القديم واليهم المرجع في تحقيق الحوادث التاريخية القديمة فيما عدا التاريخ المقدس

وقد ظهر في نحو ازمانهم جماعة كتبوا فصولاً تاريخية صغيرة مثل زينوفون الذي ظهر في القرن الرابع ق م وهو لم يكتب الاّ شيئاً زهيداً في تاريخ اليونان ومثله توسيديدس وغيره

وقد حذا حذو هؤلاء كثيرون ممن جاؤوا بعدهم . وفي جملتهم سبانيتوس احد كهنة المصريين في القرن الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخاً عن مصر لم يصلنا منه الاّ ما نقله يوسيفوس المؤرخ العبراني عنه . وظهر بعد هذا ثيودوروس السيسيلي نحو زمن الميلاد ثم ظهر يوسيفوس وغيره ممن لا حاجة بنا الى ذكرهم وفي جملتهم جماعة كبيرة من مؤرخي الرومان وغيرهم

هذه خلاصة ما اتصلنا اليه في اصل علم التاريخ ومصادر التاريخ القديم اما التاريخ الحديث فيقال اجمالاً ان لكل امة او مملكة عمدة وثقات يرجعون اليهم في تصحيح تواريخهم ووقائعهم

اما مؤرخو العرب فكثيرون وقد استقصي ما صنفوهُ منها باللغة العربية فبلغ زهاء الف واربعمائة . منها ما هو خاص ببلدة او افراد او قلعة وهذه كثيرة ومنها ما هو عام واشهرها تاريخ ابن بشكوال والمقري للاندلس وتاريخ ابن بطريق وابن جرير الطبري وابن خلدون وابن خلكان وابن الاثير والمسعودي وابن العميد وابن الفرات وابي الفداء وابن الوردي والقرماني والمحبي والرازي والبخاري والمقريزي والسمعاني وابن العبري وابن الجوزي وابن هاشم وابن عباس والواقدي والذهبي وابي المحاسن والنويري وغير ذلك مما يطول شرحهُ وهؤلاء ثقات تاريخ الاسلام وممالكهم وعمدة مؤرخيهم

اما الازمان التي يجعل المؤرخون ابتداء تاريخهم منها فتختلف باختلاف الامم والممالك فالمسيحيون يبتدئون تاريخهم من ميلاد المسيح الاّ الاقباط فانهم يؤرخون من مقتل الشهداء في عهد الامبراطور ديوقليطس فيبدأُون من يوم تولية هذا الامبراطور في ٢٩ اغسطس (آب) سنة ٢٨٤ والمسلمون ما عدا الفرس يبدأُون من الهجرة النبوية وهو اليوم الذي هاجر فيهِ النبي (صلعم) من مكة الى المدينة

وقد رأوا انهُ كان في ١٦ يوليو (تموز) سنة ٦٢٢ بعد الميلاد . اما الفرس فيؤرخون من جلوس ملكهم يزدجرد شاه على سرير المملكة وكان جلوسهُ سنة ٦٣٢ للميلاد . والارمن يؤرخون من يوم اجتماع مجمع تيبن الذي حرم احكام مجمع خلكيدونيا وفصل الكنيسة الارمنية على اليونانية وكان اجتماعهُ في ٩ يوليو (تموز) سنة ٥٥٢ . والهنود يبدأُون بتاريخ كاليوغ سنة ٣١٠١ قبل الميلاد اما الصينيون فحسابهم مرتبك لانهم يستخدمون في الامور التاريخية سلسلة من الادوار السنوية والشهرية واليومية بحيث يقع الالتباس في بداءة تاريخهم غير ان المعوَّل عليهِ عند اصحاب صناعة تحقيق التواريخ ان تاريخهم يبتدئُ سنة ٢٣٩٧ قبل الميلاد . واليهود اول تاريخهم الخليقة

اما الامم القديمة فيرجعون بتواريخهم الى مدات بعيدة خرافية والغالب فيهم ان يؤرخوا من يوم جلوس ملوكهم او حدوث حادث عظيم في مملكتهم كخراب مدينة او تأسيسها او حصول زلزلة او ما شاكل مما لا حاجة بنا الى ذكرهِ

هذا والمؤرخون من حيث صحة الرواية نوعان راوون ومشاهدون اما الراوون فهم الذين ينقلون ما يروونهُ اما سماعاً واما استدلالاً والمشاهدون هم الذين يشاهدون الوقائع بانفسهم ويدونون ما يشاهدونهُ ويسمى المؤرخ المشاهد « شاهد عين » وهؤلاء اصدق المؤرخين واولى بالاعتماد على تواريخهم ولا سيما اذا اصدقوا الخبر وخلصوا من شوائب الاغراض

اما فضل التاريخ فقد بالغ الاقدمون فيهِ . قال شيشرون انهُ « شاهد الازمنة ونور الحق وحياة الذكر ومدبر الحياة ورسول القدم وان الذي يجهل ما جرى قبلهُ طفل والانسان اذا لم يجيء معهُ حوادث من جاء قبلهُ لا فائدة من حياتهِ »

وقال العلامة ابن خلدون « ان فنَّ التاريخ فنٌّ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومهُ في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان بهِ عن الزلات والمغالط »

وقال العلامة ابن الاثير ما مؤداه « لقد رأيت من يزدري علم التاريخ ويحتقره

لظنوا انها مجرد قصص واخبار ومجموع روايات واسمار وما عرفوا ما انطوى عليه من الفوائد الادبية والدينية »

وقال بعض الملوك يوصي ولده « يا بني لا تغفل عن قراءة الكتب ولا سيما التواريخ القديمة فانك تطلع بها بكل سهولة على ما كسبه غيرك بكل مشقة »

وقد قال الشاعر

ليس بانسان ولا عاقل   من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى اخبار من قبلهٔ   اضاف اعماراً الى عمره

المجتمع اللغوي العربي

يسرّنا ويسرُّ كل ناطق بالضاد ما نراه من اهتمام المجتمع اللغوي العربي بشؤونه ومواصلة الاجتماعات والبحث في انتقاء الالفاظ التي تحتاج اليها اللغة العربية لتقوم مقام معان استحدثت في لغتنا بعد جمع الفاظها وضبطها من المعاني التي اقتضتها طبيعة العمران وسنة الارتقاء

ولا يخفى اننا طالما تمنينا عقد مثل هذا المجتمع لما رأينا من افتقار لغتنا اليه للغاية التي قدمناها حتى اتيح لنا ذلك بهمة وليّ النعم سمو العباس الافخم فتألف هذا المجتمع برئاسة الحسيب النسيب سماحتلو السيد توفيق البكري نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ فصرنا نتوقع بلوغ الامنية وسد موضع النقص في لغتنا الشريفة التي قد اجمع علماء اللغات كافة من مشارقة ومغاربة على انها ارقى لغات العالم وادقها

وقد قرأنا في الجرائد اليومية ان المجتمع اختار البواقر في جلسته المنعقدة في ٤ الشهر الغابر وهي الجلسة السادسة على عشر الفاظ تقوم مقام عشر من الالفاظ الدخيلة التي تطرقت الينا من اللغات الاجنبية او لغة العامة وقد قرأها على المجتمع سماحة رئيسه الفاضل وهي

(٢) مرحى (برافو) وهي كلمة تعجب تقال للرجل اذا اصاب المرمى · قال ابن مقبل   اقول والقول معقود بسلحه   مرحى له ان يفتنا مسحه يطر

ومثلها ايجي واذا اخطأ قيل

(٢) برحى (في)

(٣) مِدرَه (افوكاتو)

مدره القوم هو المدافع عنهم وانشد

وانت في القوم اخو عفة ومدره القوم غداة الخطاب

(٤) المصرق (التلفون)

قال في لسان العرب هي آلة يصارُ فيها كالطومار (الصحيفة) وهي تشمل معنى التلفون تماماً

(٥) عم صباحاً (بون جور)

(٦) عم مساء (بون صوار)

(٧) البهو (الصالون)

(٨) القفّاز (الجوانتي)

قال صاحب اللسان القفاز لباس الكف وهو شيء يعمل لليدين ويكون له ازرار تزر على الساعدين من اليد وتلبسه المرأة في يديها وهما قفازان

(٩) النمرق (نمرو)

(١٠) الوشاح (الكردون)

هذا واننا نعدُّ هذه الخدمة باكورة اعمال هذا المجمع من حيث اللغة وهي تستوجب شكرنا لهم وثناءنا على همتهم ولا يشعر بمقدار فضلهم في ذلك الاَّ من يعاني الكتابة ويقف كل يوم مرارًا اذ يعترضه معنى لا يهتدي له الى لفظ يؤديه تماماً

على اننا لانحسب انفسنا الاَّ شركاء لحضراتهم في هذه الخدمة يلزمنا ما يلزمهم من الاهتمام فيها فيجوز لنا بمقتضى ذلك ان نشاركهم في العمل ولو تذكيرًا او ان يحسبوه تطفلاً منا وانما الغاية حسنة في الحالين والحق لايخفى على اثنين · والعبرة في حصول الفائدة من اي الوجهين · ونتقدم اليوم ان يتنفدوا صدق نيتنا فيما نكتبه اذ لاغرض لنا الاَّ خدمة اللغة خدمة صادقة منزهة عن كل شين واذا أذن لنا بابداء رأينا فنقول

(١) اننا لم نر في لفظة (مدره) الكفاءة التامة لتنوب مناب لفظة (افوكاتو) بكل معانيها اذ ان هذا اللفظ في اللغات الافرنجية يفيد المدافعة عن الآخرين في الامور الشرعية وهذا لا تفيده لفظة مدره لان المراد بها زعيم القوم والمتكلم عنهم بما له من الرئاسة عليهم كما هو الحال في رؤساء الاحزاب وزعمائها كما يفهم من الشعر الذي اورده سماحة الرئيس ومن قول ذي الاصبع العدواني

يا ابن الجحاجحة المداره والصابرين على المكاره

الجحجح السيد والجحاجحة السادة

اما الافوكاتو فعلى خلاف ذلك كما لا يخفى . وايضاً فاننا قد اعتدنا كلمة اخرى اقرب كثيراً للمعنى المراد مألوفة بيننا يفهمها الخاص والعام وهي كلمة (محام) فانها تفيد معنى افوكاتو تماما ولنا منها اشتقاقات تسهل استعمالها فنقول حامى عنه ويحامي عنه وفن المحاماة ما لا يتأتى لنا في لفظ مدره وقد وردت لمثل هذا المعنى في كلام البلغاء . قال ابو تمام في لاميته الشهيرة التي مطلعها « الا انها الربع الذي خف آهله » ما يأتي والضمير للربع

اسائلكم ما باله حكم البلى عليه والا فاتركوني اسائله
لقد احسن الدمع المحاماة بعد ما اساء الاسى اذ جاور القلب داخله

واذا فرضنا استواء اللفظين في مطابقة الاصل فالافضل لنا استعمال محام لانها شائعة مفهومة وهذا اول ما يجب ان نتوخاه في انتقاد الالفاظ

(٢) ان (نمرة) لا تؤدي المراد من (نومرو) الافرنجية بل هي في غير معناها لان نومرو تفيد في الاصل العدد او الارقام وقد اطلقت على العلامات او الارقام التي يتخذها التجار وغيرهم ليميزوا بها اصناف السلع بعضها عن بعض اما النمرة فهي النكتة من اي لون كان . والنكتة النقطة السوداء في الابيض والبيضاء في الاسود . واذا جاز لنا استعمالها بمعنى نومرو فينقصنا الفعل منها اذ ليس في اشتقاقاتها ما يقوم مقام (نمّر) العامية وهذا نقص لا يسد الا بالتفتيش عن لفظ آخر يؤدي هذا المعنى

وعندنا ان مادة (رقم . تؤدي الغرضين معاً لانهم يقولون « رقم الثوب خططه واعلم بان ثمنه كذا » ومنه قولهم « يجوز بيع الشيء برقمه » فلنا الرقم بمعنى نومرو وتماماً

و «رقم» تقوم مقام نمرة العامة . واننا بهذا المعنى ايضاً رقم ترقيبا فنرى ان اختيار احد هذين الاشتقاقين اقرب الى الغرض المراد من اختيار النمرة

اما الالفاظ الباقية فهي أقرب ما نعلمه الى المعاني المرادة بها ونفتخركم بنوع خاص على انتقاء لفظة المسرّة للتلفون فهي فيما نرى افضل لفظة لهذا المعنى ولم ينفه لها احد من قبل ولكننا نوجه انتباه حضرة رئيس المجتمع واعضائه الكرام الى ما ذكرناه عن اللفظين الآخرين

هذا ونذكر حضراتهم بان لغتنا سائرة على سنة الارتقاء الطبيعية كاللغات الاخرى وكسائر احوال العالم ولا بد لها في اثناء هذا الارتقاء من التولد والدثور كما يحصل في الاعضاء الحية لان اللغة في هذا الاعتبار حية بحياة الناطقين بها تنمو بنموّ احتياجاتهم ولا بد في ذلك من اتباعها سنة نمو الاجسام الحية من دثور بعض مادتها وتولد بعض آخر مكانه والا فمن العبث محاولة اماتة النامي الجديد واحياء الداثر القديم اذ اننا اذا حاولنا ذلك انما نكون قد حاولنا مخالفة النواميس الطبيعية

ونرى ان اسلافنا الاقدمين قد ادركوا ذلك وساروا على مقتضاه لانهم رأوا الفاظاً استُحدثت في اللغة اما باستحداث مسميات جديدة لم تكن قبلاً واما جرياً على سنة النموّ فرأيناهم قد اقرّوا على استعمال بعض الالفاظ المستحدثة ودعوها الفاظاً مولّدة ولا بد من انهم فعلوا ذلك لاستحسانهم اياه ولم يستنكفوا منه

اما نحن الآن ففي حال تضطرنا الى اكثر من ذلك لكثرة ما استحدث في هيئتنا الاجتماعية من المعاني الجديدة ما لا مندوحة لنا عن استخدامه واستخدام الالفاظ اللازمة له غير ان اكثره اذا لم نقل كله لا نجد له الفاظاً في معجماتنا ولا سيما الاصطلاحات العلمية التي تعد بالمئات او الالوف فنحن في حاجة الى اقتفاء آثار اسلافنا في استخدام الالفاظ المولدة او المستحدثة اذعاناً لحكم الضرورة التي هي من طبيعة العمران . فنتقدم الى حضراتهم ان ينظروا في ملاحظاتنا هذه لعلهم يمعنونا برايهم لما نعهده فيهم من سعة المعرفة والتمكن من دخائل اللغة

وهناك امر آخر نختم مقالنا بالاشارة اليه وهو قولهم «اكثر من السؤال ولا تكثر من الدوران» فان كلاً من كتاب العربية يعرض له اثناء كتابته الفاظ اعجمية يعسر عليه تعريبها وانتقاء الفاظ عربية مطابقة لها زنةً ومعنىً او يخطر

له معنى عامي مستحدث لا يستطاع التعبير عنه باللغة الفصحى فاذا طلب حضراتهم الى كل كاتب من هؤلاء ان يعرض عليهم الالفاظ التي أشكل عليه تعريبها او التعبير عنها لكي ينظروا فيها وينشطوا عن اوضاع تطابق المراد منها كان ذلك اكثر فائدة وأسرع نتيجة

هذا وانا نخشى ان يؤخذ كلامنا هذا على غير ما اردنا منه فنصرّح بأننا انما اردنا به مجرّد الفائدة العمومية بكل اخلاص والله الموفق الى السداد

وقد عثرنا بعد كتابة ما تقدم على اعمال الجلسة السابعة المنعقدة في يوم الجمعة ١٧ الشهر الغابر فاذا فيها خطاب تلاهُ سماحة الرئيس الفاضل وموضوعه « الوفاقات في العادات » اراد به « ذكر بعض العادات والاحوال التي اتفق فيها العرب في الجاهلية والفرنج الآن » ومما ذكره من تلك العادات التهادي بالازهر والرياحين في ايام المواسم والاعياد . ورفع ما على رؤُسهم للتعظيم . واقامة التماثيل لمن اشتهر من الرجال . وقص اذناب الخيل . وارسال ذيول النساء ولا سيما في الحلل النفيسة التي يلبسنها ايام المواسم والاشهاد في السلام . وتصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم وأمرة الدول والملوك وتسمى عند الفرنج (ارامواري) وهي صورة حيوان او نبات او غيره بمثابة المالك وسماً له يوسم به ما يختص به من الاشياء كالسكة او الاعلام او الآثار . وبيوت الامتعة وهي المعروفة الآن بالانتيخانة والاستئذان قبل الدخول . وتقديم ورقة قبل الطعام وفيها اسماء الاطعمة . والمبارزة وهي الدويلو او نحوهُ . ووجود الفرق الثورية مما يماثل فرق هذه الايام كالنهلست وغيرهم

وقد جاء من الادلة والشواهد بشيء كثير بين شعر ونثر من اقوال الائمة والشعراء وغيرهم مما يدل على سعة اطلاعهِ وفرط معارفه . وقد فهمنا من سياق ادلة سماحته انه اراد بتلك العادات انها كانت جارية عند العرب بغير تقييدها بزمن (الجاهلية) وذلك ما يستفاد مما اوردهُ من الادلة والشواهد ولا سيما عن تصوير الملوك على السكة وأمرة الدول والملوك . وقد ذكر سماحته شاهداً على استعمال الامرة ان الملك الظاهر بيبرس من ملوك مصر اتخذ صورة الاسد امرة له والملك الظاهر سلطان من سلاطين المماليك ولم يكن عربياً . ولا ريب ان لفظة (الجاهلية) وقعت

في ابلاغ الجرائد سهوًا بغير علم حضرة الخطيب · وعندنا ان ذلك الخطاب مما تتنافس به المنتديات العلمية وتتفاخر به المحافل العربية ويا حبذا لو عثرنا عليهِ كاملاً فنزين الهلال به افادة لحضرات القرّاء

ثم تلا حضرة المحترم عزتلو محمد بك المويلحي مقالة مسهبة في بيان بعض اغراض المجمع وعرض عدة كلمات دخيلة ذكر ما يقابلها في اللغة العربية وهي

(١) (البالكون) الطَنَف · وهي السقيفة تشرع فوق باب الدار

(٢) (مركب النور بيد) الحُرَّاقة · وهي سفينة فيها مرام للنيران يرمى بها العدو في البحر

(٣) (المودة) الجديلة · وهي الشاكلة والحال والطريقة والمذهب

(٤) (كارت فيزيت) بطاقات الزيارة

(٥) (الكلوب) المربَد · وهو مجتمع القوم ومتحدثهم

(٦) (شهادة الدراسة كالبكلوريا) الحذاقة

(٧) (البالطو او البارديسو) العاطف او المعطف وهو ما يلبس فوق الثياب

(٨) (وضع المكدام في الطريق) حصب الطريق بالحصباء

(٩) (احد رجال البوليس) الشُرَطي والجلواز والنوتور

(١٠) (الشماعة او بورت مانتو) المشجب

وقد قال حضرته في بيان غرض المجمع ان له غرضين (١) ان يرى الذين يرمون اللغة العربية بالعجز والقصور ان العرب في جاهليتهم واسلامهم كانوا محيطين بكثير مما يحيط به الغربيون اليوم وان الباحث في لغتهم لا يعييهِ ان يجد فيها ما يماثل هذه المستحدثات (٢) اذا اراد احد كتاب اللغة كتابة غير مشوبة بالدخيل لوجد مدرجة في الالفاظ التي يسبك بها معانيه مما تنتقيهِ الجمعية وتتدرج او مما يعثر عليهِ هو بنفسهِ

الى ان قال « وعلى هذا فلا محلّ لما توهمهُ بعض الناس وتظنّاه من ان مقصد الجمعية في هذا السبيل هو حمل جميع الطبقات من الناس على استعمال ما تستخرجهُ الجمعية من تلك الالفاظ في احاديثهم »

نقول ويودنا ان يتجاوز موضوع هذه الجمعية ما وراء ذلك الى حمل الكتاب

(ولمس جميع طبقات الناس) على استخدام تلك الالفاظ بعد تمحيصها وغربلتها بغربال الانتقاد حتى تتأيد صحتها او افضليتها على سواها فيكون مجتمعنا هذا بمنزلة مجتمعات الفرنج اللغوية (الاكادمية) والاّ فتكون فائدتهُ مقصورة على مثل ما كنا نستفيده من اراء اعضائهِ قبل ان انقد فلا يكون هناك فائدة من تأليفهِ ولذهبت آمالنا فيهِ ادراج الرياح . اما اذا جعل اقرارهُ على ما ينتقيهِ ويصححهُ من الالفاظ اقرارًا رسميًا يدرجهُ في صحيفة رسمية خاصة بهِ او بالصحيفة الرسمية المصرية على ما نعلمهُ من تأييد سموّ الجناب العالي لهُ ورغبتهِ في تنشيطهِ فيكون ذلك اقرب الى سدّ عوز الكتاب وتخلصهم من شائبة التردد ونكون من الجهة الثانية قد بلغنا الغاية التي رجوناها من انعقاد هذا المجمع في ظل الحضرة الخديوية الفخيمة اعزها الله



باب المراسلات

بغـداد

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

لم نقرأ منذ زمن شيئًا عن بغداد وجهاتها مع عظم شهرتها في التاريخ واهميتها في العالم العربي وما تضمنهُ تاريخها من الامور التي تلذ مطالعتها كثيرًا لتأثيرها في النفس وبما اني قد لاحظت ان لكم وكيلاً في دار السلام جئتكم بهذه ارجو تكليفهُ انشاء مقالة تصف حالة تلك البلاد الحاضرة مع بيان تاريخها او اتحافنا بمثل هذه المقالة من قلم جنابكم البارع ولكم الفضل

الداعي

(الاسكندرية) « جورج فيلبيدس »

(الهلال) بغداد قصبة العراق العربي واقعة على جانبي نهر دجلة وقد كانت مهد التمدن العربي وزينة حضارة الاسلام بناها الخليفة المنصور ابو جعفر اخو ابي العباس مؤسس الدولة العباسية سنة ١٤٥ هـ وكان اخوهُ ابو العباس

السفاح لما استتب له امر الخلافة بنى الهاشمية بقرب الكوفة وجعلها سريرًا له فلما تولى المنصور وتأسست الراوندية فيها كره سكناها لذلك ولجور اهل الكوفة لانه لم يكن يأمن اهلها على نفسه لانهم كانوا قد افسدوا جنده فخرج يرتاد له موضعًا يسكنه هو وجنده فانحدر الى جرجرايا ثم صعد الى الموصل وسار نحو الجبل في طلب منزل يبني فيه مدينة فوقعت عينه على مكان عند دجلة واستشار اهل تلك الجوار من الاديرة ومداخ القرى فنصحوا له ان يبني على ضفتي النهر فاختط المدينة وبناها وانتهى بناؤها سنة ١٤٩ فجاءت مدينة رفيعة العماد عريضة السور حصينة وكان كل من جاء بعده من الخلفاء يزيد في بنائها وتحصينها وزخرفها حتى بلغت في زمن هارون الرشيد من الجمال والرونق وحسن الترتيب وعمار الاسواق ورواج التجارة واتقان الابنية الفاخرة ما ليس بعده غاية وبلغ عدد سكانها على رواية الاتابدي الفي الف وخمسمئة الف نفس وهو نحو عدد سكان مدينة باريس الآن وقد جاء في « حضارة الاسلام » عن وصف بذخ اهلها وتوسعهم في المعاش قوله

« انها (بغداد) تزهو ببهاء سلطان وتفم اليها عيون الاعيان الذين اذا التقى السائر منهم جماعة في الطرق لا يفطن لهم من حيث الكثرة مع ان امثالهم في الثروة والجاه يتعذر على اكبر المدن ان تلقى سكناه وتسع جنده وغاشيته والطامعين اليه من كافة الوجوه وهذا دليل على عظمة هذه المدينة وبلوغ العمران منها فلقد يمشي اهل النعمة فيها بالغلمان والحاشية الى عدد يتوهمه السامع بعيدًا عن الصدق . فشاهدت في محلة العتابية امردًا قد ركب في مئة فارس واحدق به الغلمان حتى ملأوا الطريق وسدوا السبيل على الناس وكلهم في ابهى زي واجمل لباس وشاهدت في مشرع القصب على دجلة فتى من اولاد النعمة قد سار بموكب عظيم من الخيل والرجل كأني بقيصر في موكبه او كسرى في جلال موكبه »

وقد كان ترف الرعية من ترف خلفائهم وحكامهم فان الخلفاء وعمالهم والبرامكة كانوا يوسعون للناس في العطايا ويسهلون عليهم ابواب الرزق ولا سيما في عهد الرشيد فانه كان يهب ويبذخ ويعطي بغير حساب والدولة يومئذ في ابان مجدها وقد بلغت شمسها الهاجرة وهي ارفع منزلة بلغتها الدولة الاسلامية العربية .

وقد قيل في ترف الرشيد انه كان ينفق على طعامه كل يوم عشرة آلاف درهم ولما تزوج بزبيدة بنت جعفر ادب مأدبة لم يسبق لها مثيل في الاسلام كان ينثر فيها اواني الذهب مملوءة بالفضة واواني الفضة مملوءة بالذهب ونوافج المسك وقطع العنبر حتى بلغت جملة النفقة خمسة وخمسين الف الف درهم . ومن امثلة البذخ في الاثاث ان زبيدة امرأة الرشيد صنعت بساطاً من الديباج عليه صورة كل حيوان من جميع الاجناس جعلت صور الطيور فيها ذهب واعينها من ياقوت وجواهر وقد اصطنعت كثيراً من ادوات البيت من الذهب المرصع والاقمشة الموشاة بالذهب وغير ذلك مما تحار به العقول حتى اتخذوا الابر والمنابر التي يدفئونها في مجالسهم اطباق الشهاب من الذهب وموائدهم من المرعز والذهب منزل فيها واكثروا من الجواري والخدم والحاشية والمماليك وغيرهم مما لم يأتوه الاكاسرة ولا القياصرة قبلهم

وبقيت بغداد في مجدها هذا في زمن الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد وامتازت في ايام هذا الخليفة برفع منار العلم والعلماء . وللخليفة المأمون فضل لا ينساه العالم في حفظ العلوم القديمة الى مدى الايام لانه جاء بالعلماء والفلاسفة والمترجمين وامرهم باستخراج علوم تلك الايام من اللغات اللاتينية والفارسية واليونانية الى اللغة العربية ولولا ذلك لاندرست تلك العلوم لفقدانها في الكتب التي كتبت فيها اولاً

واخذت بغداد بعد الرشيد والمأمون تسير القهقرى في الحضارة وتوالت عليها الحروب والاحن حتى تغير حالها وانحطت عمارتها فقال فيها بعضهم يرثيها بقصيدة على اثر حريق اصابها في آخر القرن الثاني للهجرة مطلعها

بكيت دماً على بغداد لما ... فقدت نضارة العيش الانيق

ومنها اصابتنا من الحساد عين ... فافنت اهلها بالمنجنيق

وقوم احرقوا بالنار قسراً ... ونائحة تنوح على غريق

وما زالت بغداد في حوزة العباسيين وهي تدخل تارة في سلطة السلاطين من آل بويه وطوراً آل سلجوق وأكن الخلفاء لا يخرجون منها الى سنة ٦٥٦ ه فافتتحها هولاكو التتري فدخلت في حوزة التتر الى سنة ٧٩٥ ه حينما افتتحها القائد

الذائع الصيت تيمورلنك المغولي الذي لو لم تعاجله المنية لاخرب الارض وقتل من فيها لانه كان سفاكاً للدماء . ويقال في دخولهِ بغداد ما تشيب لهولهِ الاطفال وتقشعر له الابدان

وبقت بغداد في حوزة بني تيمور الى سنة ٩٠٦ ثم صارت تتناوبها ايدي الفرس والعثمانيين الى سنة ١٠٤٨ هـ فاستقرت للدولة العلية العثمانية في عهد السلطان مراد الرابع ولا تزال في حوزتها الى الآن

هذا ملخص تاريخ بغداد وحالها في الزمن الاول اما حالتها الآن فالمدينة واقعة على ضفتي دجلة اي ان نهر الدجلة يمر في وسطها فيقسمها الى قسمين شرقي ويسمى الرصافة وغربي ويسمى الكرخ وبين القسمين جسر مؤلف من زوارق متماسك بعضها ببعض

بناؤها من الاجر والكلس والجص وقد ادخلوا ماء النهر في انابيب من حديد الى بعض الدور لسقاية الحدائق

وكان لها سور عظيم هدم معظمهُ مدحت باشا وبني بحجارته بنايات مفيدة . ويسكن البغداديون صيفاً السراديب وقاية من الحر نهاراً واما ليلاً فينامون فوق السراديب وارضها كثيرة الغبار صيفاً والوحل شتاء

عدد سكانها بحسب احصاء سنة ١٨٨٥ مئة الف نفس باختلاف الطوائف والملل واكثر الغرباء فيها من الفرس والترك والهنود والاكراد وما الافرنج فقليلون

اما اهلها فيغلب فيهم اللطف والرقة ومحبة الغريب

اما تجارتها فتغلب فيها البضائع الهندية والمحصولات الوطنية كالصوف والعفص والكتان والدمقس والكثيراء وانواع الحنطة والحبوب

اما صناعتها ففيها معامل للآجر والخزف ونسج الحرير للمابوحات الدمقسية والزجاج والبارود وترميم السفن والطباعة والجوخ والخام وأُخر اخرى لحلاجة القطن

وفي بغداد عدة مدارس منها تحت ادارة الحكومة ومنها تحت ادارة شركة من ابناء البلاد وتعلم فيها اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنساوية وسائر مبادىء العلوم اللغوية والطبيعية والرياضية وما شاكل

وفيها من المعابد لسائر الطوائف من المسلمين والنصارى واليهود

وهي الآن قاعدة ولاية بغداد التابعة للدولة العثمانية ايدها الله

وقد اختصرنا في شرح حالتها على امل ان يتكرم علينا حضرة الفاضل وكيل الهلال في بغداد بمقالة يستوفي فيها الشرح اجابة لطلب حضرة المقترح وله منا مزيد الشكر سلفاً

التاريخ

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

بما ان مجلتكم الغراء تاريخية ارجوان تفيدونا عن تعريف التاريخ واسم واضعه وتاريخه واهميته وكل ما يتعلق به ولكم الفضل

طنطا　　　　جرجس فيلوتاوس

(الهلال) ترون الجواب على هذا السؤال في باب المقالات من هذا العدد

اصل عرب سوريا وفلسطين

سيدي الفاضل منشيء الهلال

نشر الهلال الاغر في عدده السادس سؤالين لحضرة اللوذعي بندلي افندي صليبا الجوزي من اكاذمية العلوم في موسكو مؤداها هل عرب سوريا وفلسطين المسيحيون عموماً من اصل عربي ام لا وكم هو عدد الشعب العربي في كل من الممالك العربية الخ وعلى ذلك نجيب

ان القول الفصل في معرفة اصل السوريين لم يتاتَّ لاحد من علماء التاريخ لهذا اليوم لما تردد على البلاد من طوائف البشر وحسبنا ان نعيد على الحقائق نظراً اجمالياً فنرى ان السكان الاصليين الذين عمروا القطر السوري في بدء زمنه التاريخي كانوا قبائل شتى تجمعهم الارومة السامية على انهم ظلوا على بداوتهم حتى جاءهم الفينيقيون او الكنعانيون والفلسطينيون فاحتلوا بلادهم وضيقوا عليهم في اطرافها حتى استغرقوهم بينهم او كادوا ثم ان المصريين كانوا كلما استفحل منهم

ملك على اريكة بتجهز الكتائب وبغزو الشام فظلت لذلك فلسطين تارة لهم وطوراً لغيرهم وناهيك بالكلدان الذين كانوا يشنون الغارة من بين النهرين الى خاصية الشام فتفر الامم والقبائل من امامهم صوب القطر السوري ملتجئة الى من فيه من الشعوب كما جرى حين اذ اغار كدرلعومر العيلامي ففرّت الناس من وجهه وفي جملتهم ابراهيم الخليل في من انضم اليه من قومه وكانت هذه الغارة العيلامية على ما ذهب اليه بعضهم سبباً في تزاحم الشعوب على تخوم مصر ودخولها فتاسيس دولة الرعاة (الهكسوس) فيها واعقب ذلك استفحال الفينيقيين وامتداد تجارتهم واستعمارهم ثم اعتزاز الحثيين وانقسامهم شطرين شمالي وجنوبي ثم طرد الرعاة من مصر بعد ان سادوا فيها اجيالاً فخرجوا وانشأوا في الارجاء السورية وتلاهم خروج العبرانيين بجماهيرهم ونهوض ممالكهم واستغراقهم كثيراً من الشعوب الاولى ثم محاربتهم مع ملوك بين النهرين وجلاء سبيهم الى اقصى اسيا واسكان بعض المدن بجالية الانحاء الاخرى من الشرق

واعقب هذا مجيء الهيثيين من الشرق واجتياز جماهيرهم البلدان العامرة ولوغهم حتى سوريا واستعمارهم ناحية في فلسطين ثم ارتدادهم عن غارتهم بغتاتهم وتناثر عقدهم . ويلي هؤلاء نهوض دولة الماديين فالفرس واختلاطهم بالسكان الاصليين مع بقاء الغارات تباعاً . راكناً من الصوب المصري حتى فتحت مصر ايضاً فصارت البلدين تحت سيادة واحدة ثم جاء اسكندر المكدوني ففتح البلاد واوغل فيها وصيرها خلفاؤه المقتسمون ملكه يونانية صرفاً وما زالت العناصر اليونانية سائدة حتى بعد اذ دانت البلاد للدولة الرومانية ولكن ذلك لم يكن ليمنع امتزاج الرومان بالسكان وبقاء ذلك على تعاقب السنين وتوالي الدول الرومانية الى زمن الهرم والضعف اللذين كانت تلك الدولة بهما في الجيل السابع المسيحي حين اذ جاء المسلمون من الامة العربية ففتحوا البلاد واستعربوها بان خالفهم منها العدد العديد من سكانها فبرحوها ضاربين في عرض السلطنة الرومانية واقامت فئة منهم الجزية ودانت فئة اخرى بالاسلامية والتجأ جماعة الى لبنان مزدحمين فيه فاصبحت سوريا عربية سيما بعد ان اتخذها الامويون داراً لخلافتهم ورسخت فيها قدمهم . ثم انتقلت دار الخلافة الى بغداد وتوالى على النفوذ في سوريا من

المسلمين ملوك بعضهم من غير الامة العربية كالجراكسة والسلاجقة والاتراك وامثالهم ممن كانوا في جمهرة من الاتباع والاشياع وفي خلال دولهم جاء الصليبيون من أمم اوروبا كالفرنسيس والانكليز والالمان والايطاليان وسواهم واجتاحوا الثغور والاراضي المقدسة واقاموا ردحاً من الزمن في مملكة معززة الاركان بمن كان يأتيها من نصارى الفرنجة حتى عاد ملوك المسلمين الى العزة فغلبوهم على ممالكهم وطردوهم فشتت بذلك شمل جماعاتهم وظلت الدول الاسلامية على تنوعها الى ان قدم ساكن الجنان السلطان سليم العثماني الغازي بجيوش الاتراك فغلب على البلاد وامتلكها واضافها الى ممالكه واختلط ساكنها بمن تحت امرته وما زالوا يختلطون وتمتزج عناصرهم الى اليوم

فمن هذا البيان يتضح جلياً ان اختلاف الامم في القطر السوري لم يبق للباحث التاريخي وثوق في القول بعرقية السوريين لهذا العهد اذ ان من البديهي ان المائدين في قوم لا بد ان يخالطوهم فيصبحون على كرور الايام كانهم من ابناء الامة الواحدة سيما وان المغلوب مولع بتقليد الغالب والسير على منهجه

واذا صح هذا القول على عامة السوريين وفيهم الاسلام مع ان منهم ابناء الفاتحين فما القول بالنصارى الباقين من سلالة المغلوبين الا انهم لا يعرف لجملتهم اصل شعبي الا نادراً

غير انا عهدنا الغساسنة (قبيلة من العرب المتنصرة) كانت نازلة في ضاحية الشام منذ العصور الاولى للتاريخ المسيحي وانها كانت محالفة للرومان والسواد الاعظم من اتخاذها يدين بالنصرانية فلما فتح المسلمون ديار الشام واستفحل امرهم دان بعض هؤلاء العرب بالاسلامية وشتت شمل الباقين او لبثت فئة منهم على الجزية . ثم كرَّ بهم الزمن فتحضروا ولم تزل بعض العيال المسيحية تنسب اليهم الى اليوم

اما لبنان فقد كان حمىً للنصارى ولذلك ازدحم اليه الذين انفوا من الارتضاء باحدى شروط الفاتح وما زال منيعاً الى ان خان امراءه بعض ملوك الروم حين اذ عاد الى مجاملة الخلفاء

وقصارى القول ان التاريخ لا يدل على اصل النصارى الساكنين في الشام ولعلهم شتيت من كل الامم الذين اتصلوا بالسوريين ومثلهم المسلمون الا بعض

العيال من الفئتين تعد على الاصابع اذ ما برحت حافظة انسابها وفي صدر هؤلاء اشراف المسلمين الذين يتصل حسبهم بحضرة صاحب الرسالة المحمدية

ومتى تبين ذلك وان لا سبيل الى تمييز الاصول بالوسائل التاريخية الميسورة لنا نتج ايضاً ان الجواب على السؤال الثاني عسير اذ لا يستطاع الاهتداء الى عدد الشعوب العربية وفي كلا الحوابين يتعذر البيان معززاً بالادلة التاريخية لانا نعدم من التاريخ نصاً يؤيد القول الواحد او الآخر وحسبنا في ما تقدم مقنعاً

سوري



أتتوقف تربية الاولاد على الوالدات اكثر مما على الوالدين

حضرة الفاضل مدير الهلال الاغر

عثرت في العدد الخامس من مجلتكم الغراء على مقالة في « أتتوقف تربية الاولاد على الوالدات اكثر مما على الوالدين » عوّل فيها صاحبها على الوجه الايجابي اي ان الفضل الاول في التربية للوالدة على انها هي المنوطة بذلك . ومحصل ادلته (١) ان ملازمة الولد مقصورة على الأم لقوله « ومن الامور المقررة ان الملازم للطفل في ذلك الوقت ان هي الا والدته » بين يكون الوالد منكباً على مزاولة مهنته و بالتالي فللأم فرصة لتربية الولد اكثر من الوالد (٢) امتياز المرأة عن الرجل بصفات رقة الجانب وسهولة الطبع وسرعة التأثر بحيث تملك مع اولادها بالرفق واللين والمسالمة على ان الوالد لا يندر ان يكون قاسياً سريع الغضب بدليل تعاظم اعماله الذي ورثه سرعة الضجر و بالتالي فهو غير قادر على القيام بهذه المهام خير قيام

فآثرت ان ابدي ما لاح في خاطري القاصر مما يتعلق في هذا البحث لعل فيه ما يصلح ظهوره لدى القراء الكرام و يبتغي العفو عن اقتحامي امام الكتبة الافاضل

اولاً اسلم مع حضرة الباحث ان الوالدة تلازم الولد اكثر من الوالد ولكنني انكر عليه ان اكثرية الملازمة تفيد الفائدة الكبرى في التربية او بالحري ان الوالدة تصرف مدة ملازمة ابنها في تربيته لان الوالدة الفاضلة لها اشغال ضرورية

في البيت تضطرها الى مزاولتها تحول دون ملاحظة سلوك ولدها · وانما العبرة في التربية ملاحظة سلوك الولد ومراعاة احوالهِ ويقوم ذلك بترهيب الولد من الشرّ بايضاح مضارهِ وردعهِ عنهُ وبترغيبهِ في الخير بايضاح منافعهِ وامرهِ بهِ ولعمري لا يتيح للوالدة ان تلازم ابنها على هذه الصورة اكثر من الوالد لانهماكها بأشغال البيت كما سبق · وان كانت ترافقهُ جسدًا اكثر منهُ فهي لا تستطيع ان ترافقهُ ملاحظة وبالحرى لا فضل للوالدة في التربية اكثر من الوالد

ثانيًا اسلم موقتًا مع الباحث بكبراه في الدليل الثاني وهي امتياز الوالدة على الوالد بصفات رقة الجانب وسهولة الطبع وسرعة التأثر بين ان الوالد قاسي سريع الغضب · ولكنني انكر صغراه المقدرة اي ان اتصاف الوالدة بهذه الصفات يؤهلها لان تحسن التربية الّا اذا اثبتها بالبرهان القاطع واورد على ما افسدها به — وهو ان تلك الصفات في الوالدة المربية تؤثر في الولد صفات الدلال والبطر والتصلف بحيث يتعذر على الوالدين ارضاؤهُ ما لم يرغباهُ الامر الذي يعزّ عليهما ويضر بخلقهِ وصحتهِ · وفي هذا القول اشارة كافية لكل لبيب الى الاخلاق السيئة التي يتربى عليها الولد على افتراض اتصاف مربيتهِ بالصفات التي اشار اليها الباحث الاديب وبالتالي فادّعاء حضرتهِ ان سلوك الوالدة مع اولادها طريق الرفق واللين والمسالمة خير تربية مردود لانهُ خطأ كما تقدم بل تربية سيئة

اما الوالد فلأنهُ قاسي (لا غضوب كما اشار) لهُ سطوة على اولاده ورهبة في قلوبهم بحيث يخشون الّا الطاعة لهُ فتربيتهُ مؤثرة اكثر ونرى في الحوادث العائلية اليومية ان الوالدة تهدّد ولدها بعقاب والده لهُ اذ تقول لهُ « متى اتى والدك اشكو لهُ امرك » او « هوذا والدك آتٍ فاخبره عن ذنبك » وما شاكل ذلك وفي مثل هذه الحوادث دليل على عجز الوالدة عن التربية الحقيقية وذلك لاتصافها بصفات اللين والمسالمة والمسامحة والتملق التي اشار الباحث الى بعضها وعلى ذلك قد جرى بين العامة مثلٌ مغزاه « ان اولاد الارملة يغلب ان لا يكونوا مهذبين » لاعتقادهم بالاستقراء ان الوالدة تقصر عن اتقان التربية

اما اذا اقتضى بعض الاحيان السلوك مع الولد سبيل الرفق واللين والمسالمة فالوالد لا يقصر عن ذلك لانهُ مهما كان سريع الغضب وشديد القساوة فالحنوّ

الابوي يهيج فيه عواطف اللطف والرقة والمسالمة نحو ولده ولذلك سلّمت مع الباحث بكبراءه موقتاً وفي ذاك كفاية لأولي الالباب

هذا ما بدا لي مع الاقرار بعجزي وللباحث وغيره من ارباب النظر احقاق الحق ولو دارت رحى الحرب عليّ جون (صيدا) نقولا حداد

الجهل عمىً

حضرة الفاضل محرر جريدة الهلال الغراء

ارجو ان تتكرموا بدرج رسالتي هذه في اعمدة جريدتكم تذكرة لقوم يعقلون قاتل الله الجهل قد اشتدت ظلماته فحجبت الضياء في وقت آن لشمس العلم ان تظهر فيه بعد الغروب فتبصر بها عيون عميت وتهتدي بها عقول ضلت وقد اتسع نطاق المعارف ودنت قطوفها فما من بلد من البلاد او جهة من الجهات الا وهي روضة من رياض العلوم التي نتوصل بها الى اكتشاف الحقائق حتى عرفنا ما عرفناه عن سير الكواكب ومقارنة النجوم بعضها ببعض فقام البرهان واتضحت الحجة على صحة قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) وقوله (الشمس تجري لمستقر لها) وقوله (وكل في فلك يسبحون) الى غير ذلك . وقد علم الفلكيون اسباب اقتران الكواكب بعضها ببعض واتصالها بالشمس والقمر وحيلولة الارض بين النيرين فلم يبق للجهال حجة يستدلون بها اذا انكسفت الشمس وانخسف القمر او غيرهما من بقية الكواكب . على ان هناك ما يخوف منه بدلالة احاديث باطلة واكاذيب عاطلة مثل قولهم يا بنات الحور قولوا للقمر يدور وفي زعمهم ان الحوت كاد يبلغ القمر لولا صراخهم ودعاؤهم وطرق نحاسهم فالى متى تظل هذه العوائد راسخة بيننا ونور التمدن ملأ الاقطار وبدد ظلام الجهل من جميع الامصار وانكشفت الغياهب وانفتحت دروب المواهب وانسدل الستار على كل بأس وعار وخفت المتاعب وسهلت المصاعب وزال كل وعر بنظافة الطرقات وصيرورتها معدة لطبع كل ما يعني ويبهر وعم العموم ذلك الا النفر اليسير سيء الحظ والتدبير الذين لا نزال بهم ويجهلهم اضحوكة للضاحكين

ومضغة في افواه الماضغين وقد قال فيهم بعض واصفيهم

عجبي لبعض الناس كيف توشحت اخلاقهم بغرائب الاضداد
منع المدى عنهم فصار كأنه كنز صمته بطارق الارصاد
ولرب سفسطة دعوها حكمة مع كونها مخفاً وسوء مبادي
واذا الغرور أصاب من عقل الفتى لاح الضلال له بثوب رشاد
عاشت لعمرك في البلاد اسافل لم يرعووا بالنصح والارشاد
ان جئت تسمعهم حديثاً نافعاً اصبحت في واد وهم في واد
واذا عكست سمعت من افواههم قصصاً انت عن جرهم عن عاد
برواية قد افرغت بقوالب مسبوكة مرفوعة الاسناد
لو لم يكن للبعث بعض علائم تبدو لقلت القول من حماد
لو رمت وصف محالهم ونفاقهم وخداعهم بالحصر والتعداد
لملأت اطباق الثرى والسمـ ـة الافلاك بالانفاه والانشاد
يا من يرى ان الصلاح مؤمل هيهات دون مناك خرط قتاد
جهلاً حووا اوماً طووا شراً نووا ذلوا هووا ضلوا غووا بعناد
قلب بلا نور واعصاب بلا حس وفاكرة بغير سداد
فكانهم خبث تجسم واكتسى لوماً ليبلي الارض بالافساد

ولكن ما العمل خاب الامل حيث ماجت الارض واختلط طولها بالعرض ودار القطب على محور لا يصلح الارتكاز ووقع عرش الدرف وقدمت على صدوره الاعجاز ونادت الناس ما هذه الضجة وما تلك الرجة فقيل قوم زادوا في الطين بلة وفي الطنبور نغمة حيث صاروا يطبلون ويصيحون ويزمرون ويجلبون ويضحكون منا الغرباء. عند ما انخسف القمر في ليلة ١٤ من ربيع الثاني سنة ١٣١٠ مع ان خسوفه كان كما اخبرتنا به التقويمات وانبانا حساب الفلكيين قبل وقوعه باعوام ومع هذا كما نرى الجهال على عادتهم القديمة وعقولهم السخيفة فمن لنا يهذب افكارهم وينير عقولهم بنور المعرفة والعلم حتى يرجعوا عن ضلالهم القديم وينتظموا في سلك من عرف الحق حقاً فاتبعه والباطل باطلاً فتجنبه لان العاقل من اتحدت كلمته مع نجباء الوطن وغلت قيمته بين أولي

العظمة وتمسك بعروة الفضائل واستأصل شافة الرذائل واحتذى سيرة الحكماء وعمل بقول العلماء وبين ان هذه الخرافات من الآفات وانكر هذه الافكار كل الانكار حتى يكون قدوة لمن اهتدى وسراجاً لمن استهدى ولله در من قال :

الا هيا بني الاوطان نسعى الى روض المعارف والكمال
فلا ترجوا لموطنكم مقاماً سوى اوج التمدن والجلال
فصالحنا بعزته انضمامٌ وبذل مع خلوص وامتثال

القاهرة قاسم هلالي
مهندس بديوان الاشغال

« حلّ »

قد ورد علينا حلُّ اللغز الثاني المدرج في العدد الماضي من الهلال نظماً من حضرة الاديبين حسن افندي فهمي كاتب بمحافظة السويس وفلان افندي دمهان وكيل الهلال في منوف وهو (بدر)

تنبيه واعتذار

قد الجأتنا كثرة الرسائل الى الاغضاء عن درج شيء من رواية استبداد المماليك في هذا العدد ونعد حضرات القراء ان نعوض عليهم ذلك في العدد الآتي ان شاء الله تعالى

ونتقدم الى حضرات المراسلين الذين لم تصدر رسائلهم في هذا العدد ان يعذرونا لاننا ندرج الرسائل بحسب تاريخ ورودها واهمية موضوعها واما حضرات السائلون والمقترحون فنرغب اليهم ان يذيلوا سؤالتهم باسمائهم واضحة مع ذكر القابهم ومحل اقامتهم رأساً والاّ فلا لوم علينا اذا اغفلنا اسئلتهم وامسكنا عن الاجابة عليها . وقد وردت علينا عدة مسائل واقتراحات مذيلة بامضاآت لم نستطع حل رموزها والاغرب من ذلك ان بعضها مذيل بامضاآت من الارقام ولا نفهم المراد من هذا التستر على انهم اذا ارادوا ان لا تدرج اسماؤهم في ذيل رسائلهم او اذا ارادوا الرمز عنها بحرف او لفظ فانهم مخيرون ولكن لا بد من ايضاح مرادهم من هذا القبيل في ذيل رسائلهم الينا ولهم الفضل


الجزء الثامن من السنة الاولى

اول ابريل سنة ١٨٩٣ (١٤ رمضان سنة ١٣١٠) (٢٤ برمهات سنة ١٦٠٩)

باب أشهر الحوادث واعظم الرجال



محمد علي باشا

مؤسس العائلة الخديوية

(ولد سنة ١٧٦٩ وتولى سنة ١٨٠٥ وتوفي سنة ١٨٤٩)

قد رأينا تسهيلاً لشرح سيرة هذا الرجل العظيم ان نقسم ترجمة حياته الى خمسة اقسام وهي (١) صبوته وشبيبته اي من ولادته الى نزوله مصر (٢) كيفية ارتقائه منصة الاحكام (٣) اعماله الحربية (٤) اصلاحاته (٥) صفاته الشخصية

اولاً . صبوتهُ وشبيبتهُ

انظر الى خارطة بلاد الروملي في سواحلها الجنوبية على مسافة ٢٢٠ كيلومترًا من الاستانة غربًا ترَ قرية اسمها قواله لا يزيد عدد سكانها على الثمانية آلاف نفس . وكان في تلك القرية في اواسط القرن الماضي رجل اسمهُ ابراهيم آغا كان متوليًا خفارة الطرق ولد له سبعة عشر ولدًا لم يعش منهم الاَّ واحدٌ وفي سنة ١٧٧٣ توفي هذا الرجل وامرأتهُ عن ذلك الولد وسنهُ اربع سنوات واسمهُ محمد علي .

فاصبح الغلام يتيماً ليس له من يعولهُ الاَّ عمٌّ اسمهُ طوسون آغا وكان متسلمًا على قواله فجاء به الى بيته شفقة عليه غير ان المنية عاجلت طوسون فقُتل بامر الباب العالي بعد ذلك بيسير فاصبح الغلام يتيماً قاصرًا وليس من ينظر اليه

وكان لوالده صديق يعرف بجربجي براوسطا فشفق على الغلام وجاء به اليه وعني بتربيته مع اولاده غير ان ذلك لم ينسهِ حالته من اليتم فكان يشعر بالذل وضعة النفس . ويروى عنه بعد ان ارتقى ذروة المجد واعتلى منصة الاحكام انهُ كان يحدث اخصاءهُ عما قاساه في صبوته من الذل الى ان يقول

« وُلد لابي سبعة عشر ولدًا لم يعش منهم سواي فكان يحبني كثيرًا ولا يغفل عينهُ عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصرًا وأُبدل عزي بذلّ وكثيرًا ما كنت اسمع عشراني يكررون هذه العبارة التي لا انساها عمري وهي (ماذا عسى ان يكون مصير هذا الولد التعيس بعد ان فقد والديهِ) فكنت اذا سمعتهم يقولون ذلك اتغافل عنه ولكنني اشعر باحساس غريب يحركني الى النهوض من تحت هذا الذل . فكنت اجهد نفسي بكل عمل استطيع معاطاته بهمة غريبة حتى كاد يمرّ عليَّ احيانًا يومان متتابعان لا آكل ولا انام الاَّ شيئاً يسيرًا . وفي جملة ما قاسيته اني كنت مسافرًا مرةً في مركب فتعاظم النوء حتى كسره وكنت صغيرًا فتركني رفاقي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا اما انا فجعلت اجاهد في الماء وسعي تتقاذفني الامواج وتستقبلني الصخور حتى تهشمت

بداي وكانتا لا تزالان بالمعنبن وما زلت حتى اراد الله ووصلت الجزيرة سالمًا وقد اصبحت هذه الجزيرة قسماً من مملكتي الآن »

ومما يحكى عنه في ايام صبوته انه كان يتردد على رجل فرنساوي مقيم في قواله اسمه الموسيو ليون وكان من كبار التجار محبا للفضيلة وحالما رأى محمد علي للمرة الاولى شفق عليه واحب مساعدته لما توسم فيه من الفطنة والنباهة فكان يقدم له كثيرًا من حاجياته ويسعفه بكل ما في وسعه حتى الفه محمد علي كثيرًا وهذا هو سبب اوثوقه بالامة الفرنساوية بعد توليه الاحكام في مصر واستخدامه افرادًا منهم في مصلحة البلاد . ويقال انه رحمة الله بعث سنة ١٨٢٠ الى الموسيو ليون المشار اليه يدعوه الى مصر يقضي فيها زمنًا في ضيافته فاجاب دعوته ولكنه مات قبل قدومه فاسف عليه محمد علي كثيرًا وبعث الى شقيقته هدية تساوي عشرة آلاف فرنك

قلنا انه ربي في صبوته ببيت جربجي براوسطا وتعلم من صغره ما يتعلمه ابناء تلك البلاد من العاب السيف والجريد والحكم وما شاكل فنبغ فيها حتى اذا بلغ اشده انتظم في سلك الجهادية تحت ادارة مربيه فاظهر في تحصيل الضرائب مهارة وبسالة عجيبتين فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوّجه احدى ذوات قرابته وكانت مطلقة وتملك جانبًا من النقود والعقار فترك الجهادية وتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف الدخان لانه اكثر اصناف التجارة في بلاده . وقد برع في تلك التجارة حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائه وكان قد ذاق لذة التجارة واحبها مذ كان يتردد على الموسيو ليون المتقدم ذكره ولذلك رأيناه بعد ان تولى مصر يوجه انتباهه بنوع خاص لتنشيط التجارة

وما زال يتعاطى التجارة الى سنة ١٨٠١ حينما عوّل الباب العالي على اخراج الفرنساوية من مصر بمساعدة انكلترا . وكان الفرنساويون قد جاؤا مصر تحت قيادة نابوليون بونابرت سنة ١٧٩٨ فحاربوا الامراء المماليك ودخلوها عنوة واقاموا فيها ثلاث سنوات والحكومة العثمانية تبعث اليهم الجنود وتحاربهم تارة وحدها وطورًا بمساعدة انكلترا وهم ثابتون بين اقدام واحجام الى سنة ١٨٠١ فبعثت الحكومة العثمانية اليهم عمارة قوية تحت قيادة حسين قبطان باشا وفيها قوات انكليزية وبعثت الصدر الاعظم في حملة من جهة البر

ثانيًا · كيفية ارتقائهِ منصة الاحكام

وكان محمد علي في جملة القوة البحرية وقد تجنّد اليها في جملة من تجند في براوسطا بصفة معاون لعلي آغا ابن مربيهِ على ثلاثة جندي الباني (ارناؤوط) فجرت العمارة الى ابي قير وكانت الغلبة هناك للفرنساويين ثم عاد علي آغا الى بلاده تاركًا رجاله تحت قيادة محمد علي وكان هذا قد ترقى الى رتبة بوكباشي ثم تغلب العثمانيون بمساعدة العمارة الانكليزية وحملة الصدر الاعظم ودخلوا البلاد واخرجوا الفرنساويين منسحبين انسحابًا قانونيًا وجعلوا يهتمون في تأييد سلطة الباب العالي فيها

وكان في الجنود العثمانية جماعات من الارناؤوط والانكشارية والغليونجية فتفرقت هذه الجنود لحماية مصر السفلى وبعض مدن الصعيد · اما الانكليز فكانوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون فنزلوا الاسكندرية ريثما يقيمون في القطر المصري واليًا عثمانيًا يؤيد سلطة الباب العالي ويكبح جماح المماليك الذين كانوا لا يزالون يحاولون الاستقلال

فاقاموا محمد خسرو باشا وكان في الاصل من مماليك حسين قبطان باشا وهو الذي سعى له في هذه الولاية فجاء القاهرة وقاص الذين كانوا فيها من محالفي الفرنساوية · وكان في يده اوامر سرية باعدام المماليك جملة باي وسيلة كانت فبعث الى محاربتهم وكانوا في الصعيد فتضايقوا ولم يروا وسيلة الا الالتجاء الى فرنسا فكتبوا اليها يستنجدونها متعهدين باجراء كل ما تطلبة منهُ فلم يسعدهم الحظ بمساعدتها

اما الحملة التي بعثها خسرو باشا الى الصعيد فعادت ولم تأت بفائدة ثم حاربهم مرارًا في اماكن مختلفة وفي جملتها موقعة بعث اليها حملة وامر محمد علي وكان قد ترقى الى رتبة سرششمة وصار قائدًا لاربعة آلاف من الالبانيين ان يسير في رجاله مددًا لتلك الحملة فسارت الحملة وحاربت المماليك وانكسرت قبل وصول محمد علي ورجاله فنسب قائدها انكسارهُ الى تأخر محمد علي عن المجيء وأبلغ ذلك لخسرو باشا وكان هذا حاقدًا على محمد علي فاستقبل ذلك البلاغ

بالتصديق وانزّ على اعدائو سرًّا وكتب الى والي بوافيهٍ في منتصف الليل للتحادث في بعض الشؤون فادرك محمد علي مراده ولم يجب الدعوة ولم يرَ وسيلة لنجاتو من مكيدتو ومدائد الاّ بالالتجاء الى المماليك فانحاز اليهم واخذ في مخابرتهم سرًّا وجهرًا فتمكنوا بذلك التحالف من اخراج خسرو باشا من القاهرة قهرًا ففرّ الى دمياط واقاموا مكانهُ طاهر باشا ثم قتل طاهر واحتل محمد علي القلعة برجالو فقام احمد باشا والي الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية فاخرجهُ المماليك من القاهرة ذليلاً ثم اتحد الجميع وساروا لمحاربة خسرو باشا في دمياط فاسروه وجاؤا به الى القاهرة وحجروا عليو في القلعة

اما الباب العالي فلما بلغهُ ما حصل في مصر بعث اليهم واليًا اسمهُ علي باشا الجزائرلي فلم يصل القاهرة الاّ بعد شق الانفس ولما وصلها عمد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فعادت العائدة عليو

وكان للمماليك زعيمان الالفي والبرديسي يتنازعان السلطة وكان الالفي قد سار الى انكلترا يطلب مساعدتها على رفيقهِ للاستئثار بالسلطة فلما عاد من سفرتو اغتنم محمد علي تلك الفرصة واوغر صدر مناظره البرديسي عليو فنصب لهُ مكيدة لم يقع فيها ولكنهُ فرّ الى الصعيد فظن البرديسي ان جوّ القاهرة قد خلا لهُ ولكن محمد علي كان لهُ بالمرصاد فحرك الالبانيين عليو واوعز اليهم سرًّا ان يثوروا ويطالبوا برواتبهم فقاموا وتهددوا البرديسي اذا لم يدفع اليهم المتاخرات فضرب على اهل القاهرة اموالاً واستبد في تحصيلها بقساوة فثاروا جميعًا عليو فاضطر الى مغادرة القاهرة ولم يعد يرجع اليها . وكان ذلك سنة ١٨٠٤

فلما فرّ الامراء لم يبقَ في القاهرة من رجال السلطة الا محمد علي فجمع اليهِ العلماء والمشائخ وتفاوضوا في اخلاء سبيل خسرو باشا فاقروا على ذلك وان يعود الى منصبو فاعادوهُ ولكنهُ لم يمكث فيهِ الاّ يومًا واحدًا ثم اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها الى الاستانة وكل ذلك بمساعي محمد علي وحسن درايتهِ واتقان سياستو . ثم تظاهر ان الامور لا تستقيم في مصر الا بتنصيب والٍ عثماني حرّ واشار بتنصيب خورشد باشا وكان في الاسكندرية فوافقهُ العلماء والمشائخ في ذلك على ان يكون هو نائبًا عنهُ في الاحكام بصفة قائمقام ويعلق الى الباب العالي يخبرونهُ

بذلك ويسترحمون تثبيت التخابهم فاجيب طلبهم

غير ان خورشد باشا رأى محمد علي مستأثرًا بالنفوذ عليه بما معهُ من الجند الالباني فخاف عاقبة ذلك فاستقدم جندًا مغربيًا (الدلاتية او الدلاة) يكونون لهُ عونًا وقت الحاجة فادرك محمد علي قصده فوقف لهُ بالمرصاد ثم جعل الدلاتية يسيئون معاملة اهل القاهرة وينهبون ويقتلون اعتمادًا على نفوذ الباشا فنقم اهل القاهرة منهم ولا سيما المشائخ والعلماء ·

وفي ٣ صفر سنة ١٢٢٠ ورد لمحمد علي خطٌ شريف بولاية جدة فالبسهُ خورشد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة وقد توسم قرب تخلصهِ منهُ فخرج محمد علي يريد الذهاب الى جدة وفي نفسهِ ان لا يخرج من مصر فقامت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال « هذا هو الباشا طالبوه بها » وسار الى منزلهِ في الازبكية (قرب اوتيل شبرد) وهو ينثر الذهب على الناس فازدادوا لهُ حبًا ولخورشد باشا كرهًا

وبعد ثلاثة ايام (لا ندري ما دار اثناءها بينهُ وبين علماء البلاد ومشائخها) سار المشائخ والعلماء جميعًا الى محمد علي في منزلهِ ينادون بصوت واحد « لا نقبل خورشد باشا واليًا علينا » فقال « ومن تريدون اذًا » قالوا « لا نريد احدًا سواك » فامتنع اولاً وجعل يرغبهم في خورشد ويحملهم على الاذعان والسكينة وهم لا يزدادون الاَّ اصرارًا على طلبهم فوافقهم فاحضروا لهُ الكرك والقفطان والبسوه اياهما وبعثوا الى خورشد ان ينزل من القلعة فابى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بولاية محمد علي في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ (٩ يوليو (تموز) ١٨٠٥) وعزل خورشد باشا فخرج هذا من القلعة بامر من الاستانة وغادر البلاد وفي نفسهِ من الغيظ على محمد علي ما ليس وراءه غاية

ولكن المماليك كانوا اشد غيظًا منهُ لما ظهر لهم من تلاعب محمد علي بهم واستخدامهِ اياهم لاغراضهِ فثاروا وفي مقدمتهم الالفي فانهُ حالما علم بتولية محمد علي نزل بعصابتهِ وخابر حكومة انكلترا بخلع محمد علي واشترط على نفسهِ انها اذا فعلت ذلك سلمها البلاد حالاً فعلم قنصل فرنسا بذلك فعرقل مسعاه فعكف على مصالحة محمد علي باشا على شيء يرضى بهِ الاثنان فلم يتفقا فعاد الالفي لمخابرة

سفير انكلترا فاقنع هذا الباب العالي فبعث واليًا اسمه موسى باشا مع العفو عن المماليك وكادت تنطلي هذه الحيلة لولم يقم العلماء والمشائخ من جهة وسفير فرنسا في الاستانة من جهة اخرى ويوضحوا للباب العالي مقاصد المماليك فثبت محمد علي ولكنهٔ أُمر ان لا يتعرَّض للمماليك فيما بعد لصدور العفو عنهم قبلاً ولكن التقادير ساعدتهٔ فتوفي البرديسي بعد قليل ثم الالفي فتولى على المماليك شاهين بك ولكن شوكتهم ضعفت ولم تعد تقوم لهم قائمة

اما انكلترا فاعتبرت ارجاع محمد علي مخلًّا بنفوذها فبعثت حملة تحت قيادة الجنرال فرازر لارجاع سلطة المماليك ولكن المماليك كانوا قد تبعثروا في البلاد فاقامت الجنود الانكليزية على سواحل القطر مدة ثم عادت بخفي حنين بعد الاتفاق على صلح فاجتمعت السلطة في قبضة محمد علي باشا . ثم سعى بعضهم في المصالحة بينهُ وبين شاهين بك زعيم المماليك فتصالحا وقدم هذا الى مصر في الهدايا الثمينة فاكرمهُ محمد علي وبنى لهُ قصرًا لسكناه في الجيزة وفي ٥ جمادي الآخرة سنة ١٢٢٣ هـ بويع السلطان محمود الثاني على عرش الاستانة العلية

ثالثًا - اعمالهُ الحربية

فلما رسخت قدم محمد علي باشا في مصر اخذ في تسليم مصالح حكومتهِ الى من يثق بهم من ذوي قرباه لانهُ كان شديد المحبة لعائلتهِ ولا شك ان ازره اشتد بهم

ثم استفحل امر الوهابيين في شبه جزيرة العرب فارسل السلطان محمود خان يعهد الى محمد علي باشا امر اخضاعهم وتخليص البلاد من ايديهم

والوهابيون فئة من المسلمين ذهبوا الى اغفال كل الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن الشريف فهم بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين . زعيمها الاول يدعى محمد عبد الوهاب ولد سنة ١١١٠ هـ (سنة ١٦٩٦ م) ولما شب تنسك وحج ثم اظهر دعوتهُ فالتفت حولهُ احزاب كثيرة فافتتح نجدًا فالحجاز فالحرمين وما زال يفتتح في بلاد العرب حتى توفي سنة ١٢٠٥ هـ (سنة ١٧٨٩ م) وسنهُ ٩٥ سنة فاستمرَّ احزابهُ في اعمالهم حتى سنة ١٢٢٤ هـ (سنة ١٨٠٩ م) تحت قيادة الامير سعود وقد اصبحت حدود مملكتهم من الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب بحر

العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر فتهبط الكعبة وقد استفحل امرهم ولم يرَ الباب العالي بدًّا من تكليف بطل مصر ومحيي معالمها رحمة الله

فاجاب محمد علي باشا مطيعًا وجعل يجمع القوات اللازمة لتلك الحملة لكنهُ فكر في امر المماليك فخشي اذا سارت الحملة ان لا تكون البلاد في مأمن منهم فيجمعون كلمتهم ويعودون الى ما كانوا عليهِ من القلاقل فعمد الى اهلاكهم قبل مسير الحملة لكنهُ في الوقت نفسهِ عمل على اعداد مواد الحملة فجند اربعة آلاف مقاتل تحت قيادة ابنهِ طوسون باشا ثم طلب الى الباب العالي ان يبعث الى السويس بالاخشاب لبناء المراكب اللازمة لنقل الجند ومعدات الحرب فارسل اليهِ ما طلب فابتنى ثمانية عشر مركبًا واخذها عند السويس في انتظار الحملة

اما المماليك فكانوا قد يئسوا من الاستقلال بالاحكام لما رأوا ما حلَّ بسلفائهم وما عليهِ محمد علي باشا من العزيمة فكفوا عن مطامعهم واكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلمية فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا في انحاء القطر . وكان شاهين بك وهو الذي تولى رئاستهم بعد وفاة الالفي قد اذعن لمحمد علي باشا كما تقدم فاقطعهُ اراضي كثيرة بين الجيزة وبني سويف والفيوم فأوى اليها .

وفي محرم سنة ١٢٢٦ هـ (فبراير (شباط) سنة ١٨١١ م) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العزب في الصحراء ينتظرون باقي الحملة ومعها طوسون باشا . وتعين يوم الجمعة لوداع طوسون والاحتفال بخروجهِ ورجالهِ الى قبة العزب فاعلن ذلك في المدينة ودعي كل الاعيان لحضور ذلك الاحتفال وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم ان يكونوا بالملابس الرسمية

ففي يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ (اول مارس (اذار) سنة ١٨١١) احتشد الناس الى القلعة وجاء شاهين بك في رجالهِ فاستقبلهم الباشا في قصرهِ بكل ترحاب ثم قدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة امر محمد علي بالمسير فسار الموكب وكل في مكانهِ منهُ جاعلين المماليك الى الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا قتربوا من باب العزب من ابواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالي امر محمد علي فاغلقت الابواب واشار الى الالبانيين (الارناؤط) فهجموا على المماليك بغتة فانذعر اولئك وحاولوا

الفرار تسلقاً على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا اكثر تعوداً على تسلقها . واقتحم المشاة المماليك من ورائهم بالرصاص فطلب المماليك الفرار بخيولهم من طرق اخرى فلم يستطيعوا لصعوبة المسالك على الخيول ولما ضويق عليهم ترجل بعضهم وفروا ساعين على اقدامهم والسيوف في ايديهم فتداركتهم الجنود بالبنادق من الشبابيك فقتل شاهين بك امام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الى الحريم او الى طوسون باشا بدون فائدة . ثم نودي في المدينة ان كل من يظفر باحد المماليك في اي محل كان ياتي به الى كتخدا بك فكانوا يقبضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجاً وهو يقتلهم

وكان عدد المماليك المدعوين الى الوليمة اربعمئة فلم ينجُ منهم الا اثنان احدهم احمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير كان غائباً بناحية بوش والثاني امين بك كان قد اتى القلعة متاخراً فرأى الموكب سائراً نحو باب العزب فوقف خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم لما اقفلت الابواب بغتة وسمع اطلاق النار علم المكيدة فهمز جواده وطلب الصحراء قاصداً سوريا . والمتبادر على الالسنة ان امين بك هذا كان داخل القلعة فلما حصلت المعركة همز جواده فوثب به من فوق السور الى جهة الميدان فقتل جواده وسلم هو والاقرب الحقيقة ان هذه الاشاعة مختلقة او مبالغ فيها . ثم نودي في الاسواق ان شاهين بك زعيم المماليك قد قتل فهاجت الناس ثم طافت العساكر في المدينة ينهبون بيوت المماليك وياخذون حريمهم وجواريهم وعلا الصياح

وفي اليوم التالي نزل الباشا من القلعة وطوسون معه وطاف المدينة يامر الناس بايقاف النهب وقتل كل من حاول ذلك ولكنه حرّض على قبض من يظفرون به من المماليك في سائر انحاء القطر فكانوا يأتون بهم افواجاً يسوقونهم كالغنم الى الذبح فبلغ عدد من قتل من البكوات ٣٢ بيكاً . وفي اليوم التالي نزل طوسون باشا الى الاسواق في فرقة من الجند لتسكين القلوب وايقاف النهب . اما الجثث التي كانت في القلعة فاحتفروا لها حفراً جعلوا فوقها التراب وصرح محمد علي باشا بحماية نساء المماليك ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

ولما خلت البلاد من المماليك عكف محمد علي على المهام الاخرى واخصها

١٢٢٨ هـ (٢٨ اغسطس (آب) سنة ١٨١٣ م) فلاقاه الشيخ غالب شريف مكة وترحب به وبعد ان ادى فروض الحج رأى ان القريش ليس ممن يعتمد عليهم في الدفاع فعمد الى خلعه بطريقة تضمن حقن الدماء فنفاه ثم وضع يده على ممتلكاته وبعث به وبعائلته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش فيها اربع سنوات ومات . اما الوهابيون فمات قائدهم سعود في درعية في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٦ هـ (١٧ افريل (نيسان) سنة ١٨١٤ م) فانحطت سطوتهم فاقاموا عليهم ابنه عبدالله ولم يكن كفوءًا . وحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بنتيجة . وفي ٢٨ محرم سنة ١٢٣٠ هـ (١٠ يناير (ك ٢) سنة ١٨١٥ م) حصلت موقعة كبيرة بين جنود محمد علي والوهابيين تحت قيادة فيصل اخي عبدالله شفت عن انتصار المصريين فتقدم طوسون الى نجد . إلاّ انه اضطر اخيرًا الى التوقف لقلة المؤن وهو لم يبلغ درعية

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فعاد وقد فتح طريق الحرمين ولكنه لم يُبِدِ جميع الوهابيين فوصل القاهرة في ٤ رجب سنة ١٢٣٠ هـ (يونيو (حزيران سنة ١٨١٥ م) فاهتم بتدريب الجند على نظام جند اوربا وكان اوَّل من فعل ذلك في مصر فاصدر امرًا عاليًا في شعبان سنة ١٢٣٠ هـ (يوليو (تموز) سنة ١٨١٦ م) مؤداه ان الجنود المصرية ستدرب على النظام الحديث وهو النظام الفرنساوي فعظم على الجهادية ولا سيما الارناؤوط الامتثال الى هذه الاوامر فراى ان يدخل هذا النظام اولاً بين الجنود الوطنية لانهم اقرب الى الطاعة من هؤلاء الالبانيين ومن كان على شاكلتهم

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا من الحجاز فخرج الناس لملاقاته بالاحتفال والاكرام ثم نزل الاسكندرية حيث كان ابوه مقيماً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً دعته عباساً . وبعد يسير اصيب طوسون بالم شديد في راسه وحمى لم يعش بعدها الا بضع ساعات . وكان محمد علي في القاهرة . ولما اتصل به الخبر كان على ضفة النيل الغربية بجوار اهرام الجيزة . فقالوا له ان طوسون مريض فاسرع الى الاسكندرية لمشاهدته فلما دنا من المكان علم بوفاته فوقف مبهوتاً لا يبدي حراكاً وبقي على مثل هذه الحال ثلاثة ايام متوالية . ونقلت جثة

طوسون باشا الى القاهرة ودفنت قرب مسجد الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن العائلة الخديوية اليوم

وبعد قليل عاد محمد علي الى روعه فاخذ يهتم في امر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبدالله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي استخرجها الوهابيون من الكعبة وان يتأهب متى قدم للمسير الى الاستانة · فاجابه يعتذر بعدم امكان الشخوص وقال ان تلك الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي تلك الهدايا واوسعه تهديداً · ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الى ابنه ابراهيم باشا وكان باسلاً مقداماً وقائداً مجرباً لا يهاب الموت شديد الغضب سريعه ولكنه كان سليم القلب حرّ الضمير ولذلك كانت احكامه عادلة صارمة



ابراهيم باشا

وفي ١٠ شوال سنة ١٢٣١ هـ (٣ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨١٦ م) سار ابراهيم باشا بحملته من القاهرة في النيل الى قنا ومنها في الصحراء الى القصير على شاطىء البحر الاحمر ومنها بحرًا الى ينبع ثم الى المدينة وتربص هناك بجمع قواته يستعد لهجوم شديد امتثالاً لمشورة ابيه . فالتمت حوله عصبة جديدة من القبائل المحاربة ولما تكاملت قواته افام الحرب سجالاً وما زال بين هجوم ودفاع حتى فاز وقبض على زعيم الوهابيين عبدالله فارسله الى ابيه فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٣٣ هـ (١٧ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨١٨ م) فأذن له بالمثول بين يدي الباشا وتقبيل يديه فرحب به كثيرًا لانه كان يعجب بجسارة الوهابيين ثم سأله ما ظنه بابراهيم فاجابه قائلاً « انه قد قام بواجباته ونحن قمنا بواجباتنا وهكذا اراد الله » . وفي ٢٠ محرم أُرسل الى الاستانة وطافوا به في اسواقها ثلاثة ايام ثم قتلوهُ . وخلع جلالة السلطان على ابراهيم باشا خلعة شرف مكافأة له وسماه والياً على مكة . فاتصلت هذه الاخبار بدرعية فخاف اهلها فهدموا المدينة وفروا من وجه الموت فاحتلتها الجنود الظافرة . وانتهى امر الوهابيين . اما محمد علي باشا فانه نال من انعام السلطان الاعظم لقب خان مكافأة لاخلاصه وبسالته وهو لقب لم يمنح لاحد من وزراء الدولة الأحاكم القرم

ولما انتهى هذا الرجل الخطير محاربته في بلاد العرب فكر في افتتاح السودان على امل ان يلاقي فيها الكنوز الثمينة من معادن الذهب بجوار البحر الازرق ناهيك عما هنالك من المحصولات والواردات العجيبة من الصمغ والريش والعاج والرقيق وغير ذلك . فجند خمسة آلاف من الجند النظامي وبعض العربان وثمانية مدافع وجعل الجميع تحت قيادة اسماعيل باشا احد اولاده . فسارت الحملة من القاهرة في شعبان سنة ١٢٣٥ هـ (يونيو (حزيران) سنة ١٨٢٠ م) في النيل فقطعت الشلال الاول فالثاني فالثالث حتى السادس فأتت شندي والمتمة وقد اخضعت كل ما مرّت به القرى والبلدان بدون مقاومة . ومن شندي سارت الى سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم . ولم يكن من القبائل التي يعتد بها هناك الا الشائقية فقاومها قليلاً ثم سلموا ودخلت سنار وكردوفان في املاك مصر فسار اسماعيل باشا في جنوده الى فزغل وهناك ظن انه اكتشف

معادن الذهب . ثم فشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم اتته نجدة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار فاشتد ازره فأقام صهره هذا على كردوفان وسار في جيش الى المتمة على البر الغربي من النيل ثم عدّى الى شندي في البر الشرقي لجباية المال وجمع الرجال فاستدعى اليه ملكها واسمه النمر وقال له اريد منك ان تأتي اليَّ قبل خمسة ايام بملء قاربي هذا من الذهب والفضة من العساكر » فجعل ذلك الملك يستعطف اسماعيل باشا ليتنازل عن ذلك القدر فقبل منه اخيرًا عوضًا عن الذهب مبلغ عشرين الف ريال من الفضة فاجابه الى ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المدة فطلب اليه تطويل الاجل فضربه اسماعيل بالشبق (الغليون) على وجهه قائلاً « لا . ان كنت لا تدفع المال فورًا ليس لك غير الخازوق جزاء » فسكت النمر وقد اضمر له الشرّ وصمم على الانتقام فطيب خاطرهُ ووعدهُ باتمام ما يريد وفي تلك الليلة جعل يرسل من التبن الجاف احمالاً الى معسكر اسماعيل علفًا للجمال وانما جملة حول المعسكر كأنه يريد اشعالهُ . وفي المساء اتى الى اسماعيل في سرب من الاهالي ينفخون بالمزمار ويرقصون رقصة خاصة بهم فطرب اسماعيل وضباطه لذلك ثم اخذ عدد المتفرجين من الوطنيين يتزايد شيئًا فشيئًا حتى اصبح كل اهل المدينة هناك . فلما تكامل العدد امرهم ملكهم بالهجوم فهجموا بغتةً على اسماعيل ورجاله ثم داروا بالنيران على التبن فاشعلوهُ فمات اسماعيل باشا وكثير ممن كان معهُ بين قتل وحرق . وفي اليوم التالي اتموا على الباقين وساقوا سلبهم الى المدينة

فاتصل الخبر باحمد بك الدفتردار فاشتعل غيظًا واقسم انه لا يقبل اقل من عشرين الف رأس انتقامًا لاسماعيل فنزل بجيشه القليل ولم ينفك حتى انفذ قسمهُ فقتل ذلك العدد من الرجال متفننًا في طرق قتلهم على اساليب مختلفة فهدأت الاحوال بعد ذلك وهكذا تمَّ افتتاح السودان . وما زال احمد بك على حكومة سنار وكردوفان الى سنة ١٢٤٠ هـ (سنة ١٨٢٤ م) ثم ابدل برستم بك

وفي سنة ١٢٣٩ هـ او سنة ١٨٢٥ م ارسل محمد علي باشا بامر الباب العالي حملة مصرية تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورا في بلاد اليونان فسار

وحارب واظهرت العمارة المصرية في تلك الحروب شجاعة الابطال ولولا اتحاد الدول مثنى وثلاثا على الجنود العثمانية والمصرية لما قامت لليونان قائمة في تلك الحرب ولكنا نقول ان ابراهيم باشا عاد عود الظافرين بعد ان بذل في سبيل ذلك عشرين مليون فرنك وثلاثين الف مقاتل

ثم كانت حملة ابراهيم باشا على سوريا لافتتاح عكا لاسباب تتضح للقارىء من مراجعة ترجمة الامير بشير الشهابي الثاني في العدد الماضي من الهلال فجرّد محمد علي باشا سنة ١٢٤٧ هـ (سنة ١٨٣١ م) حملة في البر والبحر فارسل البيادة والطبجية عن طريق العريش برًّا وسار ابراهيم باشا في بطانتو بحرًا . اما حملة البرّ فاستولت على غزة ويافا بغير شديد مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار في جيشو الى عكا فوصلها في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هـ (٢٦ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٣١ م) فحاصرها برًّا وبحرًا الى ٢٦ ذي القعدة منها (٢٧ مايو (ايار) سنة ١٨٣٢ م) فهجم عليها هجمة نهائية شفت عن تسليمها . ثم سار قاصدًا دمشق فاخضعها ولم تدافع الا يسيرًا وبارحها الى حمص حيث كانت تنتظرهُ الجنود العثمانية تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فوصلها في ٩ ربيع اوَّل سنة ١٢٤٨ هـ (٨ يوليو (تموز) سنة ١٨٣٢ م) فعسكر فهجم عليهِ محمد باشا وبعد الاخذ والرد استولى ابراهيم باشا على حمص فخافت سوريا سطوة هذا القائد العظيم فسلمت له حلب وغيرها من مدن سوريا . فتغير وجه المسألة باعتبار الباب العالي فبعث حسين باشا السر عسكر بجيش عثماني لايقاف ابراهيم باشا عند حدهِ فجاء وعسكر في اسكندرونة فلاقاهُ ابراهيم باشا وحاربهُ وانتصر عليهِ ولم يعد يلاقي بعد ذلك مقاومات تستحق الذكر . ثم تقدم في اسيا الصغرى تاركًا طورس وراءهُ . وكان الباب العالي قد ارسل رشيد باشا في جيش لملاقاتهِ فجنّد ابراهيم باشا جندًا كبيرًا من البلاد التي افتتحها وسار نحو الاستانة لملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان في دسمبر (ك ١) سنة ١٨٣٢ م في قونية جنوبي اسيا الصغرى فتقهقر رشيد باشا برجالهِ واخترق ابراهيم باشا اسيا الصغرى حتى تهدّد الاستانة

فتداخلت الدول وفي مقدمتهنَّ الدولة الروسية فانفذت الى مصر البرنس مورانيف لمخاطبة محمد علي باشا بذلك وتهديدهِ فبعث الى ابراهيم باشا ان

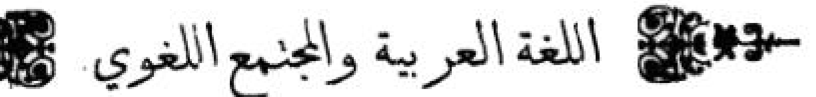
بتوقف عن المسير . ثم عقدت بمساعي الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون سوريا قسماً من مملكة سوريا وابراهيم باشا حاكماً عليها وجابياً لخراج ادنه وقد تم ذلك الوفاق في ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٤٨ (١٤ مايو (ايار) سنة ١٨٣٣ م) وهو المدعو وفاق كوتاهيا . فعاد ابراهيم باشا الى سوريا واهتم بتدبير حكامها وجعل مقامه اولاً في انطاكية وابتنى فيها سراياً وقشلاقات وولى اسماعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا على ادنه وطرسوس اما الاجراءات العسكرية فلم يكن يسوغ لاحد ان يتداخل فيها الأ هو

وكان ابراهيم باشا سائراً بالاحكام بكل دراية وحكمة خلافاً سوء الظن الأ انه مع ذلك لم ينج من ثورة ظهرت في ضواحي السلط والكرك في اواخر سنة ١٢٤٩ هـ (منتصف سنة ١٨٣٤ م) وامتدت الى اورشليم وبعد الاخذ والرد اضطر ابراهيم باشا الى المحاصرة في اورشليم لانها ذات اسوار منيعة ثم امتدت الثورة الى الناصرة وجبال نابلس

وفي ١٦ يونيو (حزيران) منها هجم الثائرون على صفد وفيها جماهير من اليهود فهدموا منازلهم وقتلوا رجالهم ونكلوا بنسائهم واصبحت تلك المدينة في حوزتهم ثم اجروا مثل هذه التعديات على المسيحيين في الناصرة وبيت لحم واورشليم ولكنهم لم يتمكنوا مما تمكنوه بصفد ويقال بالجملة ان سوريا اصبحت بسبب ذلك شعلة ثورية فاتصل الخبر بمحمد علي باشا فبارح الاسكندرية الى يافا فتقربت منه وجهاء البلاد وسراتها ثم عمدت الجيوش المصرية الى قمع الثائرين فتشتت العصاة الأ النابلسيين فانهم قاوموا طويلاً لكنهم اذعنوا اخيراً ثم هاجم المصريون السلط والكرك وهدموهما وبعد قليل عادت الثورة الى جبال النصيرية فاعترض امامها فرقة من الجند كانت سائرة من اللاذقية الى حلب واعادوها الى حيث اتت . فارسل المصريون سبعة آلاف مقاتل اتحدوا بثمانية آلاف من الدروز واللبنانيين تحت قيادة الامير خليل بن الامير بشير امير لبنان وسار الجميع الى النصيرية واخضعوهم ثم سعى ابراهيم باشا في تجريد السوريين من السلاح خوفاً من عودهم الى الثورة ففعل لكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين . وكان الامير بشير وابراهيم باشا على وفاق تام وكانهما خلقا ليتحدا

سيأتي البقية

باب المقالات



اللغة العربية والمجمع اللغوي

ذكرنا في الهلال الماضي عشرين لفظة عربية انتقاها المجمع اللغوي لتقوم مقام عشرين لفظة اجنبية دخيلة على اللغة العربية وقد اوردنا رأينا في عشرٍ منها فاستحسنا ثماني وقدمنا ملاحظاتنا على لفظين وهما مِدْرَه « افوكاتو » ونمرة « نمرو » وفضلنا على الاولى لفظة « محامٍ » وعلى الثانية « رقم » وجئنا بما خطر لنا من الادلة والشواهد لتأييد قولنا على قدر ما سمح به المقام . وقد سرّنا كثيرًا ما قرأناه على اثر ذلك في مجلة الاستاذ الغراء في عددها التاسع والعشرين من ابداء رأيها في ذلك وان تكن قد خالفتنا في بعض الوجوه وانما سرّنا دخولها في البحث لتمحيص الحقيقة شأن الكاتب العارف بآداب المناظرة

وقد يجدر بنا الاكتفاء بما ذكرناه هناك وبما ذكره الاستاذ تاركين للجمعية مطلق الاختيار اذ الرأي راجع اليها في كل حال ولكننا رأينا ان نذكر هنا كلمة لا تخلو من الفائدة

قال الاستاذ « ان لفظ مدره يقوم بالمراد من افوكاتو فانه كما يدل على السيد الشريف في قومه يدل على المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال والمقدم في اللسان عند الخصومة صفة جامعة لكل ما يخاصم فيه سواء كان حقًا شرعيًا او مدنيًا او جنائيًا له او عليه فهو اعم من لفظ محامٍ الآتي من مادة حمى الشيء منعه ودفع عنه وليس فيه معنى المطالبة بالحقوق ولادرء الحدود ولا رد الشبه ولا ابطال الدعاوي ولا تأييد سابق الادلة والبراهين ولا تأويل معنى قانوني ولا تخطئة قاضٍ ولا تفسيق شاهد وهذا كله يندرج في الخصومة على ان كل معنى اريد من افوكاتو فانه من معاني المدره الخ »

نقول اننا نوافق الاستاذ في دلالة مدره على المعاني التي ذكرها ولكن

لا يخفى عليه ان معنى الرئاسة او السيادة يتجلى فيها كلها لانه مداول اللفظة الاصلي كما يفهم من القاموس وكما استعملة الكتاب والشعراء ولم نقرأ لاحدهم نظماً او نثراً يدل على استعمالها بمعنى افوكاتو قط بخلاف لفظة « محام » فانها تدل على المعنى المراد من افوكاتو واستعملها بلغاء العرب لهذا المعنى في اشعارهم وقد اوردنا قول ابي تمام من هذا القبيل في الهلال الماضي

وزد على ذلك ان لفظة محام شائعة مستعملة لهذا المعنى بفهمها الخاص والعام وقد تداولتها الالسنة ودونها الكتاب لهذا المعنى ايضاً ولم يقتصر استعمالها في صقع دون آخر من الاصقاع العربية فهي شائعة في مصر والشام والعراق والغرب وسائر البلاد العربية وقد استعملها ايضاً مَنْ اخذ عن العربية من الامم الذين خالطوا الدول العربية او امتزجوا بالشعب العربي في آسيا الصغرى والروملي وفارس وغيرهم وكلهم يريدون بها لفظة افوكاتو تماماً وهب انها ومدره متساويتان من حيث الابانة عن افوكاتو فهي اولى بالاستعمال لشيوعها وتداولها وذلك اول ما يجب ان نتوخاه في انتقاء الالفاظ

اما النمرة فقد وافقنا الاستاذ في مخالفة معناها لمعنى نمرو الافرنجية ولكنه فضل لفظة « عدد » في الابانة عنها على لفظة « رقم » وعندنا ان هذه افضل لما تقدم من دلالتها على ما يستخدمه التجار من الارقام والعلامات على السلع للدلالة على اثمانها واما شيوع لفظة « عدد » في الجرائد فقاصر على ما هو للاعداد ولا تستعمل لغير الاعداد بخلاف « رقم » التي تدل على الاعداد والعلامات مثل نمرو لان التجار يقولون ان هذا الصنف من البضاعة نمرو س او ن او نجمة او هلال وما شاكل من الاحرف والعلامات ويريدون بها مقادير معينة اصطلحوا عليها في الاثمان ولولا ذلك لفضلنا لفظة « عدد » لشيوعها ومع ذلك فالرأي للجمعية

اما الالفاظ العشر التي ذكرناها ولم نبد رأينا فيها فلا بأس من الاشارة الى ما عنّ لنا بشأنها فنقول

(١) الحراقة · نوافق الاستاذ بانها لا تؤدي المراد من مركب التوربيد لان هذه ترمي منها المواد المفرقعة تحت طبقات الماء واما الحراقة فترمي منها

النيران على العدو في الهواء

(٢) المَرَب . للكلوب لا تخلو من التكلف لعدم شيوعها وربما كان النادي افضل منها فانه مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه وقد استعملها الكتاب قديماً وحديثاً لهذا المعنى

(٣) الجَدِيلة . للمودة والمراد بالمادة في الاصل النوع ثم استعملت للدلالة على انواع الملابس خاصة وقد رأى الاستاذ ان يستبدلوها بلفظة النمط او الطراز ولكننا نخالفه في ذلك اذ نرى لفظة « زي » اقرب الجميع لمعنى المودة والزي الهيئة وعند المولدين هيئة الملابس ومنه قول الشاعر

اتاني في قميص اللاذ يسعى * عدوٌ قد تلقبه بالحبيب
فقلت له لما استحسنت هذا * وقد اقبلت في زيٍ عجيب

وزد على ذلك انها مستعملة مالوفة والراي للجمعية

(٤) الطَّنَف . البالكون والطنف يراد به افريز الحائط والسقيفة تشرع فوق باب الدار . فهي اقرب الى ما يسميه العامة الدروند او الرفراف او التندة وهو يشرع فوق ابواب الدور والحوانيت للوقاية من حر الشمس او تساقط المطر واما البالكون فعندنا ان « شرفة » اقرب ما يدل عليه لان الشرفة من القصر ما اشرف من بنائه وهي مستعملة شائعة ومشتقة من الاشراف المراد من بناء البالكون

اما الالفاظ الست الباقية فلا نرى فيها ما يمنع استعمالها وقد احسنت الجمعية في انتقائها جزاها الله عنا خيراً

اما اعمال المجمع فقد رأى الاستاذ الاغر ان تكون عامة في كل ما يختص بالفنون العربية من اللغة وما يتعلق بها كالصرف والنحو والبيان والبديع والمنطق والتاريخ وتقويم البلدان والترجمات والرياضيات بحيث تقرر الحكومة اعتماده لتحيل عليه النظر في المؤلفات الجديدة قبل طبعها . قال وربما اتسع نطاقه فاحيل عليه امتحان اناس في فنون مخصوصة لنيل الشهادة العلمية . ثم افاض في ذكر ما رآه من الطرق المؤدية لتوسعة نطاق هذا المجمع وتعميم فوائده

نقول مع اعترافنا بامكان تاليف مجمع يقوم بهذه الاعمال واكثر منها فضلاً عن ان حضرات اعضائه وسماحة رئيسه الفاضل من نخبة رجال الفضل المتضلعين

بالعلوم — اننا لا نرى ما رآه زميلنا الفاضل وفي اعتقادنا ان اقتصار المجتمع على النظر في الامور اللغوية اقرب الى الغرض المقصود واسرع نتيجة لان صرف قوة مجتمع الى جهة واحدة اولى من تفريقها في جهات مختلفة خوفاً من ضياعها وتلاشيها

اما المواد اللغوية التي سيكون معظم اهتمام المجتمع فيها فهي قسمان اعجمية دخيلة وعامية مستحدثة

اولاً « الالفاظ الاعجمية » ويدخل تحتها

(١) الاصطلاحات الصناعية — وفيها اسماء الصنائع الحديثة كالمسمرزم والفونوغرافيا والزنكوغرافيا . واسماء ادواتها وآلاتها كالتلفون والتلغراف والفونغراف والتلسكوب والمكرسكوب . ومن هذا القبيل ما يعد بالالوف من اسماء ادوات السكة الحديدية والهندسة والتلغراف وسائر الصنائع والحرف

(٢) الاصطلاحات العلمية — وفيها اسماء العلوم كالجيولوجيا والفيسيولوجيا والباثولوجيا والمسمرزم وغيرها واسماء المسميات الكيموية والطبيعية وفي جملتها اسماء العناصر المكتشفة حديثاً كالكلور والفلور والبروم والاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والباريوم والمنغنيزيوم . ومركباتها كاكسيد الباريوم وكلوريد الصوديوم والحمض الهيدروكلوريك او النتريك ونترات الاميل وغير ذلك مما لا نرى امكان العثور على ما ينوب عنه من الالفاظ العربية ولا بد لنا من استبقائها على ما هي عليه او ببعض الاصلاح في التلفظ بها

(٣) الاصطلاحات الادارية او السياسية — كقولهم القنصل والجنرال والبوليس والبرلمان والبروتستو والباطنطه والبورصة والتيليفت والموسيالهمت والامبراطور والكردينال والكومسير والدبلوما وما شاكل

(٤) الالفاظ الاعجمية التي التقطتها العامة من مخالطة الاعاجم وتقليدهم في المساكن والملابس والمآكل — ففيها اسماء الملابس الافرنجية كالبالطو والجاكت والبنطلون والكولا والكرافات والجوانتي . واسماء المساكن كالسراي واللوكاندة والموتيل والبالكون والصالون والسلاملك . واسماء الاطعمة كالكستلاته والبفتيك

والروزيف · وعبارات المعاشرة والمجاملة كقولهم باردون وبارول دنير وفورس ماجور وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر لكثرته وتنوعه

ثالثاً « الالفاظ العامية المستحدثة »

وهي ما استحدث من المعاني الحديثة التي لم تكن في الجاهلية او صدر الاسلام · منها

(١) الالفاظ المستعملة لمعانٍ مستحدثة كقولهم في مصر « معلوم » وفيها معنى التأكيد و « يادَاعَادِي » و « بسلامْتُو » و « بَرَكَـه » و « بَرْضُو » و « خاطْرُو » و « بَلاَشْ » و « أَمالْ » و « بَاسلاَمْ » وقولهم في الشام « مَلاَّ » ويريدون بها الاستهزاء بما يأتي بعدها او احتقاره · وهذه الالفاظ وان كانت في الاصل تدل على معانٍ معروفة الآن العامة يريدون بها غير ذلك ومن تأمل في مداولاتها الحديثة برّانها تدل على غير ما كانت عليه قبلاً

(٢) الاشتقاقات الفعلية والاسمية المستحدثة التي اقتضتها سنة الارتقاء — من ذلك قولهم « حَعْمَلْ » بمعنى سأعمل ويراد بها قرب حدوث العمل كأنه يقول هاءنا قد هممت بالعمل و « عبيعْمِلْ » بمعنى الحال المستمر مما ليس في اللغة العربية الفصحى شيء منه · ومثل ذلك استعمال صيغة « فَعْوُلْ » او « فَعوُلَة » للتصغير والتحبب معاً فيقولون في نصر الله « نصُّور » ونعمان « نعوم » وشكر الله « شكور » وفي عائشة « عبوشه » وفي امينة « امونه » وفي فاطمه « فطومه » وما شاكل · ومن هذا القبيل ما استحدث من الالفاظ التي تشبه حروف الجرّ منها قول المصريين « بتاع » والسوريين « تبع » للافادة عن الملكية وقس عليه

(٣) الامثال التي جرت على ألسنة العامة — والمثل منها بمنزلة اللفظة الواحدة وهذه كثيرة لا تحصى ولا تعد ولا يخفى ان ما تؤديه الامثال قد لا يؤديه غيرها من طرق التعبير لان المثل يكتسب بالاستعمال اظلالاً من المعنى فوق المراد من الفاظه الاصلية

وما قدمناه او اشرنا اليه انما هو نقطة من بحر لا تعيه المجلدات الضخمة وليس

هنا محل الافاضة فيه وانما ذكرنا ما ذكرناه على سبيل المثال

ومما تسلمت اليه انظار المجمع ايضاً طرق التعليم المتبعة في كثير من المدارس الوطنية وهي الطريقة القديمة التي اصبحت عثرة في سبيل تقدم الطلبة ولا سيما في العلوم اللغوية فان معظم كتبها مطول ومحشو بما لا حاجة للطالب اليه الا متى حصل جانباً عظيماً من علوم اللغة

وبمناسبة استطرادنا الى لغة العامة نقول ان المرحوم الشيخ خليل اليازجي نجل المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي كان قد باشر تأليف معجم دعاه « الصحيح بين العامة والفصيح » اراد به ذكر الالفاظ العامية في مصر والشام وازاءها ما يقابلها من الالفاظ العربية الفصحى وقد رأيناه رحمه الله يجمع فيه ويرتبه عند قدومه القاهرة منذ بضع سنين لكن المنية عاجلته قبل ان يتم تأليفه ولا ندري ما تم من امره بعد ذلك ولعل جناب شقيقه اللغوي الفاضل الشيخ ابراهيم اليازجي ان يكون آخذاً في اتمام هذا العمل العظيم لان في اتمامه خدمة كبيرة للغة العربية والا فاننا نوجه انتباه المجمع اللغوي الى الاهتمام في مثل هذا المشروع فانه يشمل جانباً عظيماً من واجباته

هذا ومعلوم ان الحكومة المصرية اقوى دعائم النزعة العربية او هي ركنها الوحيد والعائلة المحمدية العلوية ايدها الله اول من قام بنصرة اللغة العربية وتنشيطها ورفع منارها في الاجيال الاخيرة والادلة على ذلك كثيرة لا تحصيها الشروح . والمجمع اللغوي لا يتأيد الا بتعضيدها تعضيداً رسمياً وذلك ما نتوقعه من سمو ولي النعم خديوينا المعظم فرع تلك الشجرة المباركة فيشتد ازر المجمع ونقتطف من اثماره الشهية قريباً . ومعلوم ايضاً ان في اخواننا المصريين ولا سيما حضرات اعضاء المجمع الكفاءة التامة للقيام بهذه الخدمة لتضلعهم بعلوم اللغة وتمكنهم من مفرداتها ودخائلها ولكننا نذكر حضراتهم ان لهم في انحاء الشام والعراق والغرب وغيرها شركاء في هذه اللغة يهمهم منها ما يهمهم وان بينهم رجالاً قد انقطعوا الى اتقان علومها اعواماً طوالاً ساهرين على تعزيزها ورفعة منزلتها فاذا اقترحوا على جماعة منهم ان يشاركوهم في خدمتهم هذه اما بالمراسلة واما باستقدامهم على يد الحكومة السنية كان ذلك ادعى الى اجتماع الايدي واقرب الى زيادة

الارتباط واقدر على نشر ما يترون عليه من الالفاظ

ونرى في كل حال كما رأى حضرة الاستاذ الفاضل ان يعرض المجمع ما يقررهُ على العلماء وارباب الاقلام بنشره في الجرائد المحلية او في نشرة خاصة به ويضرب اجلاً للمتناقشين شهرًا او اكثر حتى اذا دوَّن كل من هؤلاء رأيه وملاحظاته ينظر المجمع فيها فاذا رأى الرجوع الى شيء منها والاّ فلة الرأي كما هو الحال في الحكومة المصرية ومجلس شورى القوانين والله الموفق الى الصواب

السوريون في مصر

يربو السوري في بلاد ما برحت منذ القدم مهدًا للتجارة وبين قوم تتصل ارومتهم بالفينقيين الذين هم اول من اخترق البحار ومال الى الاسفار بقصد الاتجار . ويعيش ابناء السواحل منهم بين ارباب التجارة والقائمين باعبائها ويخالطون فئاتٍ من الغرباء من جالية الافرنج وغيرهم ممن يأتونهم لترويج بضائعهم . فيتدربون على ملكة البيع والشراء والاخذ والعطاء ويرون من طبيعة الاقليم عندهم ما يحسن لهم الاسفار وجوب الاقطار ثم لا يمر بهم يوم لا يسمعون فيه بهاجرة عشرات منهم الى انحاء شتى من العالم طلبًا للكسب وسعيًا وراء الاثراء فيشبُّون على حب الاغتراب وطلب المعالي متمثلين بقول الشاعر

ترحل عن مكانٍ فيهِ ضيم * وخلِّ الدار تنعي من بناها

فانك واجدٌ ارضًا بارض * ونفسك لا تجد نفسًا سواها

ومن كانت منيتهُ بارض * فليس يموت في ارض سواها

وهم عاكفون من جهة اخرى على تعلم اللغات واتقانها فاذا اتمَّ السوري دروسهُ او اتقن تجارتهُ ولم يتعاط عملاً يتعدهُ عن السفر جعل ديدنهُ الاقلاع عمَّا هو فيهِ من السعي وراء ما يكفيهِ مؤونة الخمول ورفع منزلتهِ بين الاقران فيقدح زناد الفكرة في الجهة التي يختارها لمسيرهِ فيفضل في الغالب الديار المصرية لانها ما برحت منذ تولاها المغفور لهُ محمد علي باشا بابًا واسعًا للاتجار فكان يتقاطر

اليها السوريون يتعاطون التجارة التي كانت اذ ذاك واسعة لاتصالها بالسودان وبلاد العرب وفارس والهند من الشرق واوروبا واميركا من الغرب

وما كان يرغب اليهم ايثار هذا القطر السعيد على سواه ما كانوا يرتاحون اليه من رابطة اللغة وسيادة الامن وما كانوا يؤانسونه في اخوانهم المصريين من حسن الوفادة ورقة الجانب فان المصري عنوان اللطف ومعدن الرقة والكنة يؤثر الاقامة على الاغتراب ومعاناة الاسفار بما خصَّ الله به تربة بلاده من الخصب وبما اولاهُ من حسن الرعاية وتأبيد الامن وتكاثر اسباب الكسب السهل بعد ان دانت الديار المصرية للعائلة المحمدية العلوية بما توخاه ولاتها من الرفق بالرعية وتسهيل اسباب معيشتهم فهم من اجل ذلك في امن وسكينة لا تدوفهم الاسفار وهم لا يميلون الى استطلاع احوال الامم لاستغنائهم عن ذلك بما يرد على بلادهم من اجناس الناس على اختلاف المذاهب والنزعات واللغات والازياء فيمر في اسواقهم كل يوم مئات بل الوف من الجالية القادمين من انحاء العالم وفيهم الاوروبي والاميركي والشامي والتركي والفارسي والهندي والسوداني والحجازي واليمني وغيرهم مما لا يحصيه عد وكل منهم آمن مطمئن اقام او رحل استوطن او نزح

فالف السوريون الاقامة بينهم يتعاطون اعمالهم التجارية حتى نبغ منهم جماعة اكتسبوا مالاً طائلاً بجدهم واجتهادهم وهؤلاء هم في الغالب اغنياء السوريين في الديار المصرية . وهذا كان دأبهم الى الثلث الاخير من هذا القرن

اما في الازمنة الاخيرة فقلما يأتون هذه الديار للاتجار لتضيق هذا الباب بفتح ترعة السويس واتصال البحرين الابيض بالاحمر فتحوّلت مجاري التجارة الى اوروبا وتزاحم الافرنج على ابوابها واتفق تولي الخديوي الاسبق اسماعيل باشا فحبب اليهم الاستخدام في مصالح الحكومة برواتب باهظة فمالوا بكليتهم الى هذه الوجهة واشترطوا نيل الراتب وجعل ذلك يتمكن فيهم حتى كادوا يفقدون ملكة التجارة الآ قلة منهم

فالسوري يأتي الديار المصرية الآن يلتمس خدمة في دوائر حكومتها غالبًا وشتان بين مجيئهِ هذا ومجيء اسلافهِ من قبل وقد اصبح منذ رضي بالاستخدام خاملاً مغلول اليدين وقد قصرت باعهُ عن مباراة اسلافهِ ومعاصريهِ في اكتساب

الاموال لانهُ قنع براتب يتناولهُ آخر الشهر ثم لا يكاد يدخل الشهر التالي الاّ وقد انفقهُ وربما استدان ما يعينهُ على نفقات باقي الشهر ولا فرق في ذلك بهظ الراتب او قلّ فانهُ مُنفِقهُ لا محالة سواءٌ كان مئة غرش او مئة جنيه او اكثر او اقل فان القاعدة العمومية انفاق الراتب قبل انقضاء الشهر

ونحن نعرف بين هؤلاء الموظفين كثيرين من اصحاب الرواتب الباهظة ولا يخطر لنا ما نعلمهُ من ابواب النفقة عندهم انهم يحتاجون الى اكثر من نصفهِ ولكننا لا نراهم الاّ وقد انفقوهُ واستدانوا فوقهُ . وهذه حالة توجب قلقهم وتستدعي توقظهم لانهم يقضون اثمن سني حياتهم لا يجمعون شيئاً يرتكنون اليهِ وقت الحاجة . ناهيك عما يتهددهم من استغناء الحكومة عنهم في زمن لا يعرفونهُ . فويل لمن يأتيهِ الامر بالرفت وهذه حالتهُ فانهُ يصبح (الاّ فيما ندر) صفر اليدين مغلول القبضتين كثير النفقات لما اعتادهُ من البذخ والاسراف والتأنق بالمأكل والمشرب والملبس وهو مع ذلك لا يستطيع عملاً تجارياً كان او صناعياً لتعودهِ معيشة الترف وقضاء معظم اوقاتهِ اما في اماكن اللهو واما بمطالعة الروايات او باشياء اخرى لا تختلف عن ذلك كثيراً فيقع في حيرة وربما قادهُ اليأس الى المهاجرة الى حيث لا يعرفهُ احد هذا اذا لم يكن مقيداً بعائلة او شيء آخر يحملهُ على البقاء تحت هذه الاثقال ولا ادري ما تكون عاقبة امرهِ اذا لم يتوفق الى خدمة في احدى مصالح الحكومة ولكن بعد ان يذوق مرّ العذاب ويعض على نواجذ الندم ويندب الزمن الذي قضاهُ في ما لم يغنِ عنهُ شيئاً ويقسم ان يشير على كل من عرفهُ ويوصي اولادهُ واولاد اولادهِ ان يبتعدوا عن هذه الخدمة

على ان للاستخدام حسنات ولا سيما في مصالح الحكومة المصرية ولكنها لا توازي نذراً يسيراً من سيئاتها لان السوري انما يغادر وطنهُ طلباً للكسب الحسن حتى يستوفي ما يتحملهُ من مشاق الاسفار والابتعاد عن الاهل والخلان . والسوريون اهل مهارة في اساليب التجارة يشهد لهم بها العارفون ويؤيد صحتها تاريخ اسلافهم الاقدمين وموقع بلادهم ولنا من شواهد الاحوال اقوى دليل فاليك العيان ودع عنك الخبر ها ان في القطر المصري من التجار عدداً عديداً وهم اخلاط من سائر الطوائف والملل ولا ترى السوري فيهم الاّ من امهرهم في ابواب التجارة واقدرهم على اكتساب الاموال

واذا نظرت الى السوريين المقيمين في هذا القطر وتأملت طرق معائشهم تضح لك عاقبة كلٍّ من التجارة والاستخدام لانك ترى الذين جمعوا مالاً منهم انما جمعوهُ بطريق التجارة ليس الاّ ولا يغرُّك من حسنات الاستخدام نيل المناصب والرتب والالقاب ونماء الثروة فيما تدخره لعائلتك واولادك ولا ترى واحدًا في كل مئة من المستخدمين من اذخر شيئًا يستحق الاعتبار وربما لو بحثت تراه انما اذخره من غير باب الاستخدام

اما اذا احسن المستخدم التصرف في نفقاتهِ واقتصد في طرق معايشهِ حتى يدّخر شيئًا من راتبهِ مع ما يستحقهُ من المكافأة او المعاش في آخر ايامهِ فيكون قد اصاب الغايتين وتمتع بالحسنيين لان في خدمة الحكومة شرفًا ولذة تتطاول اليها الاعناق وتمد اليها الرجال ويكون من الجهة الثانية قد قام بخدمة هي من اجلّ الخدمات العمومية اصلحة في الانسان · ولكننا نفوض هذه الخدمة الى من لا يعرفون كيف يقومون بها حق القيام بها واذا دخلوا فيها فانها لا تدوم لهم

وما يصح على السوريين من هذه الجهة يصح على المصريين وان يكن هؤلاء احق بتولي تلك الخدمات واجدر بالقيام بمصالح البلاد الاّ اننا نرى من تكالبهم على الخدمة وتعليق آمالهم بها وانقطاعهم اليها ما لا تحمد عاقبتهُ فننصح لهم ان يوجهوا انتباههم الى باب من ابواب الثروة قد اختصت بهِ الديار المصرية وقلّ ان يضارعها فيهِ غيرها من البلاد الا وهو باب الزراعة فان وادي النيل واد خصب كثير النتاج بما يحملهُ اليهِ النيل المبارك من السماد بفيضانهِ كل سنة فاذا اعتنى الآباء في توجيه افكار اولادهم وترغيبهم في الزراعة وادخالهم في المدرسة الزراعية فان لهم مستقبلاً حسنًا يعود على سائر القطر بالنفع الجزيل

ولا نريد بما تقدم ان يقتصر الشبان كافة عن خدمة الحكومة وانما مرادنا ان يقتلعوا من معتقدهم ايثار هذه الخدمة على غيرها من الاعمال التجارية والزراعية فلا يتكاثرون عليها وتحوم آمالهم حولها حتى تضيق مصالح الحكومة عنهم ويبقى جانب كبير منهم غفلاً من العمل يئنون من وطأة البطالة وهم كما قدمنا لا يستطيعون عملاً يقوم باود حياتهم وبخلاف ذلك لو توجهت الافكار الى الابواب الاخرى فتتوزع الاعمال وينال كلٌّ نصيبهُ وتكون المنفعة عامة ومتبادلة

وهناك باب من ابواب العمل لا يصح انتغاضي عنه نريد به باب الصناعة ويسوءنا ان نرى السواد الاعظم من شباننا في مصر وسوريا ينظرون اليه بعين الاحتقار وهم يقرأُون في جرائد اوربا واميركا ويشاهدون باعينهم من اثمار الصناعة كالسكك الحديدية والتلغراف والتلفون وغيرها ما يقوم لديهم مقام الدليل القاطع بان الصناعة من اشرف الاعمال واكثرها نفعاً لثروة الامة ورفاهها

ولم يخفَ ذلك على انظار حكومتنا السنية فانشأَت المدارس الصناعية على انواعها ومدرسة الزراعة وغيرها مما نرجو ان تأْتي بالفائدة المطلوبة والله الموفق الى السداد



باب المراسلات

الحماة والكنة

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغرّ

جرى على الالسنة ان الحماة والكنة ضدان لا يتفقان وضرب بهما المثل في شدة التنافر حتى قيل في كل اثنين اختلفا انهما مثل الحماة والكنة والذي اراه انهما يجب ان تكونا مثلاً في الوفاق لان الحماة التي تحب ولدها يجب ان تحب زوجته لانها تعلم انه لم يختترها رفيقة لحياته الا لانه احبها ووضع كل آماله فيها فيقضي الحق الوالدي عليها بالحنوّ اليها ومحبتها واعتبارها بمنزلة ولدها . والكنة تعلم ان حماتها انما هي سبب وجود زوجها وهي التي ربته ولها عليه الفضل الاعظم فيجب عليها ان تحترمها اكراماً له وان تتخذها بمنزلة والدتها لانها اصبحت الصق بها من الوالدة ولذلك قلت انهما يجب ان تكونا مثلاً في الوفاق والذي نراه خلاف ذلك فما سبب هذا التضاد وما الوسيلة لملافاته افيدونا ولكم الفضل

(الاسكندرية) « سليم . م »

(الهلال) الحماة والدة ربّت ولدها منذ كان في احشائها الى ان دبّ ثم شبّ

وهي لا تغفل ساعة عن حراستهِ والحنوّ اليهِ جاع او عطش او توجع وكم قضت من الليالي ساهرة لا تعرف الرقاد جاثية الى سريرهِ تغذيهِ بلبنها وتضمهُ الى صدرها . اذا بكى رنّتهُ واذا مشى استعاذت بالله من عيون الناس عليهِ لا يرتاح لها بال الاَّ اذا كان الى قربها فاذا غاب عن عينيها شيعتهُ عواطفها وحام قلبها حولهُ وهي لا تعرف موضعًا لآمالها الاَّ فيهِ وقد تنسى سائر الناس في سبيل مرضاتهِ واستجلابًا لراحتهِ . فاذا شبَّ اخذت تفكر في زواجهِ وقد تشرع في ذلك وهو غافل عنهُ فكلما رأت فتاةً تنظر اليها بعين المنتقد لعلها تؤانس فيها ما يؤهلها لاكتساب قلب ولدها الذي هو اعزّ الناس عندها ولا ترى بين اقرانهِ اكمل منهُ ولا اجمل وقد يخال لها ولا سيما في هذا الزمن ان آمال البنات حائمة حولهُ وانهنَّ انما يكرمنها او يحترمنها استجلابًا لرضاها لعل اختيارها يقع على واحدة منهنَّ وهي لذلك لا تزداد الاَّ اعجابًا بولدها ولا سيما اذا كان اهلاً لذلك فلا تعود تعلم على من تحمل اختيارها منهنَّ وهي في كل حال تحسب اختيارها لفتاة اكبر منة لها عليها لاعتقادها ان البنات قلما يعثرن على على مثل هذا الصيد ثم اذا وقع اختيارها على فتاة واعجبت ابنها لا تلاقي منها ومن اهلها اثناء الخطبة الاَّ الاحترام والاكرام فتزداد اعجابًا بولدها وتنتظر وقت اقترانهِ بفروغ صبر حتى تتمتع بما تنتظرهُ من الاحتفاء والاحتفال جزاء لما قضتهُ في تربية ولدها من الاتعاب لتكون هي الآمرة الناهية يرجع اليها الاثنان ولا سيما كنتها في كل امرٍ كبيرًا كان او صغيرًا

اما الكنة فهي في الغالب فتاة ربيت في حجر والديها لا تسمع منذ نعومة اظفارها الاَّ تحدث الناس في البنات والتشاؤم بولادتهنَّ وتعوّذ الوالدين بالله من تكاثرهنَّ اما متى شبَّت فلا تعود تذكر ذلك لما ترى من احتفاء الشبان بها وتسابقهم الى مشاهدتها وتفديها في الاجتماعات العمومية والاصغاء الى حديثها وتكالبهم على اكتساب رضاها وان كان ذلك لا يخرج عن حدود الملاطفة الخارجية الى ان تقع من قلب بعضهم موقعًا حسنًا ويعقد النية على خطبتها فيجتهد في استمالتها وبذل الوسائل في مرضاتها واذا اتيح لهُ محادثتها جعل مدار كلامهِ بثّ ما لها في قلبهِ من المكانة وما ينويهِ لها من السعادة المستقبلة فاذا خطبها لا تسمع منهُ الاَّ الاطراء في خصالها والمبالغة في حبهِ لها وتكريس حياتهِ من اجلها والسعي

في ما يجلب لها السعادة ولو بشيء يتوخاه في حديثه واعماله اقناعها ان لها في قلبه المكان الاول وانه انما يريد الحماة من اجلها وانه لم يدهمر عزه بمثل ما شعر به نحوها الى غير ذلك مما يجعلها تطير على اجنحة الامال وتتيه في عالم الخيال وتتمثل لها السعادة عبداً رقاً فتتوق الى يوم يتم لها منه الموعد فتصبح صاحبة البيت ورئيسته والآمرة الناهية فيه تقوم باستقبال زائريها وتستعد للقيام بالواجبات البيتية كما كانت والدتها في بيت ابيها لانها ستكون في مستقبل ايامها رئيسة لعائلة جديدة مستقلة عن عائلة حميها

فاذا تمَّ لها الامر ودخلت بيت حميها لا تلبث برهة حتى ترى خلاف ما انتظرت وهكذا ايضاً حماتها لان كلاً منها كانت تعتقد ان ذلك الزواج سيكون سبباً لراحتها واستقلالها والترأس على البيت فترى خلاف ما انتظرت فيقع التنافر بينهما . ويساعد في ذلك ما بينهما من اختلاف الذوق على نسبة اختلافهما في السن والتربية وسائر انواع المعيشة . فيزداد التنافر وقد تستحيل ازالته الا اذا كانت احداهن حكيمة طويلة الاناة وذلك ينتظر غالباً من الحماة لانها اكبر سناً ولانها كانت يوماً ما كنة وهي اولى بملافاة الامر والدعوة الى ائتلاف القلوب

وعلى الكنة ان تكون اقرب الى الاذعان لحماتها واحترامها وبالاجمال نقول ان ملافاة ذلك الخصام يقوم بامر وهو في غاية البساطة يتكفل بازالة كل اسباب الخصام نريد به ان عقد الزواج المقدس يجعل بين الحماة والكنة رابطة مقدسة اشبه شيء برابطة الوالدة بولدها فاذا اعتبرت الحماة الكنة ابنة لها واعتبرت الكنة حماتها بمنزلة والدتها هان كل عسير على شرط ان تعتقد كل منها ذلك باخلاص وصدق طوية

والرابطة الوالدية التي تحدث بين الحماة والكنة بواسطة الزواج ليست من قبيل الفرض بل هي حقيقة ثابتة عند سائر الامم فان الحماة عند الافرنج يعبرون عنها بقول الانكليز daughter-in-law اي « والدة بحسب الشريعة » والكنة mother-in-law اي « ابنة بحسب الشريعة » واما الفرنساويون فيسمون الحماة Belle mère اي والدة جميلة والكنة belle fille اي ابنة جميلة وهو تعبير يدل على ما يؤيد قولنا لان الجمال وصف يدل على المحبة وفي الحالين نرى ان الشرائع

توجب الائتلاف بين الحماة والكنة والهيئة الاجتماعية تدعو اليه والعقل السليم يحكم بوجوبه ولا سبيل اليه الا بمعاملة كل منهما الاخرى بما بين الوالدة والولد بكل اخلاص . فعلى الحماة محبة كنتها وعلى الكنة احترام حماتها فيمتنع كل ما يدعو الى التنافر ويجلب تسلط السلام والسكينة . اما اختلافهما في الذوق فلا يقف في سبيل ذلك لانه لا يخرج عما هو عاديٌّ بين الاولاد ووالديهم لاختلاف ما ربيا عليه وتعوداه . ولا نراه يؤول الى مثل ما يؤول اليه بين الحماة والكنة والسبب في ذلك اخلاص المحبة وحسن النية قولاً وفعلاً فينظر كل منهما الى اعمال الآخر بعين الرضى وعين الرضى عن كل عيب كليلة . هذا ما نراه والله سبحانه وتعالى اعلم

الرضاعة

لجناب الاديب الياس افندي زيدان

« المعاون بالمستشفى الفرنساوي في بيروت »

(١) يجب على الوالدة ان ترضع ولدها بنفسها وان المراضع لا تقوم مقامها

من المعلوم ان للمرأة وظائف مخصوصة لا يستطيع الرجل ان يقوم بها وهو وحده عاجز عن القيام بجميع وظائف الحياة ولا غنى له عن الاستعانة بامرأة حتى تتوفر له احوال معيشته وراحة مستقبله ولذلك اذا ودَّ المعيشة بنفسه منقطعاً كل الانقطاع عن المرأة تعترضه صعوبات تضر في حالته المادية والعقلية والاَّ لانفصل الرجل عن المرأة منذ ازمان

ومثلما نقول عن اضطرار الرجل للمرأة نقول عن اضطرارها له لتقوم بتلك الوظائف التي لا تستطيع تركها بغير ان تتزعزع بنيتها لانها في حالة من التركيب تستدعي تلك الوظائف لتستطيع البقاء في حالة الموازنة — وبما ان الرضاعة هي وظيفة من وظائفها الخاصة بها فيجب عليها العمل بها لتقوم بطلب القوة التي تستدعي ذلك

وقد يظن اللواتي ربين في بحبوحة الراحة وسعة العيش وقصور الدلال ان

الرضاعة تضر باجسامهنّ وجمالهن فيعتزلنها ويسلمن اولادهن الى رحمة المراضع ومن مع كل ذلك لا يزلن ذاهبات في النحول والضعف فيزددن نفورًا من الرضاعة على حين ان تركهن لها هو الذي قادهن الى هذه الحال

ولا ننكر ان الرضاعة تضر اللواتي يستعملنها بافراط مع التشبث بعوائد عالمية مضرة باجسامهن لاننا نرى المنقطعات عن اللذات المختلفة في زمن الرضاعة يكتسبن ويكسبن اولادهن صحة وجمالاً وراحة ويتخلصن ويُخلِّصنَ اولادهن من عذاب المراضع وقساوة معاملتهن فانهن كم ابكين العيون دمًا واورثن اولئك الصغار الابرياء ادواء عضالة مزمنة من تغيير حليبهن في الكمية او الماهية خصوصًا اللواتي مارسن منهن الرضاعة مرات عديدة متوالية حتى لم يبق في حليبهن من المواد المغذية شيء يذكروهن على الغالب فلما يعتنين باولئك الصغار فيعطينهن الثدي متى اردن ويتلاعبن بهم تلاعب الرياح بالسفن اذ ليس في قلوبهن الحنو الوالدي الذي هو في قلوب والداتهم وهي المحبة الخالصة التي لا تقبل غشًا اوجدها الله فيهن محافظة على بقاء النوع

(٢) واجبات الوالدة نحو ولدها في زمن الرضاعة

اول ما يستدعيه الحنو الوالدي من الام هو ان يكون ارضاعها ولدها (من قلبها لا من شفتيها) والا فتكون حياة ذلك المسكين حياة عذاب وشقاء وربما فارق دنياهُ قبل ان ينطق لسانهُ وهذه المعاملة شائعة في البلاد المتمدنة حيث تخوض النساء في لذات العالم المتنوعة كالمراسح ومحلات الرقص ونحو ذلك غير مفكرات باولادهن ولا منتبهات الى الاعتناء بهم فيرضعنهم تخلصًا من صراخهم لا حفظًا لحياتهم وهي معاملة لا يسمح بها الله ولا يقضي بها العدل ولا ترضى بها الانسانية

ثانيًا على الوالدة ان تعتني بصحتها هي تمام الاعتناء مدة الرضاعة لكي يبقى حليبها غزيرًا مغذيًا وفي تركيبهِ الطبيعي حتى لا يضر في صحة الطفل التي هي شديدة التأثر بالعوامل والتغيرات التي تطرأ عليها

ثالثًا عليها ان تعتني بصحة ولدها منتبهة اشد الانتباه الى تغذيتهِ فما دامت هذه منتظمة وكافية فالصحة جيدة والنمو متقدم والعكس بالعكس

وقد اجمع اكثر الاطباء على ان تكون وقعات الغذاء في الاشهر الاولى مرة كل ساعتين في النهار وكل ثلاث ساعات في الليل مدة اربعة اشهر ثم يوخذ في ان ينقص من عددها حتى تصبح بعد الشهر السادس مرة كل ثلاث ساعات في النهار وكل ست في الليل · ومدة الرضاع في الوقعة لا يجب ان تزيد عن ١٠ دقائق فبهذه الطريقة يبقى الغلام في حالة الصحة وتبقى والدته مرتاحة ولا يجب ان يلقم الحلمة عند كل صراخ يؤْذيهِ او صوت يبديهِ اذ لا شيء اضر في صحة الصغار من عدم الانتظام في المعيشة كما لا يخفى

(٣) هل تقدر كل والدة ان ترضع ولدها

من الشائع على ألسنة العموم ان الامرأة النحيلة لا يدرّ ثديها ولا تصلح للارضاع فهذا الاعتقاد يصح اذا كانت تلك النحولة ناتجة عن علة في الجسم اي ضعف في القوى اثر النهوض من داء عضال او غير ذلك

اما اذا كانت المرأة في حالة الصحة فهي قادرة تمام المقدرة على القيام باحتياج ولدها وتغذيتهِ من لبنها الخاص والأَلزم ان تترك ساكنات المدن الرضاع على الاطلاق لانهن على وجه العموم ضعيفات البنية نحيلات القوام وقد لاحظ الاطباء ان اللواتي اعتدلت اجسامهن يفيض ثديهن ويستطعن تغذية اولادهن بكل راحة احسن ما تقدر عليهِ اولئك اللواتي تظهر عليهن مظاهر القوة وسمات النشاط

(ستاتي البقية)

اعتذار لحضرات المراسلين

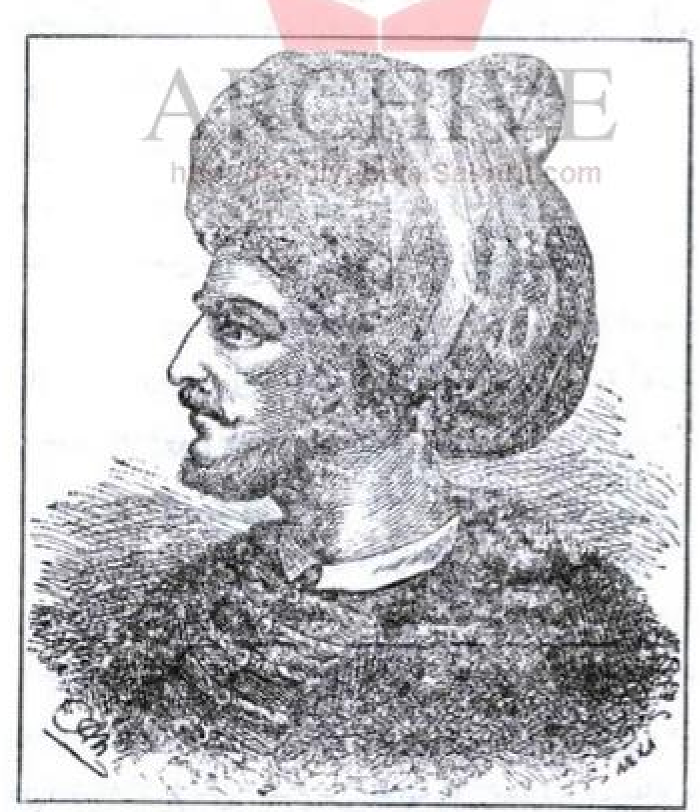
ورد علينا ردٌّ من الاديب اسبيريدون افندي ابو الروس في « هل الآداب بالطبع ام بالوضع » وردٌّ من الاديب يعقوب افندي جمال بصري في « أتتوقف تربية الاولاد على الوالدات اكثر مما على الوالدين » وقد رأينا ان نكتفي بما جاء بهِ المتناظران في كل منهما في الاعداد الماضية خوفاً من الاطالة في الاخذ والرد والموضوع لا يحتمل ذلك فنرجوا المعذرة لعدم نشر الردَّين المشار اليهما وما يرد في حكمها



الجزء التاسع من السنة الاولى

اول مايو سنة ١٨٩٣ (١٤ شوال ١٣١٠) (٢٤ برموده سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية

السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية

ولد سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩) وتولى ٨٥٥ هـ (١٤٥١) وتوفي ٨٨٦ هـ (١٤٨١)

هو سابع سلاطين آل عثمان ويقال له السلطان محمد الثاني ولد في ادرنة سنة ٨٣٣ هـ وتولى السلطنة مرتين في حياة والده السلطان مراد الثاني ولكنه كان لا يزال يافعاً قليل الاختبار فعاد والده الى القبض على ازمة الاحكام حتى توفاه الله سنة ٨٥٥ هـ وكان السلطان محمد اذ ذاك منفيًا الى مغنيسيا بوشاية الصدر الاعظم خليل باشا فلما توفي السلطان مراد دعي صاحب الترجمة لتولي الاحكام فبعث الى الصدر الاعظم يقول له « ما بال وزيري يبتعد عني فليأت اليّ ويتقلد منصبه » فاعتبر الصدر ذلك منة كبرى كافاهُ عليها بقتل احمد اخي السلطان وهو بغتسل وانقذه من مناظرته على الملك فاستتب له الامر

وكانت عاصمة العثمانيين الى ذلك العهد مدينة ادرنة في بلاد الروملي ولكنهم كانوا قد حاولوا افتتاح القسطنطينية غير مرة ولم يظفروا بها حتى تولى السلطنة محمد الثاني ففتحت على يده ولقب من اجل ذلك بالفاتح

والقسطنطينية عاصمة المملكة الرومانية ذات المجد والسؤدد لامثيل لها بين عواصم العالم من حيث المنعة وحسن الموقع اقام فيها امبراطور الرومان واليونان زهاء الف ومئة سنة لا ينازعهم فيها منازع ولم يقوَ احدٌ على فتحها فتحا مبينا قبل هذا السلطان

وكانت الدولة الرومانية على وشك السقوط وقد خافوا سطوة العثمانيين فلما تولى السلطان محمد سار امبراطورهم بنفسه الى ادرنة لتهنئته بالملك تزلفا اليه فاكرم السلطان وفادته ولكنه كان عازماً على افتتاح تلك المدينة العظيمة فلم يغن ذلك التزلف شيئاً فمضى نحو السنتين في اعداد المعدات الحربية وانشاء الحصون وتجنيد الجنود من الانكشارية وغيرهم وكان في جملة المعدات مدافع هائلة ثقل قنبلة بعضها اثناعشر قنطاراً

ثم زحف السلطان على القسطنطينية فوصلها في ٦ افريل سنة ١٤٥٣ فحاصرها من البر بمئتين وخمسين الف مقاتل ومن البحر باربعمئة وعشرين شراعاً فوقع الرعب في قلوب اليونانيين داخل المدينة اذ لم يكن عندهم من الحامية الا خمسة آلاف مقاتل معظمهم من الاجانب . وبقي الحصار ٥٣ يوماً لم ينفك العثمانيون اثناءها على اطلاق القنابل

وكان العثمانيون محيطون بالمدينة من كل جهاتها الاَّ الميناء فانهُ كان مقفلاً بسلسلة هائلة من الحديد لم يستطع العثمانيون اجتيازها فعوَّل السلطان على ان يدخل الميناء من البر وكان بينهم وبينهُ مسافة ساعة من الزمن ففرشوا تلك المسافة بالواح من الخشب مدهونة بالشحم وجروا السفن عليها حتى دخلوا بها الميناء ليلاً فاصبح اهل المدينة واذا بسبعين شراعاً قد دخلت الميناء فاندهلوا ولم يكادوا يصدقون ذلك لعلهم بمناعة مينائهم

وفي ٢٩ مايو (ايار) من تلك السنة هجم العثمانيون على المدينة الهجمة الاخيرة وهم يوحدون الله واصوات المدافع تخلل اصوات التوحيد فدافع اليونانيون من على الاسوار دفاع الابطال حتى كانت اسهمهم تتساقط على العثمانيين تساقط المطر ولما قلَّت عندهم معدات الدفاع جعلوا يرمونهم بالحجارة حتى كادوا يوقفونهم عن الهجوم ولكن النصر كان مقدراً لهم . وكيفية ذلك ان احد ابواب المدينة المدعو سيركوبورتا كان قد فتحهُ اهل المدينة ليخرجوا منهُ عند اليأس وتركوهُ مفتوحاً فاهتدى اليهِ الانكشارية ودخلوا المدينة منهُ وكان الامبراطور قسطنطين لا يزال على الاسوار يحارب بنفسهِ حتى اصيب بضربة قضت عليهِ اما اهل المدينة فالتجأُوا الى الكنائس ولكنها لم تدفع عنهم محذوراً فان العثمانيين كسروا ابوابها بالفوس واعملوا في الاهالي قتلاً وفتكاً

وفي منتصف ذلك اليوم دخل السلطان محمد المدينة باحتفال عظيم وقد اعجب بما اوتيهُ من النصر فمرَّ بموكبهِ بجانب كنيسة القديسة صوفيا فاعجبهُ اتقانها وعظمها فامر المؤذنين ان يدعوا المؤمنين الى الصلاة ونزل بنفسهِ وصلى على منبرها ثم ذهب الى القصر الملوكي فسرَّ بما شاهدهُ فيهِ وفي سائر مباني المدينة من الزخرف وما يتجلى فيها من آثار المجد فعوَّل على ان يتخذها مقاماً لهُ وعاصمة لمملكتهِ ولكنهُ رأى ان سكانها قليلون فاعلن المهاجرين من سكانها ان يعودوا اليها ولا خوف عليهم ولا على مالهم وكان بطريركهم قد قتل اثناء الحصار فانتخبوا بطريركاً غيره فلدهُ صولجانه بيدهِ وهي اول مرة تقلد البطريرك القسطنطيني عصا الرعاية من يد سلاطين آل عثمان

وكان في جملة الرموز التي يرسمها الرومانيون على اعلامهم وينقشونها على

وساماتهم رسم الهلال نقشه اولاً اوغسطوس قيصر وتراجان وكاركلاّ وكان لا يزال معروفاً الى ذلك العهد فاتخذه العثمانيون رمزاً عن النصر ولا يزال شعاراً لهم تتزين به اعلامهم الى هذه الغاية . وكان من اسماء القسطنطينية في لغة اليونان قولهم (is tin Polis) اي في المدينة فحرف العثمانيون اللفظة بالاستعمال الى اسطمبول

ولما استتب الامر للسلطان في القسطنطينية اخذ في تدبير الشؤون فعلم ان الصدر خليل باشا كان يكاتب اليونانيين اثناء الحصار فأمر به فقطع رأسه بحضرته وهو اول وزير قتل بامر السلطان . واخذت التهاني تتوارد على السلطان من سائر ممالك العالم واستقام له الامر وتعززت سطوته وتأيدت شوكته فاخذ في الفتوحات فجرد على البلغار وقد اجتمعت جنود اوربا لدفاعه بامر البابا كاليكست الثالث تحت قيادة هونيادس الشهير فحصلت الموقعة الاولى وظهر فيها الافرنج اولاً فعظم ذلك على السلطان فهجم بنفسه في ساحة القتال فتهدد جنده وهجموا بقلوب لا تهاب الموت وطلبوا اسوار المدينة فتساقطت عليهم النيران المشتعلة في حزم من النسيج مغمسة بالزيت والكبريت فاضطرب العثمانيون ولم يجدهم الثبات نفعاً فاضطروا للرجوع وقد قتل منهم زهاء ٢٤ الفاً

ولكن ذلك النصر كان آخر ما ناله هونيادس امام العثمانيين لانه مات بعد قليل من جروحه ثم مات كابيسترانو وكان من كبار القوّاد ايضاً فعاد السلطان في السنة التالية واستولى على بلغاريا ثم ذهب الى اليونان واخضع ما كان منها لا يزال مستقلاً

ثم سار واخضع الفلاخ إخضاعاً تاماً وضرب عليهم الجزية ثم حارب البندقية وفتحها وبعد ذلك سار العثمانيون لمحاربة هونجاريا ففتحوها وامعنوا في اوربا حتى بلغوا جرمانيا وعادوا منها بالغنائم وفي جملتها اكياس مملوءة رؤوساً وآذاناً وانوفاً

وفي سنة ١٤٧٤ حاصر العثمانيون اسكودار في البانيا وكان قومندان حاميتها انطون لوريدانو فدافع دفاعاً شديداً ولما جاءته رسل العثمانيين في طلب التسليم اجابهم « اني بندقي من سلالة قوم لم يجيبوا مثل هذه الدعوة فاما ان احمي حمى وطني واما ان اموت »

فشدد العثمانيون الحصار فخاف انطون ان تخور عزائم رجاله فصاح فيهم وقد

كشف عن صدره قائلاً « من رغب منكم في التسليم خوفاً من الجوع فليقتد من هذا اللحم فانهُ كاف لسد جوعه اما التسليم فلا طاقة لي عليهِ » وكان من تأثير هذا الكلام في رجالهِ ما ارجع العثمانيين عن المدينة ولم يفتحوها

ثم حارب العثمانيون اهل مولدانيا وظفروا بهم فعادوا الى اسكودار وشددوا عليها الحصار وامتنعت عليهم مدة طويلة بهمة راهب من رهبانها اسمهُ برتولوماوس كان خطيباً مصقعاً كلما خبطت همم الحامية شددهم بكلامه وحثهُ وما زال الحصار عليها حتى عقدت معاهدة الصلح مع البندقية وكانت قاضية باستيلاء العثمانيين على تلك المدينة والتوسعة لتجارة البندقيين في انحاء المملكة العثمانية ومسالمة كل ايالة ترفع علم القديس مرقس فوق اسوارها

وفي سنة ١٤٧٩ جرد السلطان لمحاربة بنسلفانيا وكانت تحت قيادة رجل اسمهُ باطور فجرت بين الفريقين عدة مواقع جرح في احدها باطور هذا عدة جروح حتى سقط من الضعف واوشك جيشهُ ان يعود مفشولاً فناداه بعض الكونتية واسمهُ كينيس قائلاً « اين انت يا باطور » فبلغت تلك الصيحة اعماق جروحه ولما تم لما الجيش فهب باطور كانهُ ارق الفناء بغتة فتقددت رجالهُ حتى كادوا يظفرون بالعثمانيين

اما كينيس هذا فسكر من خمرة النصر حتى اتى اموراً تحط من شأن رجال الحرب فانهُ شرب الخمر ممزوجاً بدم القتلى ورقص في مرقص عاضاً على جثة بين اسنانهِ

وبعث السلطان حملة الى ايطاليا ففتحت اوترانتو فظن فتحها يخلو لهُ السلطة على سائر ايطاليا فاقتنع في ذلك وتحول عنها الى جزيرة رودس وكانت تحت سلطة فرسان مالطة وقد توقفت عن اداء الجزية للعثمانيين فسارت اليها الحملة وحاصرتها ثم امر القائد بالهجوم عليها دفعة واحدة ووعد الجند انهم اذا فتحوها يبيح نهبها فهجموا هجوم الاسود حتى كادوا يدخلونها فناداهم الباشا بان لا ينهبوا شيئاً فخارت عزائمهم فانتهز عدوهم تلك الفرصة وعاد عليهم فتقهقر العثمانيون واستولى عليهم الفشل . فلما بلغ السلطان ذلك نسب الفشل الى نحابهِ لان النصر يرافقهُ حيثما سار فجند حملة كبيرة وسار بنفسهِ لافتتاحها فداهمتهُ المنية في معسكره

في ٣ مايو (ايار) سنة ١٤٨١ وقد حكم ثلاثين سنة وسنة ٥٢ سنة فنقلت جثته الى القسطنطينية ودفنوه هناك وهم يرددون قوله «كنت احب ان افتح رودس وأخضع ايطاليا»



محمد علي باشا

«مؤسس العائلة الخديوية»

(تابع ما قبله)

وبعد ان اتم ابراهيم باشا جمع سلاح السوريين بمساعدة الامير بشير بعث برجاله على اهالي الشوف والمتن من لبنان وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الاسلحة وحملوا كل ما جمعوه منها الى عكا وكانوا يعطونهم منها تعالاً لخيولهم . فاستتبت الراحة في سوريا وأذعنت البلاد الا ان محمد علي باشا لم يقف عند هذا الحد فاحب استخدامها لتوسيع دائرة حكمه فجعل يجمع منها الرجال والخيل بطرق قهرية فدق ذلك على الباب العالي فعقد مجلساً في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٣ هـ (٢٢ يناير (ك٣) سنة ١٨٣٩ م) للنظر في مقاصد المصريين فاقر المجلس على تجريد حملة من ثمانين الف مقاتل منهم ٢٥ الفاً من الباشبوزق طبقاً لارادة جلالة السلطان محمود خان وان تسير تحت قيادة حافظ باشا لمحاربة المصريين

وكان محمد علي باشا قد سار الى السودان تاركاً القاهرة تحت قيادة حفيده عباس باشا فلما عاد اليها اول سنة ١٢٥٤ هـ علم باعدادات الباب العالي فانذعر لها فكتب الى ابنه بسعتها فاخذ ابراهيم في الاستعداد للدفاع فحشد جيوشه في حلب لدفع الجنود العثمانية القادمة براً . ثم علم ان معظم الاهالي راغبون في دولتهم الاصلية ومستعدون للتسليم وعلى الخصوص الدروز تحت قيادة شبلي العريان احد ابطالهم المعدودين . فحصلت مواقع شديدة بين الجيوش العثمانية والمصرية في نزيب انتهت بانهزام الاولى الى مرعش

وكان السلطان محمود قد ارسل عمارة بحرية لمحاربة المصريين فجاءت

الاسكندرية فاصابها ما اصاب الحملة البرية ولكنه توفي قبل بلوغو خبر تلك الوقائع فخلفه السلطان عبد المجيد سنة ١٨٣٩

ثم توالت الحوادث الى ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٠ م فانعقدت معاهدة لندرا قاضية باعتبار محمد علي باشا من تابعي الدولة العثمانية . الا ان ذلك لم يكن ليوقفه عن مقاصده ولديو اذ ذاك نحو ١٤٦ الفا من الجنود النظامية و٣٢ الفا من الباشبوزق منها ١٢٠ تحت قيادة ابنو ابراهيم في سوريا والباقون متفرقون في الحجاز وسنار وجزيرة كندي ومصر لكنه علم بعد ذلك ان هذه القوات قليلة في جانب ما يلزمه لاتمام مشروعاتو فجعل يضم اليها كل تلامذة المدارس حتى استخدم المرضى والجرحى . ثم عمد الى انشاء خفر وطني احتياطًا ولكنه لم ينجح بو كل النجاح على انه مع ذلك لما عرضت عليو معاهدة لندرا لم يصادق عليها فعرض عليو ان ياخذ ولاية عكا ترضية له ويضمها الى مصر وينسحب من سوريا ورفض ايضًا

وبعد ذلك بيسير جاءت الجيوش الانكليزية الى صيدا وفر ابراهيم الى الجبل . وكان الكومودور نابيه قد سار في عمارة بحرية انكليزية لمحاصرة بيروت وكانت تحت قيادة سليمان باشا وقد حصنها تحصينًا منيعًا ومعه فرقتان من الجند ولسوء الحظ جاءته الانباء ان ابراهيم قتل وتشتتت رجالة فخاف سليمان ورأى ان لا بد من تأكيد حقيقة ذلك الخبر حتى اذا تحقق موت ابراهيم ضم اليو ما بقي من الجيوش المدافعة فبرح بيروت بعد ان جعل عليها صادق بك احد امراء الفرقتين اما هذا فلما رأى نفسه منفردًا في بيروت خاف فترك المدينة وفر فاستولى عليها الانكليز ثم اتصل بو من سليمان ان ابراهيم باشا لا يزال حيًا ويأمره بالثبات امام العدو ليها يحضر فخاف صادق بك الوقوع في شر اعمالو فانضم الى الانكليز هو ورجالة ثم سار نابيه من بيروت الى عكا وحاصرها ففر اسماعيل بك ومن فيها من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد علي باشا الصلح فقبل وعقدوا معاهدة وقع عليها الجانبان وعند ما ارادوا تثبيتها مانعت الدول في ذلك وبقيت الاشياء على حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالي ومحمد علي

علي باشا فاراد جلالة السلطان مكافأة محمد علي فاعطاه ان تكون ولاية مصر وراثية لنسلو بشرط ان يكون لجلالة السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي من يريد لتوليتها فتردد محمد علي في بادىء الرأي . ثم امر جيوشه ان تنسحب من سوريا وكان عددها عند ذهابها اليها مئة وثلاثين الفاً فلم يرجع منها الا خمسون الفاً وقد اخذ التعب منهم مأخذاً عظيماً فلم يرَ بدًّا من قبول انعام جلالة السلطان . فبعث الى الباب العالي بذلك فارسل اليو خطاً شريفاً بتاريخ ٢١ ذي الحجة سنة ١٢٥٦ هـ او ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٨٤١ م بتثبيتو على مصر مع حقوق الوراثة لاعقابو وان يكون لجلالة السلطان ان يختار منهم من يريد لهذا المنصب وغير ذلك . ثم صدر فرمان آخر بابقاء ولايتو على نوبيا ودارفور وكردوفان وسنار فاصبحت حكومتة بعد ذينك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . وبمقتضى الخط الشريف تنازل محمد علي باشا عن عشرة آلاف من جنود سوريا فلم يبقَ عنده الا ثمانية عشر الفاً بين مشاة وفرسان وغيرهم فاضطر بذلك الى الاقتصاد لاصلاح مالية البلاد فاوقف كثيرًا من المدارس العمومية التي كان قد خصص مبالغ معلومة للنفقة عليها ومن ضمنها مدرسة شبرا الزراعية وابدل الاساتذة الاوروباويين لما بقي من المدارس باساتذة ترك او وطنيين وسار من ذلك الحين في خطة الاصلاح قانعاً بما قسم لهُ من البلدان فعمل على رضاء جلالة السلطان فانفذ الى جلالتو ابنة سعيد باشا لتقديم واجب العبودية

ثم اصيب ابراهيم باشا بانحراف في صحته فسار الى اوروبا انتصاف فصل الصيف سنة ١٨٤٥ فاصاب ترحاباً عظيماً في سائر المدن الاوروبية ولا سيما في فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م (١٢٦١ هـ) وكان والدهُ قد توجه قبل وصولو بيسير الى الاستانة بدعوة رسمية ليقدم عبودية لجلالة السلطان فوصلها في ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٦ م (١٢٦٢ هـ) ونزل في سراي رضا باشا ثم تشرف بالمثول بين يدي جلالة السلطان الاعظم فترحب بو ولما اراد تقبيل الاعتاب الشاهانية امسكه جلالتهُ واجلسهُ بجانبو ومكثا ساعة يتحدثان ثم انصرف شاكرًا وزار عدوَّهُ القديم خسرو باشا وتصافيا وفي ١٧ اوغسطس من تلك السنة برح

الاستانة قاصدًا قوَله مسقط رأسو فاقام فيها عدة ابنية لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء والمساكين ثم برحها الى الاسكندرية فقوبل بالانوار وسار منها الى القاهرة فتقاطر اليو المهنئون من الاصدقاء افواجاً فكان يستقبلهم وعلى صدره الطغراء الشاهانية بتلألأ كالشمس

وفي منتصف سنة ١٢٦٤ ه‍ (سنة ١٨٤٨ م) توعك مزاج محمد علي باشا وازدادت فيو ظواهر الخرف فلم يعد ثم بدٌّ من تولية ابراهيم باشا فتوجه هذا الى الاستانة في اوغسطس من تلك السنة لاجل تثبيتو على ولاية مصر خلفاً لابيو فثبّتة السلطان بنفسو فعاد لمعاطاة الاحكام وكان مهاباً اكثر مما كان محبوباً بخلاف والدهِ الذي كان مهاباً ومحبوباً معاً . ثم راجعة العياء واشتد عليو بغتة ففارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٨ م وبعد وفاتو باحدى عشرة ساعة دفن في مدفن العائلة الخديوية بجوار الامام الشافعي جنوبي القاهرة

وكان عباس غائبًا في مكة فاستُقدم حالاً لاستلزام زمام الاحكام فوصل القاهرة في ٢٤ دسمبر بعد ان قضى فروض الحج وبما انهُ اكبر ابناء العائلة لم يكن ثم اعتراض على توليتو فجاء الفرمان الشاهاني من الاستانة مؤذناً بذلك فتولى الامور

كل ذلك ومحمد علي باشا في الاسكندرية وقد اخذ منهُ العياء ماخذاً عظيماً وما زال يهزل جسدًا وعقلاً الى ٢ اغسطس (آب) سنة ١٨٤٩ م فتوفي ولم يستغرب الناس ذلك لانهُ مكث في حالة النزاع مدة طويلة . وفي ٣ منهُ تقاطر الناس من الاعيان والفضلاء الى سراي راس التين في الاسكندرية لحضور مشهد ذلك الرجل العظيم فاذا هو في قاعة الاستقبال على محمل تغطيو شيلان الكشمير وعلى صدره سيفهُ والقرآن الكريم وعلى رأسو طربوشهُ الجهادي احمر تونسي وحولهُ ٣٢ من العلماء في الملابس الرسمية يتلون القرآن بانغام محزنة . وكان سعيد باشا اكبر من وجد في الاسكندرية من عائلة الفقيد فكانت توجه نحوهُ خطابات التعزية . ونقلت جثة الفقيد ودفنت في جامعو في القلعة ولا تزال هناك الى الآن

رابعاً . اصلاحاته

استولى محمد علي على مصر وهي في معظم الخراب والفساد سياسيًّا وماليا وتجاريًّا وزراعيًّا وادبيا فأخذ على نفسه اصلاح شؤونها وبذل في ذلك من الجهد والعناية ما ليس وراءه غاية وقد فاز بما اراد فاحيا الديار المصرية وانعشها وانماها من سائر الوجوه حتى اصبحت تجاري مدن اوروبا ولذلك لقبه كتاب عصره بموجد الديار المصرية يريدون انه اوجدها من العدم

الاصلاح الاداري

واول شيء باشره من الاصلاح مسح الارض والانتفاع بزرعها وتوزيعها . وتفصيل ذلك ان البقاع المصرية كانت منقسمة من حيث ملكها الى قسمين احدهما البقاع التي كاد يكون لواضع اليد عليها الحق في ملكها ملكًا مطلقًا وكانت معفاة من الضرائب والقسم الثاني البقاع التي لم يكن لزارعها الا حق التمتع بريعها وهي التي كانت عليها الضريبة الخراجية اما نفس العقار في هذين القسمين فكان ملك بيت المال او الحكومة او السلطان

هذا كان شان الديار المصرية قبل الفتح العثماني وبعده الى القرن السابع عشر حينما استأثر الامراء المماليك بالقوة والسلطة واختل النظام وصار الناس يهاجرون فاهملت الاشغال العمومية وقل ريع الارض فاصبحت الحكومة في عجز كلي عن استحصال النقود فالتجأت الى تلزيم الخراج وذلك ان الحكام كانوا يضمنون خراج النواحي والبلاد لاناس وكان ذلك الضمان او الالتزام يقرر اما بالمزايدة او بالاتفاق بين الملتزم من جهة والرزنامة بالنيابة عن الحكومة من جهة اخرى . حتى اذا تم الامر اعطت الرزنامة للملتزم تقسيطًا اي عقد تلزيم يصدق عليه شيخ البلد وهو كبير الامراء المماليك

فاذا دفع الملتزم الضريبة يعطى له حق التصرف في تحصيل المال الذي عجله وعلى فوائده التي كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد وكانت الحكومة تتعهد بمساعدته في التحصيل وتجعل له في مقابل ما ينفقه ويكابده في ذلك التحصيل بقاعًا غير التي التزمها معفاة من كل ضريبة تعرف بالاواسي . اما الفلاحون

فلم يكونوا يملكون ارضاً قط على ان الملتزمين انفسهم كانت تنزع منهم الالتزامات اذا تصدى لهم من كان اكثر صولة منهم واشد بطشاً

ولا يخفى ما كان ينجم عن هذا التصرف من الاختلال وضياع الحقوق والاتعاب فلما استقام الامر لمحمد علي باشا امر بمسح كل بلاد مصر المزروعة ثم قسمها الى مديريات والمديريات الى مراكز او اقسام وهذه الى نواحي وعيّن فيها من يقوم بادارة امورها وآخرين لجباية الضرائب وابطل الالتزامات جملة ووزع عقار كل ناحية بين اهالي تلك الناحية نفسها بحيث يصيب كل فلاح قادر على الشغل جانب من الارض بقدر الجانب الآخر فبلغ نصيب كل فلاح ثلاثة افدنة وبعضهم اربعة او خمسة وجعل لمشايخ البلاد جانباً من الارض واعفاه من الضريبة في مقابل نفقات ضيافة جباة الاموال الاميرية الذين كانوا يمرون في بلادهم وما كانت الحكومة تكلفهم به من المهام ودعا تلك العطايا مسموح المشايخ او مسموح المسطبة وهي تقابل الاواسي المتقدم ذكرها

ثم رأى رحمه الله ان الفلاح لا يستطيع من نفسه امرًا كافلاً اخراجه مما هو فيه من الضيق الذي تراكم عليه بمرور الاجيال وكان قد انتهى من اعماله الحربية ولم يعد ثمّ حاجة الى بقاء ضباط الجهادية منقطعين الى وظائفهم العسكرية مع بقاء رواتبهم جارية عليهم في حالة السلم وانّ ليس من التدبير والحكمة ان يتناولوا معيناتهم وهم عطل من الاعمال . ورأى من الجهة الثانية ان الفلاح يحتاج الى مرشد يهديه الى الطرق اللازمة لاستقامة امره ووازع يدفعه الى النهوض بواجباته وعلم ايضاً ان المرء مهما كان صادقاً في خدمة الحكومة يشتغل لنفسه اكثر مما يشتغل لغيره فارتأى ان يعهد بامر البلاد من حيث الزراعة الى اولئك الضباط مفوضاً اليهم تعميرها واصلاحها بانفسهم ففعل ولم يحرم الفلاح مع ذلك من ثمرة اتعابه بل جعل لهذه الطريقة التي اعتمدها اصولاً وقوانين تقضي بان لا تعطى الاطيان للمتعهد ما دامت رائجة ومقتدرة على اداء ما عليها من الاموال في اوقاتها . اما الاطيان غير الرائجة فتحال الى عهدته باختيار اربابها وهو يتعهد باداء المال المطلوب للحكومة وبهذه الواسطة نشطت الزراعة وتحسنت تحسناً عظيماً وما زالت تلك العقارات في ايدي المتعهدين الى ايام المغفور له عباس باشا وهو الذي استردها

ومن اعماله الادارية انشاء الدواوين ومنها ديوان المعاونة وفائدته النظر فيما يعرض من الدواوين الاخرى والمديريات وسائر الجهات ثم الديوان الخديوي وكان يقوم باشغال ديواني الداخلية والخارجية والضابطة ثم ديوان الاشغال وديوان المبيوعات وديوان الفردة ثم انشأ بعد ذلك ديوان الخارجية خاصة وديوان العسكرية ثم الخزانة المالية وما يتعلق بها وديوان الاوقاف وديوان المعامل وديوان التفتيش والحقانية والترسخانة والابنية وديوان المدارس وجميع ذلك او معظمه عهد بإدارة اعماله الى مديرين ورؤساء من ابناء هذا القطر السعيد وكلها ترجع باحكامها الى ديوان المعاونة المتقدم ذكره

ثم انشأ مجالس للقضاء وما يقتضي لها من القوانين والاحكام ورتب البريد يحمل على يد السعاة برًّا وبالسفن بحرًا وانشأ ما يقوم مقام التلغراف الآن من الاشارات بواسطة ابنية مرتفعة ممتدة على خط واحد بين المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة لا يزال بعض منها قائمًا اثرًا لهمة ذلك الرجل

وانشأ لتأييد السلم وتوطيد الامن فرقة الضابطة وفرقهم في انحاء البلاد فامن الناس غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يقاسون اثناء تجولهم في القطر اهانات ومشاق جمة فاصبحت السبل في مأمن وتسهلت الصلات التجارية على الخصوص بين انكلترا والهند على طريق البحر الاحمر فاستعاضوا بها عن طريق راس الرجاء الصالح في امور كثيرة

« الاصلاح الزراعي »

ولم تقف اصلاحاته عند هذا الحد ولكنه رأى خصب التربة المصرية وامكان استخدامها لاكثر من انواع المزروعات المعروفة بمصر فجاء اليها بالقطن البذار (الشفاوي) الامركاني وجاء بنبات النيلة من جهات الهند و بنبات الافيون من اسيا الصغرى وجاء بغير ذلك من انواع المغروسات المفيدة وجاء باناس عالمين بكيفية زراعتها واستغلالها . واكثر من غرس الحدائق والاشجار في القاهرة وضواحيها تلطيفًا لحرارة الهواء واستزادة للغيث ومن جملة ذلك مغارس الليمون في شبرا والحدائق في الروضة وحديقة الازبكية فقد كان في مكانها قبل ايامه بركة كبيرة يتصل اليها الماء من النيل ايام فيضانه وكان الناس يأمونها في المواسم

والاعمدة في قوارب عليها الانوار وسائر الزخارف فاحتفر محمد علي حولها ترعة ينصرف اليها الماء فظهرت ارض البركة فجعل حول هذه الترعة صفوفاً من الاشجار تحيط ببقعة كلها غرس طيب . اما الحديقة التي نراها الآن فهي من آثار الخديوي الاسبق اسماعيل باشا .

ومن آثاره الزراعية السدود التي اجراها في ابي قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها وانفق كثيرًا من الجسور والترع ونظر في تطهيرها وانشأ الترع الصيفية لانماء الزراعة الصيفية وابدل الخول بالمهندسين في اعمال الري وبعث كثيرًا من ابناء البلاد الى اوروبا لدرس فن الزراعة وانمائه ليخدموا بلادهم به

ومن مشروعاته الخطيرة من هذا القبيل القناطر الخيرية القائمة عند رأس الدلتا والسبب في بنائها انه رأى النيل لما يصل الى رأس الدلتا ينفصل الى فرعين هما فرعا رشيد ودمياط او الفرع الغربي والشرقي ورأى ان الغربي اكبرهما يمر في بقاع معظمها لا يصلح للزراعة فيذهب كثير من مائه هدرًا والشرقي يخترق بقاعًا واسعة الارجاء حسنة التربة فاذا كانت ايام التحاريق لا يبقى من مائه ما يكفي للري فاراد اتخاذ وسيلة يجمع بها ما يزيد من ماء الفرع الغربي باضافته الى الشرقي . ورأى الصعيد في زمن التحاريق يشح فيه الماء لارتفاع ارضه وقد لا يرتوي جيدًا الا في زمن الفيضان فاقرّ على بناء قناطر على عرض الفرعين عند اول تفرعهما عند رأس الدلتا وان يجعل لهذه القناطر ابوابًا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء فاذا اقفل قناطر هذا الفرع انصرف جانب من الماء المنحدر اليه من الفرع الآخر فيستطيع صرف المياه كيف شاء واذا كان الفيضان قليلاً يقفل قناطر الفرعين جملة فيرتفع الماء في الصعيد فيروي ارضه ثم لا يصرف منه الا ما يلزم لري الوجه البحري فاذا كانت ايام التحاريق تفتح القناطر فتفيض المياه والارض في حاجة اليها . فباشر هذا العمل الخطير ولم يضع الحجر الاول منه الا سنة ١٢٥١ ه‍ (١٨٣٥ م) ولم ينثنِ عن عزمه حتى اتمّ بناءه بدراية لينان باشا المهندس الفرنساوي غير ان ذلك المشروع لم يأتِ بالفائدة المطلوبة ولا سيما ما يتعلق بارتفاع الماء في الصعيد ولكن الحكومة جعلت همها في السنين الاخيرة اصلاح ما هو فاسد منها وسد ما فيه من الخلل

« الاصلاح العسكري »

كانت القوة العسكرية في مصر لما تولاها محمد علي اخلاطاً من الالبانيين (الارناؤوط) والدلاة (المغاربة) والانكشارية ومن جرى مجراهم ونظامهم الحربي النظام القديم الذي كان متبعاً في الازمنة السالفة عند الدولة العلية قبل هذا القرن فرأى رحمة الله ان يدربهم على النظام الفرنساوي الذي اتبعه بونابرت في غزواته واخذته عنه دول اوربا فحاول ذلك مراراً فعظم على جنوده ولا سيما الارناؤوط وعصوا اوامره فهو لانهم اعتبروا ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولما الحّ عليهم ثاروا وتجمهروا الى القلعة يطلبون الرفق بهم فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فاجابهم الى ما ارادوا واخذ يدخل ذلك النظام اولاً بين الجنود الوطنيين لانهم اقرب الى الطاعة من الالبانيين ومن شاكلهم فاسس مدرسة حربية في الخانكاه قرب المطرية تعلم فيها اللغات والحركات العسكرية وجعل سراية مراد بك في الجيزة مدرسة للفرسان واقام فيها اساتذة من الافرنج وانشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع واصطناع سائر حاجات الجند . والفضل في تدريب الجند على النظام الجديد راجع لقائد من قواد الفرنساويين اسمه الجنرال « سيف » ولكنه اسلم ودعى نفسه سليمان باشا وقد خدم الحكومة المصرية خدمات صادقة في حروبها ببر الشام وغيرها

وبنى محمد علي في الاسكندرية ترسخانة اتى اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا والبندقية واقام فيها مدرسة جاء اليها بالاساتذة من فرنسا وانكلترا وبنى حول الاسكندرية حصناً منيعاً وحصوناً اخرى في اماكن اخرى

الاصلاح التجاري

ولما اصلح الزراعة وكثرت حاصلات البلاد وجه التفاته الى تنشيط التجارة فاراد انشاء ميناء اميناً تأوي اليه السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط لخدونة مرساهما فاختار الاسكندرية فاحتفر ترعتها الموصلة بينها وبين النيل ودعاها ترعة المحموديه نسبة الى السلطان محمود الثاني فكثر نقل البضائع فيها بين الاسكندرية وداخل القطر فاكتسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى وتقاطر اليها

التجار من اماكن مختلفة من اوروبا وغيرها واقيمت فيها البنايات الكبيرة على النمط الافرنجي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء · واصلح مرفأ بولاق وغيره ووسع الاجانب في الاستيطان والاتجار فاتسعت التجارة وكثرت العلائق وعاد كل ذلك بالنفع الجزيل · وتوطيدًا لاعماله هذه أنشأ مجلسًا تجاريًا مؤلفًا من الوطنيين والاجانب للحكم في القضايا التجارية

« الاصلاحات الصناعية »

أما الاصلاحات الصناعية فكثيرة ولكن لم يبق منها الى الآن الا آثار بالية مع ما توخاه رحمة الله من انشاء المعامل واجتلاب الصناع من اقطار اوروبا فانه انشأ في هذا القطر معامل عديدة لمعالجة القطن والنيلة واصطناع الطرابيش التونسية والورق والغزل وانواع الاقمشة من الحرير والكتان والقطن والصوف في سائر جهات القطر ومعامل الاسلحة على انواعها وغيرها اما سبب هبوط معظم تلك المعامل فعائد الى عدم وجود معادن الفحم الحجري في القطر المصري

« الاصلاحات الصحية »

رأى ذلك الرجل العظيم ان البلاد في احتياج كلي لهذه الاصلاحات لانحصار التدجيل والتطبيب بالكتابة والحجابة وما شاكل فاستقدم احد مشاهير الاطباء الفرنساويين واسمه الدكتور كلوط (ثم صار كلوط بك والبه ينسب شارع كلوط بك في القاهرة) فانشأ المدارس الطبية والمستشفيات وفي مقدمتها المدرسة الطبية في القصر العيني (وكان هذا القصر قبلاً مسكنًا لابراهيم بك الكبير من امراء المماليك) يدرس فيها الطب والجراحة ومدرسة اخرى في فن القوابل ومستشفى كبيرًا في ابي زعبل (قرب المطرية) وانشأ مجلسًا صحيًا ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات واطباء للعساكر واخرى للاهالي وعين اطباء لمراقبة الاحوال الصحية في المديريات

« الاصلاحات العلمية »

اما الاصلاحات العلمية فلا تقل اهمية عما تقدم لانه الف مجلسًا للمعارف العمومية قصد به تعليم خدمة الحكومة الملكيين والجهاديين ما يؤهلهم للقيام بمهام

اعالم وفتح مدارس كثيرة لتعليم الشبان من اهل البلاد وبعث بعضاً منهم الى اوروبا لاتقان الدروس على مثال الارساليات العلمية في هذه الايام . وانشأ المطبعة الاهلية في بولاق وامر بترجمة كثير من الكتب المفيدة وانشأ الجريدة المصرية الرسمية وديوان المهندسخانة وغير ذلك

خامساً . صفاته الشخصية

كان محمد علي متوسط القامة عالي الجبهة اصلعها بارز القوس الحاجبي اسود العينين غايرهما صغير الفم باسمه كبير الانف متناسب الملامح مع هيبة ووداعة . ابيض اللحية كثيفها مع استدارة وسعة جميل اليدين منتصب القامة جميل الهيئة ثابت الخطوات منتظمها سريع الحركة . اذا مشى جعل يديه متصالبتين وراء ظهره غالباً وعلى الخصوص اذا مشى في داره متفكراً في امر « وكذلك كان يفعل بونابرت » . وقلما يتفاخر باللباس فكان لباسه غالباً على زي المماليك وعلى رأسه الطربوش الجهادي ثم ابدله بالعمامة فزادته هيبة ووقاراً (انظر رسمه في الهلال الماضي) وابدل اللباس العسكري بلباس واسع بسيط لا يمتاز به عن بعض اتباعه

وكان يكره التفاخر بالحاشية فلم يكن على بابه الا رجل واحد يخفره . واذا استوى في مجلسه لا يتقلد السلاح انما يجلس وفي يده حبة السعوط والسبحة يتلاهى بها وكان يحب العاب البليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط . واما جلساؤهُ الماشيون فالقناصل وكبار السياح وكانوا يحبونه ويعتبرونه جداً ويلقبونه احياناً بمبيد المماليك او مصلح الديار المصرية . وكان سريع التأثر لا يعرف الكظم فكثيراً ما كان ينقاد بدسائس المفسدين وكان كريم النفس سخي العطاء . في بعض الاحوال مسرفاً . وكان يتفاخر بعصاميته ويرتاح للتكلم عن سابق حياته . وكان محباً للاطلاع ولا سيما على الاخبار السياسية وكان يعتبر الجرائد وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية فكانوا يترجمونها له فيطالعها بتمعن

اما هواجسه السياسية فكانت تقلق راحته فلا ينام الا يسيراً وقلما يرتاح في نومه ولا ينفك متقلباً من جانب الى آخر فكان يجعل عند فراشه اثنين من خدمته يتناوبان الرقظة لتغطيته اذا انكشف عنه الغطاء من التقلب . ويقال

ان من جملة دواعي ارقهِ الشهقة المزعجة التي كانت تتردد اليهِ كثيرًا وكان قد اصيب بها في حملتهِ على الوهابيين على اثر رعب شديد . على ان ذلك الارق لم يكن ليضعف شيئًا من سرعة حركتهِ فكان يستيقظ نحو الساعة الرابعة من الصباح ويقضي نهاره في المشاغل المختلفة بين مفاوضة مع ذوي شوراه او مراقبة استعراضات العساكر او استطلاع امور اخرى تتعلق بمصالح الامة . وكان بارعًا في الحساب بغير تعلم لانهُ شرع بتعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والاربعين من عمره ويقال انهُ ابتدأ بتعلم احرف الهجاء على احد خدمة حريمهِ والكتابة على احد المشائخ وهذا ما يزيده شرفًا وفخرًا ويبرهن على ما فطر عليهِ من قوة الادراك والحذاقة والمقدرة على المهام السياسية . وكان صارم المعاملة مع لين ورقة وحسن الاسلوب . وكان متمسكًا بالاسلام مع احترام التعاليم الاخرى ولا سيما التعاليم المسيحية فكان يقرب اصحابها منهُ ويعهد اليهم اهم اعمالهِ

ويقال بالاجمال انهُ كان لرعيتهِ ابًا حنونًا وصديقًا مخلصًا ولذوي قرباه نصيرًا منصفًا ولاولاده ابًا حقيقيًا ولذلك تراه بعد ان اصيب بفقد اكثرهم غلب عليهِ الحزن حتى اثر في صحتهِ تاثيرًا رافقهُ الى اللحد . اما حبهُ للرعية فلا يحتاج الى دليل فهذه الديار المصرية عمومًا اذا قصرت السنة اهلها عن تعداد فضائلهِ ينطق جمادها بمزيد فضلهِ من الترع والجسور والابنية والشوارع والجنائن هذه المطابع والمدارس من النظامات الجهادية والملكية والقضائية من الزراعة والفلاحة من شبه جزيرة العرب تردد ما لاقتهُ من نجدتهِ . وقد كان محترمًا ليس فقط من رعيتهِ او ذويهِ بل من الاجانب البعيدين منهُ وطنًا ودينًا ومشربًا وكثيرًا ما تقربوا اليهِ بالنياشين والهدايا اقرارًا بفضلهِ على العالم عمومًا بتمهيد سبل التجارة بين اوروبا والهند على الخصوص



باب المقالات

تاريخ اللغة العربية

والالفاظ المولدة والدخيلة فيها

تقدم لنا في الهلالين الماضيين كلام في اللغة العربية والالفاظ الدخيلة استطردنا اليه اثناء ملاحظتنا على ما انتقاه المجمع اللغوي من الالفاظ لتقوم مقام بعض الالفاظ الدخيلة او المولدة وقد رأينا الآن ان نتبع الكلام في هذا الموضوع لاعتقادنا اننا في حال نقضي علينا بذلك مع علمنا بما تفرضه علينا واجبات الصناعة من الاخلاص في القول والدقة في البحث توصلاً الى الغاية التي نسعى اليها في اصلاح لغتنا وضبط معانيها والفاظها

اولاً · الالفاظ المولدة

من المقرر ان المولد اقدم في اللغة العربية من الدخيل ونسبة المواد الى اللغة كنسبة البرعم الى جذع الشجرة فانه لا يلبث ان يصير فرعاً متصلاً بها يثمر ثمراً من نوع ثمرها ان لم ننتزعه نحن بايدينا قبل ان ينمو ويتاصل اما الدخيل فهو بمنزلة البرعم الذي نأتي به من شجرة اخرى ونلقح به تلك الشجرة فانه اذا نما عليها يأتي بثمر غير ثمرها او مشابه له

وتولّد الالفاظ ضروري لنمو اللغة كما ان البراعم ضرورية لنمو الشجرة · واللغة مؤلفة من مجموع المولدات كما ان الشجرة تتألف من مجموع الاغصان التي تنشأ من البراعم · وحكم الساعي في نزع المولد من اللغة حكم البستاني الذي يتعهد الغراس ببستانه من وقت الى آخر بنزع برعمها وتجريدها من اسباب نموها

وكما ان البراعم تتولد في الشجرة بطبيعة النمو بغير وسيلة خارجية كذلك الالفاظ المولدة فانها تنشأ في اللغة من طبيعتها بغير تواطئ او اختيار ۔ وكما ان كثيراً من البراعم تسقط وتموت من نفسها لاستغناء الشجرة عنها هكذا ايضاً الالفاظ المولدة فانها قد تندثر وتتلاشى من نفسها لاستغناء اللغة عنها

فاللغة بهذه الحياتية جسم نام كسائر الاجسام الحية لا بد لها من التولد والدثور على توالي الاجيال حتى ياتي يوم وقد أبدل معظم الفاظها القديمة بالفاظ حديثة كما يحدث للشجرة التي نغرسها غصناً واحداً ثم تنشأ من هذا الغصن اغصان تنمو وتثمر وتتولد منها اغصان اخرى ثم يستولي على الاغصان القديمة الذبول او اليبوسة فتسقط من نفسها وتقوم الحديثة مقامها

ذلك كان شان اللغة في اول ازمانها فانها كانت غصناً اورق وتفرع على هذه الكيفية حتى بلغت ما هي عليه الآن ولا تزال تنمو وتثمر يوماً بعد يوم فاذا حاولنا ايقاف نموها انما نكون حاولنا مخالفة الطبيعة ۔ على اننا نرى من الجهة الثانية ان البستاني يقطع بعض الاغصان المتولدة حديثاً لغرض عائد بالنفع على الشجرة اما خوفاً من ان يشوه منظرها او يقف عثرة في سبيل نمو الاغصان الاخرى او غير ذلك ۔ وبهذا الاعتبار يحق لنا ان ننزع بعض الالفاظ المولدة اذا كان في نزعها منفعة لجسم اللغة وليس لمجرد كونها ناميات حديثة

ثم ان اللغة تابعة بنموها للناطقين بها تكثر الفاظها او تقل بنسبة كثرة احتياجاتهم او قلتها فاذا حدث عندهم معنى يحدثون له لفظاً يدل عليه ولا نقول انهم يفعلون ذلك بتواطؤ او روية او اختيار ولا انهم يضعون له لفظاً من عند انفسهم ولكن اللفظ يتولد تدريجاً او بغتةً تبعاً لمعناه على اساليب لا ضابط لها

والالفاظ المولدة تنشأ على الغالب على السنة العامة وتسمى « عامية » فاذا تداولها الكتّاب واجمعوا على استعمالها دعوها « مولدة » ولم يكن ذلك معروفاً قبل الاسلام ليس لعدم حصول التولد اذ ذاك لان تولد الالفاظ مرافق للغة منذ نشأتها كما قدمنا وقد كان اكثر حدوثاً في اول نشأتها منه بعد ذلك لاحتياجها الى النمو عندئذٍ شان كل حيٍّ نام ومثلها في ذلك مثل الطفل الرضيع فانه يحتاج الى زيادة الغذاء في اول امره ثم يقل احتياجه اليه كلما نما حتى يبلغ

أشده فتقف حاجة عند حدٍّ لا تتعداه . وأما قلنا ان التولد لم يكن معروفاً قبل الاسلام لانهم اعتبروا نزول القرآن الشريف حدّاً فاصلاً لنمو اللغة وعدّوا كلما حدث بعد ذلك من الالفاظ مولداً بمعنى ان ما ورد منها في القرآن الشريف عربي لا يختلف فيه وجمعوه مع ما كان متداولاً ولم يرد في القرآن ودوّنوه في معجماتهم واقرّوا على صحته ثم ما حدث بعد ذلك عدوهُ مولدًا وافرطوا على استعمال بعضه وجرى على اقلام الكتاب واهملوا البعض الآخر وقد كان ذلك في صدر الاسلام اما في الاجيال الاخيرة فقلما اقرّوا على استعمال شيء من المولدات فبقيت معدودة من الالفاظ العامية

ولا بد لنا لفهم ما تقدم ان نورد امثلة مما تولد في لغتنا من الالفاظ بعد الاسلام اذ لا سبيل لنا ولا فائدة من تتبع ذلك الى زمن الجاهلية فنقول

كان العرب في جاهليتهم يقتصرون على ما خصتهم به الطبيعة من احوال المعائش البدوية البسيطة فلما جاء الاسلام واستحدث عندهم الخلافة وما يلحقها وانواع الحكام وطرق العبادة وما شاكل اضطروا لالفاظ تؤدي تلك المعاني الحديثة فتولد كثير من الالفاظ التي يدعوها الائمة « الالفاظ الاسلامية » لانها حدثت بعد الاسلام واقتضتها طبيعته وحالته

من ذلك قولهم المؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفاسق والصلاة والركوع والسجود والصيام والحج والزكاة . وليس المراد ان هذه الالفاظ لم تكن في الجاهلية لانها وردت في القرآن الشريف ولكنها كانت تدل على معانٍ زادت فيها الشرائع الاسلامية وحورتها فان « المؤمن » مشتق عندهم من الامان او الايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً . وكذلك لم يكن عرب الجاهلية يعرفون من الكفر الا الغطاء او الستر . واما المنافق فلفظ جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غير ما اظهروا وكان الاصل فيه من « نفقاء اليربوع » وذلك ان اليربوع وهو الحيوان المعروف ويشبه الفار يتخذ جحرتين الواحدة تدعى نافقاء والاخرى قاصعاء ومن دهائه انه يكتم الاولى ويُظهر الثانية فاذا أُتي من القاصعاء ضرب النافقاء برأسه واختبأ فيها ومن ذلك تولد معنى النفاق في الدين . والفسق لم يكونوا يعرفون منه في الجاهلية الا قولهم فسقت الرطبة (النصفصة) اذا

خرجت من بعضها . والسجود في الجاهلية هو خلاف ما يراد به في الاسلام فانهم كانوا يقولون « سجد الرجل طأطأ رأسه او انحنى وانهد » ثم زاد به الشرع كما تعلم . وهكذا الصيام فان الاصل في معناه الامساك مطلقاً فخصصته الشريعة بالامساك عن الطعام والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم وقس على ذلك ما جرى مجرى هذه الالفاظ ما حدث في الاسلام

ومن هذا القبيل قولهم « الخليفة وامير المؤمنين » وسائر الالقاب الدينية والسياسية التي اقتضاها التمدن الاسلامي في صدر الاسلام فان لكل لفظ منها معاني حدثت بحدوث الدولة الاسلامية كقولهم لمن ادرك الاسلام من اهل الجاهلية « مخضرم » وهي في الاصل تفيد القطع

ومن المولدات ما اقتضاه العلم والشرع ومن هذا القبيل ما حدث في الاسلام من العلوم اللغوية كالنحو والشعر والعروض وهي العلوم التي وضعها الاسلام وما يتبع ذلك من المسميات والاصطلاحات وهو كثير

وكما تولد في اللغة الفاظ بتولد معانٍ حديثة فقد دثر منها الفاظ لاستغناء الاسلام عنها بزوال معانيها منها قولهم « المرباع » وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذهُ الرئيس في الجاهلية . و « النشيطة » وهي ما اصاب الرئيس قبل ان يصير الى بيضة القوم او ما يغنمهُ الغزاة في الطريق قبل الوصول الى الموضع الذي قصدوهُ . و « المكس » وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية . وكذلك الاتاوة والحلوان . ومما ابطل قولهم « انعم صباحاً وانعم ظلاماً » وقولهم للملك « ابيت اللعن » وقول المملوك لمالكهِ « ربي » . وتسمية من لم يحج « صرورة » وغير ذلك . وقد نرى بعض هذه الالفاظ مستعملاً في اللغة الآن فهو اما مستعمل بغير معناه الاصلي واما قد أرجع اليهِ بعد اهمالهِ

وجملة القول ان اعظم تغيير حدث في اللغة الآن فهو انما حدث بحدوث الاسلام وقد ذكرنا ما ذكرناه من ذلك على سبيل المثال

ومما سبب تولد الفاظ كثيرة في اللغة ترجمة التوراة والانجيل الى اللغة العربية لان فيها معاني حديثة ايضاً وخصوصاً ما يلحقها من الطقوس والعوائد الكنائسية وما شاكل على ان معظم ما هو مولد قد يشتبه في كونهِ مولداً او معرباً عن

العبرانية او السريانية لتقارب اللغات الثلاث في كثير من الاسماء والافعال ولكن لا شك في تولد كثير من الالفاظ بسبب ترجمة التوراة والانجيل والزبور

هذه امثلة مما تولد بطريق العلم والدين واما ما تولد على الستة العامة فهو كثير لا يحصى عدًا ولا يزال يزداد عددًا الى هذه الغاية ولن يزال الى ما شاء الله . ولا يسعنا المقام لأكثر من الاشارة الى ذلك لان كلاً من حضرات القراء يسمع كل يوم من الالفاظ المولدة أكثر مما يسمعه من الالفاظ العربية الاصلية وقد اشرنا الى بعض تلك الالفاظ في الهلال الماضي فليراجع هناك

ثانيًا . الالفاظ الدخيلة

ويراد بها الالفاظ الاعجمية او الاجنبية التي تطرقت الى لغتنا ونرى زعماء اللغة وعلماءها الافاضل يستنكفون من الالفاظ الدخيلة وتنفر اسماعهم من ذكرها ويغارون على اللغة منها غيرتهم على مخدراتهم من عيون الغرباء كأن تلك الالفاظ ذئاب خاطفة تحاول ابتلاع لغتنا او هي بثرات يوشك الحياة بأكلن بثرات السمان او كأننا اصبحنا بعد الاحتلال نكره الدخيل من اي نوع كان ونود التخلص منه بأي وجه كان

على ان اندراج الدخيل في حكم الاصيل على توالي الايام حكم من احكام ناموس الارتقاء العام ولا سيما في الاجسام النامية . اما ترى الامم والممالك كيف يختلط بعضها ببعض على توالي الازمان حتى لم يعد يمكننا تمييز جنس من الاجناس او صنف من اصناف الناس تمييزًا تامًا . أرني امةً او قبيلة سلمت من شوائب الدخيل شكلاً او ذوقًا او اخلاقًا . انظر الى ملامحنا والواننا وعوائدنا واخلاقنا وعلومنا وصنائعنا وانواع غذائنا وازيائنا ومساكننا وشوارعنا وسائر اوجه معائشنا بل انظر الى نظاماتنا وقوانيننا واحكامنا فانك لا ترى شيئًا منها خالصًا من صبغة الدخيل واذا امعنت النظر يتضح لك ان تجريدها منه ان لم يكن مستحيلاً فهو ثاني المستحيل وتلك سنة الله في خلقه تشمل سائر اصناف الناس على اختلاف الزمان والمكان

اما اللغة فحكمها من هذا القبيل حكم ما تقدم من احوالنا او هي نتيجة لازمة لها لان الالفاظ الدخيلة انما هي في الغالب اسماء او افعال نعبر بها عن تلك

الاحوال فلا نتخلص منها الا بالتخلص من سائر انواع الدخيل وهذا ما لا طاقة لنا به

ومعلوم ان هذه الالفاظ لا تصل الينا الا بالاختلاط بالاعاجم فتكثر او تقل على نسبة مقدار اختلاطنا بهم وترى نتيجة ذلك واضحة في تاريخ لغتنا فان تلك الالفاظ كانت قليلة جدًا قبل الاسلام تعد بالعشرات ثم لما كان الاسلام وانتشر العرب في الاقطار وفتحوا الممالك واختلطوا باهلها كثر عددها لتعدد ابواب الدخول لها فقد دخل بعضها من طريق العلم والصناعة كاسماء الادوات والعناصر والمواد الطبية والامراض وبعضها عن طريق المعاش كاسماء طرق المعاملات وانواع المأكولات والمشروبات والملبوسات وما شاكل وبعضها عن طرق اخرى

اما في هذه الازمنة الاخيرة فقد ازداد اختلاطنا بالاعاجم اكثر كثيرًا مما كان في صدر الاسلام او ما بعده وازداد عدد الاعاجم الذين نخالطهم لان اختلاط اسلافنا بالاعاجم قد كان محصورًا بامم معلومة كالروم والفرس والهند والترك والسريان والعبرانيين والحبشة اما الآن فان الامم التي نخالطها تعد بالعشرات ولا سيما في مصر ولكي تتصور مقدار ذلك الاختلاط ادخل حديقة الازبكية يوم احتفال عمومي تتزاحم فيه الاقدام واجلس الى دكة الموسيقى وتأمل في من يخطر امامك من الناس واعمل الفكرة في اختلاف أزيائهم واشكالهم والوانهم ولغاتهم فانك ترى فيهم الفرنجيين على اختلاف اجناسهم وفيهم الفرنساوي والانكليزي واليوناني والايطالياني والالماني والنمساوي والموسكوبي والاسبانيولي والموسكوبي والهولندي والبلجيكي والاسوجي والدنماركي والاميركي والبرازيلي وغيرهم وترى الشرقيين وفيهم الشركسي والارمني والكردي والفارسي والهندي والصيني والزنجباري والحبشي وترى غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر

فلا عجب اذا تكاثر الدخيل وتعددت الالفاظ وتنوعت مدلولاتها ولا لوم علينا اذا شكونا اثقالها ونفرت اسماعنا من ترداده وخفنا تسلطه ضنًا بلغتنا ان يذهب رونقها وتتبعثر الفاظها ضياعًا او استغناء عنها بما نأخذه عن الغير

غير اننا لا يجب ان نغالي في ذلك النفور ونهرب من تلك الالفاظ هربنا من الافعى لان جانبًا كبيرًا منها لا غنى لنا عنه واخصه الالفاظ العلمية والصناعية مما قد ذكرنا امثلةً منه في الهلال الماضي ولا سيما لاننا لا نستطيع العثور على

ما يقوم مقامه في اللغة العربية الفصحى لانه وضع لمسميات محدثة لم تكن عند اسلافنا ولا لوم علينا اذا اقررنا على استعمال مثل تلك الالفاظ لاننا نرى اسلافنا الاقدمين قد حذوا هذا الحذو ولم يستنكفوا منه واذا قلبت صحف المعجمات العربية يتضح لك صدق قولنا جليًا

ولزيادة الايضاح نورد امثلة من الالفاظ الدخيلة التي تطرقت الى اللغة من ازمان الجاهلية الى الآن وهي معدودة بين الالفاظ العربية او المعربة ونحن نستعملها كل يوم ولا نرى في استعمالها غرابة

(١) الالفاظ الاعجمية التي دخلت اللغة قبل الاسلام

لما كان اختلاط العرب الجاهلية بالاعاجم قليلاً كانت الالفاظ الدخيلة في ازمانهم قليلة والعرب تسميها الالفاظ المعرَّبة وقد ورد في القرآن الشريف بعض منها كالقسطاس والفردوس والصراط من (اليونانية) والطور والربانيين (من السريانية او العبرانية) والمشكاة وكفلين (من الحبشية) وغير ذلك واختلف المفسرون في حقيقتها فمن قائل انها عربية بناء على نص الآية « انا جعلناه قرآنا عربيًا » والآية « بلسان عربي مبين » وقائل انها معربة لامكان الرجوع بها الى اصول اعجمية صريحة . وهو قول اهل العلم من الفقهاء وعندنا ان الصواب فيما قاله ابو عبيدة وهو قوله « والصواب عندي مذهب فيه تصديق للقولين جميعًا وذلك ان هذه الحروف اصولها عجمية كما قال الفقهاء الا انها سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فهو صادق »(١)

وقول الامام العلامة الرباني القاضي محمد بن علي الشوكاني « وفي القرآن من اللغات الرومية والهندية والفارسية والسريانية ما لا يجحده جاحد ولا يخالف فيه مخالف حتى قال بعض السلف ان في القران من كل لغة من اللغات ومن اراد الوقوف على الحقيقة فليبحث في كتب التفسير مثل المشكاة والاستبرق والسجيل

(١) المزهر صفحة ١٣٠ الجزء الاول

والقسطاس والياقوت والاباريق والتنور »[1]

(٣) الالفاظ الاجنبية التي دخلت اللغة بعد الاسلام

لما ظهر الاسلام وافتتح المسلمون المملكة الرومانية الشرقية وغيرها واختلطوا باهلها من الروم والقبط والسريان والفرس وغيرهم قضت عليهم طبيعة العمران ان يستخدموا كثيراً من الالفاظ الدالة على مسميات لم تكن في الجاهلية واكثرها اسماء ادوات الطعام واللباس . مثالها من الاواني « الكوز والجرة والابريق والطست والخوان والطبق والسكرجة » . ومن الملابس « السمور والسنجاب والقاقم والفنك والدلق والخز والديباج والتختج والراختج والسندس » . ومن الجواهر « الفيروزج والبجاد والبلور » ومن الوان الخبز « السميد والدرمق والجردق والجرمازج والكمك » . ومن الوان الطبيخ « السكباج والاسفيذاج والجردباج والروزق والملام والخوذاب » . ومن الحلاوى « الفالوذج واللوزينج والجوزينج » . ومن الاشربة « الجلاب والسكنجبين والجلنجبين » . ومن الافاويه « الدارصيني والفلفل والكرويا والقرفة والزنجبيل » . ومن الرياحين « النرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والمرزنجوش والياسمين والجلنار » . ومن الطيب « المسك والعنبر والكافور والصندل والقرنفل » . وكلها فارسية

ومن امثلة ما ورد من الدخيل عن اللغة اليونانية « البطاقة والاسطرلاب والقسطل والنحريس (أجود النحاس) والقنطار والبطريق (القائد) والقراميد (الآجر) والترياق (دواء السموم) والقنطرة والقيطون (البيت الشتوي) والنقرس والقولنج (مرضان معروفان) وقالون (سأل علي شريحاً مسألة فاجاب بالصواب فقال له قالون « اصبت »)[2] ومن هذا القبيل درهم ودينار وفندق وبطاقة وما شاكل

ومعظم ما تقدم من الالفاظ الدخيلة وما جرى مجراها دخلت اللغة بالمخالطة وهناك عدد عديد من امثالها قد دخل اللغة عن طريق العلم بما نقله العرب من العلوم القديمة عن اليونان والسريان والفرس واكثره ترجم في عهد الخليفة المأمون العباسي في اوائل القرن الثالث للهجرة فضلاً عما ترجم على يد غيره من الخلفاء والامراء في سائر الممالك الاسلامية العربية ولا نظنهم ترددوا عند ترجمتهم

---

(١) البلغة في اصول اللغة صفحة ٦٨

(٢) فقه اللغة للثعالبي صفحة ٣١٦

تلك العلوم في استبقاء اكثر المسميات العلمية على حالها في اللغات الاعجمية او بتغيير طفيف في لفظها . من ذلك قولهم فلسفة وسفسطي ودوسنطريا وباسليق واقليم وأثير وغير ذلك ونحن لا نرى وجهاً لتعنيفهم او اتهامهم بالتصور هذا فضلاً عن كثير مما لم نذكره لضيق المقام وزد على ذلك الالفاظ المأخوذة عن لغات اخرى كالسريانية والقبطية والحبشية مما لا يسعنا المقام لاستيفائه . ولا نعلم زمن تطرق كل لفظة من هذه الالفاظ الى لغتنا بالتدقيق وانما نعلم اجمالاً انها طرقت اليها بعد الاسلام بمخالطتهم الاعجام ولو رأوا عاراً في اتخاذها وهم في ابان مجدهم وصولتهم لتنشطوا بقوم مقامها من الالفاظ العربية ولا نظنهم كانوا يقصرون عن ذلك ولو بوجه التقريب ولكننا نراهم قد فعلوا ضد ذلك اذ قد استخدموا كثيراً من هذه الالفاظ مع وجود ما يقابلها في لغتهم

من ذلك الابريق فانه كان يسمى عند العرب الجاهلية التامورة . والطاوون كان يسمى المحاز والجراب . والطاجن المقلى والاشنان الحرض . والميزاب المثعب . والسكرجة الثقوة . والمسك المشموم . والجاسوس الناطس . والقوت الفرصاد . والاترج المتك . والياسمين السمسق . والسكر المبرت (بلغة اهل اليمن) . والسذاب الفيجل . والكزبرة التقدة . والنرجس العبهر . والرصاص الصرفان . والخيار القثد . والباذنجان الانب او المغد (١)

وهناك الفاظ سريانية وعبرانية كثيرة دخلت اللغة بترجمة التوراة والانجيل والزبور الى العربية منها تلميذ وتوراة وتنين وجالوت وجبروت وحانوت وزباح وشماس وشدين وعراب وعماد وفصح وقداس وقنوم وكروز وكهنوت ولاهوت ومزمور ومنحة وملكوت وناسوت ونياحة ومن هذا القبيل اسماء الشهور الشمسية مثل تشرين وكانون وشباط وآذار ونيسان وحزيران وتموز وآب وايلول وغير ذلك

هذه امثلة ما دخل اللغة العربية من الالفاظ الدخيلة في صدر الاسلام فلما اخذت شمس الدول العربية في الانحدار بعد المأمون ومن عاصره أو جاء بعده من الخلفاء قلّ الاشتغال في اللغة والاعتناء بها لان اللغة تنقلب في العصر

(١) المزهر صفحة ١٣٦ الجزء الاول

والبحر والصعود والهبوط تتقلب الناطقين بها فاهملت اللغة ولا سيما في الاجيال الاخيرة عند ما دخل متكلموها في حوزة دول غير عربية كالدولة الايوبية ودول المماليك وغيرهم ثم الدولة العلية العثمانية ايدها الله · وبقي ما دوّن من الالفاظ الدخيلة على حاله وسموهُ معرّبًا وقلما ادخلوا غيرهُ في معجماتهم ليس لعدم تطرق ذلك الى لسانهم ولكنهم عدوا الدخيل عند ذلك الفاظًا عامية · ومن امثلة ما تطرق من الالفاظ الاعجمية اذ ذاك قولهم الالداشات والجاويش والدامكية والرزنامجي والخاسجي والآغا والباشا والبيك والافندي والاوده باشي والخزندار والدفتردار والسردار والاسبادار والبيرقدار والصنجق والكتخدا والخفداش والاعلامي والمحرمجي والتنطان والانكشارية وما شاكل من الالقاب والرتب

وقد اختلط العرب اثناء تسلط الدول المتقدم ذكرها بالصليبين او الافرنج الذين أغاروا على المشرق في القرن الحادي عشر للميلاد واقاموا فيه بين دفاع وهجوم اثناء قرن من الزمان واختلطوا باهله وقد دخل اللغة العربية اثناء ذلك كثير من الالفاظ مثل قولهم الشماليه والاميرية والكونت والاسقف

وبقي حال اللغة من الخمول الى اوائل هذا القرن الذي امتاز بتولي العائلة المحمدية العلوية عرش الحكومة المصرية وكان في جملة اصلاحات مؤسسها رحمة الله تنشيط اللغة العربية واحياؤها بترجمة العلوم الحديثة من لغات الافرنج اليها فاضطرّ المترجمون الى ادخال بعض الاصطلاحات العلمية كما هي في لغاتها الاصلية او ببعض التغيير في لفظها واستمر الحال على مثل ذلك الى هذه الغاية

وقد جرى هذا المجرى ايضًا في النصف الاخير من هذا القرن المدارس العليا في بيروت فان اساتذة مدارس المرسلين الامركانيين ولا سيما المدرسة الطبية قد نقلوا علومًا كثيرة من لغات الافرنج وخصوصًا في فن الطب والعلوم الطبيعية والرياضية وادخلوا بعضًا من تلك الاصطلاحات فيها ومثل ذلك فعلت المدارس الاخرى الاجنبية والوطنية وجماعة من المؤلفين واصحاب الجرائد في مصر وسوريا حتى بلغت الالفاظ الدخيلة في اللغة ما هي عليهِ الآن

وقد تقدم لنا في الهلال الماضي امثلة من تلك الالفاظ نذكر شيئًا منها الآن على سبيل التذكرة

تقسيم الالفاظ الدخيلة حديثاً الى اربعة اقسام وهي

(١) الاصطلاحات الصناعية كالفوتوغرافيا والتاثون والتلغراف وما جرى مجراها من اسماء الآلات والادوات الصناعية (٢) الاصطلاحات العلمية وفيها اسماء العلوم كالفسيولوجيا والجيولوجيا والمحبات الكيمية والطبيعية كالاكسجين والبروم والاندسوس والاكزيموس والحمض التتريك وغيرها (٣) الاصطلاحات الادارية او السياسية كنوظم القنصل والجنرال والبوليس والبرلمان والكومسير (٤) اسماء الملابس والمآكل والمشارب كالبالطو والبنطلون والكوكتة والبالكون والكستلاتة والكازوزة وما شاكل مما لا تفي باستيعابه المجلدات الضخمة

وخلاصة القول ان اللغة العربية ما انفكت من عهد الجاهلية الى الآن عرضة لتطرق الالفاظ المولدة والدخيلة اليها وان تلك الالفاظ كانت ضرورية لنموها واتساعها وما برحت قابلة للنمو بالتوليد والتعريب . فيجب ان لا ننفر مما يحدث فيها من ذلك ولا نستنكف من استعمال بعضه كما اننا يجب ان نحافظ على اللغة العربية الفصحى ولا ندخل اليها من المولد والدخيل الا ما هو لازم لها وضروري لكمالها كما فعل اسلافنا في صدر الاسلام والله الموفق الى الصواب

باب المراسلات

الرضاعة

لجناب الاديب لياس افندي زيدان

« معاون بالمستشفى الفرنساوي في بيروت »

(تابع لما قبله)

ومن العلل ما يوجب على المرأة ترك الرضاعة خشية الضرر بالغلام وذلك الضرر يأتي اما عن طريق العدوى او من تغير في ماهية الحليب او في كميته او من

الواحد بعد الآخر وضرر هذه الادواء يظهر سريعاً في بنية ذلك الصغير لان قوة الدفاع فيه ضعيفة واقل تغير في التغذية يضر بجسمه حيث ان المعدة التي هي الاس الوحيد لصحة الولد وحياته وجدت لتهضم كمية معينة من الحليب النقي الخالي من كل غش — اما جراثيم الامراض فاذا دخلت الغذاء فانها تمر على المعدة دون ان تهلك فيها خلافاً لما يحصل عند الشاب لان افراز الحامض الخاص بالمعدة عند الصغار قليل ولانه يوجد في الحليب مواد تضعف فعل الحوامض كالملاح الكلس ونحوها وعليه كان الاولاد اكثر تعرضاً من سواهم للامراض التي تدخل الجسم عن طريق اعضاء الهضم خصوصاً الذين ضعفت قوام ونحلت اجسامهم كما في الحالة التي يكون فيها الحليب ضعيف التغذية

(٤) استدعاء المراضع

ان الامرأة التي لا تقدر او لا تريد ان تقوم بمهام الرضاعة تسلم طفلها لمرضع تعتمد عليها وهذه اما ان ترضعه في بيته واما ان تذهب به الى منزلها الخاص ولا يخفى ما في هذه الطريقة الاخيرة من الاضرار اللاحقة بحياة الطفل لما يأخذ المرضع من التهاون في شؤونه من حيث التغذية والمداراة لخلوها من الحنية الوالدية ووجودها مطلقة الارادة بعيدة عن كل رقيب على ان من تلزم منهنّ منزل الطفل لا تخلو ايضاً من بعض الاضرار اذا وُجدت في حالة غير ملائمة سواء كان من حيث الصحة او الطباع وهذا الامر منتشر في بلادنا يدلك عليه تشكي الاكثرين منهنّ والمثل العامي « لا امرّ من المراضع » ومن ير معاملتهنّ للاطفال وحالة هؤلاء بين ايديهنّ يحكم ولا ريب بوجوب الفحص والسؤال عن مثل هؤلاء قبل الاتيان بهنّ وهناك امور ثلاثة يجب النظر اليها

اولاً — الصحة — لا يخفى على المتعقل ان اهم الامور في المراضع صحة الجسم بخلوه من العلل الظاهرة والباطنة وعدم استعداده لمرض من الامراض لا سيما ما ينتقل بالارث فيجب لهذا الامر النظر في احوال اهلها ووالديها ايضاً وما يجب الانتباه اليه اكثر من غيره في هذا الفحص انما هو وجود احد هذين الداءين المنتشرين في بلادنا اريد بهما السل الرئوي والداء الزهري ولم اخصهما الا لعلمي ان من المصابات باحدى هاتين الآفتين او المستعدات لها من لا تظهر

علتهن غير ظاهر الصحة فتعود معاملتهن بالضرر الفاحش اما بالعدوى او بتغيير تركيب حليبهن او بكلا الامرين معاً . وقد يتعدى الوالدون ايضاً ومن حولهم باستبدال ما يستعملنه من الادوات والآنية غير المتقنة التنظيف فيفترض على الوالدين لنجاة طفلها وبقاء النسل التدقيق في فحص المرضع في كل ما اتينا على ذكره مع عدم اغفال حالها الماضية من الولادة وكيفيتها من حيث الاسقاط وحال اولادها الصحية اذا كان لها اولاد

ثانياً — الحليب — ليس من غايتنا هنا ان نعدد التغيرات التي تحدث في الحليب ولا الاضرار التي تنجم عنها بل نذكر الحالة التي يجب ان يكون فيها حتى يلائم بنية الطفل فان صحة هذا تتوقف على جودة الحليب كما ان جودة هذا تكون في صحة المرضع فالنظر في حالة المرضع من اهم الامور التي توجب انتباه الوالدين فان كانت قوية البنية فحليبها غني ومغذٍ ومما يسوغ لنا ان نذكر ان من المراضع من مارسن الرضاعة سنين متوالية حتى لم يعد في حليبهن من المواد المغذية شيء يذكر فلا يحسن الاتيان بمثل هؤلاء ولو ظهرت عليهن مظاهر الصحة والنشاط ودر حليبهن ثم لا يجوز ان يؤتى بمن عانت مشقات عظيمة قبل ان تجدد قواها وتعود اليها صحتها كالنفساء مثلاً ويسوغ في هذه الحالة الاخيرة ان يؤتى بالمرضع بعد مضي ثلاثة اشهر من الوضع

ومن المراضع من يقل حليبهن في اول الامر فهؤلاء لا يخشى منهن لان ذلك ناجم عن اختلاف في المعيشة بادئ بدء وهو وقتي فلا يلبث الحليب حتى يعود غزيراً بعد مدة يسيرة

ثالثاً — حسن المداراة : — يجب على المرضع لتتميم هذا الواجب ان تكون سهلة الطبع غير غضوبة لان الحدة والغضب يعملان في صحة الغلام حال الرضاعة فعل السم وان تكون عاقلة غير فتية لتنتبه الى الطفل شديد الانتباه وينحصر اهتمامها فيه والافضل ان يكون لها عدة اولاد لمرور الاختبار عليها اذ ذاك ورسوخ عادتها في التربية بما يسهل عليها حسن المداراة

على انا نقر بندور اجتماع كل ما ذكرناه في مرضع ولكن لا مندوحة لنا عن النظر في كل ذلك حتى يتسنى للوالدين الاتكال عليها وتسليمها ولدهم (سيأتي البقية)



الجزء العاشر　　　　　　　　　　　　السنة الاولى

اول يونيو سنة ١٨٩٣ (١٦ ذو القعدة سنة ١٣١٠) (٢٥ بشنس سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



فيكتور هيكو

(ولد سنة ١٨٠٢ وتوفي سنة ١٨٨٢)

هو الشاعر الفرنساوي الشهير والكاتب المجيد التحرير . ولد في بزانسون في ١٦ شباط سنة ١٨٠٢ وكان والده قائداً من قواد الفرنساويين وقد تقلد مناصب الحكم في مدن مختلفة من ايطاليا بامر نابوليون بونابرت وكان فيكتور مرافقاً لوالده في حلهِ وترحالهِ الى ان عاد والده الى باريس سنة ١٨٠٩ فعاد معهُ وسنة ثماني سنوات فعني والده في تهذيبهِ بعض مدارسها ولكن الاحوال قضت عليهِ بالشخوص الى اسبانيا فاستقدم ولده اليها وادخلهُ مدرسة النبلاء في مدريد وفي السنة التالية اعاده الى مدرستهِ في باريس

وكان فيكتور هيكو ميالاً بالفطرة الى الشعر فلم يكن يشغلهُ عنهُ شاغل المدرسة في العلوم الاخرى بل كان دائماً في النظم وسبك التصورات البديعة في قالب الشعر واول تاليف جادت بهِ قريحتهُ في صباهِ روايةُ « ارغين » وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره فاجاد في سبكها اجادات منبئة بجليل مواهبهِ من حدة الذهن وقوة التصور وصار اترابهُ من ذلك الحين يتوقعون لهُ مستقبلاً عظيماً

وفي السنة التالية سنة ١٨١٧ نال الجائزة الاولى على قصيدة اقترحها المجمع العلمي الفرنساوي على الشعراء في « فوائد الدرس » فحازت قصيدتهُ قصب السبق وفي العشرين من سنهِ جمع ديوانهُ المسمى « القصائد والاناشيد » وقد جاء في ما نظمهُ بهِ باساليب من النظم خالف بها من تقدمهُ من شعراء الفرنسيس وغيرهم . فقد كان الشعراء ينوخون في نظمهم اما المدح واما الذم او ما شاكل واما هو فجعل قاعدة نظمهِ تقرير الحقيقة مجردة من كل ما يشوبها من الاغراض فكان مثالاً في حرية القول وسلامة النية واكتسب بنشر ديوانهِ هذا شهرة واسعة حتى رضيت عائلة فوشور مصاهرتهُ فتزوج واحدة منها وكان يحبها وذلك سنة ١٨٢٢

وكانت فرنسا اذ ذاك تتنازعها عوامل الاحزاب والفرنساويون بين ملكي وامبراطوري وجمهوري وكان فيكتور هيكو في اول الامر من حزب الملكية اسيء ممن بوثرون حكومة لويس الثامن عشر فقربهُ الملك لويس اليهِ ورقاه ولكنهُ رأى اعوجاج الملكية بعد ذلك فمال عنها وجعل ينظم في ذلك القصائد والاناشيد ويبث من روحهِ بين مواطنيهِ وهم في استعداد لسماع ما يلقي عليهم ما يثور

الخواطر ولكنه كان يفعل ذلك غير مجاهر او مشاغب لانه كان من المعتدلين ·
وبلغ الملك لويس فيليب ميل فيكتور هيكو عن الملكية فبدلاً من ان ينتقم منه قربه اليه واكثر من اكرامه وزاد في راتبه وربما كان ذلك خوفاً من يراعه وتوقياً من نار اقواله لعلمه ان الشعب الفرنساوي يقعده خطيب ويقيمه خطاب

غير ان ذلك لم يغن عن الملكية شيئاً لان الباريسيين قاموا سنة ١٨٣٠ وانقضوا على العائلة البربونية فزعزعوا اركانها وكان فيكتور هيكو من زعماء تلك الثورة ثم هدأت الاحوال فانصب على النظم واشتغل بنوع خاص بنظم وقائع بونابرت

وفي سنة ١٨٤١ انتخب عضواً للاكادمية الفرنساوية وكان في جملة مناظريه الشاعر الشهير لامارتين وكان هذا قد اصدر كتابه المعروف بمنظومات « الفكر » وقد كان له وقع عظيم لدى القراء ورجال العلم فثارت في قلب فيكتور حاسة الغيرة من نجاح زميله ولكنها غيرة لم تكدرها دناءة فبدلاً من ان يشتغل حسداً ويأخذ في الطعن والقذف عمل على مجاراة لامارتين ومباراته فنظم قصائد دعاها « التأملات » عارض بها لامارتين فنالت اقبالاً حسناً وذاع صيتها وصيت ناظمها

وفي سنة ١٨٤٤ انتخب عضواً في مجلس الاعيان فدخل في ابواب السياسة العملية وكان ميله اذ ذاك جمهورياً ويود سقوط الملكية ولكنه كان لاعتدال مشربه وحسن نظره في الامور لا يحب التهور في الميل فكان من جهة يحث الناس على الاخذ بناصر الحرية ومن الجهة الثانية يعظهم ويمنعهم من الانهماك بما يؤول الى الفوضى

وما زال في هذا الجهاد مع زملائه ومعاصريه ومنهم لامارتين وتيوفيل وكوتيه وغيرهم من زعماء الحرية في ذلك الحين حتى فازت الجمهورية وسقطت الملكية سنة ١٨٤٨

ولكن نابوليون الثالث كان قد سعى في استجلاب الجمهورية اليه حتى ينقض عليها على حين غفلة ويقبض على ازمة الاحكام بنفسه فاقسم للجمهورية جهاراً بصدق ولائه واخلاصه لها فامنت له وكان فيكتور هيكو اكثر الناس انصياعاً الى مرضاته لما كان في قلبه من الاحترام والتعظيم لعائلة بونابرت

اما نابوليون المشار اليه فلما توفرت لديه اسباب الفوز نادى بالامبراطورية وانزل الجمهورية ومن قال بها ونكل باعوانها وانصارها فنفي فيكتور مع عائلته الى جزيرة جرسي ولكن ذلك لم يثن عزمه عن المناداة بالحرية فكان يكتب

المقالات والرسائل ويبعث بها لتنشر بين ابناء وطنه يحثهم فيها على الحرية والاخذ بها . ومما كتبه في منفاه كتاب سماه « نابليون الصغير » وآخر دعاه « العقاب » وقد طبعت هذه الكتب وبيع منها شيء كثير في تلك الاثناء . والف في منفاه ايضاً روايته المشهورة المسماة « البؤساء » (Les misérables) ومن غريب ما يحكى عنها انها طبعت في ثماني لغات في آن واحد سنة ١٨٦٢ ونشرت في لندن وباريس وبروكسل ونيويورك وبرلين وبطرسبورج ومدريد وتورينو معاً وبيعت الطبعة الاولى منها بثلاثمئة الف فرنك

وما زال هذا الرجل العظيم في منفاه الى سنة ١٨٢١ عندما سقطت الامبراطورية وطلعت شمس الجمهورية فرجع من منفاه مع سائر زعماء الجمهوريين مكرمين محترمين وانتخبوه عضواً لمجلس النواب ثم لمجلس الشيوخ وهو مع كل ذلك لم يفتر عن الخطابة والتأليف بما فيه رفع شان الامة الفرنساوية فعشقته تلك الامة عشقاً حتى حملوه على اكفهم وطافوا به الازقة والشوارع ينادون بفضله وعلو منزلته . وما زال مكرماً مبجلاً حتى اتاه داعي المنون في مايو (ايار) سنة ١٨٨٣ فقضى شيخاً جليلاً وبكاه الشعب الفرنساوي بكاءً مراً

ابن سينا

ولد سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وتوفي ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م)

هو الشيخ الرئيس الفيلسوف الغرير والطبيب النطاسي الشهير عمدة الحكماء وشيخ العلماء ارسطو الاسلام وابقراطه ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البخاري ويسميه الافرنج avicenna وكان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن بخارى في دولة نوح بن منصور وتولى التصرف بقرية كبيرة من قراها اسمها خَرْمَيْثَن وفيها ولد له ابنه الحسين صاحب الترجمة في صفر سنة ٣٧٠ هـ الموافق اغسطوس (آب) سنة ٩٨٠ واسم والدته ستارة وهي من قرية بالقرب من خرميثن اسمها افشنة

وكان الحسين منذ نعومة اظفاره نادرة عصره في الذكاء والفطنة وتوقد الذهن وبعد ولادته بقليل انتقل والده الى مدينة بخارى واخذ الحسين في مزاولة العلم ولم يتم العشر من سنيه الا وقد حفظ القرآن وكثيرًا من القراآت وقرأ الفقه على الشيخ اسماعيل الزاهد . ثم قدم بخارى ابو عبدالله الناتلي الفيلسوف فنزل بدارهم وابتدأ الحسين بالاشتغال عليه في كتاب ايساغوجي في المنطق وقرأ عليه ايضًا كتاب اقليدس في الهندسة والمجسطي ثم سافر الناتلي فطفق ابن سينا يقرأ الكتب على نفسه حتى تمكن من المنطق والهندسة والطبيعة واللاهوت ثم قرأ الطب على عيسى بن يحيى النصراني ونبغ فيه حتى صار قدوة الاطباء وهو مع ذلك لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره (كذا في كلامه عن نفسه)

ثم تفرغ للعلم وعاد الى درس المنطق وسائر اجزاء الفلسفة وجدّ في حل مشكلاتها وكان كثير الاشتغال يحيي الليل في البحث والمطالعة . ومما قاله محدثًا عن نفسه قوله « لازمت العلم سنة ونصفًا وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت في النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهورًا فكل حجة انظر فيها اثبتُ مقدمات قياسها ورتبتها في تلك الظهور ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماتها التي تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة وكلما كنت احاور في مسألة ولم اظفر بالحد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق منه وتيسر المتعسر . وكنت اشتغل ليلًا في داري بالكتابة والقراءة فان غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود اليّ قوّتي ثم ارجع الى القراءة فان غلبني النوم حلمت بالمسائل التي كنت اعالج حلها حتى ان كثيرًا منها اتضح لي بالمنام »

وما برح في مثل هذا الاجتهاد حتى احكم المنطق والطبيعيات والرياضيات والالهيات . واتفق ان نوحًا ابن منصور الساماني صاحب خراسان مرض فذكرهُ الاطباء بين يديه فاحضرهُ وعالجهُ حتى برأ فاستأذنه ابن سينا في دخول مكتبتهِ وقراءة ما فيها من الكتب وكانت تلك المكتبة قليلة المثال بكثرة الكتب المشهورة فلقي فيها كتبًا فلما رفعت من الناس فقرأها وظفر بفوائدها واتفق بعد ذلك احتراقها فتفرد هو بما استفادهُ من علومها وقيل انهُ هو الذي احرقها

واخذ في التصنيف مذ كان في الحادية والعشرين · ولما بلغ الثانية والعشرين توفي والده وتصرف به الاحوال وتقلد شيئًا من اعمال السلطان ثم انتقل الى كركانج وهو في زي الفقهاء. فاحسن خوارزم شاه علي بن محمود وفادته واثبت له كل شهر ما يقوم به في مقابل التطبيب ثم انتقل الى نساء ومنها الى ابيورد ثم الى طوس ثم الى جاجرم ومنها الى جرجان ثم الى داهستان بقرب بحر الخزر فمرض فيها فعاد الى جرجان فصنف بها كتاب « المختصر الاوسط » ولذلك يقال له الاوسط الجرجاني واتصل به هناك ابو محمد الشيرازي وابو عبيد الجوزجاني وكان ابو محمد محبًا للعلوم فاشترى لابن سينا دارًا في جواره فتحها للطلبة وصنف له كتاب « المبداء والمعاد » وكتاب « الارصاد الكلية » ثم انتقل الى الري وخدم صاحبها مجد الدولة وداواه من السوداء واقام بها حينًا ثم خرج الى قزوين ثم الى همذان وطبب شمس الدولة من القولنج فجعله من ندمائه ثم قلده الوزارة · واتفق تشويش العسكر عليه فكبسوا داره ونهبوها وطلبوا الى الامير قتله فامتنع وارضاهم بنفيه فتوارى في دار الشيخ ابي سعد اربعين يومًا فعاد الى شمس الدولة القولنج فاستدعى ابن سينا واعتذر اليه فعالجه فاعاد اليه الوزارة · وفي خلال ذلك سأله ابو عبيد الجوزجاني شرح كتاب ارسطو فقال « لا فراغ لي ولكن ان رضيت مني تصنيفًا اورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة ولا رد فعلت » فرضي منه فبدأ بالطبيعيات من كتاب الشفاء وكان يجتمع في داره كل ليلة طلبة العلم فيقرئهم فاذا فرغوا احضر المغنين وهيأ مجلس الشراب بآلاته واخذ يشتغل به

وكان الى ذلك الحين لم يتمكن من اللغة العربية جيدًا فعاب عليه بعضهم ذلك فانف واشتغل في اللغة ثلاث سنين حتى بلغ منها مبلغًا عظيماً وصنف كتاب « لسان العرب » ولم يبيضه ثم مات الامير شمس الدولة وبايعوا ابنه تاج الدولة وطلبوا ابن سينا لوزارته فابى وقبل بل عزله تاج الدولة عن وزارته وامره بالخروج من همذان وكان علاء الدولة صاحب اصبهان يطالب اليه القدوم سرًا فاختفى في دار ابي غالب العطار وكان يكتب كل يوم خمسين ورقة تصنيفًا من كتاب الشفاء حتى اتى منه على جميع الكتاب الطبيعي والالهي · ثم اتهمه تاج الدولة بمكاتبة علاء الدولة وحث على طلبه فظفروا به وسجنوه في قلعة فردجان

وهناك نظم قصيدة منها قوله

دخولي باليقين كما تراهُ * وكل الشك في امر الخروج

وبقي في سجنهِ اربعة اشهر ثم أُطلق فسار الى همذان ثم قصد اصبهان متنكرًا فبالغ علاء الدولة في اكرامهِ وجعله من خاصتهِ

وكان ابن سينا قوي القوى كلها جسدًا وعقلاً ولكن قواه الشهوانية كانت اقوى وأغلب فكان كثير الخضوع لها فاثر ذلك في مزاجهِ الى ان اخذهُ القولنج وتقرح بعض امعائهِ بالعلاج وسار مع علاء الدولة الى ايذج فعاودهُ المرض هناك وهو يعالج الصحيح بنفسهِ ثم امر الطبيب الذي كان يتقدم اليهِ بمعالجتهِ ان يحقن له دانقين من بزر الكرفس في جملة ما يحقنهُ بهِ فطرح الطبيب خمسة دراهم فازداد بالرئيس السحج وكان يتناول المثروديطس لاجل الصرع فطرح فيهِ بعض غلمانهِ شيئًا كثيرًا من الافيون وناولهُ فأكلهُ وكان سبب ذلك ان غلمانه سرقوا من خزانتهِ مالاً كثيرًا فتمنوا هلاكهُ ليأمنوا . ثم نقل الى اصبهان واشتد ضعفهُ فعالج حتى استطاع النهوض وكانت تغلب عليهِ قواه الشهوانية فيخضع لها فينتكس

ثم عاود علاء الدولة همذان فسار ابن سينا معهُ وعاودتهُ تلك العلة في الطريق الى ان وصل همذان وعلم ان قوتهُ قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض فاهمل مداواة نفسهِ وكان يقول « ان المدبر الذي كان يدبرني في بدني قد عجز عن التدبير فلا تنفع المعالجة » وبقي على هذا اياماً ومات في همذان في رمضان سنة ٤٢٨ للهجرة الموافق يوليو (تموز) سنة ١٠٣٧ وله من العمر سبع وخمسون سنة ودفن في همذان تحت سورها وقيل انهُ نقل بعد ذلك الى اصبهان

وكان ابن سينا من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل والمقدرة على التأليف وقد ألف نيفًا ومئة تصنيف واكثرها محفوظ وقد ترجم جانب منها الى اللغات الافرنجية ولا سيما « القانون » فانهُ ترجم الى اكثر لغات اوروبا . وترى اسماء اشهر مؤلفاتهِ في الجدول الآتي ولكننا رأينا للاحاطة بها ان نرتبها حسب مواضيعها وبما ان الجانب الاكبر منها غير مطبوع رأينا ان نميز الى ... هو مطبوع منها بانهُ (مطبوع) والاَّ فهو غير مطبوع ومن تلك المؤلفات كتب كثيرة ومنها

رسائل صغيرة وسنبين ازاء كل مؤلف ما اذا كان رسالة او كتاباً على قدر ما وصلت اليه معرفتنا بعد البحث والتنقيب واذا علمنا محل وجوده ذكرنا ذلك ايضاً فنقول

اولاً · مؤلفاته في الطب

(١) القانون · (١٤ جزءا) وهو مطبوع في رومية سنة ١٥٩٣ م الموافقة ١٠٠١ هـ وفي بولاق مصر سنة ١٢٩٤ هـ وهو موجود في المكتبة الخديوية بمصر

(٢) الشفاء · (١٨ جزءا بعضها في الطب وبعضها في العلوم الاخرى) منها جزآن مطبوعان طبع حجر ببلاد فارس وهما في الطبيعيات واللاهوت والكتاب كله موجود في المكتبة الخديوية بمصر

(٣) الادوية · موجودة في المكتبة الخديوية بمصر

(٤) القولنج

(٥) الادوية القلبية

(٦) رسالة في الهندباء

(٧) « « النبض

(٨) منظومة في الطب · موجودة في المكتبة الخديوية بمصر

ثانياً · في الفلسفة

(٩) الاشارات · ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للرازي والمتن والشرح موجودان في المكتبة الخديوية بمصر

(١٠) النجاة · (٣ مجلدات وهو مختصر الشفاء) موجود في المكتبة الخديوية ومطبوع في ذيل القانون

(١١) الارشادات

(١٢) الحكمة المشرقية · مفقود

(١٣) بيان ذوات الجهة

(١٤) التدارك

(١٥) عيون الحكمة

(١٦) العلائي

(١٧) اللواحق . وهو شرح الشفاء

(١٨) رسالة في غرض قاطيغورياس

(١٩) « « النهاية واللانهاية

(٢٠) « « الحدود

(٢١) « « تعقب المواضيع الجدلية

(٢٢) « « أبعاد الجسم

(٢٣) « « ان الشيء الواحد لا يكون جوهرياً وعرضياً

(٢٤) « « عكوس ذوات الجهات

(٢٥) « « ان علم زيد غير علم عمر

(٢٦) « « حد الجسم

(٢٧) « « في الانصاف — موجود خطاً في المكتبة الخديوية بمصر

(٢٨) « « المسائل العشرين — « « « « « «

(٢٩) « « المباحثات — « « « « « « «

(٣٠) « « الجوهر الذي لا يتحرك — « « « « « « «

(٣١) « « الحجج الغر في تقسيم العلوم الفلسفية — « « « « « « «

(٣٢) « « حد الجسم — « « « « « «

(٣٣) شرح كتاب النفس لارسطو — « « « « « «

(٣٤) « ما بعد الطبيعة — « « « « « « «

ثالثاً في الفقه والتوحيد

(٣٥) الحاصل والمحصول — نادر الوجود

(٣٦) البر والاثم . (مجلدان) « «

(٣٧) الحكمة المشرقية
(٣٨) الهداية
(٣٩) رسالة في القضاء والقدر
(٤٠) « « النفس
(٤١) « « الخطب التوحيدية
(٤٢) « « الزهد
(٤٣) القصيدة العينية . في النفس موجودة في المكتبة الخديوية بمصر
(٤٤) كتاب المبداء والمعاد « « « « «
(٤٥) » الاشارات « « « « «
(٤٦) » الحانة الالهية (منظومة) « « « « «

رابعاً . في المنطق

٠٠ القانون تقدم ذكره
(٤٧) المجموع في كل العلوم ما خلا الرياضة
٠٠ الشفاء تقدم ذكره
(٤٨) المختصر الاوسط
(٤٩) الموجز الصغير
(٥٠) » الكبير
(٥١) مفاتيح الخزائن
(٥٢) الارجوزة في المنطق
(٥٣) الاشارة الى المنطق موجودة في المكتبة الخديوية بمصر
(٥٤) المشرقين « « « « «
(٥٥) رسالة العروس « « « « «

خامساً في اللغة وعلومها

(٥٦) لسان العرب عشرة اجزاء

(٥٧) مختصر الشعراء — في العروض

(٥٨) الحروف

(٥٩) التعليقات

سادساً · في العلوم الطبيعية والرياضية

(٦٠) الارصاد الكلية — في الفلك

(٦١) مطوّل الهيئة — « «

(٦٢) كتاب اللخ — « «

(٦٣) رسالة في الآلة الرصدية — « «

(٦٤) « الكيمياء

(٦٥) « « الارثماطيقي — (الرياضيات)

(٦٦) « « ابطال احكام النجوم — فلك

(٦٧) « « الاجرام السماوية — «

(٦٨) « « هيئة الارض من السماء — «

(٦٩) « « الزاوية الطبيعية — طبيعة

(٧٠) مختصر اقليدوس — هندسة

(٧١) رسالة في خط الاستواء

(٧٢) « « القوى الطبيعية — طبيعة

(٧٣) « « كيفية الرصد — فلك

(٧٤) « « الزاوية في المحيط — هندسة

.. الشفاء والقانون — وقد تقدم ذكرهما

سابعاً · في الآداب والسياسة والموسيقى وغيرها

(٧٥) تدبير الجند والمالك — في السياسة

(٧٦) المدخل — في الموسيقى

(٧٧) رسالة في المالك وبقاع الارض

(٧٨) رسالة في العشق

(٧٩) « « الحزن واسبابه

(٨٠) « « الاخلاق

(٨١) « « المباحثات موجودة في المكتبة الخديوية بمصر

ومن يطالع مؤلفات ابن سينا المتقدم ذكرها يرَ فلسفة ارسطو اليوناني تجلى فيها كلها لانهُ اخذ عنهُ وهو بالحقيقة اول من اذاع الفلسفة الارسطية بين العرب ولكنهُ اضاف اليها كثيرًا من آرائهِ . واما في المنطق فهو كثير الاستعانة بكلام الفارابي وقد وضع في تآليفهِ طريقة معددة وافرغ بها في قالب الاحكام جميع العلوم الفلسفية بفروعها وتناسقها الوجوبي وقسم العلم في كتاب الشفاء الى ثلاثة اقسام (١) العلم الاعلى او معرفة الاشياء التي لا تتصل بالمادة وهي الفلسفة الاولى او العلم الالهي (٢) العلم الادنى وهو معرفة الاشياء التي هي في المادة وهو علم الطبيعيات (٣) العلم الاوسط وهو الذي تشترك فروعهُ بين القسم الاول والثاني وهو علم الرياضيات

اما في الطب ففهرستهُ تغني عن تعريفهِ ومن يطالع كتاب القانون يحقق ذلك لان هذا الكتاب ما برح نبراسًا يستضيء بهِ اساتذة هذا الفن في اوربا وآسيا ستة قرون . ولابن سينا كثير من الاصطلاحات والاكتشافات الطبية وهو اوَّل من استعمل فيو الخيار شنبر والراوند والتمر هندي والاهليلج والهندباء وغيرها

واما الطبيعيات فلهُ آراء خصوصية فيها من ذلك مذهبهُ في سبب وجود الجبال فقال ان لذلك سببين الاول انتفاخ قشرة الارض بزلزال شديد والثاني حركة المياه المندفعة في فتحها المجاري الطبيعية لما وهي الاودية او المدارج التي تقوم الجبال بآزائها ولا يخفى ما بين هذا المذهب ومذهب علماء اليوم من المشابهة . وقد قسم المعادن الى اربعة اقسام (١) الجامدة التي لا تقبل الذوبان (٢) اللينة او القابلة الذوبان (٣) الكبريتية (٤) الاملاح . ولهُ آراء غير هذه في التاريخ الطبيعي والكيمياء وغيرهما

اما في الالهيات فقد اوضح مذهب القائلين بالتمييز بين الممكن والواجب ايضاحًا جيدًا فقسم الوجود الى ثلاثة اقسام . الاول الوجود الممكن وهو يشتمل كل ما يتولد ويتحلل مما هو تحت افلاك الاقمار . الثاني الوجود الممكن بذاتهِ والواجب بعلة خارجية

وهذا يعم كل ما لا يقبل التولد والانحلال كالافلاك والعقول حاشا العلة الاولى . الثالث الوجود الواجب بنفسه وهو العلة الاولى او الخالق وقد ردَّ ابن رشد الفيلسوف العربي الشهير على ابن سينا في هذا التقسيم وناقضهُ في كثير من كتبهِ ما ليس هنا محل ايراده على ان ابن سينا كان اقل تطوحاً في فلسفتهِ من ابن رشد لانهُ اعتمد في كثير من كتبهِ على اصول الدين وآدابهِ وقد قال « ان للارواح ذاتية دائمة . وانها جواهر تحفظ ذاتها بعد انفصالها من الاجساد » وقد قال في كتابهِ المبداء والمعاد « ان المعاد الروحاني واحوالهُ لا يعسر التوصل اليهِ بالبراهين العقلية والمقاييس لانهُ على نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة فلنا في البراهين عليهِ سعة اما المعاد الجسماني واحوالهُ فلا يمكن ادراكهُ بالبرهان اذ انهُ ليس على نسبة واحدة وقد بسطتهُ لنا الشريعة الحقة المحمدية فلننظر فيها ولنرجع في احوالهِ اليها » على انهُ مع ذلك لم ينجُ من المذمة جماعة من علماء الاسلام ولا سيما الغزالي فانهُ اتهمهُ بالكفر ورد عليهِ في كتابهِ « تهافت الفلاسفة » وغيره

باب المقالات

الكتابة والانشاء

لجناب نقولا افندي يوسف فيّاض

لما كان المجتمع الانساني قائماً بالمعاملة كانت اللغة واجبة الوجود اضطراراً الى تسهيلها وتمهيد سبيلها فظهرت على لسان الانسان نامية مع نموّهِ في الوجود حتى بلغ بعد التكاثر والتفرق طوراً من العمر وادرك دوراً من الحياة لم يمكنهُ معهُ البقاء على علاّتهِ والسكون على حالاتهِ فنهض الى امر يدفع عنهُ هذا القفر ويقوم بما جدَّ من مقتضيات معاملاتهِ وزاد من متطلبات عمرانهِ فانشأ الخط ووضع صورهُ

على ما هدته اليه الضرورة وألهمه الفكر للتفاهم بوجه لا يتصدى له التخاطب فكانت اللغة نوعين لغة نطق ولغة كتابة — وبديهيّ ان الاولى أعمّ لنشوئها مع الانسان الاوّل كما بيّنا وأقرب لاستحكامها من البديهة واستقرارها في الغريزة والثانية اخص لانحصارها من المعمور بالاقسام المتقدمة في الهيئة الراقية في المدنية وابعد لاحتياج المرء فيها وقد ترقّت الآن الى تروٍّ يخرج به عن البداهة وإمعان يدخل في التكلف ولانها وضعت لما لا يستطاع التعبير عنه بالنطق إما عن اختلاف زمان او مكان او داعية رهبة او رغبة او باعثة تأنيب او وعيد او قص حكاية او تحريض او التماس او تنهيض بمراسلة لنفع عام او خاص بكسب مادي او ادبي وما يلابس ذلك مما ينزل به اللسان عن تبيان العاطفة في نفس الانسان ولهذا صار فنًّا واسع الاطراف عزيز الاعراب يستغرق زمنًا في احرازه ويستنفد قوّة في اجتيازه بما جعل مملكته بعيدًا ومغلقه شديدًا وإذ ان البحث من حقوق كل انسان اقدمت على الذهاب في هذا الوضع بما وصل امكان الدرس اليه ووقع طائر الفكر عليه غير جاهل مكاني منه وموقفي لديه

الكتابة والمراد بها اداء الخاطر بصحة ووضوح صناعة كسائر الصناعات يجب على الآخذ بها الاحاطة بجميع اطرافها نظريًا وعمليًا فكما انه لا يمكن اقامة حجرة او جدار ما لم يكن الفاعل بنّاء ولا صنعة ثوب او رداء ما لم يكن الصانع خياطًا لا يمكن تركيب كلمة على مثلها ولحم جملة بشبيهها ما لم يكن المركب واللاحم عارفًا بالكلم واصوله خبيرًا بالجمل ومراتبها ومع هذا نرى سوادًا من القوم يتهافتون على هذا الفن بتأليف كتاب او رسالة وتحرير خطاب او مقالة دون ان يلتفتوا الى الامر الاولي القائمة فيه اسرار الاجادة في هذه الصناعة

ولا نعمد في هذا المطلب الوجيز وضع روابط للكتابة تحصر الاجادة في التزام حدها ورعاية جانبها فذلك ابعد من ان ينال لان الكتابة واسعة المجال بكثرة المباني والطرق لقيامها باداء الافكار والافكار كثيرة ولا تحصى وهي مختلفة في كل فرد مما يؤدي الى اختلاف الصوَر في التعبير وتباين الانشاء . غير ان ما ينظر اليه فيها هو وحدة الموضوع وتناسب الوضع وجمال الصنعة في كلام كل رد لمطابقة المعنى المراد وتناول الامر المفاد . اجل فان كتابة من اجاد الانشاء

من هذا الجيل ليست ككتابة ابن خلدون مثلاً كما ان هذا العلامة يختلف في كتابته من ابن المقفع وغيره . فهنا نحكم ببلاغة هذه الانفاس جميعها مع اختلافها في صور التعبير وتضاربها في طرق التركيب لان الحقيقة المطلوبة من الكتابة بل النتيجة المقصودة في الانشاء موجودة في كل منها وهي التأثير الموافق بما جعلها مالوفة للآذان مانوسة الاذهان . وهذا ما يهم الاخذ به والوقوف عليه ولا يمكن وضع قياس مطرد واصول رابطة

وما لا يختلف فيه اثنان ان الواجب الاول على الكاتب ان يكون راسخ القدم في لغته حاذقاً باساليبها وطرائقها قابضاً على حقائقها ودقائقها مكيناً من نكاتها ومفرداتها لتزيز صناعته وتوفير بضاعته لان فن الكتابة ليس كغيره من الفنون محصوراً بحدود ممهداً ببنود فهو يتبع افكار واضعه وما استخرجه اليه وتلك ساطة بصيرته والمستخرجات لا تعد ولا ينال لها حد فيجب على الكاتب ان يكون غزير المادة كثير المحفوظ صحيح المعرفة ليضع لكل معنى لفظة الصريح الموافق لما يترتب على ذلك من الاحكام في التعبير لايقاع التأثير

ولكن هنا امرًا اولياً يسبق ذلك الواجب ويدعو اليه وهو كون الشخص كاتباً وذلك لا يقع الا لمن كان فاهماً موضوع بحثه جيداً عارفاً بقوة آرائه ومراكزها مميزاً بتقاربها وتباعدها وتلاؤمها وتنافرها مميزاً احتياجها الى تكميل او تنقيص لتحديد او تلطيف بكيف التأثير المطلوب ولهذا كان على طلب هذا الفن النظر والعبرة في ثلاثة امور (١) ما يقوله وهو الموضوع (٢) باي وضع يقوله وهو الترتيب (٣) كيف يقوله وهو البيان . فسواء كنت كاتباً كبيرًا ام طالباً صغيرًا ومهما تكن الغاية من تاليفك وضع كتاب يذكر مدى الايام ام تلفيق قصة تناظر بها قرينك وترضي معلمك — عليك اولاً دراسة الموضوع الآخذ به جيداً بجميع ما يتعلق به ويدخل تحت مبحثه ثم ترتيبه باتقان يرجع الى الوضوح والجلاء حتى اذا اتيت على هذين الامرين لا يبقى لديك سوى جر القلم فاذا اجدت هذا الدرس فعرفت حق المعرفة ما تريد ان تقول ووضعت احسن الوضع ما ترغب ان تقوله هان عليك عند ذلك البيان فاصبحت سهل الاسلوب فاحسانه تستتاه تلك الكلمات عفواً بلا طلب واسرع قلمك الخفيف بعد ما كان ثقيلاً بطيئاً

ونشعر بلذة الكتابة من النفس مهلاً اليها ومن الفكر انبعاثاً عليها
فيشترط علينا اذاً ان ننهض قبل كتابة المعاني الى ترتيبها وقبل ترتيبها الى ايجادها فاركان الكتابة على ما مرّ ثلاثة الايجاد او الاختراع والوضع او الترتيب والبيان او الاسلوب ونتكلم بالكلام عن كل من هذه الاركان

(١) الاختراع

قوة من الفكر اذا اخذ الموضوع يترتب عليها اداؤهُ وشرحهُ بايجاد ما يتصل به من الآراء ويختصهُ من الواقعيات ويحتاجهُ من العواطف حتى اذا وضح مجملة بهذه الثلاث او بما يلائمهُ منها نضعهُ بترتيب موافق ثم نكتبهُ باسلوب صحيح صريح فالآراء هي المبادئ الاقرب للاسناد والافكار الانسب للاستشهاد بصحيح البرهان بها على ماهية الموضوع كما لو اخذنا مثلاً « الحرب واجبة » فان اقرب المبادئ وانسب الافكار التي تؤيد وجوب الحرب وتدعم هذه الدعوى هي كونها اي الحرب عادلة وممكنة ومفيدة وضرورية فنقول على المبدإ الاول اي عادلة لان العدوّ نكث العهد وجاوز الحد فسام الشعب خسفاً او رام بالرؤساء ضيماً فكان البادئ بالشر والداعي الى العدوان والباعث على المناوأة . او اذا كان المقصود استرجاع ملك او بلاد او غير ذلك مما اغتصبهُ اسلاف العدو زوراً فحق لنا اخذه بالحرب .
وعلى الثاني اي ممكنة لان الدولة قادرة على تعبين جيش وافر وافٍ بالعَدَد والعِدَد والذخائر والمؤن وهي معتادة النصر متمرّنة على الغلبة . وعلى الثالث اي مفيدة اذا كانت الغاية منها تعزيز الامة والحرية واللغة الوطنية والدين والجنسية او تنجحها الظفر بارض جديدة طيبة والاستيلاء على الثغور والبلاد العامرة مما يربينا العزّ عزين ويرقي بلادنا من الوجهين . وعلى الرابع اي ضرورية اذا امكن ان يقال اننا تحت الارصاد والعدو لنا بالمرصاد فاذا اعرضنا عنها تعرّض لنا وهكذا نخسر بالاهمال كل شيء ولا نصل بالامهال الى شيء

ومثل ذلك لو اخذنا « الروايات التمثيلية نافعة او مضرة » فنقول على الوجه الايجابي انها تمثل اخلاق الناس وعوائد الافراد والعموم مظهرة نتائج اعمالهم وعواقب العالم ان حسناً وان قبيحاً فتقنع وتؤثر من نهي او ترهيب او امر في ترغيب او

فيض في انذار او بسط في تبشير مما يكون للنفوس تنزيهاً والعقول تفهيماً ويعود على الاخلاق صلاحاً والعوائد اصلاحاً . ونقول على الداعي انها تنبه العقول الساكنة فتولد العواطف المتباينة بما لا يؤمن معه صلاح العاقبة فيندفع المرء خائضاً في غير مطمع مستبدّاً ولو بضرر غيره واقفاً بين الرغبة فيما يتوهم ولا خير فيه والرهبة مما لا يعلم ولا شرّ منه ما ينبه الاستعداد في الراهب الى تمني الاسقفية والجندي الى طلب الملكية والشعب المقيد الى التماس الحرية فيتنع الامر في غير اوانه وخلاف احواله مع غير مناسبة وقلة استحقاق مما يعود على الراهب خسراً ويرجع على الجندي كسراً ويفيء على الشعب المقيد خسفاً وقهراً . وقس عليه سوى هذا والامثلة كثيرة

البقية تاتي



السيد محمد افندي ابو الهدى الصيادي

لاحد قراء الهلال

« وردت علينا هذه الرسالة من احد القراء الافاضل في الاستانة العلية فاثرنا درجها لتكون قدوة ناطقة ومثلاً حياً لما يلقاه رجال الفضل المخلصون في العلم والعمل من الحظوة في اعين ولاة الامر » قال حضرة المراسل :

جناب الفاضل منشيء الهلال المنير

قد تناقلت الجرائد عندنا وعندكم وفي سائر المملكة العثمانية وغيرها خبر فتنة البصرة الاخيرة وما كان من اخمادها بحكمة جلالة مولانا السلطان الاعظم ومساعدة سماحة العلامة الفاضل السيد محمد ابي الهدى افندي لما له من النفوذ بين القبائل البدوية في تلك الانحاء بما خصه به العناية من شرف الحسب والنسب وبما له من الايدي البيضاء في الكتابة والتاليف ولا ريب ان ذلك قد جعل في حضرات

الافهام في الفرق بين الحال والمقام . وقلادة النحر في شرح حزب البحر . والنخبة في احكام الصحبة . ووسيلة العارفين في اخبار القطب الجامع السيد مهدي بهاء الدين . وشفاء صدور المؤمنين في هدم قواعد المبتدعين . وكشف نقاب الاشكال عما زعم الجهول في كلمة الخلخال . وبهجة الزمان في مآثر خليفة سيد ولد عدنان مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان نصره الرحمن . وابهات الجاحد في اثبات خوف العوائد . وشفاء الصدور في الفرق بين مرتبتي الخفاء والظهور . والتاريخ الاوحد للغوث الرفاعي الامجد . وتعطير المشام في اخبار مولانا السيد على آل خزام . والفتح الرباني في مناقب الشيخ حسن القطناني . والغارة الالهية في الانتصار للسادة الرفاعية . والنور الجلي في اخبار والد سيدنا الامام الرفاعي السيد السلطان علي رضي الله عنهما . والحق المبين في ابهات الحاسدين . وغيرها من التآليف الجليلة الدالة على تعزز هذا الامام حفظه الله تعالى ركناً للدولة والدين ولسماحته من الاطلاع العجيب على دقائق المهامة ما يتدرع به عند حدوث المصاعب . وقد قلده عظمة مولانا امير المؤمنين اعظم نياشين الدولة العلية لما اظهره ويظهره من صادق الخدمة للسدة الملوكانية ايدها الله تعالى (احد القراء)

هل يفيد التعليم الاجباري كما يفيد الاختياري

حضرة منشيء الهلال الاغر

لقد وددت مرات الخوض في هذا الموضوع المفيد واحجمت متربصاً فرصة يفتح فيها للمناظرة باب فيتقدمني من الكتبة من هو اطول باعاً واكثر خبرة واذ لم اجد لسوء الحظ نتيجة للانتظار اقدمت مع قصر باعي على المجاوبة عن هذا السؤال مخافة ان ينسى مع الوقت وعلماً مني بما النظر في مثل هذه الامور والوقوف على نظير تلك المسائل من عميم الفائدة فارجو درج هذه الاسطر في مجلتكم الغراء ولكم الفضل

لا يخفى ان الدور الاول من حياة الانسان اعني الطفولية وما يليها خلو من كل محرك اصلي يدفع صاحبه الى ما يه خيره او شره فهو في تلك الحالة قاصر حتماً

ومعنويًا مما يدعو الى وقوف مرشد يمدّهُ بالمساعدة الآيلة الى قوام حياتهِ وخير مستقبلهِ وسعادة ادوارهِ الباقية وتلك المساعدة التي يفتقر اليها الولد تحتوي على قسمين لا يلتمس منها لنفسهِ الّا واحدًا لشعورهِ بالحاجة اليهِ حتمًا واما الثاني فلا يعرفهُ في ذلك الدور لغباوة عن ذهنهِ بالتصوُّر بنتائج مسبباتهِ فان لم يؤخذ عليهِ من المرشد القائم بتدبيرهِ لم يوفق اليهِ . وما هي هذه المساعدة ان لم تكن التغذية فالانسان من حيث انهُ ذو وجود هيولي مفتقر الى شيء يعوض الدثور الحاصل في دقائق بدنهِ ويكون طعامًا دافعًا عنهُ آفة الجوع ومن حيث انهُ ذو وجود معنوي فهو مفتقر الى شيء يكون قوامًا لعقلهِ وغذاء يرفعهُ في الكمالات الانسانية لسياسة وادارة هذهِ الحياة فاما الحاجة الاولى وهي المآكل فحسبهُ بانهُ يلتمسها لنفسهِ مدفوعًا بطبيعة وجودهِ اليها اضطرارًا واما الثانية وهي التعليم فعناية لا يتطلبها لنفسهِ لعدم شعورهِ بها وبضرورتها اوّل عهدهِ فاذا لم يوجد من ينبههُ اليها ويدلهُ عليها احتاجها في المستقبل فتعذرت عليهِ فالتنبيه اليها واجب كي لا يلام بعدئذٍ من اغفل ذلك بل ارى الاجبار عليها اوجب لان الولد قد لا يأبه بالامر لمجرد التنبيه لعدم شعورهِ بفائدتهِ حصرًا تلك الساعة فاذا قيد الى التعليم قسرًا وكرهًا عاد ذلك اليهِ بتحقيق النفع والفائدة

واذ قد دللنا هذا فنرى انهُ بعد وجود التعليم الاجباري قد تتباين الرغائب في النوع المختار من العلم فيحمل المرشد تلميذهُ على غير ما يميل اليهِ ذلك التلميذ اما لتوهمهِ ان النفع فيما يحملهُ عليهِ او لتأكدهِ ذلك وهذه علة فاشية في بلادنا نتيجتها تضييق باب الفائدة باضعاف همة الطلاب فانا نرى اكثر الوالدين يلزمون اولادهم بتعلم غير ما يرغبون فيهِ اما لان ما يرغبونهُ مهنة حقيرة فلا ينجحون فيها على زعمهم ولا يكتسبون ثروة واما لان ما يجبرونهم على تعلمهِ هو من الصنائع المشهورة بوفرة الارباح فيظنون الصواب في اجبارهم عليها وهكذا يذهب الولد في اليأس محصورًا فاتر الهمة عديم الرغبة فيعكس الامل وتنقلب النتيجة . ولا يدرون ان الطالب اذا كان مخيرًا في ما يتعلم ينجح وينفع ولو كانت صناعة احقر الصنائع وانهُ اذا وجد مجبرًا فقد لا يصادف من النجاح ذرّة ولو كانت مهنتهُ احسن المهن المتروكة الى ما هو راغب فيهِ ومائل اليهِ دون ان يعارضهُ في ذلك احد اكثر

افادة لان الرغبة يتفاوت نيلها على نسبة الرغبة الموجودة في تحصيلهِ فاذا كانت الرغبة الموجودة ضعيفة او اكراهية فلا يكون تحصيلهُ الا على نسبتها فلا ينال كلهُ مطالقاً . نعم لا ننكر ان الراغب في الشيء اذا اجبر على غيره قد تحول رغبته مع طول المدة والتكرار مما كانت عليهِ مع ما تصير اليهِ وحينئذٍ ينجح في صناعتهِ فتكون الفائدة من تعليمهِ الاجباري وثيقة ولكن لو ترك على حالهِ الاولى لكانت الفائدة اعم واوسع لان رغبته بتحويلها قد ذهب منها قسم وبقي قسم بالفائدة التي اتى بها تعليمهُ الاجباري ليست مثل الفائدة التي اتمّ بها تعليمهُ الاختياري لو لم يجبر فظلت رغبته في قوتها الاولى ولم يؤثر بها ويغيرها الاجبار والله اعلم

هذا وقد يمكن ان اكون مخالفاً لمذهب بعضهم في ما اتيت على اسطيره ولكن الحقيقة بنت البحث فلا تحرم من اقلام الكتاب من يميط عنها اللثام حتى لا تبقى حاجة في نفس يعقوب

(بيروت) الياس قدسي

التعصب والتساهل

حضرة مدير مجلة الهلال الغراء

يخال لي ان الكلام في هذا الموضوع من اهم ما يجب على الجرائد تداولهُ اذ يتوقف على احد هذين الوجهين سقوط الامة وعلى الآخر نجاحها ولما رأيت الكتاب لاهين عن ذلك جئت بهذه الاسطر القليلة لاقوم لديهم مقام المنبه لعلهم يتحفوننا بكلام مشبع في هذا الشان فاقول

التعصب لغة « شد العصابة وتعصب على فلان مال عليهِ وقاومهُ وتعصب فلان في دينهِ ومذهبهِ كان شديداً غيوراً فيهما ذاباً عنهما » وفي اصطلاح الحكماء العصريين « غلو المرء في اعتقاد الصحة برأيهِ والغرابة في استنكاره ما يكون مخالفاً لذلك مدعياً لذاتهِ العصمة منقاداً الناس لاميالهِ بالعنف والاكراه »

والتساهل لغة « الملاين والتسامح يقال تساهل معهُ اي تسامح ولاين » وفي حد الحكماء العصريين « رضى المرء برأيهِ اعتقاد الصحة فيهِ واحترامهُ رأي

الرضاعة

لجناب الاديب الياس افندي زيدان

(معاون بالمستشفى الفرنساوي في بيروت)

(تابع لما قبله)

وهناك امور اخرى لا يجوز تركها فان لمعاملة المراضع دخلاً عظيماً في منفعة الطفل يجب من هذه الحيثية ان لا يخل عليها في المآكل والمشرب لتغذية الكافية الخالية من المنبهات والمهيجات مع مداراة الاحوال بالانتقال التدريجي كأن لا يعطى لها مثلاً من المآكل اللطيفة السهلة دفعة واحدة قبل ان تسلو معدتها ما اعتادته من المآكل الغليظة شيئاً فشيئاً والعكس بالعكس وان تلازم الاشغال المعتادة عليها على قدر الامكان مع الرياضة الجسدية

هذا ولراحة الطفل ووالديه يجب ان يلزم مكانها منها ومكانها منهما فلا يبالغ في تمليقها واكرامها فتزيد شراسة وكبراً مما يؤول احياناً الى استبدادها في حال الحاجة اليها فينتهي بالحال الى اجتنابها نحو الطفل او التهاون في استعمال تلك الواجبات

(٥) الرضاعة الصناعية

هذه هي الطريقة التي يمكن الوالدة الاتكال عليها لتغذية الطفل ويظنها البعض بعيدة عن النفع قريبة من الاضرار كما يظنها البعض الآخر في اقصى الغاية من الفائدة وينزلها منزلة رضاعة الوالدة الحنون كل ذلك لاختلاف الطرق التي جرى عليها في استعمالها مما ادى الى اختلاف النتائج وليس من شأننا الآن الحكم بين هذين الفريقين بل ندعه ونتكلم عن ماهية هذه الواسطة وطرق استعمالها

يراد بالرضاعة الصناعية ما كانت خارج الثدي ويدخل تحتها الحالة التي يغذى فيها الطفل من نفس حليب الوالدة او المرضع ولكن بعيداً عن ثديها لاسباب تطرأ عليه او على حلمتو ولكن هذا الامر وقتي فالرضاعة الصناعية الحقيقية عموماً هي ارضاع الطفل حليب بعض الحيوان . ويفضلون في الغالب حليب البقر

ففي هذه الحالة يجب ان يدقق النظر في الحليب وفحصه بان يكون مماثلاً لحليب

امرأة صحيحة الجسم بالماهية والكمية والحرارة اي ان يجري في الحيوان المعد حليبهُ للرضاعة نفس الفحص الذي يجري في المرضع من حيث الصحة . وعليهِ فيفرض على الوالدة السؤال عن مصدر الحليب قبل ان يتناولهُ الطفل لان البقرة اذا كانت ضعيفة الجسم مع توفر الغذاء لها او اذا كان فيها ما يدل على تدرنها كالضمامل والقروح كانت غير صالحة الحليب فيجب اخذه من غيرها

هذا وقد لا يكفي هذا الاستقصاء بل يلزم النظر في الآنية التي يصب فيها الحليب والشخص الذي يدرُّهُ لان العادة الجارية عند باعة الحليب لا سيما في بلادنا تسمح لهم بوضعهِ في آنية قذرة ملأى بالجراثيم المضرة (المكروب) التي تنتقل اليهِ ومنهُ الى الطفل حيث تنمو وتضرُّ بهِ بسهولة كلية لما تقدم مراراً من ضعف قوة الدفاع فيهِ واذا كان البائع او احد في منزلهِ مصاباً بداء معدي كالجدري مثلاً فيمكن انتقال هذا الداء الى الطفل بواسطة الحليب وهذه امور مقررة كثيرة الحدوث كما ترى ذلك في كتب الاوربيين الذين خصصوا انفسهم لهذا البحث

اما اذا لم يمكن الوقوف على كل ما ذكرناهُ فلا غنى عن اغلاء الحليب اهلاكاً للجراثيم المضرَّة التي فيهِ والحيوان الذي يلائم حليبهُ الطفل الدنو في التركيب من حليب المرأة هو انثى الحمار فيمكن اعطاؤهُ للغلام دون اضافة شيء من الماء اليهِ بخلاف حليب البقرة الذي يضاف اليهِ ثلثهُ ماء وربعهُ من سكر الحليب المسمى لكتوز حتى يصير في درجة ملائمة للطفل عدا عن وجوب غليهِ بعد ذلك وادخالهِ الى فم الطفل بحرارة تعادل حرارة الجسم الانساني بحيث لو وضع الانسان فيهِ اصبعهُ لا يشعر بحرارة او ببرودة

اما كيفية اعطائهِ للطفل فهي هكذا :

في الاسبوع الاول من عمر الطفل	٨	وقعات كل يوم	والوقعة ٥٠ غراماً
« « الثاني	٨	« « «	« ٧٥ «
« « الثالث	٨	« « «	« ٨٥ «
« « الرابع	٨	« « «	« ١١٠ «
« « الخامس والسادس	٧	« « «	« ١٢٥ «
وهكذا الى الشهر الخامس	٧	« « «	« ١٥٠ «

وفي الشهر الخامس ٦ وقعات كل يوم الوقعة ١٥٠ غراماً
وفي الشهر السادس والسابع ٦ " " " ١٧٥ "
ومن الشهر الثاني عشر وما وراء ذلك ٦ " " " ٢٠٠ غرام

ويلزم تنظيف المصاصة قبل وضع الحليب ثم توضع فيها الكمية اللازمة للطفل في وقعة واحدة حتى لا يبقى فيها الحليب مدة طويلة فيختمر ويفسد ويصير مضراً وأما الطرق التي يعطى بها الحليب فهي متنوعة لا يسعنا التكلم فيها لتعددها وقلة استعمال الاكثر منها فنكتفي بذكر الشروط التي يجب ان تحتوي عليها لتتميم هذه الوظيفة

✻ اولاً ✻ يجب ان تكون الحلمة (حلمة المصاصة) لينة ملساء سهلة الاخذ بالفم نظير حلمة الثدي الطبيعي و بحجمها ✻ ثانياً ✻ ان تكون سهلة الامتصاص على الطفل حتى لا يبذل قوة عظيمة في المص فيتعب قبل الشبع ✻ ثالثاً ✻ ان تكون سهلة التنظيف وهذا اهم شيء يستدعي انتباه الامهات لان الحليب سريع الفساد للغاية اذا وضع في وعاء قذر فيجب لتسهيل تنظيفه ان يكون الوعاء بسيطاً في الشكل خالياً من الزوايا والتعرجات التي يبقى فيها من الحليب بقية لا يمكن ازالتها بالغسيل فتفسد ✻ رابعاً ✻ ان لا يدخل في تركيبها مادة تضر بالحليب او في جسم الغلام كالرصاص او النحاس او الكوتشوك المكبرت او ما شاكل

وافضل مصاصة يمكن الاعتماد عليها هي التي اخترعها حديثاً الدكتور بودن (budin) وهي مؤلفة من اناء مقسم بخطوط تدخل فوهته انبوبتان الواحدة يدخل منها الهواء ليملي الفراغ الحاصل من خروج الحليب والثانية يخرج منها الحليب وهي تنتهي بمصاصة من الكوتشوك غير المكبرت طولها ٢ سنتيمترات تنتهي بثقب مثلث الشكل ويحيط بعنقها طارة من العظم غايتها منع دخول جميع الجسم في فم الطفل كما ترى في الشكل

ويحسن غسل هذه المصاصة بمحلول من الحامض البوريك يحوي خمسة اجزاء من الحامض لكل مئة من الماء

(٦) نظرٌ في الرضاعة

الرضاعة عمل من اعمال الحياة الاوسع فائدة والاكثر ضرورة لحفظ النوع وبقائه لانها الطريقة الوحيدة التي يركن اليها في تغذية الانسان بادئ ولادته

خصوصاً لان المرء اذ ذاك لاعمل له الاَّ الاكل فيكون جل انصراف قواه الى اعضاء الهضم ويدلك على ذلك ما يقع من تأثر بنيهِ لاقل حادث يطرأ على هذه الاعضاء. واذ كانت هذه في غاية اللطف والضعف لخروجها حديثًا الى عالم المؤثرات لزم مداراتها لتبقى الصحة في حالة الموازنة ويظل الجسم آخذًا في النمو ولا تحصل هذه المداراة الاَّ بالانتباه الى الرضاعة وهذا ما حمل الاوربيين على النظر في هذا الموضوع والبحث المدقق فيه حتى اتصلوا اخيرًا الى معرفة كيفية استعماله وذكر الشروط اللازمة ليكون ملائمًا للانسان وخاليًا من الضرر. وممن اجاد فيه حق الاجادة وتبسط بما يفهم العامة والخاصة هو الدكتور جول روفيه (١) فقد ألف حديثًا في هذا الموضوع كتابًا (٢) جمع فيه كل ما اتصل اليه العلم من هذه الجهة واضاف اليه ما ادركه بالاختبار الذاتي وعلى هذا التأليف وحده كان اعتمادي فيما كتبت فلا تعد هذه المقالة (الرضاعة) الاَّ ترجمة ملخصة لاني اقرّ بقصور مثلي عن الاتيان بمثل هذا على حين لم يأت به غيري الا بعد سنين متوالية قضاها في البحث والمطالعة والاختبار (ستأتي البقية)



سؤال

حضرة الفاضل محرر الهلال الاغر

نرجو درج هذا السؤال في جريدتكم الغراء وهو « ما هو افضل ما يجب ان يتصف به الشاب والشابة لتتم لهما السعادة بالاقتران » حلب (ش ٠١٠)

معرض شيكاغو ومعروضات الشرق

سيدي الفاضل مدير الهلال الاغر

ان ما دفعني الى عرض اسطري هذه على انظار القراء الادباء انما هو محبة وطنية استفزتني لتقدم ما عن في الخاطر من ذهاب اهالي بلادنا السورية الى

(١) استاذ في كلية الطب الفرنساوية في بيروت وعضو مؤسس في جمعية التوليد في فرنسا الخ

(٢) قوانين صحة الاطفال Hygiène de la 1 ère enfance

معرض شيكاغو فارجو ان تدرجوا مقالتي هذه في جريدتكم الغراء ولكم الفضل

نرى الامم يتقاطرون من كل فج وصوب الى هذا المعرض العظيم اما رغبة في اظهار ما لديهم من العلوم والمعارف وما امتازوا به عن سواهم في الاكتشافات والاختراعات التي هي سبب تقدم العالم كله اجمع . واما حباً بالكسب والنفع المادي بالتجارة او الملاهي او نحوها

ولكنا نرى الافرنسي والروسي والانكليزي والالماني والاميركي يفرغون الوسع ويبذلون الجهد في الحصول على اكتشاف او اختراع ينهض بالوطن الى اعلى درجات العمران ويصعد بصاحبه الى قمة الشرف . فهم يتفاخرون باحراز المجد ويتزاحمون على كشف ستار الجهل عن محيا الحقائق . فيبددون ظلمات الشك بشمس اليقين ويبرزون ما استكنَّ في زوايا الطبيعة من خبايا النواميس فتخرج من حيز العدم الى عالم الوجود . اما نحن افلا نخجل من ان نقول ان ليس لاحد منا ما يقوم به امام الاوربي او الاميركي مقام مخترع ولو في بعض الفنون ويظهر لديه مظهر مفتخر بهذه الحالة فلا يقف امامه موقف الخاسر المغبون الا ينذي جبيننا حياء اذ يكون ما عندنا محصوراً بتمثيل احاديث ملفقة عن العرب مع نساء مغنيات وآلات طرب سمجة (كالطبل مثلاً) من اصحاب البطالة واللهو زاعمين ان لهم بذلك الشرف الاكبر في اظهار ما امتازت به بلادنا عن غيرها

ولا يبدو لاحد ان غرضي التنديد بهؤلاء والايقاع بهم معاذ الله . انما غايتي المقصودة التنديد بحصر مفاخرنا في مثل ذلك فنكون امام غيرنا مثال تفهة ودلائل غباوة

فالى مَ نحن غارقون في بحور الجهل وتائهون في فيافي الخمول مع اننا لو قلبنا بطون التاريخ لرأينا ان ابناء المشرق كانوا مصدر العلم والمعرفة

الا ربحٌ يقيضها الله فتهب وتحمل التراب المتلبد على نيران ذكائنا حتى كاد يطفئها فتذكي القرائح وتثير الهمم لاسترجاع سابق فضلنا وماضي مجدنا فنرى بعضاً ممن قام بين ظهرانينا وابناء جلدتنا يرفعون اسم الشرق وبنيه ويحققون للغير في المعرض ان في الشرق رجالاً وانا لو تناوبت علينا السنون وتصرفت فينا عوامل النكبات لا نزال كما كنا قادرين ان نساوي اعظم الامم المتمدنة في سمو العقول

وعلو المدارك لا سيما والاحوال شارعة تؤاتينا لاسترجاع بضاعتنا في ظل سلطاننا الغازي ايده الله

فعسى ان ... املتنا لا يضيع سدى وان بوق الامل الذي ننفخ به في الشرق يسمع صداه في الغرب ان شاء الله

كاتبه

بيروت سنة ٩٢ اسعد عقيش

استفهام

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

نرجو درج هذا الاستفهام في مجلتكم الغراء ولكم الفضل

روت الاحاديث الملبنية (اليونانية) ان طيرًا في البلاد العربية اسمه فينقس من الطيور الكاسرة يعيش نحو ٥٠٠ سنة وانه قبل ان يفاجئه الموت يصنع لنفسه بيتًا من الاعواد العطرية يقيم فيه الى ان يموت ثم يطرأ على جثته العفن فتفسد حتى تدوس و يخرج من تدويدها دويبة صغيرة حتى اذا نمت وزادت تعود طيرًا كما كان قبلاً يحلق في كبد السماء وعلى الاثر يحمل عظام سالفه و بقاياه ويأتي بها الى مصر قاصدًا بلدة هيليوبولس و يستقر على صنم الشمس هناك و يضع عظام ابيه ثم ينكفيء راجعًا الى الديار العربية · وان الكهنة بمصر يعلمون من مجيئه انه قد مر خمسمئة سنة فيدونونها في اساطيرهم ثم بعد مضي خمسمئة سنة يموت ايضًا المتولد من رأس السالفة و يتولد من رأسه غيره و يعمل به كما عمل هو بابيه · فالخبر هذا قد اتى به بادىء بدء هيسيودون الشاعر الملبني (٨٢٠ قبل الميلاد) حيث يقول « ان الزاغ الجبلي (corona) يعيش تسعة اجيال وبايه الظبي اذ انه يعيش عمر اربعة زيغان و يعلو عليه الغراب اذ انه يعيش عمر ثلاثة ظباء ويفوق على الجميع الفينقس فانه يعمر عمر تسعة غربان » · ثم ان هيرودوتس (٤٨٢ قبل الميلاد) في تواريخه الجامعة لما جاء مصر روى ما سمع عن الفينقس قال : عليك بطائر آخر وهو الفينقس الذي لم يتح لي الحظ ان اراه الا مصورًا حيث ان وقوع مجيئه مصر يندر وذلك مرة كل ٥٠٠ سنة بعد

موت ابيو . وهاك هيئته على حسب رسم صورتو فان اجنحته بعضها ذهبية اللون وبعضها حمراء وتحاكي هيئة النسر منظرًا ومخبرًا . وقد روى عنه سكان هليو بولس احاديث لا تصدق وهي انه يحمل جثة ابيو ويرحل من ديار العرب قاصدًا مصر بعد ان يلف اباه ويحنطه بالمر ويأتي بو ويدفنه في هيكل اله الشمس . ويحمله هكذا : يعمل من المر بيضة تسع جثة ابيو ثم يروزها ليرى هل يستطيع ان يقوم بحملها فيجوفها اذ ذاك بمنقاره . ويضع فيها اباه ثم بعد ثلمة البيضة ويرقعها بالمر ويغدو ثقلها مع ثقل شلو ابيو كثقلها السابق قبل نقرها فيحملها ويأتي بها مصر قاصدًا هيكل اله الشمس هذا قولهم عن الفنقس » ثم ان اللاتين تداولوا هذه الاحاديث وتناقلوها بعضهم عن بعض

غير ان المسيحيين قد اتخذ مؤلفوهم هذا الحديث حديثًا صادقًا واستخدموه برهانًا وحجة دامغة للقيامة وعليه ان كليمس اسقف رومية (من ٩٢ — ١٠٠ بعد الميلاد) في رسالتو الى القرنثيين (عدد ٢٥) قال : هاك احدوثة عجيبة تصدر في الاماكن الشرقية فان بالعربية طائرًا يدعى فنقس وحيد يعيش ٥٠٠ سنة وعندما يرى نفسه على شفير الموت يصنع عشًا من اللبان والمر فيدخله فيموت حتى اذا اتمه ادية وعفن يتوالد منه دود يتغذى بندوة الجثة الى ان يجنح فيقوى ويشتد ازره ثم يرحل في رابعة النهار والناس شاخصة من الديار العربية حاملا ميت ابيه وعظامه فيه حتى يستقر ويضعها في هيكل الشمس في هليو بولس ومن ثم يرجع من حيث اتى . . . . فالله يظهر لنا قدرته وميثاقه بهذا الحيوان اذ ينشره من الموت فكم بالاحرى يقيم و ينشر من الموت الذين انتهجوا سبل التقى والعبادة »

وتناقل هذه الحكاية كثيرون من كتاب النصرانية و بنوا عليها العلالي والقصور وقد روى اورابلون الكاتب الاسكندري « ان المصريين اذا ارادوا ان يكتبوا ان النفس تلبث زمانًا طويلاً على الارض يرسمون هذا الحيوان . ثم اذا ارادوا ان رجلاً تغرب عن اوطانو زمانًا طويلاً رسموا هذا الحيوان واذا ارادوا ان يشيروا الى اقامة طويلة رسموا هذا الحيوان ايضًا هذا ما تناقلته ايدي المؤرخين في قديم الزمان عن هذا الحيوان ولربما ان كهنة المصريين ابتدعوا هذا الحديث الخرافي وهم ايضًا قد اقاموا هيكلاً لاكرامه في معبد اله الشمس

وعليه فهل اورد احد من العرب في الجاهلية مثل هذا الحديث ثم حديث الحيوان الذي يخلق من راس المقتول (صدى) اما هو رمز عن النفس او بقايا ذكراه (حلب) ١٠١٠

كذب المنجمون ولو صدقوا

حديث قام برهانه وثبتت صحته ودعا الى مجانبة اهل الغش والضلالة من يفقون الكتاب ولا يدرون ما فيه ويضربون الرمل وماجنى ذنباً ويشتغلون بالتدجيل ويجعلونه كذباً بئس الكسب المشؤوم والاكل المسموم وما ضرّ هؤلاء ان يشتغلوا بصنعة يأكلون منها حلالاً ويتركون هذه الاكاذيب والترهات وما هو الغيب الذي اطلعوا عليه ووصل كذابهم الى اظنة الصدفة التي تصادفهم بعد كل مرة والعبد لا يملك لنفسه منفعة ولا مضرة بمصداق قوله تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذيرٌ ونذيرٌ لقوم يعلمون)

واني لا عجب اكثر ما عجبت من قوم خيم على عقولهم عنكبوت الاوهام وعبثت اضغاث الاحلام وتخنفنط الصدق من مسيلمة الكذاب وفكوا الرموز وفتحوا الكنوز بدلائل من كتاب كبير الصفحات بضمونه على الارض نهو ناحية والقول كلام غير معقول لا يصدقه العقل ولا يأتي من طريق النقل وكيف يقول بصير عاقل او منتقى ناقل ان جاهلاً وقف من الخط ولا يميز الشكل من النقط ان يكتب كلمات مختلفة المعنى فاسدة المبنى لم يروها خبر ولا قام لها اثر ليطلع على الغيوب ويقدر على ان المؤلف بين القلوب وقد ورد (لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيزٌ حكيم) نعم لا ننكر خواص الاسماء ولا ننكر قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء لكن لكل مقام مقال كما ان لكل معضلة قاعدة في الاستعمال لا يحوم المنجم حولها ولا يزنون شكلها ولا رسمها وما هذا الا نغطية على عقول النساء الساذجات ومن اشبههن من الرجال وشباك يصطادون بها ارباب العقول الضعيفة فلو كانت نافعة لاغتنى بها من دونهم وماجلس في الطرقات واستوجب عقوبة المخالفات قاسم هلالي

مهندس بديوان الاشغال



الجزء الحادي عشر السنة الاولى

اول يوليو سنة ۱۸۹۳ (١٧ ذو الحجة سنة ١٣١٠) (٢٥ بؤونه سنة ١٦٠٩)

باب اشهر الحوادث واعظم الرجال



كيرلس الرابع

بطريرك الاقباط الارثوذكسيين العاشر بعد المئة

هو احد رجال الاصلاح الذين يفتخر تاريخ الامة القبطية بذكرهم نظرًا لما له من الايدي البيضاء في اصلاح الكنيسة القبطية في هذا القرن وقد آثرنا شرح ترجمة حاله افرادًا لفضله اسوة امثاله من اعاظم الرجال نقلاً عن اصدق المصادر وفي جملتها ما سمعناه من افواه جماعة ممن عاصروه ورأوا اعماله رأي العين

ولد هذا الرجل سنة ١٥٣٢ قبطية (١٨١٦ م) في قرية الصوامعة الشرقية من مديرية جرجا في مصر العليا وكان اسمه داود وكان والده مزارعاً معروفاً بين قومه بالسذاجة وسلامة النية وكان امياً لا يعرف القراءة ولكنه لم يغفل عن تربية ولديه وهما داود المتقدم ذكره ويوسف وهو اصغرهما . فعني في تعليمهما فتعلما القراءة والكتابة في اللغتين العربية والقبطية ومبادىء الحساب

فلما اكمل داود تعلمه على قدر ما سمحت به مدارس تلك الايام عكف على مساعدة والده في اعماله الزراعية فكان يقضي يومه بين المزارع والغياض في الاعمال الخشنة انما جسمه وتجددت عضلاته . اما اخوه فاختار الكتابة والحسابة فكان يقضي معظم يومه جالساً في الديوان عاملاً فكرته مجهداً عقله فنما ضعيفاً نحيفاً خلافاً لداود الذي لما بلغ اشده اختلط بالعربان المجاورين لقريته وتعلم منهم ركوب الخيل حتى صار يراكبهم ويسابقهم ويرافقهم في اسفارهم في الجبال والبراري والصحاري والف كثيرًا من طرق الصحراء حتى انه لم يحتج الى دليل يرشده الى طريق الدير عندما اراد الترهب

وقلما نعلم عن حالة صاحب الترجمة قبل انخراطه في سلك الرهبنة وانما علمنا انه لم يكن يهمه شيء من اعمال هذه الدنيا ولم يكترث بعمل من الاعمال العالمية كأن العناية حفظته لخدمة لا يقوم باعبائها الا نفر قليلون من بني الانسان .

فلما بلغ الثانية والعشرين من عمره برح بيت ابيه وفارق اصحابه وخلانه وقصد دير القديس انطونيوس في الجبل الشرقي لمجرد الترهب والانقطاع للعبادة وخدمة الله فوصله بعد مسيرة ثلاثة ايام وترهب على يد القس اثناسيوس القلوصني رئيس ذلك الدير ولم يلبث هناك حتى اشتهر بين رفقائه الرهبان بالذكاء والورع ودماثة الاخلاق والهمة والنشاط . فكان الرئيس اذا غادر الدير لغرض له في العزبة او مكان آخر يعهد بتدبير الدير لداود دون سواه لما رأى فيه من الاهلية وحسن

التدبير والغيرة على مصلحة الدير والمواظبة على مطالعة الكتب المفيدة حتى رأيناه يجمع اخوانه الرهبان في ساعات الفراغ ويقرأ عليهم ويشرح لهم ويحثهم على المطالعة . وبعد دخوله الدير بسنتين توفي القس اثناسيوس المقار اليه فجمع الرهبان كافة على اسناد منصب رئاسة الدير اليه فاستحضره الانبا بطرس بطريرك الاقباط اذ ذاك وثبته في ذلك المنصب ودعا له وباركه فانصرف القس داود الى مقر وظيفته في بوش بمديرية بني سويف وشرع في مباشرة المهام التي عهدت اليه بهمة ونشاط ودراية . وكان على كثرة تجواله لقضاء مهام الدير المتعددة في البلاد المختلفة لا يهمل شيئاً من لوازم الدير في الجبل في اوقاتها حتى لا يتخذ الرهبان تأخرها ذريعة لمغادرة الدير والتجول في البلاد من جهة الى اخرى مما يخالف عهود الرهبنة . اذ كان في اعتقاده ان الراهب لا يجب ان يبرح ديره الا اذا دعاه رئيسه الى ذلك فاذا خالف احد الرهبان هذا الامر كان يتظاهر القس داود بالاغضاء عنه ثم يعمل على اجباره بحسن السياسة على ايثار البقاء في الدير على الخروج منه وما زال ذلك اعتقاده في الرهبنة الى آخر ايامه حتى انه لما صار بطريركاً اصدر منشوراً يقضي بملازمة الرهبان الاديرة وان لا يخرجوا منها الا باذن منه ولم يبقِ في العزبة في بوش وغيرها الا الرهبان الذين لا غنى عنهم في الاعمال الزراعية ومتعلقاتها ومن اقواله من هذا القبيل « ان من يختار ثوب الرهبنة فقد مات عن الدنيا ودُفن في الدير فلا يخرج الميت من قبره . والرئيس الذي يؤذن للراهب في الخروج من ديره فقد اخرج ميتاً من قبره »

ومما يذكر من آثاره اثناء اقامته في بوش رئيساً للدير انه خصص مكاناً في العزبة جمع اليه ما كان هناك من الكتب وضم اليها بعضاً آخر من كتب الدير وكان يجمع الرهبان اليه في ساعات الفراغ ويستحثهم على المطالعة والمفاوضة في المواضيع الدينية والادبية والتاريخية . وانشأ مدرسة لتعليم شبان بوش الاقباط اللغة العربية بفروعها واللغة القبطية واعتنى هو في تعلم النحو والصرف فاكتسب منها ما يكفي لضبط القراءة والكتابة . وبالجملة فقد كان نوراً تنبعث منه اشعة الفضيلة والقدوة الحسنة في سائر مديرية بني سويف واجمع اهلها على اختلاف المذاهب على حبه واحترامه ومشاورته في مهامهم

وحدث في اثناء ذلك خلاف بين الانبا سلامة مطران الحبشة واكليروسهم وسببهُ ان المطران سلامة لما تولى اسقفية الحبشة رأى الشعب واكليروسهم هناك على ما هو مخالف لروح الكتاب واستغرب تساهل اسلافهِ المطارنة في هذا الامر وسكوتهم عنهُ فاراد ردعهم واهدائهم الى الطريق الحق فغضبوا واصروا على اعتقادهم بدعوى انهُ اعتقاد اجدادهم ولا يريدون الجنوح الى سواه ُ فلما يئس من ردعهم بالبراهين الدينية تهددهم بالسلطة الكنائسية فشكوهُ للبطريرك الانبا بطرس المتقدم ذكرهُ وكان مشهورًا بالحلم والوداعة والتقوى فكتب الى المطران سلامة يحرضهُ على معاملة الرعية بالرفق واللين وتجنب كل ما يؤول الى الشقاق فلما قرأ هذا الكتاب شقَّ عليهِ ما نسب اليهِ فيهِ من القسوة والحدة ولو تلميحًا فكتب الى البطريرك يبرئ نفسهُ من تلك التهم وقد شرح المسألة شرحًا وافيًا وقال في آخر الكتاب ان موضوع الخلاف ليس عاميًا حتى يتساهل فيهِ وطاعة الله اولى من طاعة الناس . فلما تناول البطريرك الكتاب سرَّ لثبات المطران واخلاصهِ وكان يرجوان تنفرج تلك الازمة على يدهِ ثم علم بتفاقم الخطب لتداخل بعض رجال الحكومة هناك ومقاومتهم لهُ فخاف العاقبة فلم ير بدًا من ملافاة الامر بالحزم فبعث الى القمص داود واسرَّ اليهِ حقيقة الواقع واظهر لهُ اسفهُ مما حصل وانهُ يخشى وقوع الانشقاق في الطائفة بسبب ذلك وانهُ لشيخوخته لا يستطيع الذهاب الى الحبشة بنفسهِ لتسوية الخلاف ولذلك فانهُ لم يرَ من يليق لهذه المهمة افضل منهُ وعهد اليهِ المسير بالنيابة عنهُ لما يعهد فيهِ من الدراية والحكمة والعزيمة . فاذعن القسيس لامرهِ ولكنهُ طلب اليهِ ان يصرح لكاهن آخر بمرافقتهِ ليكون لهُ عونًا في ذلك فاذن لهُ فاصطحب راهبًا اسمهُ القس برسوم الراهب (وهو الآن جناب الانبا يوأنس اسقف المنوفية) فسار القس داود اولاً الى بوش يتأهب للمسير وفي اليوم المعين سارا بكتاب من البطريرك للمطران وآخر الى القسوس وسائر الشعب الحبشي ولما ودعاهُ قال البطريرك للقس داود على مسمع من الناس « انك اذا اديت هذه المهمة على وجه مرضٍ تنال فيهِ نصيبًا صالحًا عند عودتك مكافأة لك » وقال آخرون انهُ وعدهُ بمنصب مطران عند رجوعهِ فسار على بركة الرحمن سنة ١٥٦٧ قبطية (١٨٥١ م) وقد احسن بمرافقة الانبا يوأنس لانهُ جدير بثقتهِ

وأمل لمثل ذلك المسعى الخيري

وفي يوم ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ الموافق (١٨٥٢ م) توفي البطريرك الى رحمة الله تعالى اثناء غياب القس داود بعد ان قام في كرسي الكرازة المرقسية نيف وأربعين عاماً وكان رجلاً كاملاً اسف الناس على فقده

وبعد وفاته بقليل جاء العاصمة اساقفة الوجه البحري والوجه القبلي لكي يتحدوا مع الشعب في انتخاب من يقوم مقامه وفي اجتماعهم الاول في دار البطريركية كان اسم القس داود في جملة المترشحين لذلك المنصب فاعترض بعضهم على انتخابه لانهم لا يعلمون من امر حياته شيئاً بدعوى انهم سمعوا بخروجه من بلاد الحبشة منذ مدة ولم يعودوا يعلمون ما كان من امره وألحوا في انتخاب سواه فارفضت تلك الجلسة ولم يتم الانتخاب . ومن غريب الاتفاق انه قبل حلول ميعاد الجلسة الثانية ورد من القس داود كتاب لبعض اصدقائه ينبئهم بوصوله حدود مصر وانه سيكون في القاهرة بعد قليل فسرّ محبوه بذلك فلما التأمت الجلسة صرحوا بكتابه وطلبوا انتخابه فطلب بعضهم انتخاب الانبا يوساب اسقف اخميم اذ ذاك ووافقه جماعة من الحضور فاعترض محبو القس داود على ذلك وارفضت الجلسة بلا نتيجة فاخذ حزب القس داود في كتابة تزكية باسمه وقع عليها كثير من ابناء الطائفة لكي يكون شاهداً لرضاء الجمهور عن انتخابه . وكان في جملة احزابه تادرس شلي وتادرس عريان وبرصوم واصف وحنا عبيد ويوسف نصرالله وحنين حنس واخوه اسطفانوس حنس ورفائيل الطوخي وحنا الشمس وبطرس نخله وابراهيم لطف الله ويوسف مفتاح وتادرس ميدم وجميعهم من اعيان الطائفة ووجهائها وكان من اشد الناس اهتماماً في ذلك حنا افندي جربس وابراهيم افندي خليل

وبقي النزاع مدة وصل في اثنائها القس داود الى القاهرة فسرت احزابه وتقاطروا للسلام عليه وكانت مدة غيابه هذه المرة نحو ثمانية عشر شهراً

فلما رات احزاب اسقف اخميم ميل الجمهور الى انتخاب القس داود عولوا على تنفيذ مآربهم بالحيلة بان يجتمعوا ذات ليلة ويسيموا الاسقف بطريركاً فاذا اصبح الناس رأوا السهم قد نفذ وادعى بعض الراغبين في ذلك انه تحصل على امر شفاهي من المغفور له عباس باشا الاول برسم الاسقف بطريركاً . ولكنهم لم

يستطيعوا كم نياطوهم فعلمت احزاب القس بذلك فجاءتهم في الوقت الذي عينوه لذلك واخرجوهم من الكنيسة بالقوة واقفلوا الابواب وسلموا المفتاح لرجل حبشي اسمه سلطان كان في البطريركية مع جماعة من ابناء وطنه وكان يدعي انه من عائلة النجاشي ملك الحبشة . ثم اجتمعوا وعرضوا للحكومة يشكون سوء تصرف بعض الاساقفة في هذا الامر والحوا في انتخاب القديس لرضاء الشعب عنه بشهادة التزكية التي كتبوها عنه فاحالت الحكومة تسوية الامر على الانبا كبريل ورئيس الارمن اذ ذاك فاخفق سعيهما لتمسك كل من الفريقين برأيه وغرضه . ومن الغريب ان تلك المقاومة لم يكن لها اساس حقيقي سوى حب السيادة ونفوذ الكلمة غير ان حزب القس داود كانوا على بينة مما دعوا اليه لانهم كانوا يعلمون صفات ذلك الرجل وانه لائق بذلك المنصب لما عرف به من شدة الميل الى اصلاح الطائفة وسعة اطلاعه وحسن درايته واما المشيعون لغيره فكانوا يظنون انه يكفي لرئيس الطائفة والقابض على ازمتها ان يكون حسن السيرة ورعاً تقياً وقد يلتمس لهم في ذلك بعض العذر لانهم لم يكونوا يعرفون للبطريرك عملاً غير الصلاة والفصل في بعض القضايا الجزئية كعقد الصلح بين رجل وامرأته او ما شاكل اما مصلحة الامة العمومية فلم يكونوا يفقهون لها معنى .

ولما خابت مساعيهم جعلوا يختلقون على القس داود اقاويل واراجيف لا اصل لها فادعى عليه بعضهم انه تزوج في الحبشة وله ولدان في قيد الحياة وكان المختلق لهذه الاكذوبة قسيساً حبشياً جاء مصر لضغينة بينه وبين القس داود بسبب ما ذهب القس الى الحبشة من اجله وكان في عزم ذلك الحبشي ان يشي به الى البطريرك فلما رأى البطريرك قد توفي والشعب قائماً على القس داود اختلق عليه تلك الاكذوبة واتهمه بالمداخلة في امور السياسة في الحبشة بما يشبه خيانة الحكومة المصرية ولكن حبل الكذب قصير فما لبثت هذه التقولات زمناً حتى ظهر فسادها ظهور الشمس لذي عينين وكان عباس باشا قد تغير عليه بسبب ما نسب اليه من المداخلات السياسية فلما تحقق الخبر اعتقد صدق طويته

وما زال الخلاف والنزاع قائماً بهذا الشان نحو عشرة اشهر انتهت بواسطة رئيس الارمن بتعيين القس داود مطراناً على مصر ثم اذا اتضح من اعماله انه

لائق بالبطريركية تقلدها فنصب مطرانًا في ١٠ برمودة سنة ١٥٦٩ قبطية (١٨٥٣ م) واخذ من ذلك الحين في مباشرة اعماله وادارة البطركخانة واظهر من الاهلية والهمة والغيرة ما استدر الثناء عليه من القاصي والداني . واول امر باشره بعد رسمه مطرانًا بناء مدرسة للاقباط بجوار البطركخانة وهي اوّل مدرسة اقيمت لهذه الطائفة فاشترى عدة منازل واقام على انقاضها مدرسة ذاع صيتها وفاح اريجها في سائر الديار المصرية وغيرها

وكان بناء هذه المدرسة ونجاحها من موجبات اجماع الجميع على محبته حتى اقتبوه بطريركًا في ليلة الاحد ١١ بوّونه سنة ١٥٧٠ قبطية الموافق (١٨٥٤ م) بحضور جميع الاساقفة ما عدا اسقفي اخميم وابي تيج ولقبوه انبا كيرلس الرابع

فلما اصبح مستقلاً في عمله شرع في اخراج مقاصده من حيز الفكر الى الفعل فاتم بناء المدرسة واحضر لها الاساتذة الماهرين وكان يقبل التلامذة فيها ويصرف لهم الكتب والادوات المدرسية مجانًا وكان يباشر التعليم بنفسه فلا يمرّ عليه يوم لا يتفقد فيه حالتها مرة او غير مرة ولزيادة الاعتناء بها اتخذ له محلاً فيها فاذا اتى اليه زائر من الاجانب او غيره من ذوي المعرفة باللغات والعلوم وطرق التعليم كلفه بزيارة المكاتب وفحص التلامذة وابداء ملاحظته فيما يعود بتحسين حالتها وتسهيل طرق التعليم فيها . وكثيرًا ما كان يطيل الاقامة في المكتب مصغيًا لما يلقيه الاستاذ على الطلبة ثم يقول مخاطبًا التلامذة قبل خروجه « قد استفدت معكم اليوم فائدة لم اكن اعرفها قبلاً » وكان احيانًا يلقي على التلامذة عبارات ادبية وتاريخية مما يناسب سنهم وادراكهم وقد جعل تعليم اللغة القبطية جبريًا وكان يلاحظ سير دروسها بنفسه

ولما رتب مدرسة الازبكية وارتاح باله من جهتها ورأى ان بعض الطلبة يأتون اليها من جهات بعيدة مثل حارة السقايين اشفق عليهم وانشأ مدرسة وكنيسة هناك ولم يكن بها من قبل كنيسة واناط المرحوم حنا افندي التسيس بملاحظتها وتقدم ما يلزم لها من المعدات والادوات وكان حنا افندي هذا من افاضل القوم المشهورين . ولم يكتف جناب البطريرك بذلك بل كان يزورها ويفحص حالتها مرة في كل اسبوعين على الاقل هذا فضلاً عن تكليفه

معلمها الاول بنعر بنو عن حالها وكيفية سيرها اول فاول

ولكن مع كل التسهيلات التي اجراها غبطته رحمة الله وعدم تكليف الوالدين شيئًا لم يزد عدد التلامذة في ايامه بمدرسة الازبكية عن مئة وخمسون تلميذًا مع انه لم يكن بمصر واسطة لتعليم ابناء الامة القبطية غير هذه المدرسة وكثيرًا ما كان يحمل الوالدين على احضار اولادهم الى المدرسة جبرًا ولكنهم مع ذلك كانوا يفضلون وجود اولادهم بكتب العرفان القذرة الرديئة الهواء وكان معظم هؤلاء التلامذة من ابناء وجهاء القوم ومعتبريهم ولذا كان يعاملهم احسن معاملة ويحث الاساتذة على تربيتهم التربية الحسنة وبذل الجهد في ترويع عقولهم وتثقيف اذهانهم بالنصائح الادبية والروايات الحكمية كما كان يفعل هو بنفسه في أكثر الاحيان

وعهد الى احد قسوس كنيسة الازبكية المدعو القس تكلا المشهود له باتقان فن الموسيقى والالحان الكنائسية ان ينتخب من بين تلامذة المدرسة الشامسة عددًا معلومًا من ذوي الاصوات الحسنة واناطه بتعليمهم التراتيل الكنائسية بطريقة مضبوطة وجعل لهم ملابس مخصوصة على طرز جديد لطيف يلبسونها اثناء وجودهم في الكنيسة في ايام الاحاد والاعياد والمواسم فنتج من هذا التحسين الظاهري فائدتان احداها إظهار مزايا المدارس وترغيب الاهالي في وضع اولادهم بها والثانية مواظبتهم على الحضور الى الكنيسة وهم منشرحو الصدر من سماع التراتيل . وهاك ما قاله ابراهيم افندي الطبيب في كتابه المسمى « مصباح الساري ونزهة القاري » المطبوع في بيروت سنة ١٢٨٢ ه اثناء كلامه عن مصر ومدارسها قال

« وفي حارة الاقباط مدرسة عظيمة يعلمون فيها اللسان القبطي القديم والتركي والايطالياني والفرنساوي والانكليزي والعربي وهم يقبلون فيها من جميع الطوائف وينفقون على التلامذة من مال المدرسة وهذه بناها البطريرك كيرلس القبطي وانفق عليها نحو ستمئة الف قرش وكل هذا بخلاف ما نعهده في بلادنا من الاكليروس ووجه الشعب »

ولم يمض زمن حتى خرج من هاتين المدرستين عدة تلامذة وانفق حدوث مصلحة السكة الحديدية بالديار المصرية فانتظموا في خدمتها وانخرطوا في جميع

محطاتها وكانوا يرذّدون اعمالهم باللغة الانكليزية وبعضهم استخدم في البنوكة وعند التجار لمعرفتهم اللغة الطليانية وقد عرف جناب اسماعيل باشا الخديوي الاسبق مقدار هذه الخدمة الوطنية فاستدعى اليه الانبا ديمتريوس البطريرك خلف المحمد الذكر الانبا كيرلس واظهر ارتياحه للخدمة الوطنية التي قامت بها المدارس القبطية لان معظم مستخدمي السكة الحديد المصرية من تلامذتها وانعم عليه بألف وخمسمئة فدان ليتساعد بايراداتها على توسيع نطاق المدارس ورتب لها ايضاً مئتي جنيه مصري سنوياً ولكن هذه منعت عنها فيما بعد بسبب عسر المالية واضطرار الحكومة للاقتصاد

ووجه نظره الى تحسين حالة ادارة البطركخانة فانشأ لها ديواناً وعين له المستخدمين الاكفاء وقسم الادارة الى قسمين قسم يختص بالاوقاف والمكاتبات الرسمية وغيرها وقسم يختص بالاعمال الدينية والشرعية وخص ابراهيم افندي خليل بالقسم الاول واحد القسوس ومطران مصر بالقسم الثاني وكلاهما تحت ملاحظته الشخصية . ورأى ان اعمال الاوقاف جارية بطريقة غير منتظمة وكان بعضها ضائعاً ولم يُعرَف الفاقد منها والموجود فأمر بانشاء سجل لحصر جميع الاوقاف بما من واقع الحجج واستخدم لهذا العمل عمالاً اشتغلوا زمناً حتى اتموهُ على الوجه الذي كان يريدهُ وانشأ ايضاً مطبعة وبعث باستحضار ادواتها من اوروبا على يد المرحوم الخواجه رفله عبيد السوري الارثوذكسي وقبل احضارها اختار من ابناء الامة القبطية اربعة من شبانها النجباء . ورتب لهم رواتب شهرية وملابس سنوية تصرف لهم في اوقاتها من الدار البطركية وتحصل على امر من المرحوم سعيد باشا بقبولهم في مطبعة بولاق الاميرية ليتعلموا صناعة الطباعة اذ لم يكن في القطر المصري اذ ذاك مطبعة غيرها

ومما يدلك على شدة احترامه للعلم ورغبته في نشره وتنشيطه انه لما انبأهُ الخواجه رفله عبيد المتقدم ذكرهُ بوصول ادوات المطبعة الى الاسكندرية وكان البطريرك في الدير بالجبل بعث الى وكيل البطركخانة بمصر يأمره باستقبال تلك الادوات عند وصولها القاهرة باحتفال رسمي يقوم فيه الشمامسة بالملابس الرسمية المختصة بالخدمة الكنائسية يرتلون التراتيل الروحية وكان لاستقبال تلك المطبعة احتفال تحدث الناس فيه زمناً لغرابته وغيران المقادير لم تسمح له بالاجل حتى

بتم المعدات وباشر العمل بنفسهِ فتولى امرها بعدهُ المرحوم رزق بك جرجس وطبع فيها عدة كتب دينية وادبية والمطبعة الآن تحت يد اخيهِ الخواجه ابراهيم جرجس وتعرف بمطبعة الوطن

وفي آخر شهر مسرى سنة ١٥٧٢ قبطية (١٨٥٦م) بعثهُ المغفور لهُ سعيد باشا بهمة سياسية الى الحبشة فذهب وقلبهُ عالق بالمدارس فاوصى المرحوم المعلم برسوم واصف بادارة البطركخانة والمدارس. وطالت مدة غيابهِ في الحبشة فقلق الناس خوفاً عليهِ ثم سمعوا انهُ قام من جهة الخرطوم مع اثنين من خاصة ثيودور ملك الحبشة فاطمأن الناس واستبشروا بنجاح مهمتهِ وفي ٧ امشير سنة ١٥٧٤ وصل القاهرة فاستقبلوهُ باحتفال يليق بهِ حتى غصت الشوارع بالناس ولا سيما جهات الازبكية وما وصل البطركخانة حتى تهافت الناس عليهِ يقبلون يديهِ ويتبركون بهِ واعدوا لهُ زينة فاخرة في المدرسة والبطركخانة. ولما انتهت الزينة عاد هو الى مباشرة اعمالهِ في بناء الكنيسة واحتفل بتأسيسها احتفالاً عظيماً جداً حضرهُ جميع رؤساء الطوائف واعيان البلاد ورجال الحكومة يوم الخميس ٢٩ برموده سنة ١٥٧٥ (٢٣ افريل لا ابريل سنة ١٨٥٩)

وفي ليلة الاربعاء ٢٢ طوبه سنة ١٥٧٧ قبطية (١٨٦١م) توفي الى رحمة الله وحزن لفقدهِ كل من عرفهُ او سمع عنهُ ولا سيما الطائفة القبطية لانها خسرت بفقدهِ خسارة جسيمة جداً وكانت مدة تولّيهِ البطريركية سبع سنوات

وكان البطريرك كرلس الرابع طويل القامة ممتلئ الجسم قوي البنية صحيح الاعضاء اسمر اللون حاد النظر والذهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية اسودها طلق الوجه واللسان سريع الاقدام على ما ينويهِ كثير الامثال في حديثهِ فقلما يأتي بعبارة لا يسندها الى مثل وكان عالي الهمة وديعاً فطناً سديد الرأي قريب الرضا سريع العفو لا يشرب الخمر كثير الاحترام للرهبنة محافظاً على اصولها وكان شديد الكره لمقابلة السوء وجمع المال لا يحب الاستبداد في رأيهِ ولو كان مصيباً وكان كلفاً بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء ومكالمتهم ومناظرتهم ولم يكن يستنكف من الاقرار بغلطهِ اذا اتضح لهُ. ومن افضل ما اتصف بهِ رحمهُ الله حبهُ لرعيتهِ وسهرهُ على مصلحتهم ورفع كل ما يوجب الشقاق بينهم والسعي في كل ما فيهِ

تهذيب الشبان بانشاء المدارس وتسهيل طرق التعليم

ومن اعمالهِ الحميدة ان القسس كانوا قبل زمانهِ يعيشون على حسنات الطائفة وصدقاتها فرتب هو لهم رواتب شهرية تصرف لهم من البطركخانة . ورغبة في رفعة منزلتهم وحفظ مقاماتهم اصدر منشورًا يقضي بان الراتب لا يصرف الا لمن يعرف خدمة القداس في اللغة القبطية معرفة جيدة

وعند عودتهِ من الحبشة رتب للقسس ميقاتًا يجتمعون فيهِ كل سبت في المدرسة يتباحثون في امور دينية وكان هو يحضر معهم يناقشهم ويشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم وما يكسبهم مقامًا رفيعًا بين الناس وكان في نيتهِ ان يعقب ذلك بتأسيس مدرسة اكليريكية فلم تمهلهُ منيتهُ وفتح في آخر ايامهِ مدارس للبنات ولكنها لم تدم

وكان كثير التيقظ لاصلاح ما يقع من النفور بين اولادهِ او بين الرجال ونسائهم على انهُ كان يكره مواجهة النساء حتى انهُ لم يكن يقابل والدتهُ الا نادرًا

وكانت العادة في الزيجة ان يعقد القسيس بين الخاطب والخطيبة عقدًا يدعونهُ « عقد تمليك » قبل الاكليل بمدة غير ان هذا العقد لا يقبل الحل او هو بمنزلة عقد الزيجة فاصدر البطريرك منشورًا بجعل ذلك العقد « عقد صلح وسلام » حتى اذا عرض لاحد الطرفين ما يمنع اتمام الاقتران يكون حلهُ وهذا لا يزال جاريًا في الطائفة الى الآن . وكانت العادة ان يزوّجوا البنات صغيرات جدًّا فامر ان لا يتم عقد الزواج على فتاة الّا اذا تجاوزت الاربع عشرة سنة من العمر وجعل الاعتراف قبل الاكليل فرضًا واجبًا على العروسين حتى لا يحصل ما يكرههُ احد الفريقين بسبب ما كان من التحجب بين الرجال والنساء في تلك الايام وامر ان لا يعقد القسس اكليلًا الّا بعد استئذان البطركخانة حتى يسجّل ذلك في دفاترها والبطركخانه لا تؤذن بالاكليل الّا بعد الاطلاع على محضر الاتفاق بحيث لا يكون ما يمنع الاقتران

ولشدة رغبتهِ في تعليم ابناء طائفتهِ ورفعة منزلتهم استأذن المغفور لهُ سعيد باشا ان يدخل تلامذة مدرستهِ في مدرسة الطب وغيرها من المدارس الاميرية بصفة رسمية

وخلاصة القول انهُ كان قدوة البطاركة وعنوان رجال الفضل ولو امهلتهُ المنية بضع سنين اخرى لجاء من الاعمال العظيمة باضعاف ما جاءهُ ولكنها عاجلتهُ فلم يتولَّ كرسي الكرازة المرقصية الا سبع سنين عمل اثناءها اعمالاً لا يعملها غيرهُ باضعاف تلك المدة

باب المقالات

تاريخ الكتابة واصل الخطوط

قضى الانسان قروناً عديدة لا يعرف الكتابة لاستغنائهِ عنها بما كان فيهِ من بساطة العيش وقلة الاحتياج الى المخابرات او تدوين الحوادث ولكنهُ ما لبث ان خطا خطوة نحو المدنية حتى شعر باحتياجه اليها · وغرضنا من هذه المقالة تبيان كيفية توصل الانسان الى الكتابة بحسب سيرهِ الطبيعي ومن هم مخترعو الكتابة الهجائية وكيف انتشرت وتفرعت ولذلك فاننا نقسم الكلام في هذا الموضوع الى الى ثلاثة اقسام (١) كيف اهتدى الانسان الى الكتابة (٢) استنباط الحروف الهجائية (٣) كيف انتشرت الخطوط وتفرعت (٤) تاريخ الخط العربي خاصة

(١) كيف اهتدى الانسان الى الكتابة

كان الانسان بادىء امرهِ بسيط المعيشة قليل الاسفار نادر الاختلاط لا يهمهُ من الحياة الاَّ ان يسد جوعهُ ويروي عطشهُ قلما يحنُّ الى معرفة احاديث اسلافهِ او جيرانهِ ولذلك كان في غنى عن تدوين حوادثهِ فلم يشعر بحاجة الى الكتابة ثم قضت عليهِ طبيعة العمران بالانتقال طلباً للرزق وتنازعاً في البقاء فاتسعت دائرة احتياجاتهِ واضطرَّ لتدوين افكارهِ واعمالهِ اما لحفظها ذكراً حسناً او لنقلها الى سواهُ او ما ينطوي تحت ذلك

وقد اختلفت الشعوب في الطريقة التي صوروا بها افكارهم ودوّنوا بها اخبارهم فمنهم من رسم افكاره رسماً حقيقيا فعبر عن الانسان برسم الانسان وعن الجبل برسم الجبل وعن الطير برسم الطير وهي الكتابة الصورية ومنهم من عبر عن افكاره بطريقة اخرى رمزية او اصطلاحية ونسميها كتابة رمزية

والكتابة الصورية اقرب الى البساطة وهي التي كانت اكثر استعمالاً وشيوعاً في الازمنة القديمة واشهرها الكتابة الهيروغليفية او القلم المصري القديم ولا تزال آثارها باقية الى هذه الغاية منقوشة على الاطلال المصرية . ومنها ايضا الكتابة الحثية وكانت تكتب بها امة الحثيين في بلاد الشام قديماً وقد دثرت الا يسيرًا منها . ثم الكتابة الصينية ولا تزال مستعملة في بلاد الصين وقد تغيرت اشكالها حتى لم يعد فيها شبه الرسوم الا قليلاً ومنها ايضاً الكتابة الاشورية وقد تحولت الى القلم المسماري او الاسفيني وسياتي ذكره . وهناك امم اخرى قد اتخذت الكتابة الصورية في الازمنة الخالية ومنها ما لا يزال مستعملاً الى امد قريب في بعض جزر المحيط واواسط اوستراليا واميركا وغيرها

ومثال الكتابة الصورية انك اذا اردت تدوين واقعة حرب مثلاً فترسم الرجال في حالة الدفاع والهجوم وعليهم السلاح وقد سقط بعضهم وقتل بعضهم . او اذا جئت ان تعبر عن شراء بستان فترسم ارضاً ذات اغراس والى جانبها صوَر النقود او ما اشبه ذلك وهذا ما جرى عليه اكثر الامم التي تمدنت قديماً في مصر واشور وغيرهما

والكتابة الرمزية تقوم باستخدام بعض الادوات او الاجسام للدلالة على شيء مرتبط بها واشهر هذا النوع من الكتابة ما كان يستعمله اهل بيرو من الامراس المختلفة الالوان معقودة عقداً تختلف وضعاً وشكلاً و يقصدون بها معاني مختلفة وهي تشبه ما يستخدمه بعض الخبازين في تدوين عدد الخبزات فانهم في بعض المدن الشرقية يستخدمون امراساً يعقدونها عقداً تختلف عدداً باختلاف عدد الخبزات او ان يأتوا بعصا يحزّون فيها اثلاماً يراد بها مثل ذلك

ومن هذا القبيل استعمال الحصى بمنزلة الكتابة فاذا ارادوا تعليم احد الصلاة الربانية مثلاً كانوا يأتون اليه بحصى تساوي عدد الفاظ الصلاة عداً ويسمون كل حصاة

بلفظة كأن تكون الواحدة اسمها « ابانا » والثانية « الذي » والثالثة « في » والرابعة « السموات » الى آخرها . ولكل حصاة شكل مخصوص فاذا اراد احد قراءة هذه الصلاة الربانية جاء بالحصاة المشار اليها ورتبها الواحدة بجانب الاخرى وجعل يقرأها حسب ترتيبها كأنه يقرأ تلك الصلاة مكتوبة باحرف ابجدية

والخلاصة ان الكتابة الطبيعية انما وضعها الانسان على مقتضى ماقادته اليه الفطرة . والكتابة الصورية اقرب انواعها الى فهم الانسان ولذلك فانها كانت اكثر انتشارًا واوسع تعبيرًا وارقى انواعها الكتابة الهيروغليفية او القلم المصري القديم

فاذا طفت الديار المصرية ولا سيما الصعيد فانك تشاهد هناك من آثار الهياكل القديمة والتماثيل والمسلات والمدافن والاهرام ما لا يحصى عدهُ وكلها مغطاة بالكتابة الهيروغليفية وهي صور اناس وحيوانات من الطيور وزحافات ودواب وصور جبال وادوات وابنية وغير ذلك منقوشة على جدران تلك الابنية ومسلاتها وتماثيلها تدل على معانٍ تختلف تركيبًا وبساطة باختلاف ازمنة كتابتها . ولم يهتدِ احد الى حل هذه الكتابة وفهم المراد منها حتى كانت الحملة الفرنساوية في اوائل هذا القرن وفي جملتها جماعة من العلماء الفرنساويين فاهتدى احدهم واسمهُ شامبليون الى حل بعض رموزها بواسطة حجر وجدوه في مدينة رشيد عليه كتابة بالهيروغليف وترجمتها بالحرف الديموطيقي والحرف اليوناني القديم وجاء بعده جماعة من العلماء اجهدوا الفكرة في اتمام قراءتها بمساعدة القبطية لانها بقيتها فاتموها وكتبوا فيها الكتب المختلفة وعرفوا نحوها صرفها

وقد استدلوا من درسها ان المصريين القدماء استخدموا تلك الكتابة قبل التاريخ المسيحي بآلاف من السنين وكانوا في اول الامر يستعملون الصور للدلالة على مصوراتها كأن يقصدوا بصورة الانسان الانسان وبصورة الطير الطير وبصورة الجبل الجبل وما شاكل وهي ابسط انواع الكتابة ثم تدرجوا من ذلك الى استخدام تلك الصور او ما يقرب منها الدلالة على معانٍ رمزية كاستخدام صورة الاسد مثلاً للدلالة على الشجاعة وصورة الحية للدلالة على الاذى والرجل المسلح للدلالة على العدو وقس عليه وما زالوا يتفننون بكتابتهم على هذه الصورة حتى صارت تقوم لديهم بكل ما يحتاجون اليه من انواع التعبير

ولكنهم لما اتسعت عمارتهم وكثرت معانيهم انتقلوا من الكتابة الصورية الى الكتابة المقطعية اي بدلاً من ان تقوم صورة الرجل المسلح مثلاً مقام لفظ (العدو) عندنا استعملوها لاوّل مقاطع منه (عا او عد) وصورة الطير للدلالة على (طا او طي) وقس عليه فاتسعت ادوات التعبير بذلك وهان عليهم الامر ولكنهم مع ذلك كانوا اذا استخدموا تلك الصور للمقاطع يجعلون في آخر اللفظ المراد صورةً ذاتيةً تدل على المعنى فاذا ارادوا كتابة كلمة عدو مثلاً وضعوا الصور التي تدل على مقاطعهِ وجعلوا في الآخر صورة رجل مسلح وربما ارادوا بذلك زيادة الايضاح وتجنب الالتباس . ثم اصطلحوا على بعض الرسوم للدلالة على معان كلية ليس لها صورة في الخارج وهذا مثالها فالصورة الاولى تدل على السلب او الفقدان والثانية صورة نجمة معلقة وتدل على الظلام والثالثة ذراع مبسوطة قابضة كفها على عصا وتدل على القوة والرابعة ساقان ماشيتان للدلالة على الحركة من اي نوع والخامسة رجل يدهُ في فيهِ تستعمل للدلالة على كل افعال الفم كالتكلم والطعام والشراب والسادسة صورة طير صغير يرمزون بهِ عن الشر وقس على ذلك الدلالات الرمزية

على انهم من الجهة الثانية استثقلوا رسم سائر الصور الهيروغليفية رسماً دقيقاً حتى تشبه مصوراتها تماماً فجعلوا يختصرون في رسمها فبدلاً من ان يرسموا صورة الاسد واضحة بكل مقاطيع الاسد وعينهِ وذيلهِ وشعره ومخالبهِ رسموها بالاختصار والسرعة حتى تشبهه وهكذا في سائر الرسوم فتولد عندهم نوع آخر من الكتابة دعوها الكتابة الهيراتية او الديموطيقية كانوا يستخدمونها الى آخر ايامهم . وهي خطوة كبيرة نحو الكتابة الهجائية ولكنهم لم يتوفقوا الى جعلها هجائية لان التقادير تركت ذلك لامة اخرى كموت بهِ الفخر وقلدت العالم فضلاً لا يمحوهُ كرور الايام نعني امة الفينيقيين التي كانت تسكن سواحل سوريا قبل الميلاد باكثر من الفي سنة.

(٢) استنباط الحروف الهجائية

الفينيقيون امة قديمة عاصرت دول الفراعنة وكانوا يسكنون سواحل سوريا وهم اول من ملك البحار واخترق الامصار للاتجار والاستعمار قبل الميلاد

بقرن وهم اول من استخدم الحروف الهجائية وقد علموها لمن عاصرهم من الامم كاليونان والكلدان وغيرهم . ومن هؤلاء انتشرت في الامم الاخرى

اما توصلهم الى تلك الحروف فكان بالاقتداء والتحسين وليس بالاختراع وللعلماء في اصل الحروف الهجائية اقوال أقربها الى الصواب ان الفينيقيين لما كانوا يردون الديار المصرية للتجارة اضطروا في معاملة المصريين وغيرهم لاستخدام الكتابة فاخذوا بعض الصور الهيروغليفية كما كانت تستعمل عند المصريين او الكتابة الهيراتية المتخلفة عنها وتصرفوا في رسمها لسهولة استعمالها فاجتمع عندهم منها على توالي الايام ٢٢ شكلاً استخدموا كلاً منها لمقطع او حرف من حروف لغتهم وسموه باسم يدل على شكله فكان رسم الثور مثلاً عند المصريين مستعملاً للدلالة على الثور وهو في لغتهم (آلو) فرسموا شكلاً يشبه راسه وجعلوه للدلالة على مقطع الالف وسموه « أليف » ومعناها في الفينيقية (ثور) واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت ويدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيث » اي بيت واتخذوا رسماً آخر يشبه راس الجمل واستخدموه لحرف الجيم وسموه (جيمل) اي جمل وهكذا في الشين المسننة فان في الهيروغليف يقابلها هذه الصورة وهي رسم اشجار مغروسة وهكذا في سائر الحروف حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم وتكونت الابجدية الفينيقية وكل ذلك قبل القرن الخامس عشر ق م . واذا تاملت اشكال الحروف الفينيقية في الجدول فترى ان اشكالها تشبه ما تدل عليه وربما ظهر لك اختلاف في بعضها ولكنك عند التامل تراها تعود الى الاصل فان الدالت مثلاً يظهر لك انها لا تشبه باب البيت ولكنها تشبه باب الخيمة والبود تشبه اليد بالاصابع فكأن اصلها والطاء فانها تشبه الحية اذا التفت وهذه صورتها في الهيروغليف والميم تشبه تموج المياه المتكاثرة والنون تشبه السمكة المستطيلة اذا تلوت والعين كثيرة الشبه بالعين الحقيقية والفاء كانت تشبه فماً مفتوحاً والصاد تشبه الصنارة التي يصطادون بها السمك والقاف لا يظهر انها تشبه الاذن ولكن اصلها هكذا والشين اسنانها واضحة والتاء علامة لا تزال تستعمل في اماكن كثيرة من بلاد المشرق تدمغ بها الخيول وغيرها

(٣) كيف انتشرت الخطوط وتفرعت

الخطوط العربية

تقسم الخطوط المتداولة في العالم المتمدن الآن الى قسمين كبيرين غربي وشرقي ويدخل تحت الغربي خطوط لغات اوروبا وفيها الشكل اليوناني والروماني والسلافي (المسكوبي) والغوطي (الالماني) وما تفرع عنها من خطوط سائر لغات اوربا وترجع كلها الى اصل واحد هو الخط اليوناني القديم ومنه تولد الخط الروماني والسلافي والغوطي ومن هذه تفرعت خطوط لغات اوروبا وذلك ثابت لا يحتاج الى اثبات فبقي علينا معرفة اصل الخط اليوناني القديم

قد وجد الباحثون انه تولد من الخط الفينيقي المتقدم ذكره والادلة على ذلك كثيرة

(١) جاء في كتب التاريخ القديم وذكر في خرافات اليونان ان اليونانيين تعلموا الكتابة من شرذمة فينيقية جاءت بلادهم في القرن السادس عشر قبل الميلاد تحت قيادة رجل اسمه قدمس (قدموس وهو اسم فينيقي ومعناه الاول) . وهذا نص صريح لاتخاذ اليونان الكتابة عن الفينيقيين

(٢) ان الخط اليوناني القديم يشبه الخط الفينيقي من حيث شكله ولفظه وترى في جدول اسماء الحروف حروفاً يونانية قديمة مأخوذة عن آثار جزيرة صانتورين (ثيرا القديمة) وهي اقدم الخطوط اليونانية المعروفة ولا يخفى ذلك ما بينها وبين الحروف الفينيقية من المشابهة حتى لا يبقى لدينا شك في انها مأخوذة عنها

(٣) ان ترتيب الحروف اليونانية يدل دلالة صريحة على اصلها الفينيقي فان الحرف الاوّل فيها يقابل الالف والثاني الباء والثالث الجيم والرابع الدال والخامس الهاء وهكذا كما في الحروف الفينيقية الاَّ في البعض منها وهذا طرأ عليها بعد استعمالها وانتقالها على اقلام الكتاب

(٤) ان اسماء الحروف اليونانية لا تزال برهاناً جلياً على اصلها الفينيقي فان الحرف الاوّل الذي يقابل الالف اسمه الفا والذي يقابل الباء بيتا او فيتا وهكذا كما ترى في جدول اسماء الحروف امامك

(جدول اسماء الحروف)

الحروف الفينيقية	الحروف اليونانية القديمة	اسماء الحروف بالفينيقية	معناها	اسماؤها بالعبرية	اسماؤها باليونانية	اسماؤها بالقبطية
≮	A	الف	ثور	الف	الفا	ألفا
9	B	بيت	بيت	باء	فيتا	ويضا
٨	ᐸ	جيمل	جمل	جيم	جملا	غاما
◁	Δ	دالث	باب	دال	دلتا	دلفا
∃	E	ه	?	هاء	اي	اي
Y	Y	واو	دبوس	واو	أو	أو
I	I	زين	سلاح	زاي	?	?
⊟	H	حيث	حيط	حاء	ايطا	ايضا
⊕	⊕	طيط	حية	طاء	تيطا	تيضا
Z	ϛ	يود	يد	ياء	يوطا	يوضا
ϒ	K	كاف	كف	كاف	كبا	كابا
L	L	لامذ	منساس	لام	لامذا	لولا
M	M	ميم	مياه	ميم	مي	مي
ᛋ	N	نون	سمك	نون	ني	ني
ǂ	ξ	سامك	دعامة	سين	سيغما	سيما
O	⊙	عين	عين	عين	?	?
7	ϲ	فا	فم	فاء	في	في
ᛉ	Ϻ	صادي	سنارة	صاد	زيتا	زيضا
Φ	Φ	قوف	اذن	ق ف	—	—
◁	P	ريش	راس	راء	رو	رو
W	M	شين	سن	شين	—	شاي
+	T	تاو	علامة	تاء	تاو	ضاو

(٥) ان بعض الكتابة اليونانية القديمة كانت تكتب من اليمين الى اليسار كالكتابة الفينيقية وسائر اللغات الشرقية من ذلك كتابة جزيرة سانتورين المتقدم ذكرها

والخلاصة ان الحروف التي تكتب بها لغات اوروبا تنقسم الى اربعة اقسام وهي الحرف الروماني وتكتب به اللغة الفرنساوية والايطالية والاسبانولية والانكليزية وغيرها والحرف القوطي وتكتب به اللغات الجرمانية كالنمساوي والالماني . والحرف اليوناني وتكتب به اللغة اليونانية القديمة والحديثة واللغة القبطية والحرف السلافي وتكتب به لغات روسيا وما جاورها . وجميع هذه الحروف ترجع الى اصل واحد هو الحرف اليوناني القديم المأخوذ عن الفينيقي كما تقدم واما اللغة اللاتينية فحرفها اليوناني اقرب الى الاصل اليوناني القديم من الحرف الذي تكتب به اللغة اليونانية الآن

(البقية تأتي)

الكتابة والانشاء

لجناب نقولا افندي يوسف فياض

(تابع لما قبله)

(٣) والايضاحات هي الحقائق الاصح لتحديد الموضوع ووصفه لتقريبه من الافهام وايضاحه بلا ابهام وهي انواع شتى يدخل اكثرها في علمي المعاني والمنطق . فمنها الحد وهو مثل قولنا « الدائرة خط جميع اجزائه على بعد واحد من نقطة داخلية هي المركز » فانه خرج بهذا القول المثلث والمربع والمضلع وسائر الاشكال الهندسية وصحت هذه تماماً ومثله لو وُضع لنا وصف رجل او آلة او غير ذلك فحاجتنا في الاوّل اليه . ومنها الجنس والنوع والمذهب والمذهب والتشبيه والمضادة الى آخر ذلك مما يستدعيه المقام ويحتاج اليه الكلام

(٤) والعواطف هي اثبات الاجدر بالاقناع والتصور الاقدر على التأثير . والاقناع يكون بالاخلاق والمذاهب الحقيقية او العقلية والتأثير بالانفعالات فاما

الاخلاق فالحقيقية منها ان يتخذ الكاتب مثلاً صدق اللهجة ورقة الاشارة فيظهر نفسهُ غير مخالف للهدى او جانح مع الهوى . فتمّا القارئ باخلاصهِ الافادة لبرى منهُ ارتياحاً اليهِ ويلاقي اقبالاً عليهِ وان يلازم جانب الاعتدال فلا يُذلّ نفسهُ بزيادة الاتضاع فيبعث على الاستخفاف ولا يجلها بكثرة الارتفاع فيحمل على احتقاره وان لا يذم بغيره في كتابته فيدعو القارئ الى كرهِ ويدفعهُ على نبذه لا سيما اذا كان ذا ضلع مع المذموم وان لا يمدح نفسهُ فينال نصيبه من الامرين مأخوذاً بتهمة الدعوى الباطلة وهذا كلهُ من صفات الكاتب اللازمة له الواجبة عليهِ لرواج بضاعتهِ واغلب ما يقع في مقدمة كتاب او خطابة مؤلف او تمهيد رواية . والتمثيلية تقوم بمراعاة الحالة الادبية والمادية في عرض الحديث فلا يعطى العبد لهجة السيد ولا الضعيف نفس القوي ولا الفقير هيئة الغني ولا يقف الشيخ الهرم المحدودب الظهر موقف الفتى اليافع المقتدر ولا يظهر الافرنجي بمظهر الاوربي ولا الاوربي بمظهر الاسيوي ولا يكون الا بما يلائم مكان الحديث ولا يستشهد بالحاضر في سياق الماضي

واما الانفعالات فهي كما حدها (بوالو) تلك الحركة النفسية التي تتكيف على نسبة وقوع السرور او الحزن الحسي او المعنوي فتجذب اليهِ بالتأثير او تندفع عنهُ بعناءٍ وكلها ناتجة عن الحب او نقيضهِ فتكون غاية الموضوع بها التحبب الى شيءٍ او التبغض بهِ بالصور الروائع ومثلهُ في الفصاحة في هذا الباب . فاذا اردت الحكم على كتابة من هذا النوع فناجِ نفسك لان النصح ما اثر بها وحرّك عواطفها وقد قيل ما خرج عن القلب دخل في القلب وهذا ما جعل اكثر روايات الشاعر الفرنسوي (راسين) في المقام الاول لوجود التأثير فيها وكذا خطب (بوسويه) في التأبين وكلها ترجع في الغاية الى ما اشرنا اليهِ وهو الحب او نقيضهُ

(٢) الترتيب

متى انتهينا من اختراع هذه الثلاث السابقة او ما يناسب منها لاداء الموضوع وشرحهِ بارتباطنا وضعه بتنسيق وترتيب يمهد مجال القلم فراراً من التشويش

والتعقيد وذلك ان يرسم الكاتب خطة لما يريد ابداءه واضعاً فيها رؤوس اقلام كما يفعل المصور في بدء العمل فيسهل عليه بعد ذلك اتقان اللحمة واحسان الاسلوب ولا يضيع فكره فيها بين تقديم يلزم التاخير وتاخير احق بالتقديم فيفقد الاستدلال وتقلق كتابته ويذهب الغرض المقصود اذ يطول عليه الامرين تصحيح وتنقيح فيأخذه الملل والضجر ويخط ويمحو ولا يرى النهاية . ولا يصعب على من كان فاقهاً موضوعه حسن وضعه وتنسيقه ولا سيما ان العادة تجعله ملكة راسخة في نفس الكاتب الا يحتاج معها الى تعب ولا يضل سبيله في التعبير عما يريد

(٣) الاسلوب

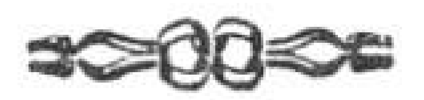
هذا هو الركن الثالث الذي به تتم الاجادة لان المعاني اذا لم تظهر في قالب جميل اخطأت المراد من التأثير بها تكن سامية فانها تزين مباينة العاطلة والفاظة زانيات المعاني

كما قيل ان المعاني موجود لكل انسان وفي طوع كل فكر منها ما يرضاه ويرضى فليس الفضل لمن يجيء بها بل لمن يجيد اداءها لان الصناعة في تأليف الجمل وانتقائها اذ انها القالب الذي تظهر فيه صور المعاني واللباس الذي تتمصة اشباح الخواطر فاذا لم تحسن صناعتها لم يحسن الاداء.

والاداء ادب في النفس ينشأ بالطبع فيكون استعداداً وينمو بالمزاولة فيصير حالاً ويقوى بالتمرين والاستعمال فيعود ملكة راسخة . والناس فيه طبقات مرجعها الى احد هذه الاطوار فلا يخرج فيه من ضعفت سليقته او قلّت مزاولته او فاته التمرين والاستعمال ويشترط في صناعته ان لا يخرج الكاتب عن سلامة التعبير وفصاحة التركيب الى المستهجن القبيح وان يجمع فيها سلامة الذوق ويلحق ببداهة الخاطر نابذاً عنه التصنع المؤدي الى الاخلال والتشويش حذراً من اخطاء الفاكلة في تبليغ المراد . وان يراعي مقتضى الحال فلا يأتي الجدل مثلاً في موقف العزاء ولا يأتي بالامر في عرض الالتماس ولا يبتغي في الطب والفلسفة زهرهة التركيب وزخرفة اللفظ كما انه لا غنى عن الاتيان بذلك في الخطابة مثلاً للتأثير وهو نوعان حقيقي ويستعمل في وضعه الاصلي ومجازي ويستعار على وجه الكناية

او الحبيه وكلا النوعين ضروري في التعبير يحتاج اليه في اكثر الكلام

وفي لغة العرب يتفرع الانشاء الى مرسل وسجع والنوع الاول ابلغ لجيئه عفو القريحة خاليًا من شوائب التعمل الزائد المخل واعم لمناسبته لاي موضوع اردت فلا يتقيد بكلمة بكره على وضعها . اما السجع فقد يجمل في بعض الاساليب الداعية اليه لاجادة الوصف او التنديه وهو في غاية الحسن حيث يجيء عفوًا بلا طلب فلا يفوت المعنى شيء من قوته بل يزيده التوقيع قوة والتقفية نصاعة ومن هذا النوع قول بعض الملوك الى احد عماله « لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » وليس مثل هذا القول بالشيء السهل او الكثير . ويستحسن في الكتابة عرض اقوال مما ذهب مثلاً وحل المنظوم نثرًا على طريقة يضيع فيها التركيب الشعري مع ابقاء المعنى وليس بسهل المأخذ ووراءه من يعدا الروية وسعة التصور لتغيير وجهة التركيب وابراز المعنى في صورة اخرى ومن هذا النوع ما يدخل فيه الشعر على لفظه او مع قليل تحريف تستدعيه لحمة الكلام . كل هذا تفنن في الانشاء يقصد به زيادة القوة لزيادة التأثير وتمكينه حسب المقصود ولا يصل اليه الكاتب العربي الا بالمدارسة والممارسة حتى يتوفر محفوظه فتستقر له ملكة اللغة وتستحكم من طبعه وترتخ في فؤاده . واوفق الكتب للمطالعة والمذاكرة ما كان في العلم او الادب او السياسة من اهل هذا الفن كابن خلدون وابن المقفع وغيرهما وكبعض من المتأخرين المجيدين وان قلت كتاباتهم لدينا فان قراءة ما كان فصيح العبارة وفي غير هذه المباحث مقصورة فائدتها على التزام القليل لان اكثر عباراته لا نحتاج اليها في كتابتنا الحاضرة ككتابة العلم والادب والسياسة . اما ما يخافه البعض او يتحاماه من استعمال كلمات الاعاجم في المواد العلمية فليس على شيء من الاصابة لتعذر الاتيان باصول عربية شاملة لجميع الكلمات الغريبة في العلم الحديث دفعة واحدة اذا امكن ذلك لجزء منها ما اراه شيئًا مذكورًا بالنسبة لما هو امامنا من المواد التي لا تحصى ولا تستقصى ولنا كلمة في هذا الشأن نوردها في بابها ان شاء الله



مصاب اليم

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلتُ نفسي

نعى الى قرَّاء الهلال فقيدًا أمل بدر حياتهِ هلالاً لم يتكامل سناؤه فاظلمت بعده معاهد الادب والوفاء. وغصنًا نضيرًا هصرتهُ ريح المنون فأذوت بعده رياض الفهم والذكاء. واخًا عزيزًا انصرمت بعد فقده حبال المودة والاخاء. قضى وا اسفي عليهِ فالدموع واكفة والقلوب واجفة والهموم متصلة ولذات العيش مرتحلة فلا حول ولا قوة الا بالله

أجل لولا كثرة الباكين على اخوانهم ما قنع من جرَّعهُ الزمان مثل هذه الكأس بتصعيد الزفرات وترديد الحسرات ولا رضي بدق القلوب فضلاً عن الجيوب ولكن هو الدهر احسن ما فيهِ عمومهُ بالنوائب وتلك سنة الله في عبادهِ حياة يليها موت ووجود يعقبهُ فناء . على ان الخطب الذي اصابنا والرزية التي ألمت بنا مهما بولغ في تخفيفها لا تقلُّ عن فقدنا اخًا شقيقًا غض الشباب صحيح المزاج ذكي الفؤاد مهذب الخلق وفيًّا صفيًا لم يمس صدره حقد ولا لابس خاطره سوء قضى معظم سنيهِ في معاناة الدرس حتى ناهز الحادية والعشرين من عمره ولم يبقَ له الاَّ سنة واحدة ينال في ختامها الشهادة الطبية ويخرج الى العالم خادمًا امينًا للانسانية . وقد رأيناه ولوعًا بتلك الخدمة متسارعًا اليها قبل انقضاء زمن دراستهِ فبدأ في خدمته بتحذير المراضع مما يخشى على اولادهنَّ زمن الرضاع ولا يزال قراء الهلال ينتظرون تمام مقالاتهِ ولكن وا اسفاه عليهِ لم يأتِ على ختامها حتى عاجلته المنية وهو يعاون أساتذته في المستشفى الفرنسوي ببيروت أثر جرح خفيف في اصبعه بمدية علها اثر مدة من جرح صديدي فقضى رحمة الله صبيحة الثاني من حزيران (يونيو) سنة ١٨٩٢ فبكاه معنا الباكون ورثاه الراثون وابنه المؤبنون وهاك تعريب ما قالهُ حضرة استاذه الفاضل النطاسي الشهير الدكتور هاش باللغة الفرنسوية بعد ان واروه التراب وقد اجتمع الناس حول ضريحه والقلوب مضطربة والنفوس مكتئبة والدموع منسكبة

« ارى من الواجب عليّ ان اقف خطيباً على هذا القبر لان الفقيد رحمة الله كان من تلامذتي وقد سرت اليه جرثومة السم الذي أودى به مريضاً في اثناء معاونته لي . ولذلك فانني اقف على هذا الضريح بالنيابة عن اخواني الاطباء لاظهار ما خالج افئدتنا من عواطف المشاركة في الحزن والاسف لاهل الفقيد وذويه واداء ما هو اهل له من الاكرام »

« فقد علمتم ان فقيدنا قضى شهيد قيامه بواجب صناعته وان الذين قضوا مثله في اوربا كثار العدد واما في مدرستنا الحديثة العهد فهو اول من اغتالته ايدي المنون بمثل ذلك فكان في طليعة الذاهبين شهداء هذا الموت المجيد وقد كان التيفوس يتهددنا جميعاً بالموت منذ بضعة اسابيع فكنا مثله في خطر من مفارقة هذه الحياة الدنيا . وسيبقى اسم فقيدنا منقوشاً على لوح حافظتنا في صدر اولئك الشهداء »

« واذا حق لنا ان نعزي اهله الحزانى الذين فقدوا بفقده فتىً كان موضوع حبهم ومحط آمالهم وقد كانوا مصيبين فيما املوه بذكائه واجتهاده وقرب اجتنائهم ثمار نجاحه — اذا حق لنا فانكن تعزيتنا لهم في ما نؤديه لفقيدهم من الاكرام الواجب عاجلاً »

« نعم ان وفاة هذا الفقيد ليست شرفاً له وحده ولآله وذويه بل هي شرف للاطباء كافة . فان الموت الذي يغتالنا متمثلاً بصور الادواء المختلفة هو الذي يرفع صناعتنا الى مقام الكهنوت لانه ابطالاً وشهداء »

« فاكرام هؤلاء الموتى الذين يشرف بهم قدر صناعتنا مثل فقيدنا الذي نبكيه الآن فرض محتم علينا ودين واجب الاداء . فليحيَ اسم فقيدنا « الياس زيدان » في ذاكرتنا وفي قلوبنا كبطل مجاهد قضى في ساحة المجد والفخار . وان مدرستنا تفتخر ابداً ان تعدهُ من ابنائها » انتهى

على ان حضرة الدكتور ليس اوّل من شهد بنشاطه واجتهاده فقد رأينا فقيدنا الحبيب في مقدمة الجادين المجتهدين في تحصيل العلم منذ نعومة اظفاره ولما عزم على درس صناعة الطب منذ ثلاث سنوات قيل له ان الدروس الاعدادية للطب لا يستطاع التمكن منها في اقل من سنتين فاجهد فكرته وطالع تلك

الدروس بنفسهِ حتى تمكن منها في شهر وبعض الشهر وتقدم للامتحان فجازه ودخل الطب دفعة واحدة فعجب معارفهُ من فرط اجتهاده على ما يعهدونهُ فيهِ من توقد الذهن وذكاء الفؤاد خصوصاً وان امتحانهُ هذا كان باللغة الفرنسوية ولم يكن متمكناً منها اذ ذاك

وقد كان ذلك في جملة ما حببهُ الى اساتذتهِ · وقضى السنوات الثلاث الاخيرة من حياتهِ في مقدمة الدارسين علماً وفهماً واجتهاداً يحيي لياليهُ بالدرس والمطالعة حتى صار مثلاً في ذلك بين اقرانهِ

أفلا يحق لاخيهِ هذا ان يبكيهُ ويرثيهُ ما استطاع الى البكاء والرثاء سبيلاً وقد فقد بفقدهِ اخاً كان يرجو ان يكون خير عون لهُ على خدمة الامة والوطن · اولا يحق لوالديهِ الثاكلين واخوتهِ الحزانى ان يندبوهُ ويستعظموا مصابهم فيهِ وهم قد فقدوا ولداً واخاً صالحاً براً بهم عطوفاً عليهم وشجرة قضوا احسن سني العمر في تربيتها وانمائها حتى اذا اينعت وآن ثمرها جاءها حاطب المنية فنصبها بيدٍ لا تعرف الشفقة وقلبٍ لا يعرف الحنان — وهل يلام الصحب والاصدقاء اذا ملأوا نواحي ارض مصر والشام نواحاً واكثروا من التأبين والرثاء نظماً ونثراً وقد فجعوا في صديق حميم ورفيق ودود عرف بينهم بكرم النفس ورقة الطباع وسهولة الخلق وصدق الغيرة وحسن الوفاء · وهل نعجب من اهتمام اساتذة المدرسة الطبية باقامة تذكار لهُ في المستشفى وقد عاش رحمهُ الله مثالاً للاجتهاد وقضى كما قال استاذهُ الفاضل شهيد قيامهِ بواجباتهِ

على ان من عرف مبادىء الامور وغاياتها وادرك ان قضاء الله امرٌ لا مرد لهُ ولا معقب عليهِ لم يرَ بدّاً من الاستمساك بعرى الصبر الجميل بكره النفس عليهِ اكراهاً ان لم يكن في طاقتهِ احتمالهُ · ولا ريب عندي ان ما تفضل بهِ الخلان والاصدقاء في مصر والشام وغيرهما من الرسائل البرقية وغير البرقية متضمنة ارق عبارات التعزية قد خفف عنا وطأة المصاب نسأل الله ان يقيهم بوائق الزمان وطوارق الحدثان وان يجعل لنا في بقائهم خير عوض انهُ سميع قريب مجيب الدعوات

هذا وانا نلتمس من حضراتهم العذر عن عدم اجابة كل منهم على حدتهِ راجين ان يتحققوا صدق امتناننا لهم ونخص بالشكر والامتنان حضرات رصفائنا الفضلاء

اصحاب الجرائد المصرية والسورية وغيرها وحضرات الادباء الذين ارسلوا الينا المراثي نظماً ونثراً لتدرج في الهلال ملتمسين منهم العذر على ارجاء ذلك الى امد قريب وانما نكتفي الآن بالاشارة الى مرثية رقيقة الابيات من نظم جناب صديقنا الشاعر الناثر الياس افندي صالح مطلعها وما بعدهُ

حتى مَ ارجو الصفو من ايامي ويحول هذا الدهر دون مرامي
أأروم منهُ راحة وخطوبهُ تبدو ورائي تارةً وامامي

ومنها

ان كنت لم تشكُ السقام فكلنا اضحى حليف كآبة وسقام
او ان تكن جرحت بنانك مُدْيَةٌ فلقد جرحتْ قلوبنا بسهام

ومنها

كنا نرجي ان نراهُ خادماً للبلاد من اصدق الخُدَّام
فأفادنا بمساعيهِ في ساعةٍ ما لا يفيدُ الطبُّ في اعوام

وختامها

فعليك من غيث المراحم وابلٌ وعلى ثراك تحيتي وسلامي

وهاك ما كتبهُ الينا اتراب الفقيد ورفاق صباهُ وهذا نصهُ بعد الديباجة

اطال الله بقاءك وحماك من طروق المحن وخطوب الزمن

فلا تبكِ مفقوداً الى ربهِ مضى سعيداً بلا اثمٍ عليهِ ولا وزر
فانك راس المال ما دمت باقياً وعوّضت عنهُ بالمثوبة والاجر

ان مصاباً يدمي الجفون ويجري العيون ويملأُ الفؤاد ارتياعاً وتطير لهُ النفوس التياعاً لخليقٌ بان تخط سطور عزائهِ بعبارات مدادها العبرات وصرير اقلامها

الزفرات يد مرتعشة وراس متصدع وكبد حرّى تتنفس الصعداء نترى فبالله ما هذه المصيبة الدهماء انا لله وانا اليه راجعون

قضى واحرّ قلباه على ذلك الصديق الصدوق والخل الوفي رطب الشباب غضّ الاهاب فتركنا بعدهُ نتقلب على لظى الهموم والاحزان وكيف لا نبكيهِ رفاقٌ حبيبة اليهم ما رأوهُ فيهِ من محاسن اوصاف تزري زهر الرياض ورقة شمائل كأنما نشأت بين الرياحين وادبٍ غضّ وكمال خَلْقٍ وخُلُقٍ الى غير ذلك من الكمالات التي يقل فيها سكب الدموع وتمزيق الضلوع . فان كان هذا ما يشعر بهِ رفاق صباه الذين اذا جمعتهم واياه جامعة الادب وطول العشرة فما القول بوالديهِ واشقائهِ الذين فجعهم الدهر بفقدهِ وجرّعهم كأساً امرّ من العلقم من بعده

غير انهُ لا يخفى على واسع علمكم ولطيف فهمكم ان الموت منهلٌ لا بدّ من وروده وان العمر وان طال فمآله الى الانصرام والشمل وان انتظم فلا بد من ان تفرّقهُ الايام

والله نسأل ان يجعل هذا المصاب ختام احزانكم وان يعوض علينا جميعاً بطول بقائكم مصونين من كوارث الزمان وحوادث الايام فان في بقائكم عوضاً عن كل ذاهب

ونتقدم اليكم ان تتكرّموا بدرج هذه السطور في مجلتكم الغرّاء قياماً بفروض التأبين والرثاء لفقيدنا ورفيقنا العزيز ولكي يعلم الناس ان المحبة التي كانت تجمعنا لا نزال عليها الى الابد وان فرّق البين بيننا والسلام (الامضاآت)

نقولا يوسف فياض　　الياس يوسف فياض　　خضر جبيلي　　جرجي سمان　　الياس اندراوس فياض

نقولا بريدي　　نجيب بتلوني　　جبران هوا ريني

فنثني على حضراتهم ونطلب اليهِ تعالى ان لا يريهم مكروهاً بعزيز انهُ على كل شيءٍ قدير

اما دروس تلك الكلية فتنحصر في مبادىء علم الفلك والفقه والتفسير الشريف مع مبادىء الحساب الذي هو من الدروس الاختيارية

وهي حالة تحزن كل محب للجنسية العربية مدافع عن شرف منشئ هذه الكلية وتستدعي الالتفات السريع من قبل سيد البلاد واميرها خصوصاً لان المدرسة المذكورة تعد من المدارس السامية في المملكة المذكورة ان لم تكن هي المدرسة الوحيدة في المملكة كلها التي تتقاطر اليها الطلبة افواجاً من سائر انحاء المملكة ومن الممالك العربية المجاورة للمغرب الاقصى حتى يزيد عدد الطلبة احياناً على الالف منهم نحو اربعمئة يتلقون العلوم على نفقتهم الخاصة وهم ابناء الوزراء والاعيان واغنياء المملكة وقسم آخر وهو الذي يتلقى العلوم مجاناً مقيم في زاوية (او تكية) قديمة اسمها منشىء تلك المدرسة ويستلم بدلتين في مدة السنة من الخزينة السلطانية ولكن لضيق تلك التكية ترى اكثر هذا القسم من الطلبة يقصد الجوامع والحوانيت العديدة لقضاء الليل فيها اما الباقون وهم الفقراء فينزلون في بيوت التجار وبعض اغنياء تلك المدينة بصفة خدمة يحرسون الابواب ويسومون الخيول في مقابلة ما ينالونه هناك مجاناً من الطعام والشراب والمنام الى ان ينهوا مدة دروسهم التي لا تقل عن الاربع او الخمس سنوات ويحصلوا على منصب صغير يسدون به رمقهم

ورد علينا من جناب وكيلنا الفاضل (رفعتلو محمد افندي درويش معاون محاسبة نظارة الديون العمومية في بغداد) مقالة مسهبة في تاريخ تلك المدينة مع شرح حالها الحاضرة اجابة لالتماسنا في الهلال السابع وقد كنا نود ان نتحف القراء بدرج تلك المقالة النفيسة برمتها لما جمعت من الفوائد الثمينة ولكننا نظراً لاننا ذكرنا ملخص تاريخ تلك المدينة في ذلك الهلال اكتفينا بدرج ما جاء به حضرته من وصف حالها الحاضرة . ويظهر للمطالع ان حضرة الكاتب قد احاط بالموضوع من جميع جهاته واجاد في التبويب والوصف والتدقيق فنقدم لحضرته خالص الثناء والشكر على هذه الخدمة النفيسة . قال :

بغداد وحالتها الحاضرة

بغداد الحاضرة على ضفتي دجلة في عرض شمالي ٣٣ درجة و١٩ دقيقة و٥٥ ثانية وطول شرقي ٤٣ درجة ودقيقتين و١٥ ثانية فيقسمها الى شطرين والمسمى

الجانب الشرقي منها بالرصافة ويحدهُ شمالاً سهلٌ واسع وجنوبًا نهر دجلة وشرقًا ارض كرارة ونهر ديالة وغربًا قصبة الاعظمية (وفيها مرقد الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنهُ) . ويسمى الجانب الغربي بالكَرْخ ويحدهُ شمالاً نهر دجلة وجنوبًا نهر المسعودي ونهر الخرّ وشرقًا ملتقى نهر الخرّ ودجلة وغربًا قضاء الكاظمية (وفيها مرقد الامام موسى الكاظم رضي الله عنهُ) وبالكَرْخ كان قصر المنصور وبالرصافة مقر الرشيد ومن وَلِيهُ وكان لهُ بها قصر عظيم . وهو الذي وضع لها هذا الاسم . واهل بغداد يعبرون النهر على جسر طولهُ ٢٥٠ مترًا مركب من زوارق مربوط بعضها ببعض وهم يمرُّون عليهِ ليلاً ونهارًا وفيهِ يقول الشاعر

ايا حبذا جسرٌ على متن دجلةٍ	باتقانِ تأسيسٍ وحُسنٍ ورونقِ
جمالٌ وفخرٌ للعراق ونزهة	وسلوةُ من اضناهُ فرط التشوّقِ
تراهُ اذا ماجئتهُ متأملاً	كسطرِ عبيرٍ خط في وسط مهرقِ
او العاج فيهِ الآبنوس مرقشٌ	مثالَ فيولٍ تحتها ارض زئبقِ

وهي الآن من اشهر مدن العراق واعظمها ذات ابنية جميلة وعمارات فاخرة ولا سيما الجوامع منها والمساجد والمدارس والكنائس والمكاتب والابنية الاميرية باجمعها وبيوت الاغنياء . وبيوت بعض الاجانب فانها مما تسرُّ القلوب وتشرح الصدور . وهي ولاية قائمة باسمها . والويتها ونضا آتها التابعة لها ١٦ وهي الحلة وكربلاء وبعقوبة وخانقين ومندلي وكوت الامارة وكاظمية وسامراء ودليم وعانات ونجف ومسيّب وهندية ودبوانية وسماوه وشامية

وبناء بغداد من الآجر والجص والرماد الاسود والنورة والطين وفيها الزجاج بانواعهِ . ويأتيها المرمر والخشب من الهند والموصل . وترى عن بعد من اجمل المدن والطفها منظرًا وقد رُكِّبَ داخلها على النهر انابيب حديدية تحت الارض تجري منها المياه الى بعض الدور ونصبُ في برك لتسقى الجنائن والحدائق وغير حديدية تجري الى حماماتها وتسقي بساتينها وفي بعض البساتين نواعير لطيفة

وكان القسم الشرقي من هذه المدينة محاطًا بسور حصين مسافتهُ سبعة آلاف متر وامامهُ خندق وعليهِ عدة ابراج وكان يبلغ ارتفاعهُ ما ينيف على مئة قدم وقد هدمهُ مدحت باشا واليها الاسبق وذلك في سنة ١٢٨٥ هجرية . وهذا السور

بناهُ الخليفة احمد الناصر لدين الله العباسي سنة ٦١٨ للهجرة كما يتضح من الكتابة الموجودة على موضع منهُ بديع الشكل غريب الوضع محكم البنيان يسمى (الطِلسم) وهو احد ابواب المدينة سابقًا وهو موجود الى الآن وقد اتخذتهُ الحكومة محلاً مخصوصًا لحفظ البارود واقامت حوليهِ قضيبي الصاعقة . وهذه هي الكتابة

* بسم الله الرحمن الرحيم . واذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيتِ ربنا تقبل منا انك أنت السميعُ العليمُ . هذا ما أمر بعملهِ سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين وحجة الله عزَّ وجل على الخلق اجمعين صلوات الله وسلامهُ عليهِ وعلى آبائهِ الطاهرين ولا زالت دعوتهُ الهادية على بقاع الحق منارًا والخلائق لها اتباعًا وانصارًا وطاعتهُ المفترضة للمؤمنين اسماعًا وابصارًا . وافق الفراغ في سنة ثمان عشرة وستمئة وصلواتهُ على سيدنا محمد النبي وآلهِ الطيبين الطاهرين *

وهواء بغداد جاف سليم ولكن يحدث في بعض السنين اضرارٌ مهلكة وذلك بسبب فيضان دجلة وكثرة المياه التي تكتنفها فمعدَّل الحرّ فيها ٤٦ درجة فوق الصفر ومعدَّل البرد درجتين تحت الصفر بميزان سنتكراد واهلها يسكنون صيفًا سراديب لطيفة تحت الارض لشدة الحرّ نهارًا ويرقدون فوق السطوح ليلاً . ويشربون من ماء دجلة العذب ويجعلونهُ في آنية من الخزف اللطيفة فيبرد فيها . ويبلغ عدد سكانها الآن ١٤٩٩٤١ نفسًا منهم ١٢٤٤٥٩ مسلمًا و ١٢١٨٣ يهوديًا و ٢٧٧ روميًا و ٤٠٨ ارمنيًا و ٩٢٣ كاثوليكيًا و ٢٥ بروتستانيًا و ٥٤٨ لاتينيًا وهم لفيف من اجناس مختلفة كالعرب والعجم والاتراك والهنود والاكراد والافرنج وغيرهم . ولم تزل أرجل الضيوف والزوار تطأها افواجًا افواجًا من كل ملة وقبيلة ولا سيما العجم الذين يمرون فيها في زياراتهم الى الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد رضي الله عنهما ومنها الى كربلا ونجف وسامراء لزيارة الامام الحسين وابيهِ الامام علي ابن ابي طالب والائمة الاثنى عشر رضي الله تعالى عنهم اجمعين . واهلها على جانب عظيم من رقة الخاطر ومحبة الغرباء . والنصارى فيها خاصة متخلقون اخلاقًا افرنجية في ملبسهم ومآكلهم ومشربهم وزياراتهم رجالاً ونساء

* تجارتها * أما تجارة بغداد فتتصل بايران وتركستان وجزيرة العرب

والهند واروبا . وصارت السلع بعد فتح ترعه السويس تأتيها غالبًا عن طريق البصرة بواسطة الوابورات والسفن الشراعية وتأتيها الذخائر والاخشاب والمرمر وغير ذلك من الموصل باطواف (كلاك) مؤلف الواحد منها من ٦٠٠ الى ١٢٠٠ زق . وكما ان رأس تجارتها كان محصورًا في الصوف والعفص والكتان والدمقس والكتيراء والشالات والبسط والسجادات وغير ذلك صار منحصرًا في هذه الايام عند بعض التجار ومحبي الاحتكار في الحنطة والشعير والدخن والارز والسمسم والذرة والمرطمان والعدس والماش والحمص والفول والسمن وغيره

❊ صناعتها ❊ واما صناعتها فقائمة في الاكثر على حياكة ارز الابريسم لحلاّة بالسرمة منسوجة مع الابريسم والاعبية (مفردها عباءة . والعامة تقول عباية) الصوفية والابريسمية بانواعها . وعلى دبغ التخنيات وصبغوا احمر واصفر واسود وعمل النصول والسروج والهميانات اللطيفة التي ليس لها مثيل . وعلى الصباغة والصياغة والسكافة والخياطة والحدادة والنجارة وعمل الخزف والآجر . في بغداد تعمل الاجرار والاباريق الناخرة والبراميل اللطيفة من الخزف الابيض والاخضر والاصفر . ويعمل فيها الزجاج والقناديل والقناني وغير ذلك

❊ زراعتها ❊ واما زراعتها ومحصول ارضها والارض المحيطة بها فالتبغ (ومنه نوع يقال له شاوُرْ فانه ذو قيمة وليس له نظير) والتنباك والحنطة والشعير والذرة والدخن والارز والسمسم والمرطمان والعدس والماش والحمص والفول واللوبياء والقطن والعفص والبلوط والطماطم (بندورة) والقرع والباميا والباذنجان والفجل والخس والجبس والبطيخ والخيار والقثاء والبصل والثوم والبقدنوس والكراث والريحان والكرفس والخردل والرشاد والنعناع والحلبة والسلجم والشمندور والجزر والحمقاء وغيرها . وفي بساتينها التمر بجميع انواعه والليمون الحامض والحلو والبرتقان بانواعه والنارنج والاترنج والتوت الشامي والعراقي والمشمس والخوخ والسفرجل والعنب الابيض والاسود والتفاح والاجاص والكمثري والتين والزيتون والرمان بانواعه وغيرذلك . وتربة اراضيها جيدة تصلح لاكثر المزروعات ومناخها طيب وماؤها عذب وهواؤها لذيذ رقيق ويكثف احيانًا في الصيف والربيع والخريف . ومع هذا فان جزءًا عظيماً من اراضيها قد اقفر لعدم الاعتناء بفلاحته مع ان اهل اكثر ضواحيها فلاحون (البقية تأتي) محمد درويش

رعمسيس الثاني

او سيزوستريس

هو اكبر ملوك الفراعنة القدماء وثالث ملوك العائلة التاسعة عشرة منهم ولد في اوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد ويقال له ايضًا رعمسيس الاكبر لانهُ بالحقيقة اعظم واشد من ملك مصر قوةً وبطشًا تولى الملك صغيرًا وطالت مدة حكمهِ حتى بلغت ستًّا وستين سنة كلها حروب وغارات ومبانٍ ونقوش حتى لا تكاد تلاقي اثرًا من الآثار المصرية القديمة لم ينقش عليهِ اسمهُ اورسمهُ

وكان رعمسيس على صغرهِ ذكيًا فطنًا همامًا حتى كان والدهُ يبعث بهِ في مهمات ذات شأن وكان ذا شغف خاص في العمائر والمحفورات وقد وكل اليهِ والدهُ سيتي الاول القيام ببناء كثير من الهياكل وهو في العاشرة من سنهِ وسماهُ ولي العهد فصار لهُ الحق بنقش اسمهِ في الخانات الملوكية وعزز بالالقاب الفرعونية حتى اجيز لهُ الدخول في الاحتفالات الدينية من الدرجة الثانية العلية فعهد اليهِ حمل آنية الذبيحة او صب المشروبات او تلاوة التراتيل مثل شماس هذه الايام

وكان من ثقة والدهِ فيهِ انهُ بعثهُ في حملة عسكرية لغزو بلاد الشام وهو لم يتجاوز العاشرة فذهب وحاربها وادخلها في طاعة والدهِ ثم سار الى بلاد السودان وحارب القبائل القاطنة على ضفاف النيل فاذلها . وقد قيل انهُ حارب العرب ايضًا فنال على صغر سنهِ شهرة واسعة وثقة كبيرة بين المصريين حتى عرف بحامي حمى الدولة المصرية ورفيق النصر والظفر . كل ذلك قبل ان يتولى العرش الملوكي ولكن والدهُ شاخ حتى عجز عن معاطاة الاحكام فعهد بها الى ولدهِ هذا فقام بها حق القيام حتى اعجبت رجال الدولة بهِ

فلما توفي والدهُ استقل بالحكم وقبض على ازمة الامور فدانت لهُ الامم الخاضعة للدولة المصرية اذذاك وفيها امم مصر والسودان والحبشة وبلاد الشام وما جاور ذلك ولم يحتج في اول حكمهِ الى حروب كبيرة . الَّا ان أهل سواحل الشام حاولوا نبذ الطاعة فبعث اليهم جندًا وصل ضفة نهر الكلب بقرب مدينة بيروت فسكنت الفتنة فعاد وكانت بلاد الشام منقسمة الى عدة ممالك صغيرة وفي جملتها مملكة الكنعانيين

أو الفينيقيين والحثيين وكان والده قد عقد معاهدة مع الحثيين واقام حامية في معاقل الكنعانيين فلم يحاول احدهما العصيان او الاخلاف فبقيت الحال هادئة مدة

وفي السنة الرابعة من حكمه حملت عليه القبائل الاسيوية الشمالية وفيها قبائل خيتاس (الحثيين) وكاتي وكركاميش وقادس وهم اقوام ذوو بطش وشجاعة فتكاتفوا وتقدموا قاصدين حدود مصر فنهض رعمسيس عليهم في جيش عظيم وسار حتى مرّ ببلاد الكنعانيين وكانوا لا يزالون على ولائه وتقدم من هناك حتى اتى ثبتون بالقرب من قادس وبعث يتفقد احوال اعدائه وقواتهم ومواقعهم وكان لفرط حرصه وحزمه لا يأمن لاحد في استطلاع حالة الاعداء. فخرج يوماً بحرسه فقط قاصداً مدينة قادس للاستطلاع فلاقاه اثنان من اعدائه وقد جاؤوا متجسسين فقالا له ان اخواننا رؤساء القبائل وفيهم رئيس الحثيين خافوا جلالتكم وطلبوا الفرار وقد تركاهم في حلب قاصدين الامعان في البلاد فراراً من سيفكم

فانطلت عليه الحيلة وتقدم بحرسه وقد بعد عن مركز جيشه وقسم الحرس الى اربع فرق رتب مسيرها للدفاع عند اللزوم فلما قرب من المدينة رأى اثنين آخرين قادمين اليه فبعث وقبض عليهما وقد ارتاب في امرهما فاستنطقهما فاقرّا بانهما جاءا ليقتلاه وان الاعداء مجتمعون ومتهيأون للهجوم عليه وراء المدينة فلما سمع رعمسيس ذلك اضطرب قلبه ولم يكن يعهد فيه الاضطراب ولكن الامر ذو شان فعقد مجلساً من رجال خاصته حالاً وتباوضوا وتشاوروا فاتهم الملك لضلالهم وانطلاء تلك الحيل عليهم فالقوا التبعة على حكام تلك الجهات التي نزلها الاعداء وأقرّوا على ارسال من يستنجد الجنود المصرية المركزية ويستقدمهم ولكنهم لم يكادوا يخرجون ذلك القرار من القول الى العمل حتى داهمهم الاعداء بغتة وكانوا عدداً عظيماً فلما رآهم رجال الملك تحوّلوا طلباً للفرار. اما رعمسيس فبقي ثابتاً في مركبته يدافع الاعداء وحده بقلب لا يهاب الموت وقد وصف تلك الموقعة الشاعر المصري (بنتا اور) وكان معاصراً لرعمسيس وهاك ترجمة بعض ما قاله

« نهض الملك صحيح المزاج كثير الابتهاج وتناول العدة والسلاح كأنه المعبود مونت واستعد للحرب والكفاح فارسل مركبته في صفوف الاعداء من بني خيتاس (الحثيين) وهجم عليهم بنفسه مخترقاً جموعهم وهم في نحو خمسمئة مركبة حربية يعلوها

جنداً من بني خيتاس وغيرهم كلهم رجال مجرَّبون ولم يكن مع الملك احد من قواده او امرائه او جنوده الرماة ولا الراكبين على المركبات فتوجه الى معبوده واستغاث به قائلاً « تركني الرماة والفرسان ولم يبقَ معي من يشد ازري فهل يرضى مولاي امون بذلك ألعلي عاص أستوجب مثل هذا العقاب مع اني اوَّل من أطاعهُ وقام بخدمته وملأ بيوت العبادة من غنائم الاعداء تقربًا منهُ وقد اكثرت من المعابد والهياكل وذبحت الف ثور مزينة بالزهور الطيبة وشددتُ الهياكل الجسيمة واقتطعت لها الاحجار وغرست فيها الاشجار (الخ) فها اني ادعوك يا مولاي وانا بين جموع لا اعرفهم وقد غادرني جندي الرماة وفرَّ مني الفرسان ودعوتهم فما اجابوني وانت اولى بي واحق بنصرتي (الخ) » انتهى

ثم قال الشاعر عن لسان امون مجيبًا الملك

« قد سمعنا نداءك يا رعمسيس وقبلنا دعاءك وانا قريب منك مجيب لك آخذٌ بيدك فاني خير لك من الالوف المؤلفة ودافع عنك الاعداء المؤتلفة » الى آخر ما هنالك من مثل ذلك »

وفي ختام تلك القصيدة كلام عن لسان سائس مركبة الملك فيها شرح لواقعة الحال وكيفية تبديد رعمسيس لجنود الاعداء

ثم ذكر الشاعر ميدان الحرب بعد رجوع رجال رعمسيس من الهرب وفيهِ توبيخ الملك لأولئك الرجال واعترافهم بضعفهم وخذلانهم ثم شرح موقعة اليوم الثاني وكيف هجم رجالهُ معهُ ففرَّقوا جموع الاعداء كل مفرق وما كان من افعال الاسد الذي كان مرافقاً لمركبة الملك وكيف كان يمزق الاعداء ويدوسهم

وحصلت بعد هذه الوقعة وقائع اخرى عادت العائدة فيها على الحثيين واضطر ملوكهم على عقد معاهدة صلح ولكن لم يكد المصريون يشرعون في الانجلاء حتى انتفض عليهم الكنعانيون وتابعوهم فشاركهم في ذلك الحثيون ونقضوا العهد الذي اعطوه بابطال الحرب وعادت الحروب واشتد الخصام بين هجوم ودفاع واخذ وردّ مدة خمس عشرة سنة انتهت بمعاهدة صلح كتبت اولاً بلغة الحثيين نقشاً على لوح من الفضة وقد رأينا ان ندرجها كما هي (نقلاً عن كتاب العقد الثمين) تفكهة للمطالع ولكي يطلع القارىء على عوائد تلك الايام في كتابة المعاهدات وهاك نصها :

المقدمة

١ (١) في اليوم الحادي والعشرين من شهر طوبه سنة احدى وعشرين من حكم رعمسيس ميامون محبوب امون رع وحورمخي و بتاح سيد قسم (انخنو) بمنف وموت سيدة قسي (اشر) و (خونفرت حتب) بطيبة وهو القائم على كرسي ملك العباد كابيه حورمخي تخلد ذكرهُ ٢ بينما كان هذا اليوم في مدينة (بارمسيس ميامون) يؤدي فيها الشعائر للمعبود امون رع ولحورمخي ولتوم سيد مدينة المطرية ولامون ساكن بمدينة بارمسيس ولبتاح بالمدينة المذكورة وللشجاع ست بن نحوت لانهم منوا عليهِ بدوام عهد الرسي وبدوام اعوام السلم لهُ وبخضوع الاهالي والامم تحت نعليهِ على الدوام ٣ اذا برسل من طرف ٤ امير الخيتيين خناسارا اقبلت اليهِ وتقدمت بين يديهِ ليطلبوا الصلح منهُ وكانت صورتهُ منسوخة على لوح من فضة مرسل من امير الخيتيين الى ملك مصر مع رسولين هما ٥ تارتيسبو ورعمسيس يطلب الصلح من رعمسيس ميامون نور الملوك الذي وضع حدودهُ في كافة الارض حيثما اراد وهذه المعاهدة كتبها خناسار امير الخيتيين المفخم ابن موراسار ٦ امير الخيتيين المفخم وحفيد سابال امير الخيتيين المفخم على لوح من فضة وذلك بينهُ وبين رعمسيس ميامون ملك مصر الاكبر المفخم ابن سيتي الاول ملك مصر الاكبر المفخم وحفيد رعمسيس الاول ٧ ملك مصر الاكبر المفخم وهي معاهدة وطيدة على الصلح والمحالفة والوفاق مؤكدة للسلم والاتفاق دائمة على الدوام

كان فيما مضى من عهد بعيد حصل بين ملك مصر وامير الخيتيين عليهما رضوان الرب اتفاق الا ان ٨ اخي موتور امير الخيتيين نقضهُ وتحارب في زمنهِ مع سيتي الاول ملك مصر الاكبر لكن من الآن فصاعدًا اعني من هذا اليوم لعهد خناسار امير الخيتيين بمراعاة هذه الشروط سائلاً امون رع وست ان يمنا بدوام اتباعها في ديار مصر ٩ وفي بلاد الخيتيين وان يزيلا الشقاق ابدًا من بين المتشارطين

(١) الارقام الهندية تدل على عدد سطور المعرّب وما وجدناهُ ساقطاً من الاصل تركناه بحالهِ اه (العقد الثمين)

﴿ المعاهدة ﴾

اتفقت انا خناسار (١) امير الحثيين مع رعمسيس مياموون ملك مصر الاكبر من هذا اليوم على مراعاة الصلح والمعاهدة بيننا ابد الآبدين ١٠ وعلى ان يكون حليفي ومنطويًا على السلم معي وعلى ان اكون حليفة ومنطويًا على السلم معهُ دهر الداهرين كما كان ذلك في عصر اخي موتور امير الحثيين الاكبر الذي خلفته في الحكم بعد موتهِ وجلست على تخت والدي وها انا خناسار اظهر المودة الصادقة لرعمسيس مياموون ملك مصر الاكبر. وبناء على معاهدتنا ومسالمتنا هذه تكون ديار مصر وبلاد الحثيين في سلم ومحالفة تامة دائمة دون ان يقع بينهما ادنى شقاق مدى الدهر بشرط ان امير الحثيين لا يشن ادنى اغارة على مصر لسلب شيء منها كما ان رعمسيس مياموون ملك مصر الاكبر لا يشن غارة على بلاد الحثيين لسلب شيء منها وان اتبع اتفاق العدل الذي حصل في مدة سابلل رئيس الحثيين الاكبر واتفاق العدل الذي حصل في مدة ابي موراسار رئيس الحثيين الاكبر وان تتبع ذلك ايضًا رعمسيس مياموون ملك مصر الاكبر ١٥ ونعترف بيننا سوية بان نتبع هذا الاتفاق ونجري اعمال العدل من هذا اليوم بشرط انهُ ان اغارت اعداء على بلاد رعمسيس مياموون ملك مصر الاكبر لزمهُ ان يرسل الى امير الحثيين ليخبرهُ بالحضور فينضم الى قوّته عليهم ويجب على امير الحثيين حينئذٍ ان يجيب سؤال ملك مصر الاكبر ويقاتل اعداءهُ وان لم يرد امير الحثيين الحضور بنفسهِ لزمهُ ان يرسل جنودهُ المشاة وعرباتهِ ليقاتلوا ملك مصر وان غضب رعمسيس مياموون على جماعة من اتباعهِ يكونون قد سرقوا شيئًا منهُ واراد ان يقتلهم فعلى امير الحثيين مساعدتهُ على ذلك وان اغار عدوّ على بلاد خيتا لزم امير الحثيين ان يرسل ١٨ الى ملك مصر ويخبرهُ بان يحضر بقوّتهِ ليقاتل اعداءهُ فان اراد رعمسيس مياموون ملك مصر الحضور بنفسهِ قاتل اعداء امير خيتا وان امتنع عن الحضور بنفسهِ لزمهُ ان يرسل مشاتهُ وعرباتهِ ليقاتل اعداء امير خيتا ١٩ وان يعين الوقت ويخاطبهم بذلك وان كانت جماعة من خدم امير الحثيين نسيئة في خدمتهِ فعلى رعمسيس مياموون ان يساعدهُ في تأديبهم ٢٢ واذا هاجر بعض السكان من بلاد

(١) رئيس الحثيين من (خيتا) و (سار) بالعبرانية او الحثية رئيس

رعمسيس ميامون الى امير خيتا فعلى هذا الاميران لا يقبلهم بل يرسلهم الى رعمسيس ملك مصر الاكبر ٢٣ واذا ذهب بعض العملة الماهرين الى امير خيتا لعمل ما فلا يتوطنون ارض خيتا بل يُرسلون الى رعمسيس ميامون ملك مصر الاكبر واذا كان بعض الماهرين ٢٤ يحضرون من بلاد خيتا ليتوجهوا الى رعمسيس ميامون ملك مصر الاكبر فلا يقبلهم عندهُ بل يرسلهم الى امير خيتا ٢٥ واذا ذهب بعض العمال الماهرين من ارض خيتا الى ديار مصر لعمل ما فعلى رعمسيس ميامون ملك مصران لا يوطنهم مصر بل يأمر بارسالهم الى امير خيتا ٢٦ هذا الكلام الذي على لوح الفضة مقول على لسان الف معبود من معبودات ومعبودي الجهاد منهم معبودات بلاد خيتا وعلى لسان الف معبود من معبودات ومعبودي الجهاد منهم معبودات مصر وهو ايضاً يعتبر حقاً ودينًا علينا ٢٧ ويشهد بذلك ست معبود تونب وست معبود خيتا وست معبود مدينة أرنا وست معبود مدينة توسورونتا وست معبود مدينة بركا وست معبود مدينة خساب وست معبود مدينة سارسو وست معبود مدينة حلب وست معبود مدينة ٢٨ وست معبود مدينة سرينا واسترتا معبود بلاد خيتا وجزيرة تاخرار وكدش ٢٩ ومعبود مدينة اخن ومعبود مدينة تساي ٣٠ وجبال وانهار بلاد خيتا ومعبودات بلاد كادزو اتانا وامون ورع وست والارباب الحربية والمعبودات وجبال وانهار ديار مصر وكافة من بدائع البحر الاكبر والهواء والسحب وهذا الكلام ٣١ الذي على لوح الفضة منسوب لبلاد خيتا وبلاد مصر . فكل من لم يتبع مضمونهُ تصرف الف معبود من بلاد خيتا والف معبود من بلاد مصر في مسكنهِ واملاكهِ وخدمهِ ومن يتبع الكلام الذي على هذا اللوح سواء كان من بلاد خيتا او من بلاد مصر ٣٢ أحبهُ الف معبود من بلاد خيتا والف معبود من بلاد مصر واحبت بيتهُ واملاكهُ واتباعهُ ايضاً واذا هرب رجل او اثنان او ثلاثة من مصر ٣٣ وذهبوا عند امير خيتا فعلى امير خيتا ان لا يقبلهم بل يأمر بارسالهم الى رعمسيس ميامون ملك مصر الاكبر وكل من ارسل الى رعمسيس ميامون لا يعاقب بذنبهِ ولا ٣٤ يهد بيتهُ ولا امرأتهُ ولا اولادهُ ولا تقتل امهُ ولا يضرب على عيونهِ ولا على فمهِ ولا على رجليهِ ولا تقام عليهِ أية تهمة جنائية واذا هرب من بلاد خيتا رجل او اثنان او ثلاثة وذهبوا الى رعمسيس

ميامون ٢٥ ملك مصر الاكبر فعليوان يأمر بارسالهم الى امير خيتا وكل من ارسل اليه لا يعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا اولاده ولا تقتل امه ولا يضرب على عينيه ولا على فمه ولا رجليه ولا تقام عليه تهمة جناية »

ويشاهد في وسط لوح الفضة وعلى جانبه الاعلى صورة تمثال (ست) معانقاً تمثال امير خيتا وحوله كتابة يخاطب بها تمثال ست ويقول له

« ايها التمثال مالك السما والارض اجعل اتفاق خاسار امير ٢٧ الحثيين الاكبر وطيداً » انتهت المعاهدة

فلما تمت المعاهدة على هذه الصورة توطدت العلاقات الودية بين البلدين وبقيت تلك المعاهدة مرعية مدة ست واربعين سنة استتبت اثناءها الراحة والسكينة في بلاد الفريقين وتصاهر الملكان فتزوج رعمسيس ابنة ملك الحثيين وبعد مدة دعا رعمسيس حماه لزيارة القطر المصري وكانت زيارته في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه وكان لزيارته من الاعتناء والاحتفال في هذه الديار حتى تعجب المصريون اذ ذاك لما تمكن بين الملكين من المودة وحسن الصلات وقالوا انهم لم يشاهدوا مثل هذا الارتباط المتين قط

وولد له اولاد كثيرون توفي ثلاثة منهم قبل ان يبلغ هو السنة الثلاثين من عمره فاختار ابنه الرابع لولاية العهد والانابة عنه في الحكم وكان قبل ذلك رئيساً على كهنة منف فتولى الحكم في حياة والده ولكنه مات قبله في السنة الخامسة والخمسين من حكم والده فنقل ابوه الحكم الى اخيه منفتاح وهو الثالث من اولاده فسماه ولي العهد لصغر سنه وبعد ولايته باثنتي عشرة سنة توفي والده صاحب الترجمة بعد ان حكم ٦٦ سنة ودفن بمقبرة في بيبان الملوك ثم نقل الى غربي شيخ التربة بلقصر ومنها نقلت جثته الى المتحف المصري وهي لا تزل هناك الى الآن

اما مآثره واعماله فكثيرة حتى انها كادت تفوق الحصر لانه قضى معظم مدة حكمه في البناء والترميم فبنى في كل مدينة معبداً لمعبودها وتمم كل ما كان اسلافه قد شرعوا فيه من الابنية وقلما ترى اثراً من الاثار المصرية الباقية الى اليوم الا وترى عليه اسمه منقوشاً ومن جملة آثاره انه نقش على غار ابي سنبل صورة واقعة الحرب التي كانت بينه وبين الحثيين وجعل عند مدخله اربعة تماثيل غريبة الشكل

كلها والهيكل حجر واحد وقد قدرتُ احد هذه التماثيل بقدمي فزادت على خمس عشرة قدم وبذلك يظهر لك مقدار عظم التماثيل وكلها منحوت نحتاً في غاية الاتقان . ونصب امام تمثال امنوفيس الثالث مسلتين مانفيتين من الحجر الصوان نقلت احداهما الى باريس . ونقش على باب معبد الكرنك بقرب الاقصر صورة موقعة قادش المتقدم ذكرها . وتمم معبد القرنة بالاقصر وبنى معبداً شرقي شيخ عبد القرنة دعاه بعض الاثريين (رماسيوم) وبنى معبداً في العرابة المدفونة وكذلك في منف وتل بسطة (قرب الزقازيق) وعمارات في محاجر جبل السلسلة وجبل طور سينا وغير ذلك من المباني على اختلاف اجناسها بين هياكل ومسلات ومعاقل وحصون وكان محباً لتمهيد الطرق وتسهيل المواصلات واستخراج المعادن من بلاد النوبة وحفر كثيراً من الترع وحصن حدود مصر من جهة الصحراء دفعاً لغارات الاعداء وبنى عدة مدن في الحوف الشرقي تمتد شمالاً الى فلسطين وكلها خصب بهج . وكان ذا هيبة ووقار وكانت رعيته تحبه كثيراً فاذا طاف البلاد يقيمون له من مظاهر الاكرام والاحتفال جهد طاقتهم ويقدمون له الهدايا . وخلاصة القول انه كان أعظم من تولى مصر من ملوك الفراعنة وأشدهم بطشاً واكثرهم اصلاحاً واطولهم مدة وقد توفي في اواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد

فتاة غسان

تأليف منشئ الهلال

بناء على رغبة الكثيرين من حضرات القراء قد طبعنا الجزء الثاني من « فتاة غسان » في كتاب على حدة وهو مع الجزء الاول يباعان في مكتبة الهلال وثمن كل جزء عشرة غروش مصرية واجرة البوسطة غرش ونصف فمن اراد الجزئين معاً فليرسل ٢٣ غرشاً صاغاً او ست فرنكات طوابع بوسطة فيرسلان اليه حالاً

باب المقالات

تاريخ الكتابة واصل الخطوط

(تابع لما قبله)

الخطوط الشرقية

أما الخطوط الشرقية فنريد بها الخطوط المستعملة في كتابة اللغات الشرقية كالخط العربي والسرياني والكلداني والعبراني والحبشي والسنسكريتي (الهندي) والصيني ويدخل تحت هذا القسم ايضاً خطوط اللغات الشرقية القديمة كالاسفيني او المسماري والحثي والحميري والنبطي والكوفي والسامري وما شاكل

ومن هذه الخطوط ما هو مستقل في منشإه كالصيني والاسفيني والحثي فان كلاً منها متولد عن حروف صورية نشأت في بلاده وسنعود الى التكلم عنها

اما الخطوط الباقية فيرجع جميعها الى اصل واحد هو الخط الارامي وكان مستعملاً عند الاشوريين . والاشوريون دولة قديمة كانت تملك اشور وبابل فيما هو الآن العراق العربي وقد بلغت من السطوة والصولة والتمدن مثل ما بلغ اليه المصريون القدماء . وكانت كتابتهم في اقدم ايامهم تعرف بالكتابة الاسفينية او المسمارية سميت بذلك لمشابهة حروفها بالمسامير او الاسافين كما ترى في قولهم (تلو أمرق) فترى الحروف اشبه شيء بالمسامير او الاسافين ولا يزال جانب كبير من اطلال تلك الدولة تغشاه هذه الكتابة نقشاً على الحجارة الطينية ويظهر للناظر في تلك الآثار انهم كانوا يكتبون على آثارهم طبعاً بادوات تشبه الاسافين على طين في حال رطوبة حتى يجف وليس حفراً كما كان يفعل المصريون

والكتابة الاسفينية ذاتية الدلالة اي ان الصور فيها تدل على الفاظ او مقاطع وليس على حروف فلذلك كانت كثيرة الاشكال جداً . اما اصلها فيغلب انه صوري كالكتابة الهيروغليفية ثم دثر الاصل وبقي الفرع . وقد شاهدتُ في المتحف البريطاني بلندن سنة ١٨٨٦ في القسم الاشوري حجراً صغيراً بقدر البيضة شكلاً

وجميعاً عليه نقش اشوري قديم قالوا انه كتب في سنة ٢٨٠٠ ق م

وما زالت الكتابة الاسفينية مستعملة في اشور حتى عثروا على الحروف العجمية الفينيقية بمخالطتهم الفينيقيين باسفارهم الى اشور وما جاورها للتجارة فاستسهلوا استعمالها واخذوا في تعميمها شيئاً فشيئاً حتى غلبت على الاسفينية وانتشرت في بلاد اسيا من اقصائها الى اقصائها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وهي التي نريد بها الحروف الارامية الشرقية ومنها تولدت الخطوط التي اشرنا اليها .

ولقد كانت الحروف الارامية نفس الحروف الفينيقية لانها هي عينها وبقيت المشابهة تامة زمناً طويلاً ولقد عثروا على تمثال اشوري بالقرب من انطاكية حروفه تامة المشابهة بالفينيقية وهي منقوشة في القرن الثامن ق م ولكنها اخذت بعد ذلك في التغيير والتنوّع شأن الاجسام النامية وما هو في حكمها · وقد حصروا تغييرها هذا في ثلاثة وجوه (١) اندراج اعلى الحروف ذات الزوايا (٢) انحلال الزوايا (٣) التفاف الحروف على نفسها بعض الالتفاف او ميلها الى الاستدارة وترى ذلك ظاهراً في قولهم

[Aramaic inscription]

عمرن بر معنان قدم زي مذبحا

[Aramaic inscription]

نفشه لحيي الها لصلم

اي « العرش الذي قدمه معنان ابن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه »

فان رؤوس الباء والدال والراء قد اندرجت حتى صارت مائلة الى التربيع على ان الشكل الفينيقي لا يزال ظاهراً فيها

وما لبث الخط الارامي ان انتشر في جهات اسيا كما قدمنا حتى اخذت تظهر تنوعاته وتتولد منها الفروع التي اشرنا اليها اما تلك المتنوّعات او الفروع فتتولد بدون تواطؤ او قصد ولكن ذلك سنة الله في خلقه كما قدمنا فقد كان الحرف المستعمل في مملكة اشور المتسعة شكلاً واحداً هو الارامي ثم اخذ يتنوّع عند كل قوم تنوعاً اقتضته طبيعتهم واحوالهم وما زال ذلك التنوّع يتزايد والمشابهة تبتعد حتى اصبحت حروف كل بلاد منفصلة عن الاخرى · وهذا يدلك على ان اجتهاد

بعضهم الآن في تعميم الحروف الافرنجية في سائر العالم وكتابة اللغات الشرقية بها امر فضلاً عن كونه ضرًّا فهو مستحيل اذ لا تلبث تلك الحروف عند الشرقيين زمنًا حتى تتنوع وتبتعد عن اشكالها الاصلية لبعد الشرقيين عن الغربيين بالاذواق والعادات والاخلاق فتعود الى ما كانت عليه

واقدم ما تفرع عن الخط الارامي الخطوط الهندية ومنها الحرف السنسكريتي الذي كتبت به كتب الهند القديمة وانواع اخرى من الكتابة الهندية ويظهر للرائي لاول وهلة فرق كبير بين هذه الحروف والحرف الارامي ولكن لهم على اثبات اشتقاقها منه ادلة واضحة جلية لا يسع هذا المقام لاستيفائها . وما زالت الكتابة الهندية مستعملة في الاصقاع الهندية الى الفتح الاسلامي فاخذ الخط العربي في الانتشار هناك حتى غلب عليها

ومن فروع الحرف الارامي الخط المربع الذي تكتب به اللغة العبرانية الآن وقد تناوله اليهود من بابل اثناء سبيهم هناك في القرن السادس قبل الميلاد اما قبل ذلك فكانوا يكتبون بالحرف العبراني القديم المشتق من الفينيقي راسًا وقد تخلف عنه الحرف السامري الذي كان مستعملاً في السامرة . انظر جدول اشكال الحروف ومن فروع الحرف الارامي الخط التدمري نسبة الى مدينة تدمر التي بلغت ذروة سامية من المجد والعظمة في اوائل التاريخ المسيحي ولم يبق من ذلك الخط الآن الا آثار متفرقة على بقايا تلك المدينة وهو يشبه الحرف المربع

ومنها الحرف النبطي وهو اصل الخط العربي النسخي على ما يظن وقد دعوه نبطيًا لانه كان مستعملاً عند النبطيين في مدن بصرى (اسكي شام) وحبرون وصلخد في حوران شرقي فلسطين وقد عثروا على شيء من تلك الكتابة في تلك الجهات وغيرها فوجدوا انها على نوعين ممتازين احدهما اقرب الى الكتابة الارامية وهو الاقدم وهاك مثالاً نقلاً عن آثار في بعض جهات حوران بقرب السويدية

نفشه دي حمرت دي بنه له ادينة بعلة

اي « تمثال حمرت الذي بناه له سيده ادينة »

والآخر اقرب الى الخط العربي المعروف وقد عثر الباحثون على كتابة من هذا النوع منقوشة على حجر وقد تلاحمت حروفها نوعاً وذلك اول عهد اتصال الحروف العربية بعضها ببعض وهاك مثالها

دنج قبرا دي عبد عبدو بن كهيلو بن

اي « هذا هو القبر الذي صنعه عبدو بن كهيلو بن الخ »

والكتابة المشار اليها تشير الى القبر الذي اصطنعه عبدو بن كهيلو ابن القصي لنفسو ولاولاده وذريته وقد استنتجوا من نص الحكاية انها كتبت ما بين السنة التاسعة ق م والخامسة والسبعين بعده

ومن فروع الخط الارامي الخط السرياني وقد نشأ هذا الخط في شكل عرف بالخط السطرنجيلي في القرن الثاني للميلاد ثم تقلبت عليه الازمان وتداولته يد الانسان فتولد منه الخط السرياني الحديث وقد انتشر الحرف السطرنجيلي في القرون الاولى للميلاد في سائر ممالك آسيا وخصوصاً في تركستان الوسطى ومنه تولدت الخطوط المغولية والكلموكية وغيرها وانتشر في جهات الهند وعرف هناك بالحرف الكرشوني استعمله المسيحيون بدير ماري توما في مالابار وفي اماكن اخرى من العراق و بلاد العرب ثم تولد عنه الحرف السرياني الحديث كما تراه في جدول اشكال الحروف الابجدية في الصفحة التالية

واذا تاملت اشكال هذه الحروف بعين الناقد يتضح لك تشابهها وتجلي كيفية تنزعها وانتقالها من لغة الى اخرى

(أنظر الجدول في الصفحة التالية)

(١٠ جدول اشكال الحروف)٠

الحروف العربية	الحروف السريانية	الحروف العبرانية	الحروف السامرية	الحروف الفينيقية	الحروف اليونانية القديمة	الحروف اليونانية	الحروف الرومانية
ا	[illegible]	א	[illegible]	[illegible]	[illegible]	A	A
ب ب	[illegible]	ב	[illegible]	[illegible]	[illegible]	B	B
ج ج	[illegible]	ג	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Γ	G
د	[illegible]	ד	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Δ	D
ه ه	[illegible]	ה	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Ξ	E
و	[illegible]	ו	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Ω	O
ز	[illegible]	ז	[illegible]	[illegible]	[illegible]	?	?
ح ح	[illegible]	ח	[illegible]	[illegible]	[illegible]	H	H
ط	[illegible]	ט	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ω	?
ي ي	[illegible]	י	[illegible]	[illegible]	[illegible]	I	I
ك ك	[illegible]	כ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	K	K
ل ل	[illegible]	ל	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Λ	L
م م	[illegible]	מ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	M	M
ن ن	[illegible]	נ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	N	N
س س	[illegible]	ס	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Σ	S
ع ع	[illegible]	ע	[illegible]	[illegible]	[illegible]	?	?
ف ف	[illegible]	פ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Φ	F
ص ص	[illegible]	צ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Z	Z
ق ق	[illegible]	ק	[illegible]	[illegible]	[illegible]	?	Q
ر	[illegible]	ר	[illegible]	[illegible]	[illegible]	P	R
ش ش	[illegible]	ש	[illegible]	[illegible]	[illegible]	?	?
ت ت	[illegible]	ת	[illegible]	[illegible]	[illegible]	T	T

على انك ترى بين بعض الحروف الفينيقية امامك في الجدول وبين ما يقابلها في اللغات الاخرى بعدًا شاسعًا ولكن ذلك لا ينال شيئًا من صحة نتيجتنا لان ذلك التباين حدث بالاستعمال اذ لا يزال الكتاب الى هذه الساعة ولا يزالون الى ما شاء الله يغيرون في اشكال تلك الحروف ولا نقول ان احدًا منهم يفعل ذلك عمدًا ولكنه يأتي عفوًا من تلقاء طبيعته ميلاً الى الارتقاء المؤسس على التنوع والتباين فانما نكتب الالف الآن بشكل مخالف كل المخالفة لاصلها لان الالف مثل في الاعتدال ولكننا نكتبها هكذا وخصوصاً اذا اتت بعد واو الجمع وكذلك الياء المنفردة كالتي في لفظة افندي فان بعضهم يكتبها هكذا بغير نقط وقد رأيت بعضهم يكتب النون المنفردة كالتي في (احزان) مثلاً مقلوبة هكذا وقس عليه . وسبب هذا التغيير في الغالب ميل الكاتب الى الاقتصاد في الوقت وسرعة العمل فلا عجب اذا حصل مثل هذا التنوع في الازمان الغابرة حيثما لم يكن لديهم رابط يرجعون اليه في اصلاح ما تفسده ايديهم بالاستعمال كما هو شأننا الآن فانما نرجع في اصلاح ما تفسده ايدينا من الكتابة الى قواعد الخط الموضوعة اما طبعاً في كتب او خطاً وناهيك عن الخطوط المقررة المتداولة بيننا في الكتب المطبوعة فانها القاعدة التي نرجع اليها في اصلاح خطوطنا وتطبيقها على الاصل ومع كل ذلك فان التنوع قد تطرق الى كتابتنا كما رأيت فسبحان الخالق العظيم الذي جعل لهذا الكون سنة لا يتعداها ولا يسير الا بها

(٤) تاريخ الخط العربي

كان المظنون ان الشكل الكوفي هو اقدم اشكال الخط العربي وانه استنبط في صدر الاسلام في مدينة الكوفة اما الابحاث والاكتشافات الاخيرة فقد برهنت ان الخط العربي النسخي كان مستعملاً في الجاهلية وعثروا على كتابة في حران بالحجا عرفوا منها انها كتبت سنة ٥٦٨ بعد الميلاد او ٥٤ ق ه

واقدم ما عثروا عليه من الخط الكوفي الكتابة التي نقشها الخليفة عبد الملك بن مروان على قبة الصخرة في اورشليم سنة ٧٢ ه

وكان المظنون ايضاً ان الخط النسخي تولد بعد الكوفي بثلاثة قرون وان واضعه ابن مقلة وزير الخليفة المقتدر العباسي المتوفي سنة ٣٢٤ هـ ولكن العلامة ردي ساسي احد علماء اللغات الشرقية قد عثر بين الآثار المصرية في متحف اللوفر بباريس على عدة اوراق من البابيروس مكتوبة بالخط النسخي اقدمها كتب في السنة الاربعين للهجرة

فيظهر مما تقدم ان الشكلين النسخي والكوفي وجدا في زمن واحد تقريباً ولكن الكوفي كان استعماله متغلباً في جزيرة العرب وعلى سواحل سوريا واما النسخي فكان اكثر استعمالاً في جهات وادي النيل ومنه تفرع الخط المغربي المستعمل في بلاد المغرب.

وقد يتبادر الى الذهن ان معرفة منشا الخط العربي سهلة ولا سيما عندما نرى المشابهة الكلية بين الحرف الكوفي والحرف السرياني وخصوصاً السطرنجيلي ولكن قد تقدم ان الحرف النبطي كان مستعملاً في سائر بلاد العرب في القرن الاول للميلاد وبينه وبين الخط العربي مشابهة كبرى ايضاً والظاهر ان لكل من السطرنجيلي والنبطي يداً في توليد الخط العربي وفي الغالب ان الاول اكثر عملاً في توليد الكوفي والثاني اكثر عملاً في توليد النسخي والله اعلم

اما الخط الحميري الذي كانوا يقولون باقتطاع العربي منه فهو بعيد عنه بعداً شاسعاً حتى اننا ربما شككنا بتولده من الفينيقي ولكنه اصل للخط الحبشي ولذلك ابحاث لا محل لها هنا

اما ترتيب الحروف الابجدية العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الاخرى المرتبة على ابجد هوز الخ واما العربية فيبتدأ بها هكذا ا ب ت ث ج مع ان التاء في اللغات الاخرى في آخر حروفها وهكذا فيما يلي ولكن هذا الترتيب حديث في اللغة العربية مبني على مشابهة الحروف فان الباء والتاء والثاء متشابهة شكلاً فوضعوها معاً وكذلك الجيم والحاء والخاء وهكذا الدال والذال والراء والزين الى آخر الحروف

وفي الخط العربي ستة احرف علاوة على الحروف الشرقية الاخرى وهي الثاء والخا والذال والضاد والظاء والغين وقد اضافتها طبيعة اللغة العربية كما اقتضت

مثل ذلك اكثر اللغات التي اخذت الحرف الفينيقي كاليونانية وما تفرع عنها على ان في اللغة السريانية والعبرانية مثل ما في العربية تماماً لان هناك ستة احرف مثل الستة المتقدم ذكرها ولكنهم لا يجعلون لها ستة اشكال مستقلة وانما جعلوها تنوّعاً لستة أحرف أخرى وهي الباء والجيم والدال والكاف والفاء والتاء فهذه الاحرف اما جافية واما لينة وتعرف باصطلاح السريانيين مقشاة ومركّخة فاذا كانت جافية تلفظ كما تلفظ في العربية وتعلّم بنقطة فوقها عند السريان وفي وسطها عند العبرانيين واما اذا كانت لينة فان الباء تلفظ كالفاء الفارسية والجيم كالغين العربية والدال ذالاً والكاف خاء والفاء باء فارسية والتاء ثاء

أما العرب فانهم جعلوا لما زاد عندهم من المقاطع حروفاً مستقلة درجوها في عداد الحروف فبدلاً من ان تكون الابجدية ٢٢ حرفاً صارت عندهم ٢٨

أما النقط في الحروف العربية فحادثة في صدر الاسلام ولم يتحقق لدينا اسم واضعها واما الحركات فالمظنون ان اوّل من استنبطها ابو الاسود الدؤلي في أوّل الاسلام ذكرهُ الجلال السيوطي في المزهر وكانت الحركات اذ ذاك نقطاً يميزون بها بين الضم والفتح والكسر وربما فعلوا ذلك تشبهاً بالسريان الشرقيين او الكلدان فانهم لا يزالون الى الآن يعينون لفظ الناطم بنقط يضعونها فوق الكلمة او تحتها ويريدون بها التمييز ما اذا كانت تلك اللفظة فعلاً ماضياً او اسماً مفرداً او جمعاً مؤنثاً او مذكراً في الالفاظ المتشابهة شكلاً فان لفظ « كتب » مثلاً لا يستطيعون تحقيق كونه فعلاً او اسماً فاصطلحوا بان يجعلوا نقطة فوق اللفظ او تحته لهذه الغاية أما ابو الاسود الدؤلي فقد جعل تلك النقط حركات للحروف وليس للكلمات وهاك ما روي عن ابي عبيدة قال « ان زياد ابن ابيه بعث الى ابي الاسود الدؤلي ان اعمل شيئاً تكون فيه اماماً ينتفع به الناس ويعرب كتاب الله فاستعفاهُ من ذلك حتى سمع قارئاً يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسولِهِ فقال ما ظننت ان امر الناس صار الى هذا فرجع الى زياد فقال انا افعل ما أمر به الامير فليبلغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول فأُتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضهُ فأُتي بآخر فقال له أبو الاسود اذا رأيتني فقد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوق الحرف واذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف واذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت

الحرف فان اتبعت ذلك بشيء من غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين »

هذا هو اصل الحركات العربية كلها مع التنوين. اما استبدال النقط بالحركات الحديثة فاظنة حدث تنويعاً للحركات عن النقط التي يميزون بها الباء من التاء والجيم من الحاء خوف الالتباس

وربما كانت الحركات الحديثة غير نقط ابي الاسود وضعها بعض الائمة او غيرهم لتقوم مقام حروف العلة لمشابهة الحركات لها فجعلوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف علامة تشبه الالف وهي الفتحة وهكذا كما حدث في اللغة السريانية . فقد قلت ان السريان كانوا يستخدمون النقط بتمييز الالفاظ ثم استخدموا حروف العلة للحركات الثلاث ولكن ذلك ما زال مجلبة للالتباس ففي القرن الثامن للميلاد اعتنى اليونان في ضبط الحركات السريانية في مدرسة ابديسا (اورفا) بين النهرين فان اثنين منهم وهما جاك وثيوفيل استبدلا العلامات القديمة بحروف متحركة يونانية وهي خمسة توضع فوق الحروف السريانية بمنزلة الحركات ولا تزال تستعمل الى الآن وشكلها لا يزال ايضاً يدل على اصلها

وعلى مثل ذلك مشى العبرانيون في ضبط حركات لغتهم فان لها عندهم ست صور تقوم مقام احدى عشرة حركة وكلها توضع تحت الحروف الا واحدة توضع فوق الواو وواحدة وسطها واما الحركات العبرانية فمستعارة في الاصل من النقط التي كان يستخدمها السريان قديماً ثم جعلوا يضيفون اليها ويحسنونها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن

الخلاصة

ان اصل الكتابة المعروفة الآن في العالم المتمدن نشأت في وادي النيل بشكل الصور الهيروغليفية ثم حولها الفينيقيون الى الحروف الهجائية وعلموها لليونان في القرن السادس عشر قبل الميلاد وللاشوريين بعد ذلك بقليل وعرفت بالحرف الارامي . ومن الحرف اليوناني القديم تولدت جميع الخطوط الافرنجية التي يكتب بها اهل اوروبا واميركا وكثير من مستعمراتها . ومن الحرف الارامي تولدت الخطوط التي تكتب بها اللغات الشرقية واكثرها انتشاراً الخط العربي الذي يكتب

به اكثر ممالك اسيا وافريقيا فيمتد من اقاصي الهند شرقًا الى اقصى بلاد مراكش غربًا ومن اعالي تركستان شمالاً الى اداني زنجبار جنوبًا · اما اللغات التي تكتب بالحرف العربي الآن فهي العربية وفيها لغات مراكش وطرابلس الغرب وكل من يتكلم العربية في سوريا ومصر والسودان و بلاد العرب والعراق وما بين النهرين وغيرها · والفارسية ويدخل فيها لغات داغستان وافغانستان و بلوخستان وكردستان وكشمير واذربيجان والتركية وينطوي تحتها لغات القرم والتك والكازان والكاراس واورنبورج · والهندية وفيها الهندستاني والمدراسي والملقي والسندي وغيرها وانتشار الخط العربي على هذه الصورة حجة دامغة لسعة فتوحات العرب في صدر الاسلام وهاك جدولاً موضحًا لكيفية تفرع الخطوط اجمالاً وانتقالها من لغة الى اخرى

(جدول تفرع الخطوط)

- الهيروغليف المصري — الحرف الفينيقي
  - اليوناني القديم
    - الروماني ويه تكتب معظم لغات اوربا واميركا
    - الغوطي 〃 〃 لغات جرمانيا
    - اليوناني الحديث 〃 〃 〃 〃 اليونان
    - القبطي 〃 〃 اللغة القبطية
    - السلافي 〃 〃 لغات روسيا
    - الفريجياني (مهمل)
    - الليسياني 〃
    - الاتروسكاني 〃
    - الكاريباني 〃
  - الارامي
    - الهندي على انواعهِ
    - العبراني المربع وتكتب بهِ اللغة العبرانية
    - السطرنجيلي
      - السرياني
      - الكوفي (مهمل)
    - النبطي ومنهُ العربي النسخي المشهور
    - التدمري (مهمل)
  - العبراني القديم ومنهُ السامري (وكلاهما مهمل)
  - القبرسي (مهمل)
  - القرطاجني 〃
  - الحميري ؟ ومنهُ الحبشي وتكتب بهِ لغة الحبش

باب المراسلات

بغداد وحالتها الحاضرة

تابع لما قبله

صادراتها ووارداتها واما صادرات وواردات المدينة . فصادراتها الى الهند وبلاد العرب بواسطة البواخر وحلب ودمشق وغيرها بواسطة القوافل واو وارداتها منسوجات القطن والكتان والجوخ والنيل والنحاس والسكر والحرير والغزل والسجادات والتنباك والافيون والصابون والزبيب والبن والشاي والصمغ والكثيراء والعقاقير بانواعها والفحم الحجري وغير ذلك

وبلغ رسم الكمرك في سنة ١٣٠٧ المالية الموافقة سنة ١٨٩١ ميلادية . ١٤٤٤٩٧ ليرة عثمانية منها ١١٦٥٧٨ ليرة رسم الواردات و ١١٤٨٨ ليرة رسم الصادرات و ١٤٦٢٦ ليرة رسم الصرفيات الداخلية (اي الاموال التي صرفت داخل الممالك العثمانية) و ٣٢٨٥ ليرة رسم الارضية وبلغت واردات الولاية للسنة المذكورة (ما عدا واردات الكمرك والديون العمومية والرزي والتنباك والبوسته والتلغراف والعُشّان) ٢٣٩٤١٧ ليرة عثمانية .

معاملها ومطابعها في بغداد ثلاث مطابع عمومية احداها (مطبعة الولاية) وهي اميرية تحت نظارة الولاية الجليلة انشأها مدحت باشا سنة ١٢٨٥ هجرية وتصدر منها جريدة (الزوراء) الرسمية في الاسبوع مرة واحدة بعد ان كانت مرتين . وفي هذه المطبعة تسع آلات . واحدة منها تحرك بالبخار واثنتان باليد لطبع الحروف واربع آلات ليثوغرافيا تطبع على الحجر وآلة واحدة لتحزين الاقمشة واخرى لعمل ظروف المكاتيب . وتصدر من هذه المطبعة ايضاً (سالنامة الولاية) باللغة التركية وعليها كان اعتمادنا في بعض ما حررناه في هذه النبذة . والمطبعة الثانية (الحميدية) انشئت سنة ١٢٩٩ هجرية وفيها آلة واحدة ليثوغرافيا

فقط . وطبع فيها بعض الكتب . والثالثة مطبعة (دار السلام) انشئت سنة ١٣٠٩ هجرية وفيها آلتان ليثوغرافيا وآلة واحدة للحروف وهي الآن آخذة بجلب ماكينة اخرى كبيرة للحروف وطلب رخصة لاصدار جريدة تدعوها (الدجلة) وهذه المطبعة مستعدة لطبع كل ما يطلب منها باللغة التركية والعربية والافرنسية . وتوجد مطبعتان خصوصيتان احداهما لليهود واخرى للارمن القديم يطبع فيهما بالحروف ما يتعلق بمصالح جماعتهما . وفي بغداد معملان لتصليح المراكب (الوابورات) ومعمل واحد للبارود وآخر لتصفية ملحو ومعمل واحد واسع جدًا يعرف بالاعمالات العسكرية ويقال له ايضًا (عباخانة) يصنع فيه الجوخ والخام والشباك وتنسج فيه الملبوسات من الصوف والقطن بانواعها اللازمة للعسكرية . وفي هذا المعمل آلات كثيرة لندف القطن والصوف وغزله وصبغه وغسله وتيبيسه وحياكته وآلة لعمل النابيلا واخرى لتنظيف الارز ومطحنة للدقيق وغيره . كل ذلك بآلات نارية . وتعمل فيه الاحذية والقوندرات والنوتينات وغير ذلك . ومعمل كبير ايضًا ذو حياض واسعة لدبغ الجلود والسختيان ويسمى (الدباغخانة) وتوجد مطحنة نارية للدقيق وطلمبة لاخراج الماء من الدجلة وتوزيعه الى بيوت المدينة . وماكينة لعمل الثلج في ايام الصيف . ومعمل في جانب الكرخ لاصلاح البنادق والوابورات وغيرها يقال له (الدميرخانة) وفي الرصافة سبع ماكينات لحزم بالات الصوف . واثنتان لكيّ الثياب والانسجة وغير ذلك

※ محتوياتها ※ وفي بغداد ١٨٠١٧ بيتًا و ١١٨ خانًا و ٣٣٤٤ دكانًا و ٣٥ حمامًا و ٤٩ جامعًا و ٦٧ مسجدًا و ٢٧ مدرسة و ٦ رباطات (تكية) و ١٧ سبيلخانة وموقت خانة واحدة و ٦ معابد للنصارى و ٣٥ معبدًا لليهود و ١٨٤ قهوة و ١١ منارة و ١٢٤ علوة (محل واسع مخصوص لبيع الذخائر) و ١١ اجزاخانة (صيدلية) و ٦٨ مصبغة و ٣ شكرخانة و ٢٤ مكتبًا للاطفال و ٤ لوقندات وبنكان الاوّل بنك (الشهنشاهي) افتتح في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٠٧ هجرية ١٦ تموز سنة ١٨٩٠ ميلادية والثاني بنك (العثماني) افتتح ١٢ جمادى الاولى سنة ١٣١٠ هجرية ١ كانون الاوّل سنة ١٨٩٢ ميلادية . وسكة حديدية طولها ثلثا ساعة تمتد من القسم الغربي من بغداد الى قضاء الكاظمية وعليها ١٣ عربة تجرها الخيل . والآن أخذت الغيرة بعض

اولي الهمة لانشاء سكة حديدية اخرى مسافتها نصف ساعة تمتد من الجانب الشرقي الى قصبة الاعظمية وقدموا معرضاً بذلك الى الباب العالي وسيباشر بعملها قريباً ان شاء الله تعالى . واما الآن فتصل بغداد بالقصبة المذكورة عدة عربات تجرها الخيل على الارض بدون سكة حديدية

❊ الابنية الاميرية ❊ في بغداد ابنية اميرية فاخرة وهي التي انشأتها الحكومة اعزها الله تعالى على نفقتها وهي الآن ذات شأن وممتازة على سائر ابنية المدينة من جهة الاتقان وحسن الانتظام ومناسبة الوضع . واما بيانها فكما يأتي

عدد		عدد	
١	سراي الحكومة	١٨	ما قبلة
١	قشلة العسكرية البيادة	١	المكتب الاعدادي الملكي
١	قشلة العسكرية الطوبجية	١	مكتب الرشدية العسكرية
١	« « البحرية	٢	« « الملكية ومكتب الصنائع
٢	دائرة السوارية	١	مطبعة الولاية
٢	« الرديف	٢	انبار الذخائر الاميرية
٢	مستشفى العسكرية ومستشفى الغرباء	٣	الكخانة
١	عباخانة	١٤	قره غول خانة
١	دباغ خانة	١	طلمبة الماء
١	بارود خانة	١	ماكينة الثلج
٢	انبار الرديف	١	« الدقيق
١	دائرة البلدية الاولى	١	ملت باغجه سي . وتعرف بالنجيبية
١	دائرة الكمرك	٤	كوبري (جسر)
١	المكتب الاعدادي العسكري	٤٩	

❊ مدارسها ومكاتبها ❊ قد زادت المدارس والمعلمون في بغداد عما كانت عليه قبل ٣٠ سنة باضعاف لا تقدر وبالحريّ ان يقال ان اكثر (ان لم يقال كل) ما نراه الآن من المدارس العالية والتي سيأتي بيانها من المكاتب حدثت في الثلاثين سنة الاخيرة . وهذا جدول بيان مدارس بغداد لكل الطوائف

مدارس للمسلمين

	اسماء المدارس	المعلمون	التلاميذ
١	المكتب الاعدادي العسكري	١٧	١٣٣
٢	« الرشدية العسكرية	١٥	٥٣٣
٣	« الاعداد الملكي	٧	٣٠
٤	« الرشدية الملكية	٥	١٣٠
٥	« الصنائع	٥	٥٨
٦	« الحميدية	٣	١٣٠
٧	« جديد حسن باشا الابتدائي	٢	٩٤
٨	« العثماني الابتدائي	١	٥٥
٩	« محلة الفضل الابتدائي	٣	١١٣
١٠	« الكرخ الابتدائي	١	٧٦
١١	« الاعظمية	١	٣١

ملاحظات

هذه المكاتب كلها قانونية تحت ادارة الحكومة ودروسها قانونية ايضاً كما في سائر ممالك الدولة العلية العثمانية ايدها الله تعالى . وتوجد نحو ٣٦ مدرسة في البيوت والجوامع لتعليم الاطفال قراءة القرآن العظيم والكتابة العربية معدل تلامذتها ٢٥ ونحو ٣٧ مدرسة تدرس فيها العلوم العالية كالتفسير والحديث والفقه والفرائض والمعاني والبديع والبيان وما اشبه ومعدل طلبتها ١٥ ولهذه المدارس اوقاف جسيمة وعقارات معينة

مدارس للأرمن

		المعلمون	المعلمات	التلاميذ	التلميذات
١	مكتب نهاري	٥	٠٠	٣٠٠	٠٠
٢	« «	٠٠	٣	٣٠٠	٣٠٠
٣	« ليلي	٠٠	٥	٠٠	٣٠ نهاري ١٠ ليلي
٤	« «	٠٠	١	٠٠	٣٠٠
٥	« ليلي	٠٠	١	٠٠	١٠

مدارس الاتفاق الكاثوليكي

		المعلمون	المعلمات	التلاميذ	التلميذات
١	مكتب نهاري «	٦	٠٠	٧٥	٠٠

مدارس للارمن القديم

		المعلمون	المعلمات	التلاميذ	التلميذات
١	مكتب نهاري	٤	٠٠	٧٠	٠٠
٢	« «	٠٠	٣	٠٠	٤٥
٣	مدرسة الاتفاق الاسرائيلي	٥	٠٠	١٥٠	٠٠

ويوجد نحو ٢ مدرسة لليهود في المعابد والبيوت يعلم فيها الاطفال القراءة والكتابة العبرانية فقط ومعدّل تلامذتها ٣٠

﴿ بلدياتها واطباؤها وزيّ اهاليها وغير ذلك ﴾ تقسم بغداد الى ثلاث دوائر بلدية الاولى والثانية في الجانب الشرقي (الرصافة) والثالثة في الجانب الغربي (الكرخ) وتضاء المدينة ليلاً بزيت الغاز ويحافظها نحو ٢٥٠ رجلاً موظفًا من الدوائر المذكورة · وطرقاتها غير مبلطة الاّ انها نظيفة · ويكثر فيها الوحل والطين في ايام الشتاء اذا اشتد المطر وبقي اياماً كما ان الغبار يكثر فيها في ايام الصيف · وفيها الآن (الجي) اشاه العجم · وقنصل لدولة انكلترا وآخر لدولة فرانسا وثالث لدولة روسيا ورابع لجمهورية الولايات المتحدة باميركا · وفي بغداد عدة مقابر للمسلمين · ومقبرة للنصارى الكاثوليك وواحدة للارمن الغير كاثوليك ومقبرتان لليهود · والاطباء في بغداد كثيرون ملكية وعسكرية واجانب واهلية من اجناس مختلفة كالعرب والعجم والترك والفرنساويين والانكليزيين والنمساويين والروميين وغيرهم · وزيّ اهاليها في الملبوس العمامة والجبة وهذا خاص بالعلماء والفضلاء والقضاة وقليل من ابنائها · والطربوش والسترة والبنطلون بما موري الحكومة ومن تبعهم والعقال (حبل يشد به الرجل رأسه) والكوفية واللثام بعامتها وأسافلها وغربائها · والنساء الوطنيات يتزرن بالازر الحريرية الدمقسية والملوّنة بالالوان اللطيفة والمقصبة بالسرمة والقفيرات والدخيلات بالاعبية · ونساء الشيعة بالازر السود القطنية او الحريرية · ونساء اليهود بالازر السود القطنية يتخللها بياض ونساء النصارى اخذن الزي الافرنجي ولا سيما البنات منهن

﴿ الآثار القديمة ﴾ الآثار القديمة في بغداد وضواحيها كثيرة جدًّا · منها « المدائن » ارض كسرى انوشيروان تبعد عنها ٦ ساعات شرقًا على ضفة الدجلة · وفي المدائن « الايوان » الذي بناهُ سابور ذو الاكتاف وقيل كسرى انوشيروان وقيل ابرويز كسرى وقيل تعاون على بنائهِ عدة ملوك · قيل ولما اراد بانيهِ بناءهُ امر بشراء ما حولهُ من مساكن وترغيبهم بالثمن الوافر وادخالها في الايوان وكان في جوارهِ عجوز لها دويرة فأبت بيعها وقالت لا ابيع جوار الملك بالدنيا فاستحسن الملك منها ذلك وتركها وبنى الايوان وابقى بيتها في موضعهِ · قيل ان

هذا الايوان كان من اعظم ابنية العالم وهو الذي قصد هدمهُ المنصور العباسي لما شرع في بناء بغداد · وقد تهدم هذا الايوان ولم يبق منهُ الآن الا « الطاق » وهو مبنيّ بالآجر طولهُ ٨٠ وعرضهُ ٦٠ وارتفاعهُ ١٢٠ مترًا · وقد انشق هذا الطاق يوم ولادة النبي صلى الله عليهِ وسلم · والشق باقٍ فيهِ الى الآن · وهنا مرقد سلمان الفارسي وعبد الله الانصاري وحذيفة اليماني وهم من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عليهم اجمعين · ومنها « اكركوف » آثار قديمة واقعة على مسافة ثلاث ساعات من بغداد الى الشمال الغربي على ميمنة ترعة السقلاوية وعلى ثلاث ساعات من دجلة غربًا · وهي على شكل هرم من الآجر والقصب تبلغ استدارتها عند اصلها ٤٠٠ قدم وارتفاعها عن سطح الارض ١٢٥ قدمًا · وتعرف عند اهل بغداد بقصر نمرود او برج بابل · قال بعضهم ان هذه الآثار انما هي آثار حصن لمدينة آكد القديمة من مدن نمرود · وقال آخرون انها موقع سنّاكي القديمة التي ذكرها زينوفون اليوناني ومنهم من قال انها اثر قلعة او هرم من بناء البابليين او مدفن احد ملوكهم والله اعلم · ومنها « الانبار » وهي فيروز سابور القديمة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وهي الى غربيها على الفرات قرب مخرج نهر عيسى (المسعودي) قيل سميت بذلك لانهُ كان يجمع فيها انابير الحنطة والشعير والتبن · وكانت الانبار منزلاً لابي العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين انتقل اليها من الكوفة سنة ١٣٤ هجرية وبنى بها القصور وحسنها وتوفي بها ولما ولي المنصور الخلافة انتقل منها الى الهاشمية ومنها الى بغداد

ومجمل الكلام ان بغداد من احسن البقاع هواء واهلها من اذكى الناس افهامًا واكرمهم طباعًا واطيبهم اخلاقًا وافصحهم لسانًا · ولذلك قال القائل

فدًى لكِ يا بغداد كل قبيلةٍ * من الارض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها * وسيّرتُ رحلي بينها وركابيا
فلم أرَ فيها مثل بغداد منزلاً * ولم أرَ فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلاً * واعذب الفاظًا واحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودّك صادقًا * لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الاغنياء بارضهم * وترمي النوى بالمقترين المراميا

واذا التفتت اليها الحكومة ايدها الله وحفرت جداولها وعمرت خرابها وعلمت سكانها وكفت ايدي الجائرين عنها زادت عظمتها حتى يعود اليها جمالها الاصلي والله حسبنا ونعم الوكيل

« محمد درويش » معاون محاسبة نظارة الديون العمومية في بغداد

تاريخ الشهر

سفر الجناب العالي الى الاستانة

ذكرنا في الهلال الماضي عزم الجناب العالي على الشخوص الى دار السعادة لتقديم فروض العبودية والاخلاص الى جلالة مولانا السلطان الاعظم وكان جلالته قد انتدب سعادة ابراهيم باشا نامق ليسير على اليخت السلطاني « عز الدين » لاستقدام سموّ الجناب العالي بما يليق به من الاكرام فلما كان صباح السادس من يوليو الماضي وهو اليوم المعين لسفر سموّه ولم يصل اليخت مياه الاسكندرية ركب سموّه الباخرة « الفيوم » برجال خاصته بعد ان اصدر امرًا عاليًا بتعيين صاحب الدولة رياض باشا نائبًا يدبر حركة الاعمال اثناء غيابه وركب دولة الغازي مختار باشا ورجال حاشيته على الباخرة القاهرة وركبت المعية في باخرة الشرقية

فمخرت الفيوم تخترق عباب البحر وبقيت القاهرة تنتظر قدوم اليخت السلطاني وبعد بضع ساعات ظهرت الباخرة عز الدين في عرض الافق قادمة الى الاسكندرية وكانت القاهرة قد اقلعت فأشارت اليها فوقفت ولما وصلت عزالدين الميناء نزل دولتلو نائب خديوي لاستقبال سعادة المندوب السلطاني واعلمه بسفر الجناب العالي فنزل المندوب في زورق خاص حتى بلغ القاهرة ثم مخرت اللحق بالفيوم

وسافر يوم سفر سموّه جماعة من اعيان البلاد وخاصتها لتشييع جنابه العالي قيامًا بفروض الاكرام والاحتفال . وفي صباح العاشر من ذلك الشهر حل الركاب الخديوي في مياه الدردنيل على الفيوم تحف بها القاهرة والشرقية حتى اذا اصبحت تجاه سراي يلدز العامرة صدحت الموسيقى المصرية واصطف الرجال المصريون يحيون الجناب السلطاني منادين « بادشاهم چوق يشا »

ثم اقتربت الفيوم الى سراي طولمه بغجه ورست هناك والناس يتقاطرون افواجًا والزوارق تجري سراعًا للتيمن بطلعة سموّه وملاقاته واجمل تلك الزوارق زورق

فخامتلو اسماعيل باشا الخديوي الاسبق وهو اول زورق لامس الفيوم وفخامته اوّل من صعد الباخرة وصافح سموّه فاستقبله الجناب العالي على اعلى السلم واراد تقبيل يده فامتنع فخامته وقبله تكرارًا ثم قدم دولتلو رائف باشا من لدن الجلالة الشاهانية فاستقبله سموّه في الصالون

وبعد قليل نزل فخامة اسماعيل باشا في زورقه وفي الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ نزل سموّه ونزل بمعيته دولتلو رائف باشا والتقى على الرصيف بدولتلو مختار باشا وكانت فرقة من الجند العثماني تنتظر سموّه على الرصيف فحيته بالموسيقى العسكرية ثم ركب المركبة والى جانبه رائف باشا وركب دولتلو مختار باشا في مركبة اخرى وسار الجميع الى سراي يلدز العامرة لتأدية فروض الهمة والناس على الجانبين يحيون جنابه العالي وخصوصًا اعيان المصريين الذين شيعوا سموّه فحياهم تحية المتأنس بهم وبسم لهم فتهللت وجوههم وخفقت قلوبهم سرورًا برؤيته اعزهُ الله

ولما وصلوا السراي السلطاني قابله الصدر الاعظم على السلم مع رجال المابين الهمايوني وبعد الاستراحة هنيهة حظي بالمثول بين يدي جلالة السلطان الاعظم ودامت المقابلة اكثر من نصف ساعة نال اثناءها كل رعاية واكرام واظهر جلالته لسموّه عواطف ابوية وخاطبه مخاطبة الاب لولده فكان لذلك تأثير عظيم في نفس سموّه وتناول سموّه الغذاء على المائدة السلطانية مع رجال معيته وفخامة الصدر الاعظم وغيره من رجال الدولة

ثم عاد الجناب الخديوي الى سراي طولمه بغچه المعدة لاقامته بأمر الحضرة السلطانية وهناك قدم لزيارة سموّه فخامة الصدر الاعظم وحضرات التراجمة الأُول لسفارات الدول لتقديم واجبات التهاني بالنيابة عن سفرائهم

وفي ١١ منه دُعي الجناب العالي لتناول الطعام في سراي يلدز العامرة فسار في معيته فتشرّف اوّلاً بالمثول لدى الحضرة السلطانية وتعطف جلالته وامر بحضور سعادة تكران باشا وثابت باشا وفي تلك الحفلة قلد جلالته سموّ الخديوي المعظم نشان الامتياز العلي الشان ووضعه على صدره بيده الشريفة

وفي ١٢ منه ذهب سموّه لزيارة فخامة الصدر الاعظم في الباب العالي وفي رفقته دولتلو رائف باشا وسعادة شاكر باشا المعينون من لدن جلالة السلطان لمرافقة

جنابهِ الرفيع ما دام في الاستانة وردّ زيارة وكلاء الدول بارسال بطاقة الزيارة حسب الاصول . وفي ١٣ منهُ تعشّى سموّهُ عند دولتلو فخامتلو اسماعيل باشا جدّهُ

وفي ١٤ منهُ حضر سموّهُ حفلة السلاملك واستعراض الجند بحضور الحضرة السلطانية وكانت حفلة شائقة وقضى الايام التالية بزيارة بعض الاماكن الشهيرة وفي اثناء ذلك انعم جلالة السلطان الاعظم بالنشان العثماني على حضرة صاحب الدولة رياض باشا نائب خديوي وبالمجيدي المرصع على كل من صاحبي السعادة ثابت باشا وتكران باشا وبالعثماني من الدرجة الاولى على محمود بك وكيل الحكومة المصرية في الاستانة وبنياشين اخرى ذهبية وفضية على كثير من رجال المعية

وبارح سموّهُ الاستانة في السابع والعشرين من يوليو الماضي والمنتظر حلول ركابهِ السعيد على ضفاف النيل في يوم الاحد ٣٠ منهُ

﴿ البرنس علي جمال باشا ﴾ هو عم الجناب العالي واصغر انجال فخامتلو اسماعيل باشا الخديوي الاسبق انتقل الى رحمة الله تعالى وهو في عنفوان الصبوة يتلقى الدروس العالية في احدى مدارس النمسا فحملوا جثتهُ ونقلوها بالتجلة والاكرام الى القاهرة بعد ظهر الثاني عشر من يوليو ودفنتهُ في مدفن العائلة الخديوية بالرفاعي اطال الله عمر الجناب العالي وعزّى قلوب اعضاء العائلة الخديوية على فقده

﴿ فيضان النيل ﴾ بدأ النيل المبارك بفيضانهِ يبشرنا بانقضاء حمأة القيظ والنجاة من تهدد الوباء لان بزيادتهِ يزداد املنا بالنجاة من غائلة تلك النازلة وقانا الله منها

كتب الينا ... لير وفي ...

﴿ فاجعة جسيمة ﴾ لقد فجع غرب لبنان بفقد كبير قومهِ الشهم الامثل عزتلو عبده بك شقير عضو الروم الارثوذكس في دائرة الجزاء في متصرفية لبنان ولهُ من العمر ٥٧ سنة اختطفتهُ المنون في صباح الاحد ٦ يوليو سنة ٩٢ بقرية سوق الغرب حيث كان قد ذهب قبل ذلك باربعة ايام طلبًا للصحة من الهواء . فكانت تلك الفاجعة صدمة قوية على جميع اهلهِ واخوانهِ ومعارفهِ وما انتشر منعاهُ في بيروت ولبنان حتى تقاطر الناس افواجًا الى مأتمهِ من الضياع المجاورة وخصوصًا الشويفاتيون فنقلت جثتهُ بالتجلة والاكرام الى وطنهِ في الشويفات حملاً على الاكف وهناك قامت الصيحة وعلا الضجيج

من النساء والرجال من الاهل والمعزين وقام الكل يندبون و ينوحون ويعددون الى صباح اليوم الثاني فحملوا النعش وجعلوا يطوفون به في ضواحي المنزل محمولاً على اكتفهم ثم حملوهُ الى الكنيسة محفوفًا بالذوات والاعيان يتقدمهم نيافة المطران غفريل و بعد الصلاة واروهُ في مدفن آبائهِ واجدادهِ و بعد التأبين والرثاء انصرفوا يرددون استمطار الرحمة على ذلك الفقيد العزيز ويقدمون مراسم التعزية لحضرات انسبائهِ الكرام وخصوصًا لحضرة الشهم المفضال كبير اهلهِ اسبر افندي شقير

وقد وردت رسائل التعزية البرقية الى آل الفقيد من سائر الدوائر العالية في البلاد وفي مقدمة الجميع دولتلو افندم نعوم باشا متصرف لبنان فقد بعث دولتهُ على لسان البرق الى حضرة سعيد بك العماد وكيل مديرية الشويفات يستقدمهُ لينوب عنهُ في حضور الاحتفال وتعزية آل الفقيد

وقد تقلب الفقيد رحمهُ الله في مناصب لبنان السامية كقائمقامية الكورة وعضوية الجزاء بلبنان اثناء ثلاثين سنة بالاستقامة والعفة حتى اكتسب ثقة المتصرفين وحاز على الرتبة الثانية في ايام دولتلو افندم رستم باشا وكان سديد الرأي مخلصًا حازمًا محسنًا وكان مولعًا منذ صغرهِ بالدرس والمطالعة وقد اتقن الخط وفي مكتبتهِ ما ينيف على الثلاثين كتابًا بخط يدهِ من الكتب العلمية التي كان وجودها نادرًا في زمانهِ رحمهُ الله وعزّى آلهُ الكرام وخلانهُ والهمهم الصبر الجميل

باب التقريظ والانتقاد

كتاب ارواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء

لا يزال استاذنا الخطير العلامة الدكتور كرنيليوس فان ديك وقد ناهز الثمانين من عمرهِ عاكفًا على التأليف والتصنيف كأنهُ حفظهُ الله قد خلق ليعمل اذ يندر ان يثابر كاتب على معاناة التأليف والتصنيف زهاء خمسين سنة في اصعب المواضيع وادقها بين طبية وعلمية ورياضية ولغوية في لغة لم يولد فيها ولنا في شهرتهِ الذائعة بين المشارقة